مُناقَضةٌ ومنافاةٌ لهذه الحكمة التي هي المقصودة بخلق السماوات والأرض ، وإنــزال الكتب وإرسال الرسل ، وفتح لباب الشرك في المحبة والخضـوع والتعظيـم ،ومشـاقّة ظـاهرة ، لله ولرسله ، ولكل نبي كريم - عليهم الصلاة والسلام...) (١) .

الوجه الثاني :

أ نّ هذا بعينه ، قول عباد الأنبيـاء والصـالحين مـن عهـد قـوم نـوح ، إلى أن بعث إليهم خاتم النبيين - عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسـليم - ولم يزيـدوا عنـى ما قال هؤلاء الغلاة ، فيما نتحلوه مـن الشـرك الوخيـم والقـول الذميـم ، ولم يفرّقـوا بـين توحيد الربوبية ، الذي أثبته المشركون قبلهم وأقروا به ، وبين توحيد الإلهيـة الـذي هـو إفراد الله سبحانه بالدعاء والاستغاثة ...والخوف والحب والإنابة ، والـذل والخضـوع ، كما حكى الله تعالى عنهم ذلك في كتابه الكريم ، قال تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم و يقولـو ن هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ (٢) ، وقـال تعـالى : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى** ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ **فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلّوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون** ﴾ (٤) .

فهـذه النصـوص المحكمـة ، صريحـة في أ نّ المشـركين لم يقصـدوا إلاّ الجـاه والشـفاعة والتوسل ، بمعنى جعلهم وسائط تقرّبهم إلى الله وتقضي حوائجهم منه تعالى ، وقد أنكر القرآن هذا أشدّ الانكار ، وأخبر أ نّ أهله هم أصحاب النار ، وأ نّ الله تعالى حرّم عليهم الجنة ، دار أوليائه الأبرار .

---

١ - غاية الأماني ١/ ٢٦٣ .

٢ - الآية (١٨) من سورة يونس ، وتمامها : ﴿ **قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ .

٣ - الآية (٣) من سورة الزمر .

٤ - الآية (٢٨) من سورة الأحقاف .

وجمهور هؤلاء المشركين لم يدّعوا الاستقلال ولا الشركة في توحيد الربوبية ، بل قد أقروا بأنّ ذلك لله وحده ، كما حكى سبحانه إقرارهم واعترافهم بذلك في غير موضع من كتابه (١) (٢).

الوجه الثالث : (٣)

وهو أنّ الله تعالى دعا عباده بربوبيته العامة الشاملة ، لكلّيات الممكنات وجزئيّاتها في الدنيا والآخرة ، وانفراده بالإيجاد والتدبير ، والتأثير والتقدير ، والعطاء والمنع ، والخفض والرفع ، والعزّ والذل ، والإحياء والإماتة ، والسّعادة والشقاوة ، والهداية والمغفرة ، والتوبة على عباده ، إلى غير ذلك من أفعال الربوبية ، وآثارها المشاهدة المصنوعة ، إلى معرفته وعبادته ، الجامعة لمحبته ، والخضوع له وتعظيمه ، ودعائه وترك التعلق على غيره ، محبة وتعظيما واستغاثة ، قال الله تعالى : ﴿ أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون ٦٠ أمّن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ٦١ أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلا ما تذكّرون ٦٢ أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته أءله مع الله تعالى الله عمّا يشركون ٦٣ أمّن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم مّن السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا

---

١ - فقال تعالى : ﴿ولبن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هنّ كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هنّ ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ الآية (٣٨) من سورة الزمر . وقال أيضا : ﴿ ولبن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله فأنّى يؤفكون ﴾ الآية (٨٧) من سورة الزخرف .

وغير ذلك من الآيات التي أكّد فيها سبحانه وتعالى إقرارهم واعترافهم له بتوحيد الربوبية وحده لا شريك له .

٢ - انظر : غاية الأماني ١/٢٦٣ - ٢٦٤ . ومنهاج التأسيس والتقديس للشيخ عبد اللطيف ص ١٣٤ ، وما بعدها .

٣ - وهو الوجه الرابع عند العلاّمة الشيخ الألوسي - رحمه الله .

المَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السّعُودِيَّةُ
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

جهود الإمام
أبي المعالي محمود شكري الألوسي
في نصرة عقيدة السلف

رسالة مقدّمة لنيل درجة العالمية **الماجستير**

اعداد الطالب :

داود عثمان

اشراف :

فضيلة الدكتور/ علي بن عبد الرحمن الحذيفي

العام الجامعي / ١٤١٥- ١٤١٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حق تقاته ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون ﴾ (١)

﴿ يا أيّها الناس اتقوا ربّكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ (٢)

﴿ يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ (٣) .(٤)

وأما بعد :

فإنّ خير الحديث كتاب الله عزوجل ، وخير الهدي هدي المصطفى ، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة .(٥)

---

١ - الآية (١٠٢) من سورة آل عمران .

٢ - الآية (١) من سورة النساء .

٣ - الآيتان (٧٠- ٧١) من سورة الأحزاب .

٤ - هذه الخطبة ، تسمى خطبة الحاجة ، وهي تشرع بين يدي كل حاجة ، وهي مأثورة عن النبي ﷺ .
انظر : سنن ابن ماجة ، ١/٦٠٩ - ٦١٠ . وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٣/١ .
وقد أفرد - حفظه الله - رسالة خاصة جمع فيها الأحاديث الواردة فيها ، وطرقها فلتراجع .

٥ - اقتباس من الحديث النبوي الشريف الذي رواه الإمام مسلم . انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ٦/٤٠٣ ح (٨٦٧) ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة .

وبعد :

فإنّ أهل السنة والجماعة قد اتفقوا على أن أفضل العلوم نفعاً، وأعلاها منزلةً ، هو العلم بما يجب على العبد نحو ربه وإلهه عز وجل ، من علوم توحيد الله ، في ربوبيته وألوهيته ، وأسمائه وصفاته ، وتقديسه ، حتى يعبد ربه على هدى وبصيرة . ومن أجل ذلك خلق الله الخلق، وبعث الرسل ، وأنزل الكتب .

فجميع الأنبياء والمرسلين إنما بعثوا للدعوة إلى توحيد الله وإفراده وحده بالعبادة ، قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون** ﴾ (١) ، وقال عز من قائل: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنّه لا إله إلاّ أنا فاعبدون** ﴾(٢) .

وأرسل الله رسوله محمدا ﷺ بالدين الحق ، على فترة من الرسل ، فدعا إلى صراط الله المستقيم ، ونهجه القويم ، فبلغ ﷺ الدين كما أمره ربه عز وجل ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وقام بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ،حتى أتم الله عليه النعمة ، بإكمال هذا الدين ، فكملت شرائعه ، واستوضحت طرائقه ، وتركهم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلاّ هالك .

فدين الإسلام كامل لا يحتاج إلى زيادة أو نقص ، وهو صالح لكل زمان ومكان ، فمن نقص منه ،فقد ضل وخسر، ومن زاد فيه فقد افترى على الله ، واتهم الشريعة بالنقص وعدم الكمال ، وكأنه استدرك على الله وعلى رسوله ﷺ ، وكفى بذلك قبحا وإثما . وقد قال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ (٣) .

---

١ - الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

٢ - الآية (٢٥) من سورة الأنبياء .

٣ - الآية (٣) من سورة المائدة .

لذلك حذر نبيه ﷺ أمته من البدع والإحداث في الدين ، فقال : ((من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد)) (١) .

ولا شيء أفسد للدين وأشد تقويضا لبنيانه ، من البدع ، فهي تسري في كيانه سريان النار في الهشيم ، وهي بريد الشرك والموصلة إليه .

وقد قام بأمرالدين والدعوة إليه - بعد النبي ﷺ- نخبة الأمة المحمدية وصفوتها - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - الذين رباهم النبي ﷺ ، وتخرجوا في مدرسة النبوة، بعد أن ترعرعوا في رحاب روضاتها، فقاموا به خير قيام ، حيث كان لهم في شخصيته ،القدوة الحسنة ، فحملوا اللواء ، ونشروا دين الله عز وجل في أصقاع الأرض ، فأظهر الله دينه، وأنجز على أيديهم وعده ،وأتم نعمته بإظهارالإسلام علىالدين كله، ولوكره الكافرون.

هذه الفترة التي عاشها الصحابة الكرام ، تعتبر فترة ذهبية لوحدة الأمة الإسلامية واجتماعها على عقيدة واحدة ، لا يخالف فيها مخالف ، ولا يخرج عنها مفارق ، لذلك فإنّ أهل السنة والجماعة - الفرقة الناجية - يعتبرون جيل الصحابة وما كانوا عليه ، القاعدة الأساسية لفهم الإسلام ومعرفته ، فما عرفه ذلك الجيل وبينوه ، أخذ به أهل السنة وأظهروه ، وما سكتوا عنه ولم يتكلموا فيه ، أعرضوا عنه وتركوه . فهم خيرة البشر بعد أنبياء الله ورسله ، وأعرف بدينه ومراده ، وأحسن حالا ، وأقوم هديا، وأقل خلق الله تكلفا .

وهكذا مضى عصر الصحابة ،ذلك العصر الذهبي الذي يمثل وحدة إيمانية قوية ، إلاّ أنّ أعداء الدعوة الإسلامية ، أحدثوا أموراً ، زعزعت تلك الوحدة ، ومن ثم ظهرت الخرافات في العقائد ، وبدع في العبادات ، وتكونت فرق ضالة ، حظيت بمروِّجين لأباطيلها في المجتمع الإسلامي ، وتفرقت الأمة شيعا بسببها .

---

١ - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ، وردّ محدثات الأمور ، ونصه : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)) ح(١٧١٨) وفي رواية : ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)) . صحيح مسلم مع شرح النووي ١٢ / ٢٥٧ -٢٥٨ .

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى- في رسالة بعث بها إلى مسدد ابن مسرهد ، عندما سأله عن أمر الفتنة ، وما وقع فيه الناس من الاختلاف في القدر،والرفض والاعتزال ، وخلق القرآن والإرجاء ، قال : (... الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ، وينهون عن الردى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، ينفون عن دين الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، الذين عقدوا ألوية البدع ، وأطلقوا أعنّة الفتنة، مختلفين في الكتاب ، يقولون على الله وفي الله - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا - وفي كتابه بغير علم ، نعوذ بالله من كل فتنة مضلة ...) (١).

لكن الله عز وجل ، لما وعد بحفظ هذا الدين الحنيف في قوله : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ (٢) ، قيض علماء على مدى التاريخ قاموا بالدفاع عن هذا الدين ومقاومة البدع والانحرافات .

فقد تصدوا بالرد على أهل البدع والأهواء ، وبينوا للناس أباطيلهم وضلالهم ، وأن ما هم عليه ليس من الدين في شيء ، وألفوا في ذلك مؤلفات كثيرة ، ومفيدة ، نفع الله بها الأمة الإسلامية .

وقد كان الإمام العلاّمة أبو المعالي الألوسي - رحمه الله تعالى - أحد أولئك الهداة الأعلام الأفذاذ ، الذين كانت لهم جهود مميزة في محاربة البدع وأهلها . ولم يتوان هذا الإمام الجليل في تصحيح عقيدة الأمة المحمدية ، ودعوتها إلى العودة إلى كتاب الله العزيز، وسنة سيد المرسلين ، وإمام المتقين .

قال تلميذه محمد بهجت الأثري :- بعد كلامه على الحالة الدينية السيئة التي كانت سائدة في عصره ، وأن الله تعالى أبقى أولى بقية ينهون عن الفساد في الأرض - قال :

---

١ - انظر : مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٢١٧ ، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٣٤٢/١ .

٢ - الآية (٩) من سورة الحجرات .

(ولأستاذنا الألوسي النصيب الأكبر ، احتسب حياته لخدمة الدين الإسلامي ، وتطهيره من أوضار البدع والمحدثات التي فتّت ساعده ، وبذل في ذلك غاية جهده ، فجاهد أهل الحشو(١) ودعاة عبادة القبور جهاد الأبطال في ساحات القتال ، فكان سيفاً ماضياً في رقاب الحشويين ، والقبوريين) (٢) .

وقال أيضا : (جاهد السيد البدع والوثنيات ، ودعا إلى التوحيد الذي هو أول ما كانت تدعوا إليه الرسل ، وبين ضرر تقليد الآباء ، والسير على آثارهم الغامضة ، غير مدخر في جهاده ودعوته وسعا ، حتى كبح جماح الوثنيين ، وخفف من غلواء القبوريين فكان له من التأثير المحمود في قمع الضلال ما لا سبيل لأحد إلى إنكاره ، وهذه آثار جهاده بين الأيدي) (٣) .

وبهذا يتجلى مكانة هذه الشخصية المرموقة ، والتى ينبغي على طلبة العلم ، إخراج جهودها الجبارة المميزة ، لا سيما جهودها في العقيدة. وفيما يلي تعريف بأهمية هذه الشخصية :

---

١ - الحشو من الناس ، هم العوام الذين لا يعتمد عليهم ، والأراذل منهم . اللسان ١٨٠/١٤ ، مادة " حشو " . **والحشوية** : بسكون الشين وفتحها ، هم قوم تمسكوا بالظواهر ، فذهبوا إلى التجسيم وغيره ، وهم من الفرق الضالة .

● كشف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي ١٦٦/٢ .

وهذه تسمية تطلقها المبتدعة على أهل السنة ، زعماً أنهم يجرون النصوص على ظواهرها بدون فهم لمعانيها . **وهذا** قول باطل مفترى على أهل السنة . فالواقع أنهم يفهمون معاني هذه النصوص على ما جاءت عليه ، ويكلون معرفة كيفيتها وحقيقتها إلى الله تعالى ، لا أنهم لا يفهمون معناها ، فإنها معلومة لديهم . كما ثبت عن الإمام مالك وغيره - رحمهم الله- قولهم في معنى الاستواء : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

● **انظر** : مجموع فتاوى ١٤٤/٥ وما بعدها .

٢ - أعلام العراق ص ١٣١ .

٣ - المصدر السابق ص ١٣١، ١٣٣ .

أولا : أهمية الموضوع :

إنّ القيام بدراسة بعض الشخصيات من علماء السلف الصالح فمن بعدهم ممن سار على نهجهم ، أمر عظيم ، وأهميته كبرى ، إذ إنه يعطي المسلم صورة واضحة حول حماة هذا الدين ، وامتداده عبر القرون ،ومدى عظم المجاهدة التي تحملها أولئك العلماء الأجلاء .

ومن هذا المنطلق ، نجد أن أهمية هذا الموضوع - الذي يتناول دراسة جهود العلاّمة أبي المعالي الألوسي - كامنة في أمور عدة ، أهمها ما يلي :

أ- أن هذا الموضوع يبرز مدى متابعة علماء أهل السنة من الخلف ، لسابقيهم ، في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ، ومقاومة ما يطرأ عليها من أفكار دخيلة ، واردة من قبل أعدائها ، الساهرين لإفسادها ، بل تغييرها بالكلية .

ب - ولأن دراسة الشخصيات البارزة من علماء السلف المتأخرين ، وإظهار جهودها الدعوية، تمثل حلقة عقدية موحدة بين المتقدمين والمتأخرين من أهل السنة .

ثانيا : أسباب اختيار الموضوع :

إنه بعد أن تفضل الله سبحانه وتعالى عليّ بنعمة الإسلام ، وأكرمني وأرشدني لطلب العلم الشرعي ، ويسّر لي الوصول إلى مُهاجر النبي ﷺ ، ليكون لي المنبع النقي والمنهل العذب ، بجوار الحبيب المصطفى ، صلوات الله وسلامه عليه ، وبالأخص في رحاب هذه الجامعة المباركة ، والتي أنشأتها أيادي كريمة ، لخدمة الأمة الإسلامية من خلال تعليم أبنائها .

ولما كان لزاما على كل من وفقه الله تعالى من الطلاب ، لمواصلة الدراسات العليا، تقديم بحث منهجي علمي ، اخترت أن يكون بحثي حول شخصية بارزة من علماء الأمة ألا وهي شخصية عالم العراق ، الإمام أبي المعالي السيد محمود شكري الألوسي - عليه الرحمة - وذلك تحت عنوان : (**جهود الإمام أبي المعالي الألوسي في نصرة عقيدة السلف**) . ومن الجوانب التي أكدت لي هذا الاختيار ، ما يلي :

أ - أن هذا الإمام الجليل لم يعط حقه من البحث والدراسة في الجانب العقدي ، وأن جهوده الضخمة في الدعوة ، لم يعرَّف بها قدر ما عرّف بجهود غيره من المصلحين .

ب _ كونه -رحمه الله من المشهورين في مناصرة عقيدة السلف والذب عن أئمة أهل السنة والجماعة .

ج _ إبراز شخصية الإمام أبي المعالي الألوسي ، وجهوده في محاربة البدع والشركيات

د - أن كشف ضلال وبدع القبوريين ، فيه إحياء للسنة ، ونشر لها ، وتقوية لأهلها .

ولهذه الأسباب وغيرها ، فضلت الكتابة في جهود هذا الإمام ، خاصة بعد أن استحسن ذلك جملة من أساتذتي الأفاضل ، الذين قمت بعرض الموضوع عليهم . فأرجو من المولى القدير، أن يوفقني ويعينني على تقديم صورة صحيحة عن جهود هذه الشخصية، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

ثالثا : خطة البحث :

هذا وقد تضمن البحث مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة :

فأما المقدمة : فتضمنت بيانا لأهمية الموضوع ، وبعض أسباب اختياري له ، وخطة البحث ، والمنهج الذي سلكته أثناء العمل .

وأما الباب الأول : فقد خصصته للحديث عن حياة الإمام الألوسي ، وجعلته في فصلين :

الفصل الأول : حياته الشخصية ، وقسمته إلى خمسة مباحث .

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته .

المبحث الثاني : مولد الألوسي ونشأته .

المبحث الثالث : أسرة الألوسي وشهرته .

المبحث الرابع : محنته وما لاقاه من خصومه .

المبحث الخامس : عقيدته .

الفصل الثاني : حياته العلمية ، وجعلته ستة مباحث .

المبحث الأول : طلبه للعلم وحرصه عليه .

المبحث الثاني : شيوخه .

المبحث الثالث : بعض تلامذته .

المبحث الرابع : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

المبحث الخامس : مؤلفاته .

المبحث السادس : وفاته .

وأما الباب الثاني : فخصصته للحديث عن جهود الألوسي في الدفاع عن أئمة أهل السنة والجماعة ، وجعلته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تحدثت فيه عن بيانه للمراد بأهل السنة والجماعة ، وذبه عن الصحابة

رضي الله عنهم ، وجعلته في مبحثين .

المبحث الأول : بيان الألوسي المراد بأهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني : ذبه عن الصحابة رضوان الله عليهم .

الفصل الثاني : عن ذبه عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وبعض كتبه .

وقسمته إلى ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : ذبه عن شيخ الإسلام - رحمه الله - مما ألصقه به النبهاني وغيره

المبحث الثاني : نقله لعقيدة الشيخ من بعض كتبه وتوضيحه لها .

المبحث الثالث : ذبه عن بعض كتب شيخ الإسلام .

الفصل الثالث : تحدثت فيه عن تأييد الألوسي لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،

والدفاع عنها، وجعلته أربعة مباحث .

المبحث الأول : موقفه من إطلاق لفظ الوهابية .

المبحث الثاني : بيانه لعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

المبحث الثالث : رده على بعض معارضي دعوة شيخ الإسلام .

المبحث الرابع : خدمته لبعض كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وأما الباب الثالث : فخصصته للحديث عن جهود الألوسي في مقاومة البدع وأهلها ، وقسمته إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تحدثت فيه عن تعريف البدعة ، وبيان أن كلها مردودة والأدلة على النهي

عنها ، وعلى وجوب الإتباع ، وجعلته ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : تعريف البدعة لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : بيانه أن البدع كلها مردودة .

المبحث الثالث : الأدلة على النهي عن الابتداع ووجوب الاتباع .

الفصل الثاني : عن جهوده في الرد على المتصوفة في بعض بدعهم . وقسمته إلى ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : التعريف بالمتصوفة .

المبحث الثاني : الرد على بدعهم في الذكر .

المبحث الثالث : قولهم بالفناء والرد عليهم .

الفصل الثالث : تحدثت فيه عن جهود الألوسي في الرد على الرافضة ، في أهم معتقداتهم وجعلته في مبحثين .

المبحث الأول : التعريف بالرافضة .

المبحث الثاني : ردود الألوسي عليهم في بعض عقائدهم ، وبيان الحق في ذلك .

وأما الباب الرابع : فخصصت الكلام فيه عن جهود الألوسي في توضيح بعض مباحث توحيد العبادة ، وقسمته إلى فصلين :

الفصل الأول : تحدثت فيه عن تعريف العبادة ، وشروط صحتها ، مع ذكر بعض الأدلة على استحقاق الله تعالى للعبادة ،بجميع أنواعها ، وجعلته في ثلاثة مباحث.

المبحث الأول : تعريف العبادة وشروطها .

المبحث الثاني : تعريف توحيد العبادة وبيان تضمنه لجميع أنواع التوحيد .

المبحث الثالث : ذكر الأدلة على استحقاق الله تعالى للعبادة بجميع أنواعها .

الفصل الثاني : تحدثت فيه عن بعض أنواع العبادة ، ورد الشبه المبتدعة فيها .

وقسمته إلى خمسة مباحث :

المبحث الأول : الاستغاثة ورد الشبه فيها .

المبحث الثاني : الدعاء ورد الشبه فيه .

المبحث الثالث : التوسل ، وردّ الشبه فيه .

المبحث الرابع : الرد على ادعاء مشروعية السفر إلى زيارة القبور .

المبحث الخامس : بيان وجوب مراعاة حقوق النبي ﷺ فيما يجوز له وما لا يجوز في حقه من المسائل المتقدمة في هذا الفصل .

وأما الباب الخامس : فقد خصصت الكلام فيه عن جهوده -رحمه الله - في بيان توحيد الربوبية ، والأسماء والصفات ، وبعض مسائل الإيمان ، وجعلته في أربعة فصول:

الفصل الأول : تحدثت فيه عن جهود الألوسي في بيان توحيد الربوبية ، وجعلته أربعة مباحث .

المبحث الأول : بيانه رحمه الله لمعنى الرب .

المبحث الثاني : المعنى الاصطلاحي لتوحيد الربوبية .

المبحث الثالث : بيان الألوسي إقرار مشركي العرب وغيرهم من الكفار لتوحيد الربوبية .

المبحث الرابع : قول الألوسي في طريقة معرفة الباري تبارك وتعالى .

الفصل الثاني : في حديثه عن توحيد الأسماء والصفات ، وقسمته إلى ثمانية مباحث .

المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات ، وبيان موجز منهج السلف الصالح في ذلك

المبحث الثاني : تفسير الألوسي بعض أسماء الله الحسنى .

المبحث الثالث : كلام الألوسي في مقتضى بعض أسماء الله الحسنى ودلالتها على الوحدانية

المبحث الرابع : في تقسيم الألوسي آيات الصفات وأحاديثها .

المبحث الخامس : في قولهم : الصفات غير الذات ، أو صفات الله غير الله .

المبحث السادس : الكلام على صفة العلو ولفظ الجهة .

المبحث السابع : استواء الله على عرشه .

المبحث الثامن : الكلام على صفة النزول .

الفصل الثالث :تحدثت فيه عن جهوده في بيان بعض مسائل الإيمان،فجعلته ثلاثة مباحث

المبحث الأول : تعريف الإيمان لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : بيان الألوسي زيادة الإيمان ونقصانه .

المبحث الثالث : بعض مسائل القضاء والقدر .

الفصل الرابع : تحدثت فيه عما يتعلق بأخبار يوم الآخر عند الأ لوسي ، وقسمته إلى مبحثين .

المبحث الأول : في الشفاعة .

المبحث الثاني : الحوض وكون الجنة والنار مخلوقتين .

وأما الخاتمة : فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة ، ثم إتماما للفائدة ومحاولة إتقان العمل وتيسيرا على قارئ هذا البحث ، فقد ختمتها بوضع فهارس لكل من الآيات القرآنية ، الأحاديث النبوية ، والمرويات الشيعية ، والأعلام ، والأبيات الشعرية ،والمصادر والمراجع التي استخدمتها ، وأخيرا فهارس الموضوعات العامة.

رابعا : منهج البحث :

أما المنهج الذي سرت على ضوئه في هذه الدراسة فهو على النحو الآتي :

١. جمعت مادة البحث من مصنفات الألوسي – رحمه الله – . ومن المصادر التي اعتمد عليها في مؤلفاته ، حسب ما تيسر لي ، ووفقني الله للإطلاع عليه ، ولم أدخر وسعا ولا جهدا في البحث عن كل ما يظن أن له علاقة بالموضوع ، ومع هذا فلا أدعى الوقوف على جميع مؤلفاته- رحمه الله- خاصة أنه لم يتيسر لي الوصول إلى موطنها رغم المحاولات الجادة .

٢. التزمت منهجه -رحمه الله - في مناقشة المخالفين ، حيث يذكر شبههم ، وما اعتمدوا عليه من الأدلة ، ثم يعقب ذلك بالرد والمناقشة .

٣. بذلت قصارى جهدي ، في تحقيق نقوله - رحمه الله- عن المخالفين ، من كتبهم المعتمدة ، وذلك لإثبات ما هو بالتصرف ، وما هو بالنص .

٤. حاولت بقدر المستطاع ، أن لا أخرج في البحث عما جاء عنه ، إلاّ نادرا ، فأعتمد في ذلك على ما جاء عن السلف الصالح ، وأئمة الدعوة السلفية .

٥. أشير إلى ما نقله الألوسي ، أو نقلتُه بالتصرف ، بكلمة (انظر) .

٦. أمهد لمعظم المباحث والمطالب بكلمة يسيرة ، كمدخل إلى الموضوع .

٧.أستشهد على بعض المسائل التي أورد ها الألوسي ، ولم يستشهد عليها بآية أو حديث إن وجد ، ثم أورد شيئا من كلام أئمة الإسلام في الموضوع .

٨. التزمت الإشارة في الهامش إلى أسماء السور ، وأرقام الآيات الواردة في البحث .

٩.اعتمدت الكتب الستة في عزو الأحاديث ، وقد أزيد عليها - في بعض الأحيان -كتبا أخرى حسب ما تيسر لي ذلك ، زيادة في إفادة القارئ بمواطن الحديث ، وأشير في الهامش إلى رقم الجزء والصفحة ، مع ذكر اسم الكتاب والباب الذي ورد فيه الحديث فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما ، اقتصرت عليهما ، وإذا كان في غيرهما ، عزوته إلى مظانه ، ثم نقلت أقوال بعض النقاد أحيانا .

١٠. نظراً لكثرة الأعلام الواردة في البحث ، ترجمت لمعظمهم ، متجنباً المشاهير منهم .

١١. وتسهيلا على القارئ الكريم ، ذيّلت البحث بفهارس متنوعة ، تعينه على كشف مبتغاه بسهولة ويسر ، إن شاء الله .

فهذه أهم النقاط التي سرت عليها في هذه الدراسة ، وهي في الحقيقة جهد مقل ، من تلميذ مبتدئ ، لذلك أضعها بين يدي القارئ والناقد ، متطلعا إلى المزيد من الإرشادات والتنبيهات والتصويبات لما وقع فيها من خطأ وسهو ، عسى أن تكون عونا لي في تكميلها . وأسأل الله عز وجل أن يغفر لي زلاتي ، وكل خطأ جرى به قلمي ، فيما قصدت منه الوصول إلى الحق وبيانه ، إنه سميع مجيب .

وفي الختام ، يقول أصدق القائلين : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (١) ، فأشكر الله أولا وأخيرا ، وأحمده سبحانه وتعالى ،على عظم منته ، وكريم فضله ، الذي وفقني لإتمام هذا البحث ، فله الحمد في الأولى والآخرة . وأسأله جل ثناؤه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، ويكتبه لي في صالح أعمالي ، وأن يجعله مباركاً مقبولاً ، موافقا لسنة حبيبنا محمد ﷺ ، نافعا لعباده ، مؤديا لما أريد له ، إنه جواد كريم .

ويقول المصطفى ﷺ : ((لا يشكر الله من لا يشكر الناس)) (٢) . فعملا بهذا الحديث النبوي الشريف ، واعترافا بالجميل ، لا يسعني إلاّ أن أقدم خالص الشكر والتقدير ، للمسؤولين في الجامعة الإسلامية ، والساهرين عليها لتعليم أبناء العالم الإسلامي - ليرجعوا منذرين لقومهم لعلهم يرشدون ، وعلى رأسهم سماحة مديرها الدكتور/ صالح بن عبد الرحمن العبود ، الذين أتاحوا لنا فرصة تلقي هذا الدين الحنيف في رياض هذه الجامعة المباركة ، وهيّئوا لنا الجو المناسب للتحصيل ، وقدموا لنا كافة التسهيلات والإمكانيات الكفيلة لمساعدتنا في هذا المجال ، فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلىعميد كلية الدعوة وأصول الدين ، فضيلة الدكتور/عبيد ابن السحيمي ، وإلى رئيس قسم العقيدة ، فضيلة الدكتور/ صالح بن سعد السحيمي ، وإلى جميع أساتذتي الأفاضل الكرام ، وإلى جميع منسوبي كلية الدعوة ، وكل من أسهم في إظهار هذا البحث المتواضع على ما هو عليه سواء ممن أسدى إلي نصحاً أو رأياً أومشورة أو توجيهاً ، أو إعارة كتاب . واخص منهم بالذكر ، أستاذي ومشرفي فضيلة الدكتور/ على بن عبد الرحمن الحذيفي (إمام الحرمين الشريفين) الذي تقبل بصدر واسع ، الإشراف على هذه الرسالة ، ولم يدخر قصارى جهده ، في توجيهاته الثاقبة الصائبة . فجزاه الله عني خيراً ، وزاده فضلاً وتكريماً ، وأما ما زلت قدمي فيه ، فهو

---

١ - الآية (٧) من سورة ابراهيم .

٢ - سنن أبي داود ، كتاب الآداب ، باب في شكر المعروف ،١٥٧/٥- ١٥٨ ، وسنن الترمذي كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، بلفظ : ((من لم يشكر الناس لا يشكر الله)) وقال : هذا حديث حسن صحيح ٣٣٩/٤ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٧٠٢/١ .

تقصير غير مقصود ، من طالب علم ضعيف لم يزل متطلعا للمزيد ، وما توفيقي إلاّ با لله عليه توكلت وإليه أنيب .

وأخيراً ، لا يفوتني تقديم شكري وتقديري العميقين إلى كل من فضيلة الدكتور/ محمد با كريم با عبد الله ، وفضيلة الدكتور/ عبيد الله بن عبد العزيز السلمي ،- حفظهما الله ونفعنا بعلمهما - اللّذين تقبلا تحمل عباء قراءة هذا البحث ، وتقويمه وإبداء آرائهما السديدة ، فأثابهما الله حسن الثواب ، وجعل ذلك في ميزان حسناتهما .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

داود بن عثمان

المدينة النبوية

يوم الجمعة في ٢٧ ذي الحجة ١٤١٥هـ

الموافق ٢٦ مايو ١٩٩٥م .

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

في ترجمة الإمام الألوسي أبي المعالى .

وتحته فصلان :

الفصل الأول : حياته الشخصية .

الفصل الثاني : حياته العلمية .

الفصل الأول :

حياته الشخصية

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته

المبحث الثاني : مولده ونشأته .

المبحث الثالث : أسرته وشهرته .

المبحث الرابع : محنته وما لاقاه من خصومه

المبحث الخامس : عقيدته .

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته : (١)

هو الامام العلاّمة : محمود شكري أبو المعالي جمال الدين الألوسي البغدادي الحسيني ابن السيد عبد الله بهاء الدين بن السيد محمود شهاب الدين صاحب التفسير " روح المعاني " ابن عبد الله صلاح الدين بن محمد الخطيب الألوسي . وينتهي نسبه إلى الامام الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنهما .

وقد كنّاه أبوه عبد الله بهذه الكنية - أبي المعالي - مع أنه رحمة الله عليه لم يعقب ، اذ لم يتزوج - رحمة الله تعالى عليه . (٢)

---

١ - المصادر والمراجع المختارة لترجمة الألوسي - رحمة الله عليه :

أعلام العراق ص ٨٦ - ٢٤١ ، ومحمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية - محمد بهجة الأثري ص ٤٩ - ١٣٠ ، ومشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٦٨ - ٤٨٥ ، وأعلام الفكر الاسلامي ص ٣١١ - ٣١٩ ، ومقدمة الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر ص ٣٨ - ٤٥ ، ومقدمة المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر ص ١٣ -٤٥ ، ومقدمة اتحاف الأمجاد فيما يصح به الاستشهاد ص ١١ -٤٢ ، وقادة الفكر - الاسلامي ص٤٨٣ -٤٨٩ ، والمعاصرون ص ٤٢٧ - ٤٣٣ ، والموسوعة العربية الميسرة - ص ١٦٦٤ ، والأعلام ج٨/ ص ٤٩ - ٥٠ ، ومعجم الأعلام ص٨١٨ ، ومعجم المؤلفين العراقيين ج٣/ ٢٧٤ - ٢٧٥ ، ومعجم المؤلفين ج١٢/ ١٦٩ ، وديوان الرصافي ج١/ ٣٠٤ - ٣٠٧ ، ومجلة المنار (ج ٥ ، م ٢٥ / ٣٧٤ - ٣٧٩ ، وج ١ ، م١١/ ٤٧ ، وتاريخ جامع الامام الأعظم ج١/١٧٩ ، وتاريخ الأدب العربي في العراق ج٢/ ١١٤ ، وتاريخ مساجد بغداد الحديثة ص ١١ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٩٢ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، وفهرس التيمورية ج٣/ ٦ ، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الاسلامي ص ٦٦١ -٦٦٩ ، وغيرها من المصادر والمراجع .

٢ - أعلام العراق - محمد بهجة الأثري ص٨٨ ، وانظر : مقدمة المسك الأذفر للألوسي ص ١٧ ، بتحقيق عبد الله الجابوري .

المبحث الثاني : مولد الألوسي ونشأته :

قال الأستاذ الأثري : (١)

(في اليوم التاسع عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف للهجرة المباركة ،ولد في رصافة بغداد ، في بيت من بيوتات العلم والمجد ،طفل أغر ... استقبل الوجود باكيا ومتبرما،وأهله حوله يضحكون سرورا،ويتفاءلون بمقدمه خيرا كثيرا .

وشرع أصدقاء والديه يهنّؤنهما به راجين أن يقر الله به عيونهما ، ويبارك لهما ويجعله من السعداء والصالحين . (٢)

هذا وقد سماه أبوه باسم جدّه (أبي الثناء صاحب تفسير روح المعاني) تيمنا به ، وإحياءً لذكره ، وأملا في امتداد مواهبه ، وكذلك لقّبه بهذا اللقب ، وكنّاه بهذه الكنية ، جريا وراء العادة المألوفة في ذلك العصر ، وسائر العصور المتقدّمة ، فقدكان الناس – ولا سيّما العلماء والأمراء منهم يكنّون أبناءهم ، ويلقّبونهم وقت تسميتهم ، تفاؤلا بالخير ، كما هو الظاهر ، لا أنهم يقصدون بذلك التعظيم والاكرام على نحو ما كان يقصد العرب في الجاهلية ، كما يشير اليه قول شاعرهم :

أكنّيه حين أناديه لأكرمه * ولا ألقّبه والسّوأة اللقبا (٣)(٤)

وعن اسم الألوسي – رحمه الله تعالى – ونسبه وكنيته ومولده ، ينقل أحمد تيمور باشا في كتابه " أعلام الفكر الاسلامي في العصر الحديث " ما عثر عليه بخط الألوسي – رحمه الله في ذلك – قال : (وقفت له على ترجمة كتبها بخطه قال – أي الألوسي – رحمه الله – : (إنّي محمود شكري المكنّى بأبي المعالي ، ابن السيد عبد الله

---

١ – تأتي ترجمته عند ترجمة تلاميذ الألوسي ان شاء الله ص ٤٢ .

٢ – أعلام العراق ص ٨٩ ، وانظر نحوه في : محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغويّة ص ٥٠ –٥١.

٣ – نسبه أبو تمام في مختار أشعار قبائل العرب ، لبعض الفزارين ، ولم يسمّ قائله .
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي ج ٣/ ١٩٥ .

٤ – أعلام العراق ص ٨٩ ، محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغويّة ص ٥١ .

بهاء الدين بن أبـي الثنـاء ، السـيد محمـود شـهاب الديـن الألوسـي . وينتهـي نسـبي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنهما- ولله الحمد على ذلك . وقـد ولـدت صباح يوم السبت تاسع عشر من رمضان ، سنة اثنتين وسبعين ومائتين وألـف) . (١) ولا شكّ أنّ الشخص أدرى بنفسه من غيره .

وقد ولد في دار جدّه أبي الثنـاء . وهـي يومئـذ موئـل جميـع أبنـاء أبـي الثنـاء وذراريهم ، وكانت تشمل على دور لسكناه وسكنى أولاده ، ولاستقبال زائريـه ، وطلاب العلم الذين كانوا يرومونه من أنحاء العراق وكردستان ...

فنشأ - رحمة الله تعالى عليه - في كنف أبيـه ، في دار عـامرة بـالعلم والعلمـاء وفي أسرة عريقة في المجد والنسب والعلم والدين) (٢)مما كان سـببا في زيـادة ذكائـه ونشاطه وطموحه ونبوغه فيما بعد .

وأتـاحت لـه العنايـة البالغـة مـن أبيه الـذي تفـرّس فيـه النجابـة والألمعيـة ...فرصة الاغتنام والاستفادة من هذه العوامل التي لا تكد توجـد لغـيره . فاجتمـاع عامل الوراثة وعامل النشأة والتربية -كهذه - في نفس طموح ،كنفس أبي المعـالي. لا شك أنّ ذلك يوصل إلى المعالي بمشيئة الله تعالى . وقـد ورث أبـو المعـالي الكـرم وسعة الصدر من جدّه - أبي الثناء المفسر - حيث سـلك نهجـه في هـذه الـدار... فأخذ يستقبل زائريه وطلاّبه الذين قصدوه من جميع أنحاء العالـم الإسلامي ، بعد أن ذاع صيته ، للاستفادة منه - رحمه الله - تأسّـيا بجـدّه أبـي الثنـاء . وكـانت هـذه الدار من أكبر دور كبراء بغداد (٣).وهكذا نشأ هذا الإمام الجليل ، العلاّمة ، قـامع البدع ، ومحي السنّة المطهرة وحامل لـواء الدعـوة السـلفيّة في العـراق في عصـره - عليه رحمة الله تعالى .

---

١ - أعلام الفكر الاسلامي ص ٣١١ .

٢ - محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغويّة ص ٥٠-٥١ .

٣ - المصدر السابق . ومشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٨٧ .

المبحث الثالث : أسرة الألوسي – رحمه الله تعالى – وشهرته :

الامام العلاّمة الألوسي – عليه الرحمة – ينتمي الى أسرة رفيعة العماد كريمة المحتد (١)– وهي الأسرة الألوسية – ذات المجد الشامخ ، والشرف الباذخ (٢) والعزّ الأقعس (٣) والخِيَم (٤) الأنفس ، والمحتد العريق ، والفضل الأتلد (٥) العتيق– والتي – تقدّمت تقدما باهرا ، وتضاعفت على تعاقب اللّيال والأيام شهرتها . حتى جابت الأصقاع (٦) ، وملأت الأودية والبقاع ، وكاد لم يبق أحد لم يسمع باسمها أو لم يعرف عنها شيئا ، ذلك بفضل الله تعالى ثم بفضل نبوغ أبنائها وسيرهم على سنن العلم وسعيهم عند انتشار المطابع ، في نشر آثارهم المحبرة ، وبثّ ثمرات قرائحهم الناضجة ... فانّهم لو حادوا عن سنن أسلافهم ، ومالوا

---

١ – المحتد: من حتد بالمكان يحتد حتدا : أقام به وثبت ، وعين حتد ، بضمّتين : لا ينقطع ما ؤها ، والمحتد : الأصل والطبع) اللسان – لابن منظور ج ٣/ ١٣٩ ، والقاموس المحيط –الفيروز آبادي ج١ / ٢٩٦ ، مادة " حتد ") .

٢ – الباذخ : من بذخ ، البذخ : الكبر ، وتبذّخ : تكبّر وفخر وعلا ، وشرف باذخ : أي عال . اللسان ٣/ ١٠ ، والقاموس المحيط ١/٢٦٦ ، مادة " بذخ " .

٣ – الأقعس : من قعس قعسا فهو أقعس، ورجل أقعس : ثابت عزيز منيع . وتقاعس العز: أي ثبت وامتنع ولم يطأطئ رأسه) اللسان ٦/ ١٧٧ ، والقاموس المحيط ٢/ ٢٥٠ مادة قعس).

٤ – من خيم ، يخيم ، قال أبو عبيد :الخيم : الشيمة والطبيعة والخلق والسجيّة، وأنشد :

ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه * يدعه ويغلبه على النفس خيمها .

وقال ابن سيدة : الخيم بالكسر ، الخلق ، وقيل : سعة الخلق) اللسان ١٢/ ١٩٤ مادة : خيم) .

٥ – الأتلد : من تلد يتلد ويتلد تلودا ، والتالد : المال القديم الأصلي ، الذي ولد عندك ، ويقال: مال متلد ، وخلق متلد كمعظم، قديم) القاموس المحيط ١/٢٨٩ ، واللسان ٣/٩٩–١٠٠ مادة : تلد) . لعلّ المقصود : أنّ فضل هذه الأسرة وخلقها موروث كابر عن كابر . والله أعلم .

٦ – الأصقاع : من الصقع بالضمّ : ناحية الأرض والبيت ، والجمع أصقاع : أي نواحيها) . اللسان ٨/ ٢٠٣ ، والقاموس المحيط ٣/ ٥٢ ، مادة : صقع) .

عنه إلى الطريق الأميل ، ولم يجدّوا في سبيل التعلّم والتعليم والتأليف والنشر، لاندثر اسم (ألوس)،وقبر مع من رفع ذكر(ألوسي) وكان كأن لم شيئاً مذكوراً ...) (١) .

فإلى هذه الأسرة الألوسية العريقة ، ينتسب العلاّمة الألوسي - رحمة الله تعالى عليه - والتي ترجع نسبتها إلى ... ألوس - بقصر الهمزة ، كما رجّحه بهجة الأثري (٢)...) (٣).

وقيل نسبة إلى " آلوسة " بمدّ الهمزة . وفيها لغات أخرى ذكرها بهجة الأثري أيضا ...). (٤)وفي جميع الأحوال . فهي إمّا اسم رجل سمّيت به البلدة ، أو هي بنفسها اسم البلدة .

وهي بلدة أو جزيرة على الفرات أو وسطه ، تقع بين الحديثة وجزيرة - الخزانة ، وتبعد عن عانات الفرت أكثر من ثمانين كيلو متراً ، وبالقرب منها قرية " بروانة "). (٥)

هذا وقد سهى بعض المؤرخين وقالو بأنها بلدة بساحل بحر الشام قرب طرسوس ، لما رأوا من نسبة بعض القدماء اليها- كمحمد بن حصن بن خالد بن سعيد بن قيس أبو عبد الله البغدادي الألوسي الطرسوسي (٦) والمؤيد (٧) الشاعر

---

١ - أعلام العراق - محمد بهجة الأثري ص٧ ، بتصرف .

٢ - ستأتي ترجمته ان شاء الله تعالى . ضمن تلاميذ الألوسي .

٣ - أعلام العراق ، للأثري ص ٧ .

٤ - محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية - محمد بهجة الأثري ص ٢١ .

٥ - معجم البلدان ج١/٢٤٦- ٢٤٧ ، وكتاب لبّ الألباب ص ١٩ ، والمسك الأذفر ص٨٤ . ومقدّمة الدر المنتثر ص ١٢ .

٦ - هو محمد بن حصن بن خالد بن سعيد بن قيس أبو عبد الله البغدادي الألوسي الطرسوسي . وهو معدود من المحدثين . يروي عن جماعة منهم . وروى عنه جماعة آخرون) محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية - محمد بهجة الأثري ص ٢٣

٧ - هو المؤيد بن محمد بن علي أبو سعيد الألوسي الشاعر . كثير المدح والغزل الهجاء . وجرت له أقاصيص ، وسجن مدة ثم خرج من بغداد ، توفي بالموصل سنة (٥٥٧) . ذيل تاريخ بغداد ج ٥/ ٣٥٧ . ومحمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص ٢٣ - ٢٥ .

وغيرهما كثير) (١) .

والصحيح ان شاء الله تعالى ، ما يروى عن بعض الألوسيين : أنّ الأسرة الألوسيّة بغداديّة الأصل ، ارتحلت منها بسبب الفتن والحروب التي كانت تقع في بغداد أواخر المائة الحادية عشرة ، وفي أواخرالقرن الثاني عشر ، فقفل جدّ أبي الثناء (٢) إلى بغداد ، واتخذها وطنا له ، وتوفي فيها في أوائل المائة الثالثة عشرة (٣) .

وقيل : إنّما انتسبت الى - ألوس- لأنّ أحد أجدادها فرّ اليها من وجه هولاكو- التتري حينما داهم بغداد وفتك بأهلها - ومنذ ثلاثمائة سنة رجع أحفاده إلى بغداد ، ولبثوا فيها حتى الآن (٤) .

ويقول الأستاذ الأثري: (ولم أسمع من أبناء هذه الأسرة ما يؤيد ذلك - ولعل ما ذكر في (حديقة الورود) (٥)- هو أصح ما يعتمد عليه في تحقيق هذا الأمر ، حيث جاء فيه ما ملخصه :(... كان كثير من أسلاف شيخنا -يعني به أبا الثناء الألوسي صاحب تفسير روح المعاني- من قبل ساكنين في بغداد وذلك زمن العلاّمة الشيخ اسماعيل المفتي الألوسي (٦)، وكان ذا شهرة عظيمة واستعفى من الافتاء

---

١ - معجم البلدان ج ١/ ٢٦٤-٢٧٤ ، كتاب لب الألباب ص ١٩ ، واللباب في تهذيب الأنساب ج١/ ٨٢ - ٨٣ ، تاج العروس ج٤/ ٩٨ ، والأنساب للسمعاني ج١ /٢٤٠ ، ومراصد الاطلاع ج١/ ١١٢ ، والمسك الأذفر ص ٨٤ ، ومقدمة الدر المنتثر ص ١٢ .

٢ - هو محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي شهاب الدين ، أبو الثناء ، مفسر ، محدث ، أديب ، من المجددين ، من أهل بغداد مولده ووفاته فيها . كان سلفي الاعتقاد ، مجتهداً ، ولد سنة (١٢١٧هـ) وكان وفاته سنة (١٢٧٠هـ) . من تصانيفه : " روح المعاني " و غريب الاغتراب " في التراجم ، وغيرهما .انظر : أعلام الزركلي ٥٣/٨ -٥٤ ، وأعلام العراق للأثري ص ٢١ -٤٣ ، ومجلة لغة العرب ٦٩/٣ ، وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي ، نعمان ص ٥٧ - ٥٩ .

٣ - أعلام العراق ص٨ ، ومحمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص ٢٩، ومقدّمة الدر- المنتثر ص١٤ .

٤ - أعلام العراق ص ٨ .

٥ - لم أقف عليه .

٦ - كان من علماء بغداد المشاهير ، وأحد من دارت عليه الفتيا فيها ، لمدّة خمس وعشرين سنة. المسك الأذفر للألوسي ص ١٠ .

وذهب إلى الأستانة ، وعظم فيها ، ووجهت إليه عدّة أراضي وجزائر في عانات وألوس وغيرهما ، فتوطن عانات وسكن بعض ذريّته فيها ، وبعض منهم في ألوس. وفي تلك الأوقات ارتحل من كان ساكنا بها في بغداد من أسلاف شيخنا إلى الحديثة وألوس .

ثمّ في السنة السبعين أو قريبا منها من المائة الثالثة عشرة ، جاء جدّه - أي السيد محمود - إلى بغداد واتخذها وطناً وتوفي فيها وكذا زوجته) .(١) والله أعلم . فهذه هي الأسرة الكريمة التي ينتمي إليها الامام الجليل عليه الرحمة. وأبناء هذه الأسرة العريقة مع ما حظوا به من فضل الانتساب إلى خير الأوائل والأواخر - محمد ﷺ ، لما ثبت عن العلامة الألوسي بنفسه حيث قال : (وينتهي نسبي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما -ولله الحمد (٢)) ولما نظّمهُ تلميذه الشهير - عبد الباقي الشاعر - قال في مطلع القصيدة :

السيد (المحمود) في الأفعال * سليل (عبد الله) ذي الأفضال

إلى أن قال :

نجل (علي) الصهر ذي المفاخر * حاز العلا من كابر عن كابر
وأمه (فاطمة) البتول * بضعة (طه) المجتبى الرسول
صلى عليه الملك الوهاب * ما اتصلت بين الورى الأنساب (٣)

فقد ضموا إلى ذلك حيية الأدب والدين ، فتفيأوا في الشرق مكانا عليا ... فنجدهم - على ثبوت ذلك - من أبعد الناس عن التفاخر بالأنساب (٤) وإنّ انتسابهم إلى العلم والدين ليكفيهم - وحبّك لنسب العمل ... قال الشاعر:

---

١ - أعلام العراق للأثري ص ٨ ، ومقدمة المسك الأذفر ص ٩-١٠ .

٢ - أعلام الفكر الاسلامي ص ٣١١ .

٣ - أعلام العراق ص ٩-١٠ .

٤ - الذعانا هذا الحديث الشريف من حديث أبي مالك الأشعري أنّ النبي ﷺ قال : (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنّ ، الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة ، والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب) . رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز .باب التشديد في النياحة ج٣/ ٤٨٩ برقم (٢٩) ٩٣٤

إن فاتكم أصل امرئ ففعاله * تنبيكم عن أ صله المتناهي(١)

ومن مأ ثور كلام أبي الثناء محي مجدهم التليد، ومشيد أركان فضلهم الطريف قوله في روح المعاني عند تفسيرقوله تعالى ((إنَّ أَكرمكم عند الله أتقاكم)) (٢) قال : فالحزم اللا ئق بالنسيب أن يتقي ا لله تعالى ، ويكتسب من الخصال الحميدة ما لو كان في غير نسيب لكفته ؛ ليكون قد زاد على الزبد شهدا ، وعلّق على جيد الحسناء عقدا ، ولا يكتفي بمجرد الانتساب إلى جدود سلفوا ، ليقال له : نعم الجدود ، ولكن بئس ما خلفوا ... وافتخار المرء بوصف أ بيه ، نحو افتخار الكوسج (٣) بلحية أخيه ...) (٤).

ثم يذكر لنا محمد بهجة الأثري – تلميذ العلامة الألوسي أبي المعالي– بعضا من تلك الخصال الحميدة ، والتي أ ذاعت شهرة هذه ا لأسرة العريقة وأ بنائها النبغاء النبلاء ، – بعد فضل ا لله تعالى عليها– فيقول :

١.منها : كثرة عدد النبغاء ، فيها كثرة قلّ أن يعرف مثلها في بيت من بيوتات العلم في عصر الإسلام الأخير .

٢.ومنها قيام حياتها على أصول الإيمان والصلاح والتقوى ونحوها من المثل ا لأ خلاقيّة ، في عصر قلّ الاحتفاء فيه بمثل ذلك .

٣.ومنها : تمثيلها للفكر الإسلامي ، وتمكينها له واحتفالها بمقوماته من تشريع ولغة وأدب .

---

١ – ذكره ا لأثري في أ علام العرا ق ولم يعزه إلى أحد ص ٩ .

٢ – الآية (١٣) من سورة الحجرات .

٣ – الذي لا شعر على عارضيه . وقيل سمكة في البحر تأكل الناس . والمراد الأول . قال سيبويه : إنها كلمة معربة ، فارسية الأصل . لسان العرب ٢/٣٥٢ . مادة (كسج) .

٤ – روح ا لمعاني – للأ لوسي – الجد – ج ١٣/ ١٦٥-١٦٦ .

٤.ومنها المنافحة عن الإسلام الصحيح ، والاجتهاد في الإبانة عن عظمته ، ومحاربة الانحرافات الدخيلة ، وما لحق بالإسلام منه ، من تغيير لمفاهيمه وتبديل لمفاهيمه .

٥.ومنها : التحرر من الجمود والتقليد ، والميل إلى الاجتهاد في تحري الحق وتغليب أصول النقد والنظر والاستدلال في كل ما تناوله من قضايا الفكر الإسلامي .

٦.ومنها الانصراف التام إلى الانتاج الخصب المثمر . والاكثار من هذا الانتاج وتنويعه وتجويده واتقانه ، والاحتفال بكل لوازم التجويد والاتقان ، من تجميل للخط ، وعناية بالضبط والتزام لأصول التحقيق .

٧. ومنها : نشاطها للرحلة وجوب الآفاق في طلب العلم ونشره .

٨. ومنها : الشجاعة التي جعلتهم لا يخافون في الحق ملامة لائم ، وجناية ظالم(١) إلى غير ذلك من الخصال والمزايا ، و التي بفضل الله تبارك وتعالى وكرمه ثم بها ، ذاع صيت هذه الأسرة العريقة البغدادية الألوسية.

---

١ - محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ، لمحمد بهجة الأثري ص ٤٧ بتصرف .

٩.المبحث الرابع : **محنته وما لاقاه من خصومه** :(١)

إنّ البيئة التي ولد فيها الإمام العلاّمة الألوسي – عليه الرحمة – كانت فاسدة وملوثة بخرافات القبوريين ، وهذيان الصوفيّة ، وانتشرت فيها عبادة غير ا لله تعالى ، من تقديم النذور للأ ضرحة ، وايقاد السرج على القبور تعظيما لها ، والتبرك بها ، والطلب من المدفونين فيها ما لا يقدر عليه الاّ ا لله سبحانه .

فلما كانت هذه المعتقدات هي السائدة والمنتشرة في العالم الإسلامي ، وأنّ الدولة العثمانية تؤيد تلك الخرافات والهذيانات ، كان المتبادر إلى الذهن أن ينشأ العلامة ا لألوسي – رحمه ا لله تعالى – نشأة صوفيّة خرافية قبورية ، على منوال أهل بلده ، وعلى شاكلتهم .

إلاّ أنّ ا لله سبحانه وتعالى ، شاء أن ينشأ نشأة سلفيّة ، صافي العقيدة ، يأخذ الشريعة من مصادرها الصافية ، فانكبّ على الكتاب العزيز والسنّة المطهرة وكتب شيخ الإ سلام ابن تيمية – رحمه ا لله – وتلميذه ابن قيم الجوزية ، ينهل منها عقيدة السلف الصالح ، ومنهجهم في الاستدلال والاستنباط . فبذلك خلع رداء التصوّف ، ورفضه جملة وتفصيلا ، وانسلخ من طبيعة تلك البيئة الفاسدة ، والتي تلوّثت بتلك المعتقدات المحرفة ، ووقف لمؤازرة الحركة السلفية السنيّة الاصلاحيّة ، الداعية الى الأخذ بالكتاب والسنّة ، ونبذ كل ما سواهما ، وتطهير عقيدة الأمة الإسلاميّة من البدع والخرافات التي بثّها العابثون في الدين .

فكان ذ لك إجرامه الذي ارتكبه ، فما نقموا منه إلاّ أنّه خا لف ما ألفه القوم ، فلم ير معاصروه من الحشويّة وغيرهم للخلاص منه – رحمه ا لله – إلاّ السعي إلى حكام

---

١ – استقيت هذه القطعة من المصادر ا لتا لية :

- أ علام ا لعرا ق – محمد بهجة الأثري ص ١٠٠– ١٠٣ .
- محمود شكري الأ لوسي وآرا ؤه ا للغو يّة – محمد بهجة الأ ثري ص ٧٦– ٩٠ .
- أعلام الفكر الاسلامي في العصر الحديث – أحمد تيمور ص ٣١٢ .
- المعاصرون – محمد كرد علي ص ٤٢٧– ٤٢٨ .
- مشا هير علماء نجد وغير هم – عبد الرحمن بن عبد اللطيف ص ٤٧٠– ٤٧١ .
- المسك ا لأ ذ فر للألوسي – تحقيق عبد ا لله الجبوري ص ١٦ .

الدولة العثمانية ، محاولين اسكاته ، ليحولوا دون انتشار دعوته التي ترمي إلى إصلاح معتقداتهم وتنقيتها والقضاء على خرافاتهم وهذياناتهم .

فاغتنموا فرصة قدوم الوالي الجديد على بغداد عبد الوهاب باشا (١) في تحقيق ما يسعون إليه ، حيث كان رجل سوء ، وكان شعوبيًّا خرافيًّا قبوريًّا ، يحقد على المصلحين ودعاة السلفية . فطفقوا يدسّون على السيد الألوسي – عليه الرحمة – ويموّهون سمعته وسيرته عند الوالي – الذي وجدوا فيه ضالتهم – حتى أخافوه منه ، وبغّضوه إليه . وأشاروه إلى رفع مذكرة إلى السلطان عبد الحميد يصف فيها نفوذ الألوسي – رحمه الله – وتأثيره على الناس ، وترويجه للدعوة السلفية – التي كان للدولة العثمانية موقفاً معادياً معها – وغير ذلك من المخاوف التي يحذرها السلطان ، ويقترح ابعاده من بغداد ، والتنكيل به وبأعوانه وأنصاره قبل أن تستفحل دعوته السلفية

فلما كانت كتابة مثل هذه المذكرة إلى مستشار السلطان في القضايا الإسلاميّة – وكان المستشار هو أبو الهدى (٢) – وفكرة كتابة المذكرة كانت من وحيه وتدبيره . بعد أن أعيته الحيله في استمالة الألوسي (٣) فلم يكن من المنتظر منه – والحالة هذه – إلاّ أن يزيد السلطان عبد الحميد ، انفاذ هذا الاقتراح بإذلاله ، فنجحت مقدّمة مكيدتهم . وأصدر السلطان مرسومه بنفي الألوسي – رحمه الله – وكبار أنصاره وتلاميذه إلى الأناضول (٤) فوراً ، ونفي معه تلميذه ثابت بن أبي البركات نعمان خيرالدين الألوسي ،

---

١ – لم أقف على ترجمته فيما اطلعت عليه .

٢ – هو محمد بن حسن وادي بن علي بن خزام الصيادي الرفاعي الحسيني أبو الهدى ، له المام بالعلوم الإسلامية والأدب والتصوف . وله عدة مصنفات ، منها : " قلادة الجوهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر" قلده السلطان عبد الحميد مشيخة المشايخ ، وكان من كبار ثقاته مات سنة (١٣٢٨) . الأعلام ج٦/ ٩٤ ، ومعجم المؤلفين ج٩/ ٢٢٦ .

٣ – راجع المراسلات بين أبي الهدى وأبي المعالي الألوسي ، كتاب : محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغويّة للأثري ص ٨٦ – ٨٧ .

٤ – الأناضول . وقيل : أناتوليا : اسم يدل على أكبر التقسيمات العسكرية للامبراطورية البوزنطية بآسية ، وتمتد من دور يلايم الى كيليكية . وكانت هذه الولاية في عهد الترك تشمل آسية الصغرى ... وتدل في أوسع معانيها على آسية الصغرى كلها ، ولا يزال مدلولها هذا قائما . دائرة المعارف الاسلامية ج٣/ ١ .

والتاجر الحاج حمد العسافي النجدي من كبار الأتقياء الصالحين، وطاردت السلطة رجالا آخرين من أتباعه ، فاختفوا خوفا من البطش بهم ، فبذلك ظنوا أنّهم قد شفوا صدورهم ، ورووا غليلهم ، وحققوا لأنفسهم انتصاراً كبيراً على الامام الألوسي - رحمه الله - ونسوا أنّ ربّ الألوسي بهم بالمرصاد ، وأنه تعالى لينصرنّ من ينصره ، اذ هيّأ لنصرة الامام الألوسي مدينة الموصل (١)،حيث خرج أهلها لاستقباله والترحيب به ، لما سمعوا به ، وأحسنت لقاءه ، وبالغ أعيانها وجميع طبقات الناس فيها في الحفاوة به ، واستفظعوا أن يعامل مثله -في علو مقامه وسموّ ذاته - هذه المعاملة المنكرة التي تزري بالدولة ، فوقفوا على ساق وقدم دون خروجه من الموصل إلى منفاه . ثمّ عمدوا إلى مراسلة السلطان بكتابات شديدة اللهجة ، ولمّا سمع أعداؤه في بغداد ،بموقف مدينة الموصل ، أسقط في أيديهم . لكنّهم راحوا يدبرون مكيدة أخرى ، فعمدوا إلى مجموعة من كتب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله ، وكانت الدولة العثمانيّة تمنع نشرها ،تحت ضغط أشباه العلماء ، من المقلدة والمتصوفة - فبعثوها بالبريد باسم الإمام الألوسي ، وأوحوا إلى من على شاكلتهم في الموصل ، بأن يحجزوا الكتب عند وصولها إلى بريد الموصل ، ونبّهوا السلطة إليها . فعقد والي المدينة مجلساً مع بعض المتاجرين بالدين ، فأفتوا باتلافها ، وإدانة الألوسي - رحمه الله - وطلبوا التعجيل بنفيه .

---

١ - الموصل : بفتح الميم وكسر الصاد : المدينة المشهورة العظيمة ، احدى قوعد بلاد الإسلام ، قليلة النظير كبرا وعظما وكثرة خلق وسعة رقعة ، فهي محط رحال الركبان ، ومنها يقصد الى جميع البلدان ، فهي باب العراق ومفتاح خرسان ، ومنها يقصد الى أذربيجان ...وسميت بهذا الاسم ، لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل لأنها وصلت بين دجلة والفرات ، وقيل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة ، وقيل باسم الملك الذى أحدثها ، كان يسمّى "الموصل" ، وهي مدينة قديمة الأسّ . معجم البلدان - الحموي ج٥/٢٢٣- ٢٢٤ ، والروض المعطار في خبر الأقطار ، معجم جغرافي ص ٥٦٣ .

ولكنّ الله – الذي لا تخفى عليه خافية – سلّم ، فأحبط المؤامرة الثانية أيضا ، وذلك بعنايته تعالى له ، ثم بسبب مساعي علماء الموصل ، المنتصرين للحق ، ومساعي ابن عمه علي علاء الدين (١)، الذي كان وقتها يعيش في استنبول ، فجاء الأمر بالغاء نفيه والإذن بعودته إلى بغداد ، وإعادة وظائفه التدريسيّة إليه ، بعد أن تناهبوها .

وبذلك نكسوا على أعقابهم فاشلين وخاسرين في جميع المؤامرات التي دبروها للحيلولة دون نجاح الامام الألوسي – رحمه الله – في دعوته إلى إصلاح عقيدة الأمة الإسلاميّة .

ولمّا خرج من الموصل إلى بغداد ، مشت المدينة كلّها في توديعه ، وكان يوم خروجه يوما مشهودا ، وحينما اقترب من بغداد ، خرج في استقباله والترحيب به – أيضا – كثير من أهلها ، على مراحل من بغداد ، وفي مقدمتهم أصدقاؤه وتلاميذه ، فدخلها آمنا مطمئنا ، معززا ومكرما ، منتصرا شامخ الرأس ، وكان استقباله استقبالا حافلا منقطع المثال ، وانهالت من كل مكان القصائد والرسائل في تهنئته بعودته ظافرا على أعداء دعوته الاصلاحيّة ، وزاد هذا الحادث من علو مكانته وشهرته وحب الناس له .

وهكذا كان انتصاره على الخرافيين القبوريين بهذا التأييد الرّباني ، ثم الموصلي ، ... وانصياع السلطان له ... حافزا قويا لرجوعه الى سيرته العلمية ، واستمراره على خطته في محاربة الفساد ، وتصحيح عقيدة الأمة الاسلامية . واستفاد من الحادث كيف يحتاط لنفسه من مكايد الأعداء ، حيث ظهر ذلك فيما بعد ، لمّا كتب كتابه الكبير " غاية الأماني في الرد على النبهاني " ، بحيث أنه لم يكتب اسمه عليه كاملا ، وانّما استخدم نوعا من التعمية حتى لا يعرض دعوته لمخاطر هو في غنى عنها ، فلا يحيق المكر السيىء إلاّ بأهله .

---

١ - ستأتي ترجمته ان شاء الله (فهو المفيد الألوسي الخامس) ص ٤٩ .

المبحث الخامس :

عقيدته - رحمة الله عليه .

عقيدته – رحمة الله عليه :

با لتتبع والاستقراء حياة الألوسي العقدية – من خلال مؤلفاته وسيرته – نلاحظ أنّها مرّت بمراحل ثلا ث :

المرحلة ا لأولى : وهي مرحلة الانغماس في التصوّف .

وتبدأ هذه المرحلة من أول نشأ ته حتى جاوز سن المراهقة ، وليس بغريب أن يكون في هذه المرحلة ، صوفيا قحا وخالصاً ، لأن طبيعة البيئة المحيطة به كانت كذلك ، فأ بوه الذي كان شيخه الأول ، كان غارقاً في التصوف ، والمجتمع بمرافقه العامة وعمائه وولاته ،كانوا كذلك أيضا ، فلا ينتظر من طفل ناشئ ، إلاّ أن ينطبع بطبعهم ،ويتحلّى بحليهم .

وقد بقي أبوه المصدر الرئيسي لثقافته ، حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره ،ولمّا مات الأب تركه وقد استحكمت فيه العقائد التي لقّنه ايّاها ! فما أصبح يتقبل غيرها . ولذلك لمّا أراد عمّه نعمان خير الدين (١) أن يلقّنه العقيدة الصحيحة ، تركه وانصرف إلى غيره ممن هم على شاكلة أبيه (٢) .

قال تلميذه الأ ثري : (... ولكنّ الشاب المتأ ثر ب لعقيدة الخلفيّة ، والمتشبع بالروح الصوفية ، الموروثة له من أبيه وأستاذه الأول ،لم يستطع ملازمة عمّه المستقل بعلمه وآرائه الضارب بالخزعبلات الصوفية والمذاهب التقليدية عرض ا لحائط ، فصرف ا لتعصّب بصره عن عمّه) (٣) .

وقال أيضا في بيان حال المجتمع الذي ترعرع فيه : (... و هكذا انقلب الحال . وساء المآل وأخمدت الأرواح الحيّة ، واشتدّت وطأة الجهل ، وعبقت جسم المجتمع

---

١ – تأتي ترجمته إن شاء الله (وهو شيخ الألوسي الثاني) ص ٣٣ .

٢ – انظر : مقدمة صب العذاب على من سب الأصحاب ، للألوسي ،رسالة علمية بتحقيق عبد الله البخاري ص ٩٧ .

٣ – أعلام العرا ق للأثري ص ٩٠

الأدواء ، فما كان يولد يومئذ مولود إلاّ وأفسد ذلك - أي المجتمع العليل- فطرته) .(١)

وعن الفترة التي استمر فيها متصوفا يقول الأ ثري :(استمر السيد على هذه الطريقة العوجاء متأ ثرا بها مدّ ة من الزمن ليست با لقليلة، لا يكاد يلويه عنها أحد،حتى برقت له بارقة اليقين- وقد جاوز سنة الثلاثين-من سماوات كتب بعض المجددين) (٢) .

المرحلة الثانية : وهذه الفترة تعتبر مرحلة جمع بين ا لصوفية وا لسلفية ، ويظهر أنّ هذه ا لمرحلة لم تستمر معه طويلا ، وهذ ا هو ا لمتوقع من عا لم جليل مثل أبي المعالي ، ا لذي يتمتّع بعقلية نيّرة ونفس طلقة . ويتضح أنّ من أهم الأسباب في بداية تحوّله ، كثرة ا لمطالعة و ا لبحث وا لتنقيب والاجتهاد .

قال الأثري : (لما بلغ الأ لوسي هذا ا لطور من حياته ، واتسعت آفاقه ا لذهنية وا لعلمية ، رأيناه يبدأ حالا جديدة من ا لتفكير والاجتهاد ، ويعيد ا لنظر فيما تعاوره في أثناء ا لشباب من أخلاط ا لعقائد والنزعات المذهبية المختلفة ... وقد استقر اجتهاده - في جملة ما كان يمارسه من بحث ونظر واجتهاد - على الوقوف بوجه بعض هذه العقائد وا لنزعات واد حاضها بالحجج وا لبرا هين ...) (٣) .

ثم يقول مبينا لموقف الألوسي - رحمه ا لله - من التصوف في هذه المرحلة : (ووقف من ا لتصوف وسطا في بادئ الأمر ، لا متشيعا له ، ولا خارجا عليه ، كما تمثّل ذ لك في كتابه" *الأسرار الا لهيّة شرح القصيدة الرفاعيّة* " ، الذي كتبه سنة (١٣٠٥هـ) فقبل منه ما وافق الكتا ب والسنّة ، لكنّه قال بالعلم الباطن " الذي لم يسطر في الطروس ، ولم يحفظ في الدروس ، وانّما هو الهام وتلقين من ا لله تعالى بغير واسطة "- حسب زعم القائلين به - واعتذر عن القائلين بالحلول والاتّحاد ، بأنّ ما يقولونه ، ليس المراد به

---

١ - أعلام العراق للأثري ص ٩٨ .

٢ - نفس المصدر السابق ص٩٩ ، ومجلة ا لمنار م ٢٥ ص ٢٧٩ .

٣ - محمود شكري الألوسي وآراؤه ا للغوية للأثري ص ٧٦ .

ظاهره الذي هو كفر محض ، وانّما هو صطلاح جروا عليه ، سترا لاعتقادهم من دعاة الباطل ، على حد تعبيره ، وفي الوقت نفسه أبى أن يمحق متشيخوا عصره بهم ، وحمل عليهم حملة شعواء) .(١)

ومما أضاء الطريق أمامه في هذه الفترة ، خزانة عمّه أستاذه الثاني نعمان خيرالدين(٢)، المملوءة بكتب المصلحين والمجددين . كابن تيمية وتلميذه ابن القيم – ومع وضوح الرؤية له ، لم يستطع أن يجاهر بآرائه . بل اضطر إلى المجاملة خشية أن يقع فريسة بيد أولئك الذين لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمّة ، فيفتكون به ، ولا ناصر له .(٣)

المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة سلفية محضة : أي نبذ التصوف جملة وتفصيلا ، والصدع بالدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى بالعبادة .

وبعد أن استمر الألوسي في المرحلة الثانية زهاء ثلاث سنوات ، تجلى له الإسلام بصورته الحقيقية ، فانخلع مما كان عليه من العقائد الموروثة ، وخزعبلات المتصوفة . وتمسّك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة ، وحمل على أهل البدع والخرافات وعباد القبور ، حملة شعواء ، وكتب فيهم عدّة رسائل وكتب ، بعضها يبيّن فيها عقائدهم الفاسدة ، والأخرى يدافع فيها عن الدعوة الى توحيد الله .

وكانت بداية طوره الثالث سنة (١٣٠٦هـ) ، عند ما أعلن دعوته صراحة . وانحيازه لأهل التوحيد في كتابه " فتح المنان " ، وكان قبل هذا التاريخ لا يجرؤ أن يبيّن بوضوح دعوة الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** ، أو يدافع عنه ، لكنه في هذا الكتاب يدافع عن الشيخ دفاعا مستميتا ، ويوضّح أنّ دعوته لم تخرج عن الكتاب والسنة .(٤)

---

١ – المصدر السابق ٧٦ – ٧٧

٢ – انظر ترجمته في شيوخ الألوسي ص ٣٣ .

٣ – انظر : مقدمة صب العذاب ص ٤٩ .

٤ – انظر المصدر السابق ص ١٠٠ .

ومما جاء عنه في الدفاع عن الشيخ - وهو في معرض ردّه على ابن جرجيس (١)- قوله: (إنّ هذا العراقي الملحد ، الذي حاد الله ورسوله ، عبّر عن الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** - رضي الله عنه -(٢) بلفظ الدجال - والدجال اسم للكافر المعلوم - مع شهرة حال الشيخ ، وصلاحه وقوة إيمانه ، وصلابة دينه ، لم يأمر أحدا بمنكر ولا بزور، بل كان يأمر باحياء السنة ، وينهى عن الشرور ، ويدعو الى اخلاص التوحيد لله ، وقطع الالتفات الى ما سواه ، وكان يأمر بالصدق والعفاف وصلة الأرحام واكرام الضيف والأرامل والأيتام ، وكان يعظم أنبياء الله ورسله وأولياءه العظام ، ولم ينحرف عن جادة الشريعة المحمدية قيد شعرة ، ومَنْ حكم الله تعالى ورسوله ، بكفره كفّره ... فبالله عليك أيّها المنصف ، من الأحق باسم الدجال ؟ أ محي السنّة ابن عبد الوهاب أم هذا العراقي طاغية العراق، شيخ أرباب الضلال ؟) (٣).

ويقول تلميذه الأثري في شأن تحوله الى هذه المرحلة الأخيرة :

(ثم ما لبث الألوسي أن أصحر(٤) عن انحيازه في جراءة وقوة ، الى الحركة السنيّة السلفية ، مع مقاومة الدولة العثمانية الصوفية ، لهذه الحركة الاصلاحية بكل قواها الرجعيّة ، واستعلن وقوفه الى جانبها بكتابه " *فتح المنان تتمة منهاج التأسيس والتقديس ، رد صلح الاخوان* " ، الذي فرغ من تأليفه في غرة ذي الحجة سنة (١٣٠٦هـ) وطبع بالهند سنة (١٣٠٩هـ) .(٥).

---

١ - هو داود بن سليمان بن جرجيس ، البغدادي النقشبندي ، ولد سنة (١٢٣١هـ)وله مناظرات مع السلفيين ، حيث دعا إلى الاستعانة والاستغاثة بقبر أبيه ، والاستمداد من الأموات ، وألّف في ذلك رسائل مشتملة على الهذيان والكذب والبهتان . توفي يوم الإثنين ١٩ من رمضان سنة (١٢٩٩هـ) . انظر ترجمته : المسلك الأذفر ص ٤٥٩ -٤٦٢ ، والدر المنتثر ص١٧٤، وأعلام الزركلي ٢/٣٣٢ .

٢ - انّ الترضّي لا يكون الا في الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - ، أما من بعدهم من الصالحين ، فالأولى أن نترحم عليهم .

٣ - فتح المنان تتمة منهاج التأسيس والتقديس ، للألوسي ص ٤٣٩ -٤٤٠ .

٤ - أصحر: أي وضح أمره ، من أصحر الرجل ، اذا نزل في الصحراء ، ومنه قول علي : أصحر لعدوك ، أي : كن من أمره على أمر واضح منكشف . اللسان ٤/٤٤٤ ، مادة " صحر" .

٥ - محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص ٨٢ -٨٣ .

وقد عثر أحمد تيمور على ترجمة للألوسي كتبها بنفسه وبخطه ، جاء فيها - في شأن هذا التحول الأخير-: (ثمّ انّي لمّ توغلت في اتباع سيرة السلف الصالح ، وكرهت ما شاهدته من البدع والأهواء، ونفر قلبي منها كل النفور، حتى أنّي منذ صغري كنت أنكر على من يغالي في أهل القبور، وينذر هم النذور . ثمّ انّي ألّفت عدّة رسائل في ابطال هذه الخرافات ، فعاداني كثير من أبناء الوطن ، وشرعوا يغيّرون عليّ ولاة البلد ، و يحرّضونهم على كتابة ما يستوجب غضب السلطان عليّ ...حتى جاء الأمر بانفائي إلى جهة ديار بكر) (١) .

وجاء عن تلميذه الأثري في شأن هذا التحول الميمون المبارك في مكان آخر : (حتى اذا عرف فضله ، وقوي ساعده ... وصار له شأن يدفع به عاديات الاضطهاد . خلع عنه ذلكم الرداء ، رداء العمامة والتقية . وهتف بضرورة تطهير الدين من أوضار البدع التي طرأت عليه ، ونبذ التقليد ، وشنّ الغارات الشعواء على الخرافات المتأصلة في النفوس ، بمؤلفات ورسائل زعزعت أسس الباطل ، فغاظ ذلك " أصحاب العمائم المكورة والأردان (٢) المكبرة والأذيال المجررة " ، وصاروا يشنّعون عليه في مجالسهم ، وينبزونه بوهابي ، ولم يزالوا يتربّصون به الدوائر حتى كتبوا به إلى السلطان ، وجاء الأمر بنفيه) (٣).

وما سقت هذه المراحل الثلاثة . وبهذا التقسيم التاريخي ، إلاّ لأجعل القارئ الكريم على بيّنة مما سيقرأ من كتب العلاّمة الألوسي - عليه الرحمة - ، فانّه قد يقف على بعض كتب الألوسي التي ألّفها قبل سنة (١٣٠٦هـ) من الهجرة . فعليه أن يقرأها بحذر وأن يعلم أنّه لم يكن على عقيدة السلف الصالح في كثير من المسائل (حينذاك) ، ثم ليلتمس له العذر في الطورين الأولين ، فانّ الأعمال بخواتمها - والله أعلم .

---

١ - أعلام الفكر الاسلامي في العصر الحديث ص ٣١٢ .

٢ - الأردان : جمع الردن . بضم الراء . أصل الكمّ . يقال : قميصك واسع الردن .
انظر : مختار الصحاح للرازي ص ١٠١ .

٣ - أعلام العراق ص ١٠٠ - ١٠١ .

الفصل الثاني :

حياته العلمية

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : طلبه للعلم وحرصه عليه .

المبحث الثاني : شيوخه .

المبحث الثالث : بعض تلاميذه .

المبحث الرابع : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

المبحث الخامس : مؤلفاته .

المبحث السادس : وفاته .

المبحث الأول :

طلبه للعلم وحرصه عليه .

طلبه للعلم وحرصه عليه : (١)

أقبل الامام العلاّمة الألوسي – عليه الرحمة – على طلب العلم منذ نعومة أظفاره، فقد كان شغوفا بالعلم منذ صغره ، حيث ينتمي الى أسرة عريقة ، شيّد مجدها با لعلم والمعرفة وا لدين وا لصلاح ، فارتضى العلم والمعرفة خدينا وأليفا ، و لم يرق في نظره من رجال زمنه سوى طبقة ا لعلماء ، فلازمهم ملازمة ا لظل ، و أ كبّ على الاغتراف من معين علمهم وفضلهم وأخلاقهم، فتغذّى أطيب غذاء ، وروي أكرم ريّ .

فبدأ – عليه رحمة ا لله تعالى – بما ألف القوم البدأ به ، وهو : قراءة القرآن الكريم أو حفظه . فقرأ القرآن الكريم (٢) على وا لده الامام العلاّمة عبد ا لله –

---

١ – سقت هذه الفقرة من المصادر التالية :

١- ا لدر المنتثر ص ٤٠ – ٤١ .

٢- مشا هير علماء نجد وغير هم ص ٤٦٨ .

٣- المسك الأ ذ فر للأ لوسي ، بتحيق عبد ا لله الجابوري ص ١٣ .

٤- أ علام ا لعرا ق ص ٨٩ – ٩١ .

٥- محمود شكري ا لألوسي و آرا ؤه ا للغوية للأ ثري ص ٥٣ .

٦- كتاب المعاصرون ص ٤٢٧ .

٢ – كانت العادة الجارية في المدارس الاسلامية ، التي تدرس فيها علوم الدين و اللسان في ذ لك الوقت، إذا حفظ الناشئ القرآن الكريم ، وتعلم الكتابة في الكتاتيب ، بد أ بدراسة النحو وا لصرف ، ويكون أول ما يتناول من كتب النحو – الأجرمية وشرح الكفراوي عليها ، ثم الأز هرية شرح خا لد الأزهري على الأجرمية ، بحاشية العطار ، ثم الأزهرية بحاشيتيها ، ثم شرح القطر بحاشية ا لسجاعي ، ثم شذرات الذهب ، ثم الفاكهي ،ثم شرح السيوطي على ألفية ابن هشام ، ثم شرح الأ شموني عليها بحاشية الصبان ، ثم مغني ا للبيب لابن هشام . ويقرأ من كتب الصرف : الأ مثلة والبناء ، والمراح والعزى ، والمقصود وا لشافية وما عليها من شروح وحواشي وتقارير . ويحفظ من متون النحو : الأجرمية ، ومتن القطر والفية ابن مالك . ويحفظ من متون ا لصرف : الأمثلة والمرا ح والبناء ، وان شاء حفظ متن ا لشافية أيضا .

فاذا صار عنده ملكة في النحو تعصمه من اللحن ، وتخوّ له من تدريس ا لنحو –اذا أرا د ذ لك– كلّف بقراء ة شيء من الفقه . فان كان حنفيا قرأ : نور الايضاح ثم شرح مراقي ا لفلاح بحاشية ا لطحاوي ، فسائر كتب المذهب ، كملتقى الأ بحر ، والدرر على الغرر ، وا لد ر على حاشية ابن عابدين . وان كان شافعيا ، متن القاضي أبي شجاع ، ثم شرح أبي القاسم الغزي عليه بحاشية الرمادي عليه ، ثم شرح الخطيب الشربيني عليه ، ثم شرح التحرير ، ثم شرح المنهاج . وقد يبد أ الطالب بقراء ة الفقه والنحو معا ، ثم يقرأ فن الوضع فالمنطق فالبلاغة فالعقائد فأصول الفقه ، ويعنى بهذه عنايته با لنحو والصرف ، ويقرأ من علوم الوضع : عصام ا لدين . =

رحمه الله تعالى – وأخذ عنه مبادئ العلوم العربية والدينيّة ، وجوّد عليه الخط بأنواعه المستعملة لعهده بالعراق ، وكان الخط في موضع العناية عند الناس في عصره واشتهر بإجادتها حين كاد أن يتقلص ظلّها في ربوع العراق ، ولم يكد يستنفد ما عند والده من العلوم الإسلامية والأدب ، حتى فجع بوفاته (١)- رحمه الله – في شهر شعبان سنة " ١٢٩١هـ" ، فكفله عمّه العلاّمة الكبيرالسيد نعمان خير الدين الألوسي (٢) ، فعني بتهذيبه وتعليمه ، عناية أبيه ، فقرأ كثيرا من العلوم وا لفنون ، فلما تفتّحت له أبواب العلوم ، وكان لا بد لطموحه من اكمال علوم الجادة التي لا يعترف عند القدماء بعلم عالم ما لم يتعلّمها كلّها ويقتلها علما ، طفق يختلف إلى مشايخ بغداد ، وينتاب حلقهم ودروسهم مجربا ومختبرا . فانتهى الى شيخ صالح حافظ متقن ، يقال له : الشيخ اسماعيل مصطفى الموصلي (٣)، وا لذي أعجب به اعجابا شديدا ، دفعه إلى أن يلزمه ، فأ خذ عنه أغلب علومه ، وقرأ على غير هؤلاء من أ شياخ مصره ، وتقدم في العلوم النقلية والعقلية ، ولم يكتف بذلك بل انصرف بكليته الى الدراسة الحرة والاطلاع الواسع ، وا لدأب والبحث واستقصاء العلوم ، وأخذها من مصادرها الصحيحة ، و الوقوف على غوامضها واستظهارها .وبالجملة ، صار علما من أ علام وقته ووطنه ،اليه ا لمرجع في المشكلات ،والمعول في الفصل والقضاء ، جلس أثناء الطلب وا لتحصيل لتدريس

= ومن المنطق : الايساغوجي وا لتهذيب والشمسية ، وما عليها من شروح وتقارير . ومن البلاغة : شرح عصام على متن السمرقندية ، ثم شرح سعد الدين التفتازاني على التلخيص .ويقرأ من كتب ا لعقائد : النسفية وشرحها . ومن أصول ا لفقه : ا لشا س ،وشرح الحلي على جمع الجوامع بحاشية البناني . ومن التفسير :طرفا من ا لبيضاوي أو ا لكشاف . والحديث : شرح الأربعين . ويقرأ متنا من العروض والقوافي ، ومتنا في الحساب ، وكتيبا في الهيئة ا لقديمة ، وكتيبا في الحكمة ،ويحفظ بعضا من مقامات الحريري . ولا شك أ نّ الامام ا لعلاّمة أ بي المعالي ا لأ لوسي كان له من الحظ في دراسة هذه الكتب ، و استظهار مما يستظهر منها ، أو فره . عليه رحمه الله تعالى . انظر : أ علام ا لعرا ق للأ ثري ص ٨٩ – ٩٠ ، و ا لدر المنتثر – لعلاء الدين ا لأ لوسي ص ٤٠ -٤١ ، ومشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٩٦ .

١ – ستأتي ترجمته ضمن ترجمة شيوخ ا لأ لوسي – ا ن شاء الله (فهو الشيخ الأول) .ص ٣٠ .

٢ – سوف يترجم له – إ ن شاء الله –عند ترجمة شيوخ الأ لوسي (فهو الشيخ ا لثاني)ص٣٣ .

٣ – سوف يترجم له ان شاء الله عند ترجمة شيوخ ا لأ لوسي (فهو الشيخ الثالث) .ص ٣٦ .

العلوم الإسلامية ، ونفع الطلاب تارة في داره وأخرى في جامع عادلة (١) خانوت ، وبعد انتهاء دراسته عيّن مدرسا رسميَ في جامع الحيدريّة ثم جامع السيد سلطان علي ، فكان يدرس في الأول صباحا وفي الثاني مساء... ولم يكن ذلك الانتهاء الآ من الناحية الشكليّة فقط ، فقد ظلّ يطلبه من وجوهه الأخرى طوال حياته ... من خزائن الكتب العامة والخاصة . وقد عاش وهو يستنبط دقائق الفكر الإسلامي ، وكانت ببغداد لعهده ثماني خزائن كتب عامة في مساجدها حافلة بنوادر المخطوطات ، فنفضها نفضــا ، ونسخ الكثير منها ، وعلق الفوائد والفرائد ، ثم جاوز جهده في ذلك إلى خزائن دمشق والقاهرة والمدينة ونجد واستنبول وغيرها، واستعان على آرابه منها، بتلاميذه ومحبّيه فكان يقتصد من راتبه الضئيل ، ويتبغ بأقله ، ليوفر نفقات استكتاب الكتب من هذه الخزائن ، ونفسه طيبة بذلك ، ثم يقضي ما يقضي من الزمن في تحقيق ما يكتبه بنفسه أو يستكتبه ، وينفق ما ينفق من جهده ليبلغ أربه من الاطلاع والرسوخ ، ويحقق لنفسه ما تصبو اليه من المكانة العلمية الرفيعة المرموقة بين العلماء والأدباء ...)(٢).

ومما يؤكد لنا كون الانتهاء من الناحية الشكلية فقط ، ما ذكره عنه تمليذه محمد بهجت الأثري (٣): من أنه كان ينهض الى المدرسة مبكرا ، فاذا تأخر الطلاب عن الوقت المعلوم ، طالع أو نسخ أو حفظ آيات من القرآن الحكيم . وقد تمكن من احتلاس مثل هذه الفرص ، أن يحفظ ما يسر الله تعالى له حفظه ،... وكان لا ينقطع عن التدريس أبدا ، وأذكر أنني انقطعت في يوم مزعج شديد الريح غزير المطر كثير الوحل عن الحضور ، ظنا مني أنه لا يحضر أيضا ، فلما شخصت الى الدرس في اليوم الثاني ، صار ينشد بلهجة غضبان : " ولا خير فيمن عاقه الحر والبرد ".) (٤).

---

١ - كانت مؤسسة هذا الجامع ، فنسب اليها وهي : بنت أحمد باشا ، الذي تولّى ايالة بغداد اثنتي عشرة سنة ، وكان زوجها أحد مماليك أبيها وهو سليمان باشا .
انظر : تاريخ مساجد بغداد الحديثة ص ٢٧٦ .

٢ - انظر ص ١ ، هامش ١ .

٣ - سيأتي ترجمته ان شاء الله ، ضمن ترجمة تلاميذ الشيخ ، ص ٤٠

٤ - انظر أعلام العراق ص ١١٣ ، ومحمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص ٥٦ .

وبذلك أكد لنا الأثري حرص شيخه العلامة الألوسي - رحمه الله - وتضحيته بكل غال ونفيس في سبيل تحصيل العلم ونشره .

وما أغلى من الوقت في حياة العبد المؤمن ، والذي ضحى به الألوسي في سبيل إعادة عقيدة الأمة الإسلامية إلى مجراها الصحيح . وأنه - رحمه الله - لمثل وقدوة مثلى لطلاب العلم ، في انتهاز الفرص واغتنامها في طلب العلم وتحصيله ونشره .

المبحث الثاني :

شيوخ العلاّمة الألوسي - رحمة الله عليه - :

توطئة :

تلقى الامام العلا مة الأ لوسي عن كثير من جهابذة العلماء الكبار ، الذين كانوا أعلام العرا ق ، ومن خيرة علمائها في ذ لك ا لعصر ، وكان لهم الأ ثر البالغ في تكوين شخصيّته ، وتثقيفه بقسط كبير من المعارف النقلية والعقلية ، حتى تمكن – رحمه ا لله – من الوقوف – بفضل ا لله تعالى – على جانب كبير من منهج السلف الصالح ، في تقرير العقيدة الاسلامية الصحيحة ، وبالتالي على قسط أوفر من مكايد المبتدعة ، وهذيانات المتصوفة ، المتقنّعة بالاسلام ، والذي مكن له في مستقبله الدعويّ ، الوقوف أمام القبوريين المبتدعين ، وردّ شبههم وهذياناتهم .

شيخه الأول : فقد كان شيخه الأول ، أ بوه **بهاء ا لدين أ فندي** ، والذي له أكبر تأثير في توجيهه (١) . رحمة ا لله تعالى عليه .

وهو : الشيخ ا لعلاّ مة عبد ا لله بهاء الدين بن محمود شهاب الدين بن عبد ا لله صلاح الدين البغدادي الأ لوسي الحسيني ، بكر أولاد أبي ا لثناء ، ووا لد أبي ا لمعالي الألوسي .

قال الأ لوسي : ولد سنة ثمان وأ ربعين بعد المائتين والأ لف ، ليلة الاثنين ، لخمس عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول بين العشائين ، كما جاء في كتاب " *حديقة الورد* " (٢) . (٣)

وقال الأثري عنه : (كان عالماً جليلاً ، وكاتبا قديرا ، وأديبا بارعا ، وتقيا ونقيا زاهداً ، نزهاً عفيفا ورعا) (٤) ، (وكان في غاية من حدّة الذهن ، وفرط الذكاء ...)(٥) .

نشأ في حجر الفضل والحسب ، وارتضع لبان العلم والأدب حتى ارتوى ... لو أتيحت له الصحة التامة لخدم الأ دب خدمة كبرى ...) (٦)

---

١ – ا نظر : محمود شكري الأ لوسي وآراؤ ه ا للغوية ص ٣٧ – ٥٢ .

٢ – هذا الكتاب لم أقف عليه .

٣ – انظر : المسك الأ ذ فر للألوسي ص ٩٨ .

٤ – أ علام العرا ق – الأثري ص ٤٤ .

٥ – المسك ا لأ ذ فر ص ١٠٢ .

قال الألوسي عنه أيضا : (كان كثير التواضع ، مراعيا للحقوق ، كثير الوفاء ، محبا للفقراء ، ولم يكن في أهل عصره من يدانيه في نثره ، فصيح التحرير ، جزل التعبير، له ابتكارات عجيبة ، وسرعة في الكتابة غريبة ، ... وكان حلو المفاكهة ، طيب المسامرة ، وكان لا يخالطه أحد إلاّ وأجلّه . واستودع حبّه حبّة قلبه ولبّه ...) .(١)

وقال خليل مردم بك (٢): (كان كثير التدين لين الجانب ، محبا للفقراء ، لا يأنف من مخالطتهم ، وقد امتاز بحسن نثره ، وجزالة شعره ...) (٣) .

وقد حاول أبوه وشيخه الأول أن يغرس فيه كل ما يعتقد أنه صواب وحق ، من علوم وآداب وميل إلى الكتابة والتأليف (٤) ... وقد ستمرت جهوده معه الى أن بلغ السن الثامنة عشر ، ثم توفي أبوه بعد ذلك . وخلال تلك الفترة ، تلقى أبو المعالي عن أبيه - بعد تعلمه القراءة والخط وقراءة القرآن الكريم ، في الخامسة من عمره وأتقنه بأقل سنة قراءة (٥) - مبادئ علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وغيرها، والعلوم الاسلامية من فقه وحديث وتفسير وأصول وعقائد ... ولم يزل يلقنه العلم ، ويرضعه درّ الأدب ، حتى أدرك الوطر، ولما سافر أبوه إلى القسطنطينيّة ، ترك بعده الدرس ... حتى اذا ما آب أبوه ، شرع في الأخذ عنه ، فلم يزل مجدا في الطلب ، عاكفا على المطالعة ، منقطعا لاقتطاف ثمرات العلوم ، حتى أصبح علما من أعلام العراق ، يركن إليه في حلّ المشكلات ، ويرجع اليه في كشف المعضلات .. فصرف جل وقته في التدريس ، ونشر الفضائل والكمالات ، ثم تولّى القضاء الذي رغب عنه ، حيث يرى أنّ تولّي المناصب الحكومية والتقرب إلى الحكام ، أشد عليه من الحمام ، وكان تولّيه ذلك بعد عودته من

---

٦ - أعلام العراق ص ٤٤ .

١ - المسك الأذفر ص ١٠٢ .

٢ - خليل مردم بك بن أحمد مختار ، رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق ، وأحد شعرائها ، ولد بدمشق سنة (١٣١٣) ، تنقل في عدة مناصب منها : رئاسة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ووزارة المعارف ، توفي سنة (١٣٧٩) بدمشق ، من مصنفاته " ديوان شعر " و " شعراء الشام في القرن الثالث " . انظر: الأعلام للزركلي ج٢/ص٣١٥ .

٣ - أعيان القرن الثالث عشر ص ٢٢٨ .

٤ - محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص ٥٢ .

٥ - يعني بقوله (بأقل سنة قراءة) : أي أنه تعلم كل ذلك في سن مبكر ، لم يكن قد بلغ سن دخول المدرسة .

الرحلة التي قصد فيها دار الخلافة ، وقد رجع منها صفر اليدين ، حيث تعرض له عصابة من قطّاع الطرق فنهبوا كلّ ما في يده من الزاد .

وعند رجوعه لم يجد للمعيشة من مجال ، ولم ير بدا من الامتثال فقبل القضاء، اقتداء بكثير من السلف الأجلاّء ، فانّ الذي ورد في بعض الأحاديث من الوعيد ، محمول على من جار في الأحكام (١) ، وسلك غير المسلك السديد ، وأنّ امتناع بعض أكابرالسلف ، لمزيد الورع ، لاحرمة فيما هنالك ، وآخر أمره تولّى قضاء البصرة..) (٢).

وقد ورث الامام العلاّمة الألوسي من هذا الأب الجليل الحنون ، فقه النفس وحسن السمت ، وصفاء الطويّة ، وحب الأدب والعلم والقرطاس ، ولم يكد يستنفد ما عنده حتى فجع بموته - رحمه الله - وهو أحوج ما يكون إلى أب حنون شفيق مثله ، بارّ به ، متعهد لجسمه وعقله بالتربية والتعليم والارشاد ... وكانت وفاته بعد عودته من البصرة إلى بغداد ، بنحو عشرين يوما ، اثر علّة مزمنة ، من ورم الكبد وضعف الفؤاد ، وذلك في فجر يوم الثلاثاء ، لثلاث خلون من شعبان المعظّم ، من السنة الحادية والتسعين بعد المائتين والألف ، من هجرة النبي - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه - وله من العمر ثلاث وأربعون) (٣) رحمة الله عليهم .

وعن آثاره قال أبو المعالى : (وكم له من تقريرات نفيسة ، وابتكارات أنيسة وتأليفات فائقة وتصنيفات رائعة ، منها " كتاب التعطّف على التعرف " و " الواضح في علم النحو " (٤) وغيرهما .

---

١ - كحديث ابن بريدة عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (القضاة ثلاثة : اثنان في النار ، وواحد في الجنة ، رجل علم الحق فقضى به ، فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ، ورجل جار في الحكم ، فهو في النار) . أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب الأحكام ، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق ، ح ٢٣١٥ ج٢/ ٧٧٦ .

٢ - انظر : المسك الأذفر للألوسي ص ١٠١ .

٣ - انظر : المصدر السابق ص١٠١ -١٠٢ ، وأعلام العراق ص ٤٦ ، وتاريخ الأدب العربي في العراق ج٢/ ١٤٢ ، ومقدمة اتحاف الأمجاد للألوسي ، بتحقيق عدنان ص ١٢ .

٤ - المسك الأذفر ص ١٠٢ - ١٠٣ .

الشيخ الثاني والمربي الثاني للعلاّمة الألوسي :

أبو البركات خير الدين أفندي الألوسي ، السيد الشريف العلم من أعلام الأسرة الألوسية في العراق ... نعمان نجل العلاّمة المفسر السيد شهاب الدين محمود ابن السيد عبد الله صلاح الدين البغدادي الألوسي الحسيني ، ينتهي نسبه من جهة الأب إلى الحسين ، ومن جهة الأم الى الحسن ابني علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنهم .(١)

ولد - رحمه الله- في بغداد يوم الجمعة ١٢ المحرم سنة(١٢٥٢هـ) من هجرة خير الأنام - عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام - في أرض التعصب الأعمى والجمود الذميم، تحت سماء الجور والاعتساف ...ولكنه نشأ بفطرته ، حر الضمير نير البصيرة..ولولا أنّ الله أتاح له من يمّي فيه قوة الاستعداد ، ويربّي في الجمعة ملكة الاستقلال فيه - وهو أبوه - وتلميذه السلفي السيد أمين الواعظ ، لغلبه جمود البيئة وحشو المعممين ، واستحوذ عليه الخمول ....ولكن عناية الله تعالى ، ثم عناية أبيه وتلميذه ، صانه من الجمود الفكري الذميم ؛ فشب مسلما عاقلا ، فاضلا حر الفكر ، غيورا على مصالح الأمة الاسلامية والدين لاسلامي .(٢)

قال الأثري : (...وكان منذ صباه ، شغوفا بالمطالعة ، وميّالا الى جمع الكتب النادرة ، فوفق لتأليف خزانة حافلة ، تعد اليوم من أغنى خزائن كتب بغداد، وأحفلها بالمخطوطات النادرة ، ثم وقفها على مدرسته ، وعين لها محافظا يتعهدها ، رجاء المنفعة بها أبد الدهر ...(إلى أن قال) : وكان جوزي زمانه في الوعظ ، وقد بلغ في حسن التذكير والارشاد النهاية...) (٣)حيث كان فيهما سيلا منحدرا وغيثا منهمرا) .(٤)

---

١ - أنظر أعلام العراق للأثري ص٥٧ ، والمسك الأذفر للألوسي ص١١٠ ، وأعلام الفكر الاسلامي ص ٣٠٧ ، وأعلام الزركلي ج٩ /٩ ، ومعجم المؤلفين ١٣/ ١٠٧ ،ومجلة لغة العرب ٣٤٣/٤ ، ومقدمة جلاء العينين ص ١-٢ ، ومقدّمة الآيات البينات ص ٥٨ .

٢ - انظر: أعلام العراق للأثري ص ٥٩ - ٦٠ .

٣ - المصدر السابق ص ٦٢ ، ٦٣ .

٤ - أعلام الفكر الاسلامي ص ٣٠٧ ، ونحوه في المسك الأذفر ص ١١١ .

وقال الأثري أيضا :(طالعت كتبه - وأكثرها في الجدل - فرأيت منه عا لما ضليعا، وأ ديبا جليلا نزيه القلم ... متنزها عن العبث ، منصفا عدلا في الحكم ...كما أخذت منها أنّ عقله كان أكبر من علمه ، وعلمه أبلغ من انشائه ، وانشاء ه أمتن من نظمه ، وكان جوادا وفيا، زاهدا، حلو المفاكهة ، سمح الخلق) .(١)

وقال أبو المعالي الألوسي : (كان سيف الحق المسلول على أهل البدع والأهواء ، والبلاء المبرم على من خالف الشريعة الغراء ، لا يجنح لتأويل ، ولا يميل الى زخرف الأقاويل ،فهو سلفي العقيدة ، آمر بالمعروف، وناه عن المنكر ، صادع بالحق، فلذا كثر معاندوه وخصماؤه وحاسدوه، فانّ الحق صعب على المغلوب ، وترك مألوف العوائد تأباه القلوب ...) (٢) الفاسدة .

وقال علي علاء الدين الألوسي: (كان رجلا صالحا مصلحاً، متحمساً للاصلاح، ظل يجاهد الباطل وينصر الحق بلسانه وقلمه حتى أتاه اليقين (٣)) . كما كان مناهضاً للتقليد ومناهج التصوف...وخزعبلاتها (٤) .

تولّى كفالة ابن أخيه بعد وفاته في شهر شعبان سنة (١٢٩١هـ)، والذي كان أبا رؤوفا على الابن كما سلف في ترجمة الأب ، حين وصل الابن سن المراهقة التي هي أخطر مراحل الانسان ، من حيث تحديد وجهته، فوجد من عمه أبي البركات عناية فائقة، حيث عنى بتهذيبه وتعليمه عناية أبيه به ، فكان خير عزاء فيه .

فأبوه وعمّه هما الأستاذان اللذان لهما الأثر الأكبر في تكوين حياته العلمية والعقلية، على ما كان من الاختلاف بينهما في المذهب والمشرب (٥) ؛ فالأول مقلد غارق في التصوف ، والثاني لا يعمل شيئا إلا بدليل من الكتاب أوسنة ، ويحارب التصوف ويعتبره دخيلة على الإسلام .

---

١ - أعلام العرا ق للأثري ص ٦٣ - ٦٤ .

٢ - المسك الأ ذ فر ص ١١١ .

٣ - مقدمة الدر المنتثر ص ٣٤ .

٤ - محمود شكري الأ لوسي وآ راؤه ا للغوية ص ٥٢ .

٥ - انظر : أعلام العرا ق ص ٩١ .

تولّى أبو البركات في شبابه -- بفضل الله تعالى عليه – ثم بفضل جهوده ونبله -- المناصب العالية ، منها: القضاء في بلاد متعددة ، منها " الحلة " (١) ، وسار فيه سيرة مرضية ، فحمدت أفعاله ، وحبب الى القلوب ...وترك جميع الألسنة تلهج بالثناء له..ثم ترك المناصب خشية أن تعرقله أو تشغله عما هو آخذ باتمامه من تأليف ونشر (٢)، فألف ونشر مصنفات كثيرة ، من أعظمها نفعا ، الكتاب الذي قال فيه الألوسي : (...هو أشهر من أن ينبه عليه ، وأظهر من أن يشار اليه ، انتشر في البلاد ، وانتفع به كثير من العباد ، ومن يضلل الله فما له من هاد ...) (٣) .

والكتاب هو جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي، الامام المجدد العظيم الذي توفي في السجن ، بقلعة دمشق سنة (٧٢٨) (٤)، وأحمد بن حجر الهيتمي(٥) المصري الفقيه الشافعي ، صاحب الفتاوى الحديثية ، المتوفى سنة (٩٧٤هـ) .

وهكذا أمضى عمره ، أمضاه بالتدريس والتأليف والنشر ،وبالوعظ والارشاد ، وبمجاهدة الباطل والفرق المبتدعة الضالة ...وهو في ذلك صابر ومحتسب أجره على الله تعالى، حتى أتاه اليقين صبيحة يوم الأربعاء ، السابع من المحرم سنة (١٣١٧)(٦)رحمه الله.

---

١ – وقد حبب الى قلوب أبناء هذه المدينة ، حتى قال بعض أدبائها فيه :

لتصف الشريعة للواردين فقد جاءها اليوم نعمانها
وقد كان مصروفة عينها فمن استفاد منه انسانها

ذكرهما الأثري في الأعلام ، دون أن يعزوهما لأحد ص ٦٠ .

٢ – انظر: مجلة لغة العرب ٣٤٣/٤ ، ومقدمة الدر المنتثر ص٣٤ ، وفهرس التيمورية ٢/٦-٧ ، وهداية العارفين ٤٩٦/٢ .

٣ – المسك الأذفر ص ١١٣ .

٤ – وتأتي ترجمته – ان شاء الله – في الفصل الثاني (مستقلا) .

٥ – هو أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي ، أبو العباس ؛ ولد سنة (٩٠٩) في محلة أبي هيتم بمصر ، وتوفي بمكة سنة (٩٧٤) . انظر ترجمته : أعلام الزركلي ١/ ٢٣٤ ، والبدر الطالع ١٠٩/١ وشذرات الذهب ٣٧٠/٨ ، ومعجم المؤلفين ٢/ ١٥٢ ، ومقدمة كتاب : تحفة الزوار إلى قبر النبي المختار ص ١١- ١٣ .

٦ – انظر : مجلة لغة العرب ٣٤٦/٤ ، ومقدمة الايات البينات ص٥٨ ، ومقدمة جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص ١ ٢ ، وأعلام الزركلي ٩/٩ ، ومعجم المؤلفين ١٣/ ١٠٧ .

الشيخ الثالث : اسماعيل أ فندي الموصلي ، مدرس جامع الصياغين .

هو الشيخ : اسماعيل بن مصطفى الموصلي ، ولد في مدينة الموصل سنة (١٢٠٠هـ) ... وقرأ جلَّ العلوم الإسلامية على نخبة من علمائها ، وعلى رأسهم عمدة الفضلاء الكامل الأوحدي ، الصائغ المشهور – عبد الله أفندي – ، وبدأ التحصيل والوصول إلى منتهى التكميل في العلم والمعرفة ، هاجر إلى مدينة السلام ابّان شبابه ، وقرأ على بعض أفاضلها ، ثم اتّخذها دار المقام ... فأفاد واستفاد ، ونشر العلوم والفضائل بين العباد ، ودرّس في مدرسة الصاغة عدّة سنين ...وقيل درّس فيها مدّة ثلاثين سنة) .(١)

قال تلميذه الشيخ علي علاء الدين الألوسي في كتابه الدر المنتثر :(هو شيخي الذي عليه تخرّجت ، وبالأخذ عنه من زمن الطفولية تدرّجت ، ما رأيت أسرع منه فهما، ولا أوفر منه علما ،ولا أقل منه في الأمور الدنيوية همّا ، ولا أحسن منه سيرة ، ولا أصفى منه سريرة ...ولا ألين منه جانبا ... ولا أجلى منه دليلا ، ولا أوضح منه في الحق سبيلاً ، ولا أحسن منه تقريرا ، ولا أقدر منه على المسائل تصويرا، ولا أطول منه في العلوم باعا ، ولا أوسع منه اطلاعا ، ولا أكثر منه حفظا ، ولا أفصح منه لفظا ...) .(٢)

وهذا الشيخ كان له أثر كبير على الامام الألوسي، بعد أبيه وعمّه – رحمهم الله – فكان الشيخ والتلميذ كل منهما معجبا بالآخر ، وقد ترجم التلميذ للشيخ في كتابه " *المسك الأذفر* " ، وأسبغ عليه ألقابا فخمة تدلّ على اعجابه به ، حيث جاء فيه : (أنه ... كان مبارك التدريس، فلذا انتفع به غالب من قرأ عليه ، وأناخ مطايا التحصيل لديه . وكان كثير الزهد والورع ، والعبادة ، كثير التهجد والاشتغال بالذكر . وكان حنفي المذهب ، نقشبندي الطريقة ... وكان لا يجارى في النحو والفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم الإسلامية ، كما أنه فاق في سائر الفنون النقلية والعقلية ، وكان حافظا للقرآن الكريم ...وحفظ طرفا من تفسير البيضاوي و الكافية الكبرى ، وكان في علم الفرائض والحساب كالبحر العباب) (٣)، وعليه أكمل محمود شكري " كتب

---

١ – انظر: المسك الأذفر ص٢٠٨ و هامش (١) ، و الدر المنتثر ص ٩٣ .

٢ – الدر المنتثر ص ٩٣ .

٣ – المسك الأذفر ص ٢٠٨ .

الجادة "(١) التي لم يتمها على أبيه وعمّه ، فأخذ عنه الحديث والأصول ، وأغلب العلوم الإسلامية التي يتقنها – رحمة الله عليهم – (٢) ، ولم يزل الشيخ على التدريس ، حتى وافته المنيّة .

قال الأثري : وقد توفي هذا الشيخ في [٢٨ ذي الحجة ١٣٠٢هـ] أي حين كان الألوسي في التاسعة والعشرين من عمره ، ولست أدري كم لزمه، ولكن من المؤكد أنه أخذ عنه أكثر علومه العالية ، وأفاد منه جل مكاسبه الرفيعة ...) (٣)

الشيخ الرابع : هو الشيخ **عبد السلام أفندي** البغدادي الشهير شواف زاده ، ابن محمد بن سعيد النجدي الكبيسي ، ولد – رحمه الله – في الجانب الغربي من بغداد سنة (١٢٣٤هـ) الموافق(١٨١٨م) . ولما بلغ سن التمييز شرع في طلب العلم على فضلاء بلده ، وقرأ أغلب العلوم الآلية من العقلية والنقلية على مشيد أركان مجد الأسرة الألوسية في العراق ، العلاّمة الامام المفسر الكبير السيد – محمود أفندي الألوسي- صاحب روح المعاني ، – رحمه الله – ،ولازمه ملازمة الظل ، حتى اذا جد به الأجل ، ولبّى داع مولاه على عجل ، وجّه عنان الاشتغال على العلاّمة السيد عيسى افندي البندنيجي (٤) ... وأكبّ ...عنده على التحصيل ...ولازمه حتى أجازه للتدريس ، ونصب مدرسا في مدرسة الحضرة القادرية . (٥)

---

١ -تقدم ذكرها في هامش ص ٢٥ – ٢٦ .

٢ – أعلام العراق ص ٩٢ . والتحاف الأمجاد للألوسي ص ١٣ ، تحقيق عدنان .

٣ – محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص ٤٥ . وانظر : المسك الأذفر ص٢٠٩ .

٤ – هو أبو الهدى الشيخ عيسى بن موسى ، صفاء الدين القادري ، النقشبندي ، ولد بمدينة بندنيجين – (وهي مدينة مندلي تابع الآن لمحافظة ديالى في العراق) –سنة (١٢٠٣هـ)، وتوفي ليلة الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رجب الفرد سنة (١٢٨٣هـ) وكان طويل الباع في جميع العلوم ، راسخ القدم في كل فنّ من منطوق ومفهوم ...) انظر : المسك الأذفر ص٢٠١، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، وهامش (٤)،(٥)، ومعجم البلدان ١/٤٩٩ ، وتاريخ الأدب العربي في العراق ٣/ ٥٨ ، و أعيان القرن الثالث عشر ١٨٩ .

٥ – انظر الدر المنتثر ص ١٠٧ ، والتحاف الأمجاد ص ١٣ وهامش (١٠) ، وتاريخ الأدب العربي في العراق ٢ /١٤٤ ، والمسك الأذفر ص ٢٠٤ ، وأعلام الفكر الاسلامي ص ٣٣٤ ، ومعجم المؤلفين ٥ /٢٢٤

قال الأثري عنه :(كان من كبار تلاميذ أبي الثناء الألوسي، ومن أئمة العلم الحفاظ المتقنين الأتقياء ببغداد ...) (١).

وقال تلميذه علاء الدين الألوسي في كتابه *الدر المنتثر* عنه : (...كان بحر الفضل الخضم الزاخر ، وبدر الفضل المشرق في أفق المفاخر، وعلم العلم الظاهر ، ظهور نار القرى ليلا على علم ، علامة مدينة السلام ، وبقية مشائخها الكرام ، رئيس المحققين، وعمدة المدققين ، شيخي الذي اخحت رواحل التحصيل بين يديه ، وعوّلت عليه - بعد الله تعالى- في اكتساب العلم لعلمي بمتواتر فضله المشهور، وغزارة علمه المأثور ...) (٢)

وقال أبو المعالي الألوسي عنه :(كان يغضب ويحب لله ، ولا تأخذه لومة لائم في مولاه ، مواظبا على الطاعة حسب الاستطاعة ، لم يترك شيئا من السنن ، ولا ما كان عليه السلف في سابق الزمان ... وحافظا للقرآن العظيم ، تذكرة السلف ، ونخبة الخلف ... قائم الليل ، صائم النهار ،لا يفتر لسانه عن قراءة القرآن ، وما ورد من الأذكار . (وقال أيضا) : هو المرجع للجميع في المسائل الدينية ، وأنى لي أن استقصي مزاياه ، أو يحيط قلمي ببعض ما حواه .

صفاته لم تزده معرفة * وإنما لذة ذكرناها (٣)

وقد انتهي اليه اليوم علم الفقه والحديث ، فهو أعرف الناس بالحلال والحرام والطيب والخبيث ، وقد انتفع به خلق كثيرون . (٤) وقصده المحصلون من كل فج عميق ، وقد أخذ عنه أبو المعالي : الحديث والمصطلح . والحاصل - كما قيل :

حسنت عقيدته فصان كلامه * بخطاب ذي جدل عن الفحشاء

مصباح دين الحق مشكاة الهدى * أخباره موصولة بشفاء

---

١ - محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص ٥٤ .

٢ - الدر المنتثر ص ١٠٧ .

٣ - البيت من قول المتنبي ، أصله :

أساميا لم يزده معرفة * وإنما لذة ذكرناها .

ديوانه ص ٥٣٩ .

٤ - منهم أبو المعالي محمود شكري الألوسي .

مرفوع قدرقـد تواتر فضله * بين الورى بتسلسل الأنباء

بحديثه المقطوع في تصديقه * تتجاب عنه معضلات بلاء

كشاف ليل المشكلات لعلمه * بمعالم التنزيل والايحاء

وله تصانيف عديدة وتآليف مفيدة مرتبة على أحسن أسلوب ، بعبارات ترتاح إليها القلوب ، مشتملة على الفوائد الغرائب ، ومحتوية على النفائس العجائب ، منها :" شرح الاظهار" المسمى" بالاستظهار" وهو كتاب جليل ليس له في بابه مثيل .(١)

وظـل مدرساً في مدرسة القادرية إلى أن وافته المنية -- رحمه الله - في سنة(١٣١٨ هـ) . (٢)

الشيخ الخامس : **بهاء الدين الهندي** ، نزيل بغداد ، المولود في الهند .

هو الشيخ بهاء الدين ابن العلامة قادر بخش بن القاضي غلام محمد ، الديري مولداً ، الأسدي نسباً ، والمنشي لقباً .

قال الألوسي : ولد في ثامن عشر جمادى الثانية بين سنّة الفجر وفرضه يوم الأربعاء سنة (١٢٥٦هـ) ، أخذ العلم عن والده العلامة الشيخ قادر بخش ... الذي له عدّة تصانيف مفيدة ، وتآليف عديدة .هاجر من بلاده -الهند- الى بغداد لما فشا فيها المنكـر والفسـاد ، (٣) واتخـذ جامـع الشيخ عبـد القادر الكيلاني(٤)،مقراً لدراسته

---

١ - انظر المسك الأذفر للألوسي ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٠٥ ، والدر المنتثر ص١٠٧ ، وأعلام الفكر الاسلامي ص٣٣٤ ، ومعجم المؤلفين ٥/ ٢٢٤ .

٣ - انظر : المسك الأذفر ص ٢١٢ - ٢١٣ .

٤ - عبد القادر الكيلاني بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد محي الدين الجيلاني أو الكيلاني ، من كبار الزهاد . ولد في جيلان سنة (٤٧١هـ) وانتقل الى بغداد ، واتصل بشيوخ العلم ، وبرع في أساليب الوعظ ، واشتهر ، توفي ببغداد سنة (٥٦١هـ) . من آثاره : الغنية ، والفتح الرباني . انظر : النجوم الزاهرة ٥/٣٧١ ، وفوات الوفيات ٢/٢ ، وشذرات الذهب ١٩٨/٣ ، والأعلام للزركلي ٤/ ٤٧

وعيشه ،ولازم العلامة : صبغة الله الحيدري (١)، حتى أصبح من العلماء المعدودين ، يشار إليهم بالبنان (٢) .

قال الألوسي وهو يصف سعة اطلاع شيخه هذا ، على العلوم العقلية والنقلية عامة : له يد الطولى بسائر العلوم من منطوق ومفهوم ، سيما علم الأصول ، فهو فيه من الأساتذة الفحول ، وكذا في علم الحديث والتفسير والكلام ،فقد نال منه المرام ، وهو في حل الدقائق والمشكلات ، سباق غايات ...له الميل التام في الاشتغال بالحديث الصحيح ، فلا تراه يفارق "*صحيح البخاري*" و "*مشكاة المصابيح*" .(٣)

وقد وجهت إليه مهمة التدريس والإمامة ، بجامع عبد القادر الكيلاني ،فدرّس فيه وأفتى . وانتفع به خلق كثيرون .(٤)

قال بهجة الأثري : (قرأ - الألوسي- على شيخه بهاء الحق الهندي ، نزيل بغداد طرفا من التفسير ...(٥). توفي بعد سنة (١٣٠٠ هـ)(٦).

الشيخ السادس : هو الشيخ **محمد أمين الخرساني الفارسي** ،فقد قرأ عليه الهيئة والحكمة والعروض ...(٧)) (٨).

الشيخ السابع :

هو الشيخ المعمر **عبد الرحمن القره داغي** ، عالم مشارك في أنواع من العلوم ، كالنحو والفقه والأصول والوضع والبيان والمنطق - حيث كان من أشهر العلماء به في

---

١ - صبغة الله بن ابراهيم الحيدري الحسيني ، (١١٠٧ - ١١٩٠هـ) ، كان من علماء العراق الكبار وهو أول من ورد بغداد من آل الحيدر . انظر : تاريخ علم الفلك في العراق ص٢٦٢ ، تاريخ الأدب العربي في العراق ٢/ ١٢٩ ، والمسك الأذفر ص ١٥٨ هامش (١) .

٢ - مقدمة اتحاف الأمجاد ص ١٣ -١٤ ، وهامش (١١) منه .

٣ - المسك الأذفر للألوسي ص ٢١٢ .

٤ - مقدمة اتحاف الأمجاد ص ١٣ -١٤ .

٥ - محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص ٥٥ ، ونحوه في مقدمة اتحاف الأمجاد ص ١٣.

٦ - تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر ص ١١٠ .

٧ - محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص ٥٥ .

٨ - وهذا الشيخ لم أعثر له على الترجمة غير هذه، وقد ذكر ذلك الأثري في كتابه : محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص ٥٥ .

عصره – الشهير بخياط زاده . ولد في بلدة **قره داغ** من أعمال السليمانية سنة (١٢٥٣ هـ) ، ونشأ بها، فنال الاجازة العامة وهو ابن سبعة عشر عاما ، وكان أ عجوبة من أعاجيب الزمان . ما من فنّ من الفنون التي سلف ذكرها، الاّ وهو فيه ا وحد...والمعى لا سيما في علم الكلام والحكمة والمنطق (١)...وا لذي ذاكره معه العلامة الامام الألوسي –رحمه الله – .

توفي – رحمه الله – في بغداد . سنة (١٣٣٥هـ) . ومن آ ثاره: "*دقائق الخفاظ في النحو*" و "*الايقاظ في علم الوضع*"و "*تنبيه الأ صادقاء في بيان التقليد والاجتهاد والاستفتاء والافتاء ...*)(٢) .

المبحث الثالث :

بعض تلامذة العلاّمة الامام الألوسي - عليه الرحمة :

توطئة :

لقد أصاب العلاّمة ا لإمام الألوسي – رحمة الله عيه – بفضل ا لله تعالى ، ثم بفضل جهوده وتمسكه بمنهج السلف الصالح ، في تصحيح عقيدة الأمة الإسلامية ، شهرة حميدة وهو في مطلع حياته العلمية . ولما تقدم به الزمن ، عمّت شهرته آفاق العالم الإسلامي ، وذاعت مكانته العلمية . وطار صيته إلى جميع لأصقاع المعمورة ، فتنوعت أجناس الناس الذين ضربوا أكباد الرواحل ليه . ليهلوا من معين علمه ومعرفته ، وليأخذوا العقيدة السلفية الصافية من شوائب الشرك منه عليه الرحمة .

فكان منهم من الهند والكويت والشام وأوربة والعراق ونجد ، وغيرها من أمصار العالم الإسلامي –والذي عمّته الخرافات والبدع والخزعبلات ما الله به عليم – وذ لك لما تناقته

---

١ - مقدمة اتحاف الأ مجاد ص ١٤ وهمش (١٤) منه ، وتاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر ص ٣٦٢ ، ومعجم المؤلفين ٥/ ١٨٧ .

٢ - انظر : معجم المؤلفين ٥/١٨٧ ، وفهرس تيمورية ٤/١٥٤ .
ومحمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص ٥٥ .

إليهم الركبان والرحّل من سعة اطلاع العلاّمة الألوسي ، في علوم الشريعة الإسلامية ، وعلوم اللغة العربيّة ، والتاريخ الاسلامي والعربي ،واخلاصه للعلم ، وحبّه الشديد لأهله وطلاّبه ، فضلا عن شهرته العظيمة ، وما رافق ذلك من مزايا جمّة أخرى كالزهد والورع...وحسبك بمن يطلب اليه تولّي منصب " قاضي القضاة " ، فيأباه أنفة وزهدا ، ثم يهدى اليه الذهب فيعافه ويطرد من حمله اليه (١)- رحمة الله تعالى عليه .

ونظرا لكثرة الذين أخذوا عنه ،وصعوبة عدّهم وحصرهم ،أكتفي بذكر بعضهم ، فلنبدأ بأشهرهم ، ومن الله تعالى استمدّ العون :

تلميذه الأول :

الأستاذ العلاّمة الشيخ : **محمد بهجة بن محمود بن عبد القادر**الشهير بالأثري ، أصله من ديار(٢) بكر بن وائل ، هاجر جدّه الأعلى إلى اربل (٣) في العراق، ثم رحل الى بغداد .

ولد الأثري - حفظه الله ورعاه- في بغداد سنة (١٣٢٢هـ) من هجرة خير الأنام صلوات الله وسلامه وبركاته عليه - ، وأتمّ قراءته للقرآن الكريم وهو ابن ست سنين - وتعلم التركية والفرنسية والانجليزية ، وتخصص في العلوم العربية والإسلامية ، فأخذ عن علماء العراق ، وخاصة الأديب الشاعر علاء الدين الألوسي(٤)، ثم درس على أبي المعالي الألوسي ولازمه حتى وفاته - رحمه الله - وهو الذي لقّبه بالأثري- لشدّة ولعه

---

١ - انظر: مقدمة المسك الأذفر للألوسي ، تحقيق الجبوري ص١٤ ، ومحمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص٩٠ ، والمعاصرون لمحمد كرد علي ص٤٣٢ -٤٣٣ ، ومجلة الزهراء : رجب ، سنة ١٣٤٥ ص ٤٦٢ .

٢ - هي بلاد كبيرة واسعة ، تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى (وينتهي نسبه إلى) عدنان ، وحدّها ما غرّب من دجلة الى بلاد الجبل المطل على نصيبين الى دجلة . انظر : معجم البلدان للحموي ٢/ ٤٩٤ .

٣ - اربل : قلعة حصينة ، ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض ، واسع بسيط ، تعد من أعمال الموصل وبينهما مسيرة يومين ، قام بعمارتها وبناء سورها ، الأمير مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين كوجك ، بينها وبين بغداد مسيرة سبعة أيام للقوافل . انظر : معجم البلدان ١/١٣٦- ١٣٧.

٤ - تأتي ترجمته ان شاء الله تعالى (فهو التلميذ الخامس) .

بالأثر (الحديث الشريف)-. درس النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والأدب والحديث والتفسير والفقه والهيئة وتاريخ العرب والأنساب والمناظرة والمنطق .
وقد تولّى عدّة مناصب عالية،واعتقل لمدّة ثلاث سنوات في طرف الانجليز ،وكتب في أمهات الجرائد والمجلات ، ورأس بعضها ، ومثّل بلاده في أكثر من خمسة عشر مؤتمر ، وكان عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومنذ تأسس المجمع العلمي العراقي انتخب عضوا عاملا فيه ، ثم نائبا ثانيا ، فنائبا أول به ، وانتخبه الملك سعود -ملك السعودية رحمه الله - عضوا في المجلس الأعلى الاستشاري بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سنة (١٣٨١هـ)،وقد نال عدّة أوسمة في العراق ولبنان وسورية والمغرب ،كما حاز على جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة والأدب (١) - رحمة الله عليه - .
وإذا صنّف تلاميذ العلامة الألوسي ، فانّ بهجت الأثري ، يكون في مقدّمتهم ، فهو بحق الوارث لعلوم أستاذه علاّمة العراق ، وقد توسّم فيه الشيخ محمد رشيد (٢) .
رضا هذه الحقيقة ، لما كان في عنفوان شبابه ، فقد قال في معرض كلامه على الألوسي : (لم نر له غير تلميذ واحد يرجى أن يكون خلفا صالحا له ...ألا وهو الأستاذ

---

١ - تاريخ علماء نجد في القرن الرابع عشر الهجري ص ١١٣ -١١٨ ، ومقدمة اتحاف الأمجاد ص ١٦ ، وهامش (١٩) منه .

٢ - هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب، محدّث ، مفسّر ، مؤرّخ ، أديب ، ولد - رحمه الله - في قرية القلمون من أعمال طرابلس الشام ، من بيت نسب أهله الى الشرف ، وعرفوا بالعلم والارشاد ، ويلقّبون بالمشايخ ، وكان مولده في ٢٧ - جمادى الأولى سنة (١٢٧٢هـ) ، وتعلم في القلمون ، وطرابلس وبيروت ، ثم رحل الى مصر ، واتصل بمحمد عبده وتتلمذ له ، وتخلل استقراره بمصر رحلات الى الشام والحجاز والهند وأوربا ، صاحب مجلّة المنار ، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي ، أنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد ، قال فيه تقي الدين الهلالي : (امام الدعوة في زمانه) . توفي - رحمه الله تعالى - في ٢٣ جمادى الأولى سنة (١٣٥٤هـ) بمصر .

- انظر ترجمته في : المعاصرون ص ٣٣٤ ، أعلام الزركلي ٦/ ٣٦١ -٣٦٢ ، ومعجم المؤلفين ٩/ ٣١٠
- والمستدرك عليه ص ٦٣٩ ، الدعوة الى الله في أقطار مختلفة ص ٧ .

الشيخ محمد بهجت الأثري ، فقد عهد الفقيد اليه بمكاتبتنا بالنيابة ، لما تناوبته الأمراض في السنين الأخيرة ، فرأينا من مكتوباته خير مثال لمكتوبات أستاذه في اللفظ والمعنى وفي الخط أيضا...ولولا آمالنا بهذا، لكان حزننا على فقيدنا العزيز مضاعفا أضعافا كثيرة.)(١)

وقال محمد بهجت البيطار (٢) مادحا ، ضمن قصيدة يرثي فيها العلاّمة الألوسي - رحمه الله - :

أيا بهجة الآداب زينة أهلها * قد رد روضَ العلم فضلُك في خصب

ومالي لا أثنى عليك وإنّما * عليك لقد أثنت علومُك في الكتب

كأنّ تأليف الألوسي روضة * مبللة من شرحكم بندى السحب

أناطت يد التحقيق منك بجيدها * قلائد من ماس ومن لؤلؤ رطب

(إلى أن قال) :

وقفت لأصحاب الرذيلة وقفة * أعدت بها أيّام أحمد والصحب (٣)

ولمحمد بهجت الأثري ، مصنّفات وتحقيقات قيمة ومتنوعة في موضوعاتها ، تنيف على الأربعين ، وهو الذي اعتنى بكتب أستاذه ، نسخا وتحقيقا و نشرا ، وترجم له ترجمة واسعة في كتابين هما : " *أعلام العراق* " و " *محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية* " ، وله رسالة شيّقة وطريفة في أسلوبها ، لكنّها قويّة وبليغة في موضوعها ، " *محمد بن عبد الوهاب*(٤) ، *داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث* " (٥) . وهذه لا تكتفي

---

١ - مجلة المنار ج ٥م ص ٣٧٥ .

٢ - هو محمد بهجت بن بهاء الدين عبد الغني بن حسين بن ابراهيم ، الشهير بالبيطار ، من أصل جزائري ، ولد بمدينة دمشق سنة (١٣١١هـ) ، من أسرة اشتهرت بالعلم . تولّى عدّة مناص وله مؤلّفات كثيرة ، منها : " رسالة في الدعوة الى السلفية " وأخرى في " الرد على من طعن في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب " وثالثة في " الردّ على الكوثري " وغير ذلك . توفي - رحمه الله - سنة (١٣٩٦هـ) ورثاه محمد بهجت الأثري .

● انظر ترجمته في : تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ٢/ ٩١٨ -٩٢٥ .

٣ - أعلام العراق للأثري ص ٢١٨ - ٢١٩ .

٤ - هو شيخ الإسلام مجدد الدعوة السلفية ، ابن سليمان النجدي ، تأتي ترجمته إن شاء الله ، في الفصل الثالث ، عند بيان تأييد الألوسي لدعوته .

٥ - الرسالة طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ، عام (١٤٠٦)بتقديم الدكتور عبد الله التركي .

بالسرد التاريخي فحسب ، وإنّما تعنى ببيان جوهر الدعوة من خلال مؤسسها ، والعلاقة بينهما .

ولا يزال الشيخ الأثري حيا يرزق (١)- بارك الله في عمره المديد ، ومتّعه بالصحة والعافية (٢) .

تلميذه الثاني : معروف الرصافي .

هو الشاعر الأشهر ، مفتش التدريسات العربية ، في وزارة المعارف العراقية -- ابن عبد الغني البغدادي الرصافي ، شاعر بغداد من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق . أصله من عشيرة الجبارة كركوك . ولد ببغداد سنة (١٢٩٤هـ) الموافق (١٨٧٧ م) ،ونشأ بها في الرصافة . تلقّى العلوم في طفولته في كتّاب بغداد ، وتعلم القرآن العظيم ، ثم دروسه الابتدائية في المدرسة الرشدية العسكريّة ، وغادرها قبل أن يحرز شهادتها . ثم اتصل بالعلاّمة الإمام أبي المعالي محمود الألوسي ، فأخذ عنه العلوم العربيّة ، وسائر العلوم الإسلامية . ولازمه ملازمة تامة دامت اثنتي عشرة سنة ، حتى لقّبه بلقبه " الرصافي" ، وأولع بدراسة الشواهد وشروحها ،وتذوّق ما فيها من بلاغة ، فحفظ منه الشيئ الكثير ، وكان شيخه العلامة الألوسي ، يلقّبه أيضا " بالشواهدي" ، لكثرة ما يحفظ منها . وتقلّب في عدّة مناصب تعليمية في بغداد وخارجها. فعلّم في مدارس بغداد الرسمية ، من ابتدائية واعدادية ، كما علّم العربيّة في المدرسة الملكيّة العالية في العاصمة العثمانيّة ... كماتولّى عضويّة مجلس النوّاب العراقي، والمجمع العلمي العربي بدمشق ، والندوة العراقية، كما تولّى رئاسة لجنة الاصطلاحات العلميّة .

ونجده في صدر حياته متشبعاً بمذهب السلف الصالح الذي دعاأستاذه وشيخه العلاّمة السلفي الألوسي إليه ، والذي كان ينظر فيه إلى الشريعة الإسلامية بمنظار أئمة

---

١ - وقد حاولت الاتصال به ، و اتخذت جميع الوسائل الممكنة ، فلم أوفق لذلك .

٢ - انظر صب العذاب على من سبّ الأصحاب للألوسي بتحقيق عبد الله بوشعيب البخاري ص ٣٩ .

السلف الصالح ، لا بمنظار المتصوّفة المبتدعة ، الذين ينظرون إلى الدين بما ليس في شيء منه...اذ كان يقول عن قومه في العراق :

يرجّون من أهل القبور رجاء هم * ويعمل الدبوس أو يضرب الدّفا .

ثم انقلب الرصافي على عقبه –والعياذ با لله ، ونسأل ا لله حسن الخاتمة – في آخر حياته ، حيث أصبح يقول بالشعوذات الصوفيّة ويدعو إليها وإلى التصوّف ، بل دعا الى ما هو أدهى من ذ لك وأمرّ ، اذ دعا الى وحدة الوجود (١) ، وادّعى أنّه هو مذهب أرباب الأفكار الحرّة ، والنفوس الزكيّة الطاهرة ... حيث يقول في قصيدة عنوانها " حقيقتي السلبيّة " ، مبيّنا بها آ راء ه ، ومؤكدا لمعتقده ، قال :

ولا ممن يرى الأديان قامت * بوحي منزّل للأ نبياء
ولكن هنّ وضع وابتداع * من العقلاء أرباب الدهاء

(إلى أن قال) :

ولا ممن اذا وبئوا استعاذوا * بتمتمة الدعاء من الوباء
ولا من معشر صلّوا وصاموا * لما وعدوه من حسن الجزاء
ولا ممن يرون الله يجزي * على الصلوات بالحور الوضاء

(الخ)

ومع ذ لك لم يفلح الرصافي في الدعوة الى التصوّف ، حيث لم يجد أنصارا يعتضد بهم ، إلاّ أولئك الذين كانوا منغمسين قبله في هذه الترهات والأباطيل والهذيانات ... وقد بثّ هذه السموم في مصنّفاته وكتبه ، حيث له عدّة مؤلّفات ، منها : " *ديوان الرصافي* "و " *رسالة في الأ لفاظ العربية المستعملة في ا للغة التركيّة وبالعكس* "...وغير ذ لك من المصنّفات التي قد لا تخلو من هذه الهذيانات .

---

١ – وحدة الوجود : عقيدة إلحا ديّة ، تأ تي بعد التشبع بفكرة الحلول في بعض الموجودات .
ومفادها : أنّه لا شيئ الاّ ا لله ، وكلّ ما في الوجود يمثّل ا لله عز وجلّ ، لا انفصال بين الخالق والمخلوق ، وأنّ وجود الكائنات هو عين وجود ا لله تعالى، ليس وجودها غيره ، ولا شيئ سواه البتّة . وهي فكرة هنديّة بوذيّة مجوسيّة ... (تعالى ا لله عما يصفه به الملحدون ، علواً كبيرا) .

● فرق معاصرة ، للدكتور غالب علي عواجي٢ /٢٨٢ .

فظل على هذه الحالة ، حتى قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني ببغداد ، في أوائل الحرب العالميّة الثانية ، فنظّم أناشيدها ، وتولّى زعامة الخطباء فيها ، فلما فشلت عاش في شبه انزواء عن الناس ، إلى أن توفي في الأعظميّة ببغداد ، سنة (١٣٦٢هـ) ، الموافق ١٦ آذار سنة (١٩٤٥م) .(١).

تلميذه الثالث : **طه الراوي** (٢) :

هو الشيخ : طه بن صالح الفضيل الراوي، أديب مؤرخ ، لغوي باحث مشارك في بعض العلوم . ولد عام (١٣٠٦هـ) (٣) ، وقيل (١٣١٠هـ) (٤) ، في رواة ، تلقّى العلوم في مدرسة الإمام الأعظم أبي حنيفة - رحمه الله - وعلى شيوخ فضلاء منهم ...العلاّمة الإمام محمود شكري الألوسي ... وغيره من أساتذة العلم الأجلاء ...)(٥)

قال هاشم الأعظمي (٦): (أصبح عالما بالعلوم العربية والشرعية ، اجتمع له من الخلق والعلم والشمائل الفاضلة ما لم يجتمع لأحد من أقرانه ، دخل مدرسة الحقوق العراقيّة ، وتخرج منها بدرجة ممتاز عام (١٩٢٥م) ... تقلّد عدّة من المناصب ، التعليميّة والإداريّة ، فكان أول مدير لمدرسة الكرخ ، كما تولّى مهمّة تدريس اللغة العربيّة

---

١ - انظر ترجمته في : المعاصرون ص ٤٤٠-٤٦٤ ، ومجلة لغة العرب ج٤/٣٨٦-٣٨٧ ، ومعجم المؤلفين ١٢/ ٣٠٦ - ٣٠٨ ، الأعلام للزركلي ٧/٢٦٨- ٢٦٩ ، مقدمة اتحاف الأمجاد ص ١٦ وهامش (٢٠) منها ، ومعجم الأعلام لبسام الجابي ص ٨٥٢ .

٢ - الراوي : نسبة إلى " روة " وهي قرية مشرفة على الفرات ، تقابل عانة أو عانات . انظر : معجم المؤلفين ٥/ ٤٣ هامش (١) .

٣ - تاريخ جامع الإمام الأعظم ١/١١٩ .

٤ - معجم المؤلفين ٥ /٤٣ ، وفي الأعلام للزركلي (١٣٠٧) ، انظر ٣/ ٢٣٢ .

٥ - انظر المصدر السابق ، وتاريخ جامع الإمام الأعظم ١/ ١١٩ .

٦ - هو هاشم بن الشيخ محمود بن حسن بن علي بن أحمد بن حنتش الأعظمي مولدا ، الحنفي مذهبا ، العبيدي نسبا ، ولد في الأعظمية سنة (١٩٢٧م) تعلم القرآن الكريم صغيرا عند الملا عبد الله في المدرسة الإسماعيلية وفي الأعظمية .
انظر : تاريخ جامع للإمام الأعظم ١/ ١٩٦ .

وآدابها في دار المعلمين الإبتدائية ... وتاريخ العرب والإسلام ،وعلّم التفسير في جامعة آل البيت ...ثم عيّن مديرا للمطبوعات ، وسكرتيرا لمجلس الأعيان ، ومديرا للمعارف العام ...فأستاذا للأداب العربي في دار المعلمين العالية ... وعضواً من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق (١) .

قال أحمد أمين : (لقد فقدته البلاد العربية أحوج ما تكون إليه في نهضتها وتقدّمها، فقده معهد المعلّمين ، فقد كان نبراسه ، وفقده العراق، فقد كان إمامه ، وفقده الشرق العربي كله ، فقد كان موضع ثقة العلماء وتقديرهم ، ...)(٢) .

وألّف وصنّف عدّة كتب مفيدة من أشهرها "*أبو العلاء المعري في بغداد*" و" *بغداد مدينة السلام*" و" *تاريخ تفسير القرآن*" وغيرها من المصنفات النافعة . توفي ببغداد في ٢٤ من ذي القعدة سنة (١٣٦٥هـ) الموافق (١٩٤٦ م) تشرين الأول .) (٣)

تلميذه الرابع : نعمان الأعظمي :

هو الحاج نعمان بن أحمد بن الحاج اسماعيل بن الحاج أحمد بن الحاج محمود الأعظمي العبيدي ، ولد في الأعظمية محلّة النصّة سنة (١٢٩٣هـ) (٤)تعلّم القرآن الكريم حدثا ، وبدأ دراسته في الإبتدائيّة فتخرّج منها...ثم التحق بمدرسة أبي حنيفة - عليه الرحمة - طالبا ينهل من منابع العلم ، والمعرفة المختلفة ، الدينيّة والعربيّة ، ثم تتلمذ على العلاّمة عبد الرزاق الأعظمي أفندي(٥) فأجازه سنة (١٣٢٤هـ)وعلى العلاّمة محمود شكري الألوسي(٦) .

---

١ - انظر المصدر السابق .

٢ - نقلا من تاريخ جامع الإمام الأعظم ، لهاشم الأعظمي ١ / ١٢٠ .

٣ - معجم المؤلفين ٥/ ٤٤ ، وأعلام الزركلي ٣/٢٣٢ ، ومقدّمة اتحاف الأمجاد ص ١٦- ١٧ ، وهامش (٢١) ، ومجلّة لغة العرب ٤/ ٣٩٠ .

٤ - انظر :تاريخ جامع الإمام الأعظم ١/ ١١٠ والأعلام للزركلي ٨/٣٥ ، ومعجم المؤلفين ١٣/١٠٣

٥ - عبد الرزاق أعظمي أفندي : هو عبد الرزاق بن حسين جلبي بن طه ، المعروف بالأعظمي ، تعلم العلوم الشرعيّة على العلاّمة نعمان خيرالدين الألوسي ، توفي سنة (١٣٣٠هـ) .
انظر : تاريخ جامع الإمام الأعظم ١/١١١- ١١٢ .

٦ - تاريخ جامع الإمام الأعظم ١/١١٠ ومحمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص ٩٢ .

وقد أوتي بسطة في العلم وقوّة بيان صار خطيبا بليغا ينطلق بيانه كما ينطلق السهم من الرميّة ، وتنفذ كلماته في قلوب المستمعين له فتفعل فعل السحر في إثارة مشاعرهم ...لعب دورا هاما وسعى لتنظيم الكليّة الأعظميّة وتطويرها مع سير الزمن ، حتى أثمر سعيه بمساعدة أعيان الأعظميين ، وبهذا صعد نجمه ، وظهرت شخصيّته اللامعة في الآفاق العراقية والأوساط الإجتماعيّة والسياسيّة .

جاهد الاستعمار (الإنجليزي) جهدا متواصلا ،حتى غضب عليه فاعتقله ، ثم نفاه إلى الهند ثلاث سنين ...وبعدها عاد إلى العراق مسقط رأسه، وقد تضاعفت جهوده .

ونشاطه في ميدان السياسة والعمل ، استطاع أن يستميل قلوب الحكام والرؤساء ، نحوه ...) (١) .

عيّن مدرسا في مدرسة الأعظميّة الرسميّة ...ثم في كليّة الإمام الأعظم ، والتي سعى في إنشائها ، فمديرا لها ، وعيّن واعظا عاما للعراق... في العهدين العثماني و الملكي ، حضر عدّة مؤتمرات إسلاميّة في العراق وخارجه ... توفي -رحمه الله -سنة (١٣٥٨هـ) الموافق (١٩٣٩م)(٢) ، وفي الأعلام (١٣٥٩هـ) الموافق (١٩٤٠م) (٣) .

ومن آثاره : " *التاريخ العام* " و " *إرشاد الناشئين* " (٤) .

تلميذه الخامس : العلاّمة أفندي علاء الدين الألوسي .

هو علي علاء الدين بن العلاّمة الإمام خير الدين أبي البركات نعمان بن العلاّمة المفسر الكبير ، شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي الحسيني -- رحمة الله عليهم - المؤرّخ النحوي الناظم .

ولد في ٦/ شعبان من عام (١٢٧٧هـ) ، في حجر أبيه ، وورث منه حبّ العلم والأدب ، ونشأ كما ينشأ ربيب العز

---

١ - تاريخ جامع الإمام الأعظم ١/ ١١٠ .

٢ - معجم المؤلفين ١٣ / ١٠٣ .

٣ - والأعلام للزركلي ٨/ ٣٥ ، و تاريخ جامع الإمام الأعظم ١/ ١١٠ .

٤ - معجم المؤلفين ١٣/ ١٠٣ .

والمجد ، ثم تلقّى المبادئ التعليمية من أبيه ، وابن عمه الإمام محمود شكري الألوسي، فلازمه حتى أتقن العلوم النقليّة والعقليّة ، وعن غيرهما من أعلام العراق .

وقد فطرمنذ نعومة أظفاره على الأدب، فعكف عليه حتى برز فيه ، وفاق أترابه ، وقال الشعر قبل أن يبلغ الحلم وأجاده ...وكان من الذين يجيدون ا للغة التركيّة والفارسيّة ، حيث تعلّمهما حين سافر مع أبيه إلى الأستانة ، فأتقن التركيّة حتى نظم فيها. وانتظم في سلك طلاّب مدرسة النواب " القضاة "، ونال شهادتها ...ومن ثم تولّى مهمّة التدريس في مدرسة مرجان بعد وفاة أبيه سنة (١٣١٧ هـ) (١).

وقال الأثري : (ولقد كتب لي- بعد أن انضممت في سلك أهل العلم ،أن أُلازم الرجل ، وآخذ عنه زهاء ستة أشهر ، فاستفدت في هذه المدة من علمه الغزير ، وتقريره البديع ، وتشجيعه العجيب ، ما لا أكاد أستفيد من غيره في سنين ...) (٢)

ولما وُضع الدستور ، والتأم المجلس النيابي في الأستانة ، انتخبه الشعب العراقي نائبا عنه ، فكان له قدم صدق في المطالبة بحقوق البلاد والذود عنها ... وبقي بعد أن انفض المجلس مدّة غير يسيرة في الأستانة ، ثم آب إلى مسقط رأسه ... وبعد عودته إلى بغداد ، عاد إلى سيرته الأولى ، يهذّب ويدرّس ويعمل على نشر العلم بين أفراد الأمة وطبقاتها ، بصدق وإخلاص حتى احتلال الإنجليز بغداد سنة (١٣٣٥هـ)، فدعي إلى القضاء ، فزهدفيه ، فأصروا عليه إلا القبول ، فلما لم يجد بد منهم ، تقلّده على كره منه ، وقام به حق القيام ، فكان عون الضعيف ،وملجأ الصريخ ، ونصير الحق ...وكان أقوى الناس عنده الضعيف ،حتى يأخذ الحق له ،وأضعفهم عنده القوي ،حتى يأخذ الحق منه...(٣) .

وقضى في فلسطين وبعلبك من بلاد الشام ،ثم في بلاد العراق في العمارة والديونيّة وبغداد، فكان مما قاله في القضاء -لما أصرّت عليه الحكومة :

إنّ القضاء هوبلاء فلا تكن * معترضا فتصاب من سوء القضا
واذا ابتليت به على كره فخذ * نهج العدالة انّها سبب الرضا

١ - الدر المنتثر له ، ص ٤٩ ، معجم المؤلفين ٧/٢٥٤ ، أعلام العراق للأثري ص ٧١-٧٢ .

٢ - أعلام العراق للأثري ص ٧٣- ٧٤ .

٣ - المصدر السابق ص ٧٦ .

والله عون الحق ينصر أهله * وبذل من هضم الحقوق واعـرضا

وظلّ في هذا المنصب ، يجلله الوقار ، ويكتنفه الجلال ، وقد صلحت به العباد ، وانحسم الفساد ، إلى أن أصابه الفالج(١) ليلة عيد الفطر سنة (١٣٣٨هـ) ، فعـزم علـى الانفصـال منه . ليستريح من أعبائه ، فلم يسمح له ، وأصر عليه بالبقاء ، لصلاح الأحوال بـه . ثـم لمّا اشتدّت عليه وطأة الفالج ، وعسرت عليه مباشرة الأمور سمـح لـه بإقامـة وكيـل عنـه ، على أن لا يبيت الوكيل في أمر . حتى يشاوره . يأخذ منه القول الفصل ، ولم يزل الـد به حتى احترمته المنيّة ، ليلة السبت ، الثامن من جمادى الأولى سنة (١٣٤٠هـ) .

ومن آثاره القيمة : "*الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر* " و "*نظم الأجرومية*" و " *نظم سور القرآن الكريم*" (٢) ، وغيرها من المصنفات المفيدة .

تلميذه السادس : الشيخ الزنجاني :

هو أبو عبد الله بن نصر الله الزنجاني ، ولـد في مدينـة زنجـان سـنة (١٣٠٩هـ)- ١٨٩١م) تعلم مبادئ القراءة والكتابة ، باللغـة الفارسـية ، في زنجـان ، ثـم درس العلـوم العربية وآدابها ، ومبادئ الفقه الإسلامي وأصوله على كثير من شيوخ العـصـر ، وبعـد ذلك تلقّى الفلسفة وعلم الفلك وعلم الكلام ...عـلـى أعـلام هـذه الفنـون ، في مسـقط رأسه ...ثم رحل إلى طهران - عاصمة البلاد الفارسيّة - فـدرس فيهـا العلـم برهـة مـن الزمن ...وفي أواخر سنة (١٣٣٠هـ) رحل إلى النجـف ... ليـدرس في مدرسـتها الدينية الكبرى ، علم الفقه ، وأصوله ...على علمائها ، وتردد على حلقاتهم العلميـة ...ومكـث في النجف إلى سنة (١٣٣٨هـ) . ثم قفل قـاصد مسـقط رأسـه زنجـان ، بعـد أن أفصح العلماء الكبار في تلك المدرسة . ببلوغـه مرتبـة رفيعـة مـن الاجتهـاد في الفقـه ، ...كمـا تشهد عليه إجازاتهم .

---

١ - هو داء يرخّي بعض البدن . لسان ٢ / ٣٤٦ مادة " فلج " .

٢ - انظر : أعلام العراق ص ٧١- ٨١ ، و الدر المنتثر للمترجم له ص ٤٩- ٥٢ ،ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٥٤ ، وتاريخ الأدب العربي في العراق ٢/ ١١٤- ١١٦ .

ويروي بالإجازة على طريقة الفقهاء ومحدّثي الإسلام عن كثير من الأئمة ...كالعلاّمة الإمام - محمود شكري الأ لوسي - صاحب بلوغ الأرب ...)(١) .

قال في رسالة التعزية بعث بها إلى محمد بهجت الأ ثري ، لتعزيته بوفاة شيخ الجميع ، العلاّمة الألوسي ، أكّد فيها إجازة العلاّمة له بالرواية قال : (... وأظنّكم تعلمون أن هذا العالم ، كان شيخ إجازتي في الرواية ، حسب عادة المحدّثين ، كما تشهد صورة إجازته التي قدّمتها إلى فضيلتكم ،كما أنه - رحمه ا لله -كان يرشدني في رسائله العلمية ، (٢) .

كما أجاز له غيره من علماء العرا ق ودمشق ... وانتخب عضوا مراسلا ، بالمجمع العلمي العربي بدمشق . توفي في طهران - عاصمة ايران - سنة (١٣٦٠) .

ومن آثاره : "*كتاب أصول القرآن الإجتماعية*" و "*كتاب دين الفطرة*" بالفارسية ، وكتاب "*سر انتشار الإسلام*" بالفارسية ...) (٣) .

تلميذه السابع : رشيد الهاشمي :

هو محمد رشيد بن يحي الهاشمي ، شاعر ، ولد في محلة صندل الكرخ سنة (١٣١٤هـ) ، تعلّم القراءة والكتابة في الكتاتيب ، وحفظ جملة من القرآن ، ثم تتلمذ لأخيه الأكبر : عبد المجيد ، فأخذ عنه ا للغة والنحو وغيرهما ... ، كما أخذ عن أبيه بعض المبادئ من علوم الفقه وا للغة ، ثم تتلمذ لمحمود شكري الألوسي .

وفي سنة (١٩١٦م) قصد الحجاز ، ووافق وصوله إليه ، نشوب الثورة العربية في سنة (١٣٣٥هـ) ،التي أشعلها الملك حسين بن علي ، فانضم اليها ، وراح يثير بأشعاره الحماسة والنفوس ، ثم اتجه إلى القاهرة ، وكان ذ لك في بداية عام (١٩١٨ م) ثم غادرها إلى دمشق عند تأسيس الكحم العربي فيها ، فوظف في المجمع العلمي العربي بدمشق ... ثم رحل إلى بغداد ، وشارك في ميدان الصحافة ، فرأس تحرير جريدة "

---

١ - انظر: المستدرك على معجم المؤلفين ص ٨٧٤ ، ومعجم المؤلفين ٦/ ١٥٩ ، ومقدمة اتحاف الأمجاد ص١٧-١٨ ، ومجلة لغة العرب ٥٧٥/٦ .

٢ - مجلّة لغة العرب ٦/ ٥٧٦ .

٣ - المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ومعجم المؤلفين ١٥٩/٦ .

الرافدان " وتحرير جريدة " دجلة " . ثم التحق بمدرسة الحقوق العراقية في سنة (١٩٢٢م) وقبيل تخرّجه بأيام قلائل ، أصيب بصدمة نفسيّة جدا ، أفقدته عقله ، فأدخل مستشفى المجانين . وتوفي في أوائل سنة (١٣٦٢هـ) (١٩٤٣ م) . ومن آثاره : " *ديوان شعر* " (١) .

تلميذه الثامن : **عباس الغزاوي** (مؤرّخ العراق) :

هو عباس بن محمد بن ثامر بن محمد جاد البايزيد الغزاوي (٢) ، مؤرّخ . ولد في مضاربها سنة(١٣٠٧هـ) . ونشأ ببغداد، وحضردروس الإمام محمود شكري الألوسي ، وتخرج محاميا بمدرسة الحقوق ببغداد ... وانتخب عضوا عاملا بالمجمع العلمي العراقي ، وعضوا مراسلا بالمجمع العلمي العربي بدمشق ، كما اختير عضوا في الجمعيّة المصريّة للدراسات التاريخيّة .

توفي ببغداد سنة (١٣٩١هـ) ٢٤ جمادى الأولى . من آثاره : *تاريخ الأدب العربي في العراق* " و " *تاريخ علم الفلك وعلاقته بالأقطار الإسلامية والعربيّة* " و " *تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم* " و " *عشائر العراق*"(٣)، وغيرها من المصنّفات القيمة والمفيدة .

تلميذه التاسع : **رشيد** (أمين مكتبة الإمام الأعظم) :

هو الشيخ رشيد بن أحمد أفندي بن عبد الغني أغا بن حبيب أغا بن أحمد أغا ، ولد الشيخ في حيّ الفحامة في الأعظمية ، سنة (١٣١٠) ، ولما بلغ السابعة من عمره نقل الى بغداد... . تعلّم القرآن الكريم ، ثم دخل المدرسة الرشديّة العسكرية ، حتى وصل الصف الثالث ،بعدها دخل المدرسة الإعداديّة ، ثم درس علوم الشريعة على بعض علماء بغداد ، منهم ... العلاّمة محمود شكري الألوسي ، ... ثم دخل دار المعلمين حتى وصل فيها الى الصف الثالث تركها ، ثم اشتغل بالزراعة ... وفي سنة (١٩٣٥ م) تعيّن

---

١ - مقدمة المسك الأذفر تحقيق الجبوري ص ١٤ . و المستدرك على معجم المؤلفين ص ٦٣٩ - ٦٤٠ .

٢ - نسبة إلى قبيلة الغزة ، وهي عشيرة عربية انتشرت في عدة ألوية العراق .

انظر : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة . عمر رضا كحالة ٧٧٨/٢ .

٣ - مقدمة المسك الأذفر للألوسي بتحقيق الجبوري ص ١٤. و المستدرك على معجم المؤلفين ص٣٢١-٣٢٢ .

إماما ، وكالة في جامع الإمام الأعظم ، عن القاصر السيد جاهد المتولّي ، وأمينا للمكتبة سنة (١٩٤٥ م) (١) ، وتوفي - رحمه الله - سنة (١٣٨٧) . (٢)

تلميذه العاشر : **سليمان الدخيل النجدي** :

هو سليمان بن صالح الدخيل ، كاتب ، صحفيّ، مؤرخ ، من أسرة تنتمي إلى قبيلة الدوائر ، ولد في بلدة بريدة بالقصيم (نجد) سنة (١٢٩٤) ، وسكن بغداد ، تتلمذ للسيّد محمود شكري الألوسي ، وطاف في كثير من بلاد العرب والهند ، وكان واسع الإطلاع على أحوال العرب المعاصرين وعاداتهم ووقائعهم ، أنشأ في بغداد جريدة (**الرياض**) , ومجلة (الحياة) ، نشر في جريدة الرياض مقالات كثيرة ، وفي مجلة (لغة العرب) البغدادية عن شئون العرب وبلادهم (٣)، توفي في بغداد سنة (١٣٦٤هـ)(٤) من آثاره : *العقد المتلالي في حساب اللآلي* " و " *تحفة الألباء في تاريخ الإحساء* " (٥) .

تلميذه الحادي عشر : **عبد اللطيف ثنيان** (محرر جريدة " **الرقيب**" :

هو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن اسماعيل من آل الثنيان ، كاتب ، صحفي ، نجديّ الأصل ، من أهل بغداد مولدا ووفاة ، أنشأ جريدة " **الرقيب** " في العهد العثماني ، ولما عطّلت هرب إلى الهند ، ومنها أبحر إلى أستانة ، ثم نفي في الحرب العالمية الأولى من بغداد إلى الموصل ... ثم أعيد إلى بغداد معفوا عنه ، وعيّن بعد الحرب العالمية الأولى ، مديرا للأوقاف ، ثم انتخب نائبا مرتين ... كما تولّى عضويّة المجمع

---

١ - كتاب تاريخ جامع الإمام الأعظم ١ / ٢١٣ -٢١٤ .

٢ - تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر ص ١٩٩ .

٣ - معجم المؤلفين ٤/ ٢٥٦ ، والمستدرك عليه ص٢٨٠ ، وأعلام الزركلي٣/ ١٢٧، ومجلة لغة العرب٤/ ٣٨ .

٤ - الأعلام للزركلي ٣/ ١٢٧ ، ومعجم المؤلفين ٤/٢٦٥ ، وفي مقدمة المسك الأذفر ص١٤ .

٥ - معجم المؤلفين العراقيين ، عوّاد ٢/٥٨- ٥٩ ، و المستدرك على معجم المؤلفين ص ٢٨٠ .

العلمي العربي بدمشق (١)، توفي ببغداد سنة (١٣٦٣هـ) . من آثاره : "معجم *للألفاظ العاميّة العراقية*" .(٢).

تلميذه الثاني عشر : الأديب الكويتي :

هوالشيخ عبد العزيز الرشيد بن أحمد بن رشيد البدح الكويتي، أديب، مؤرّخ، صحفيّ. أصله من قرية صلبوخ بالرياض في نجد. السعوديّة، ولد بالكويت .

أنشأ "مجلّة الكويت"، ثم جريدة "التوحيد"، من مؤلّفاته : "*تاريخ الكويت*" و "*الدلائل البينات في حكم تعلّم اللغات*" ... توفي بجاوه، سنة (١٣٥٧هـ)(٣).

تلميذه الثالث عشر :

هو السيّد محمد درويش الألوسي بن أحمد شاكر (٤) بن نعمان الألوسي. واعظ. ولد ببغداد سنة (١٢٩٣هـ) . من مؤلفاته : "*الفوائد*" و "*المنحة في الوعظ والإرشاد*"، و كان رئيسا لكتّاب لمحكمة الشرعية ببغداد. توفي سنة (١٣٥٧هـ) .(٥)

تلميذه الرابع عشر : منير القاضي :

هو الأستاذ منير بن العلاّمة خضر أفندي، الشهير بن يوسف القاضي البغدادي. يتصل نسبه بالحسين - رضي الله تعالى عنه -، من رجال النهضة العلميّة الحديثة في العراق. ولد ببغداد سنة (١٣٠٩هـ). وقرأ على علماء عصره وتخرج بكليّة الحقوق سنة (١٩٢٥م) وأدار بعض المدارس الابتدائية، ودرّس في دار المعلمين، والكليّة العسكريّة، وأصبح عميدا لكلّية الحقوق سنة (١٩٤٠م) وعمل في السلك القضائي. واختاره فيصل بن الحسين مدرسا لولي عهده غازي بن فيصل. وعيّن وزيرا للمعارف سنة

---

١ - معجم المؤلفين ٦/٩، والمستدرك عليه ٤٠٩، ومقدمة اتحاف الأمجاد ص ١٦- ١٧.

٢ - معجم المؤلفين ٦/٩ .

٣ - انظر ترجمته : المرجع السابق ٥/ ٢٤١، ومجلة لغة العرب ٤ / ٨٩- ٩٠، ومقدمة المسك الأذفر ص ١٤ .

٤ - وفي أعلام الزركلي : (عبد العزيز) بدل من (أحمد شاكر) ٦/ ١٢١ .

٥ - معجم المؤلفين ٩ / ٢٩٩ ، وأعلام الزركلي ٦/١٢١ .

(١٩٥٦م) ، واختير عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، ورئيسا للمجمع العلمي العراقي عدّة مرا ت .

توفي ببغدادسنة (١٣٧٩هـ) ، وله مؤلفات تنيف على العشرين ، منها : "*أدب القصّة في القرآن الكريم* " و "*الوصايا والفرائض* " و "*المثل في القرآن الكريم* (١) .

تلميذه الخامس عشر : الأب أنستاس الكرملي :

هو بطرس بن جبريل يوسف عوّاد ، عالم بالأدب ومفردات العربيّة وفلسفتها وتاريخها ، أصله من " بحرصاف " ...بلبنان ، انتقل أبوه إلى بغداد .

ولد الأب انستاس في بغداد، من أب لبناني وأم بغداديّة في سنة (١٢٦٣هـ)... (٢) ، فلما بلغ الثامنة من عمره ، دخل مدرسة الآباء الكرمليين ، ، وفيها وفي مدرسة الإتفاق تعلّم التعليم الإبتدائيّ ، حتى إذا رآه مدير مدرسة الكرمليين ، ولعا باللغة العربيّة ، شاديا في آدابها ، اختاره لتدريسها ، وهو ابن ست عشرة سنة فقط ... وبعد برهة من الزمن ... قصد مدرسة الأكليركيَّة للأباء في بيروت ، حيث تفرغ لتدريس العربية ، كما تلقّى فيها اللاّتينيّة واليونانيّة ، ومن ثم رحل إلى "سفرمون " في " بلجيكه " فترهب هناك ، وبذلك بدأ حياته الرهبانيّة (٣) وانتقل بعدها إلى " لاغتو " قرب " نيس " في "فرنسا " ، وتعلم الفلسفة وأنجز الدراسة اللاّ هوتية ...في" مونيليه " ، وسيم كاهنا باسم " الأب أنستاس ماوي الأليـاوي"(٤) ...وقيل ....تسمـّى بذلك (٥) . ثم

---

١ - انظر ترجمته : المستدرك على معجم المؤلفين ص ٨٠١- ٨٠٢ ، المسك الأ ذ فر ص ١٤ . تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر ص ٦٧٩ .

٢ - المعاصرون ، محمد كرد علي ص ١٣٩ ، ومعجم المؤلّفين ٣/ ١٧ ، وأعلام الزركلي ٢ ص٢٥ .

٣ - التي ابتدعوها وأحدثوها ، لم تكتب عليهم ، قال تعالى : ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وءاتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الاّ ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ﴾ الآية ٢٧ من سورة الحديد

٤ - أ علام الزركلي ٢/ ٢٥ .

٥ المعاصرون ص ١٣٩ .

عاد إلى بغداد في سنة (١٨٩٤م) ، فأدار مدرسة الآباء الكرمليين ، وعلّم فيها العربيّة والفرنسيّة (١).

وقال محمد كرد علي (٢) في كتابه " المعاصرون " : (تخرج بالآداب العربية بعلامة العراق السيد محمود شكري الألوسي ، وما زال يعامله الى آخر حياته ، معاملة التميذ أستاذه ...) .(٣).

نشر كثيرا من المقالات والأبحاث اللغوية والعلميّة في الجرائد والمجلاّت العربية والفرنسية ، وليست هناك مجلّة عربية راقية ، إلا وحملت بين دفتيها بحثا للأب أنستاس ، إلاّ أنه لا يوقع مقالته باسمه الصحيح ... (٤) . وفي سنة (١٩١١م) أنشأ مجلّته" **لغة العرب** " التي أصبحت صلة بين علماء الشرق والغرب ، دامت ثلاث سنوات قبل الحرب العالمية الأولى ، وست سنوات بعدها .

ثم نفاه العثمانيون في خلال الحرب إلى الأناضول ...فبقي في" قيصري" سنة وعشرة أشهر ،ثم أعيد إلى بغداد ، وانتخبته حكومة العراق في عهد الاحتلال البريطاني عضوا لمجلس المعارف ، وتولّى تحرير مجلة " **دار السلام** " ، وعضوية مجمع المشرقيات الألماني ، والمجمع العلمي العربي بدمشق ، والمجمع العلمي بمصر ... صنّف كتبا كثيرا ، منها: " *المعجم المساعد* " و " *شعراء بغداد وكتّابها* " و " *نشوء اللغة العربية ونموّها واكتمالها* " وغيرها . وظلّ محتفظا بثوبه الرهباني - تعصبا لآبائه - إلى أن مات ببغداد في ٧/ كانون الثاني سنة (١٩٤٧م) .(٥).

تلميذه السادس عشر : محمد بن مانع النجدي :

هو الشيخ محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مانع الوهيبي التميمي ، فقيه غزير المعرفة بالأدب وتاريخ نجد الحديث .

---

١ - انظر المصدرين السابقين .

٢ - تأتي ترجمته إن شاء الله ص ٦٩ .

٣ - المعاصرون ص ١٣٩ .

٤ - لعل سبب ذلك تستره وراء ثوبه الرهباني .

٥ - انظر : المصدر السابق ص ١٣٩ - ١٤٢ ،وأعلام الزركلي ٢/ ٢٥، ومعجم المؤلفين ٢/١٧ . ومجلّة لغة العرب ٤/ ٣٨٧ - ٣٩٠ . و ج٧/ ١١٢ .

ولد ونشأ في (عنيزة) بنجد سنة (١٣٠٠هـ) ، ورحل في طلب العلم إلى" بريدة " والبصرة و بغداد ومصر ودمشق ، ولازم الألوسي كثيرا ، ثم رجع إلى بلده "عنيزة" . ودُعِي للتدريس في البحرين فأجاب ، واستدعاه أمير قطر ، فولاّه الإفتاء والوعظ والقضاء ...ثم أقام (بعد عودته إليها مرة ثانية) في قطر إلى أن مرض وسافر إلى بيروت ، مستشفيا ، فتوفي بها سنة (١٣٨٥هـ) رحمه الله تعالى .

من آثاره :" *مختصر عنوان المجد في تاريخ نجد* " و *سبل الهدى في شرح شواهد قطر الندى* " و " *الكواكب الدرّية على الدرّة المضيئة للسفّاريني* " (١)، وغيرها من المصنّفات القيّمة.

تلامذة العلاّمة الألوسي من مستشرقي أوروبا :

المستشرق الأول : الفرنسي لويس :(٢)

لويس ما سينيون ، من كبار مستشرقي فرنسا . ولد في سنة (١٢٩٩هـ) (١٨٨٣-١٩٦٢م) " في نوجان على نهر المارن " إحدى ضواحي باريس ، لأب فنّان ، اعتنى به كثيرا ، فتعلّم العربية والفارسيّة والتركية والألمانية والإنكليزية ، فلما نال من المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحيّة ، دبلوم اللغة العربية ... التحق بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة ، فعني بالآثار الإسلامية ، ثم قصد بغداد حيث صادق العلاّمة الإمام

١ -انظر ترجمته : أعلام الزركلي٦/ ٢٠٩ ، ومقدّمة المسك الأذفر ص١٤، ومشاهير علماء نجد ص ٤١١-٤١٧.

٢ - وهو التلميذ السابع عشر من تلامذة الألوسي في البحث .

الأ لوسي (١)... ولازمه ملازمة الظلّ ...أخذ عنه كثيرا من العلوم ، وخاصة فيما يخص أخبار وأحوال الحلاج (٢) الصوفي (٣) قال في محاضرة ألقاها في مدرسة الحقوق العربية بدمشق بعنوان : " ملتقى الأدبين " . قال :(أتذكر الآن من ساعدوني من إخوانكم المسلمين – ولن أنسى أبدا – الشيخ محمود شكري الأ لوسي ، وابن عمّه الحاج علي (علاء الدين) ، فهما ساعداني مساعدات أخلاقيّة مهمّة ، وأفهماني أهميّة ملتقى الأدبين الشرقي والغربي ...)(٤) .

وبعد عودته إلى القاهرة – من العر ق – استمع إلى دروس الأزهر ...ثم قام برحلة جال خلالها معظم أمصار العالم الإسلامي . ثم قفل راجعا إلى مسقط رأسه –

---

١ – المستشرقون ١/٢٨٧ ، المستدرك على معجم المؤلفين ص ٥٦٩ ، موسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي ص ٣٦٣ .

٢ – هو الحسين بن منصور بن مُحمي . أبو عبد الله ، وقيل أبو مغيث الفارسي البيضاوي الصوفي نشأ بتستر – (هي مدينة عظيمة في خوزستان) – وقيل : بواسط . كان جدّه " مُحميّ " مجوسيا ، قدم بغداد فخالط الصوفية . قال الذهبي : (تبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء ...لسوء سيرته ومروقه ، ومنهم من نسبه الى الحلول ، ومنهم من نسبه إلى الزندقة . وإلى الشعبذة والزوكرة ...) . سير أعلام النبلاء ١٤/٣١٣ .

وحكي عنه : أنه رؤي واقفا في الموقف والناس في الدعاء ، وهو يقول : أنزّهك عمّا قرفك به عبادك وأبرأ إليك مما وحّدك به الموحدّون .

قال الذهبي أيضا ، معلقا على هذ القول : (هذا عين الزندقة . فإنه تبرّأ مما وحّد الله به الموحدون الذين هم الصحابة والتابعون وسائر الأمة . فهل وحّدوه تعالى الاّ بكلمة الإخلاص ...) السير ١٤/٣١٤ .

وقال الحلاج : الكفروالإيمان يفترقان من حيث الإسم . فأما من حيث الحقيقة ، فلا فرق بينهما . وقال أيضا : من فرّق بين الإيمان والكفر ، فقد كفر ، ومن لم يفرق بين المؤمن والكافر فقد كفر وقال : ما وحّد الله غير الله) . سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٥٢– ٣٥٣ .

تم إعدامه ببغداد ، حيث جلد ألف جلدة . ثم قطعت يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ، ثم حزّ رأسه ، وأحرقت جثّته ، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر ، ثم حمل الى خرسان ، وطيف به في النواحي . وقد نفذ الإعدام في صبيحة يوم الثلاثاء ، لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة ...) .

انظر :تاريخ بغداد ٨/ ١٤٠– ١٢١ . وسير الأعلام ١٤ /٣٥١ .

٣ – انظر إتحاف الأمجاد للألوسي ص١٧ ، والمستشرقون لنجيب العقيقي ١/ ٢٨٨ .

٤ – أعلام العرا ق للأثري ص٩٤ .

باريس – فعيّن معيدا في كرسي الاجتماعي الإسلامي في معهد فرنسا ، وأستاذ كرسي ، ومديرا للدراسات في المدرسة العلمية العليا ، وتولّى تحرير " **مجلّة العالم الإسلامي** " و **مجلّة الدراسات الإسلامية** " التي حلّت محلّها ، و " **تقويم العالم الإسلامي** " تابع لها ....ثم وقّف ذكاء ه وعلمه ونشاطه ، في التنقيب والتعليم والتصنيف على الإسلام ، آثاراً ونظماً اجتماعية ، وفرقاً ، ولا سيّما تصوفا ، ذ لك التصوف الذي جعل منه بعد الإلحاد ، متصوفا ملحدا – لأنه على منهج الحلاّج القائل بوحدة الوجود (١) ، يدرك معاني جميع الأديان ، استيعاب واستنباط ، ويدعو أصحابها إلى الوئام (أي وحدة ا لأديان) اذ معظم الدراسات المتعلقة بالتصوف في دائرة المعارف الإسلامية ، بقلمه ، حتى عدّ مرجعه في العرب .

وقد انتخب عضوا في مجامع عدّة ،منها: " الجمعية الآسيوية " ، و" المجمع ا للغوي" بمصر و "المجمع العلمي العربي بدمشق " . ولويس – كما يظهر وا لله تعالى أعلم – أنّه كان معجبا وشغوفا بشخصيّة الحلاّج الصوفي ومنهجه ، حيث حصل على الدكتوراه برسالة عن : آلام الحلاّج ، في السوربون بفرنسا .(٢)

قال العلاّمة الأثري : (كنت يوما في مجلس من مجالس الأ ستاذ ، جرى فيه ذكر الحلاج ، فذكرت قول الأمير صديق خان ، فقال : هل لك أن تأتيني به لأبعث به إلى لويس ماسينيون ، عاشق الحلاّج (٣) .

وآثار لويس ، تربو على (٦٥٠) بين مصنف ومحقق ومترجم ، وبين مقال ومحاضرة وتقرير، ونقد ، ومقدمة وسيرة (٤) ... (إلاّ أنّ جلّها في التصوّف والدعوة إليها) . مات سنة (١٣٨٢هـ) .(٥).

---

١ – تقدم في ص ٤٦ .

٢ – انظر : المشتشرقون ١ / ٢٨٨ .

٣ – أعلام العرا ق ص ٢٠٠ وهامش (٢) .

٤ – جاء ذكر هذه المصنفات في كتاب المستشرقون ٢٨٩/١ – ٢٩١ .

٥ – انظر المصادر السابقة .

المستشرق الثاني (١) من تلاميذ الألوسي :

المستشرق الإنجليزي : مرجيليوث : من كبار مستشرقي الإنجليزي ، ولد في لندن سنة (١٨٥٨م) ، وتخرج باللغات الشرقية من جامعة أكسفورد ، وأتقن اللغة العربية ، وكتب فيها بطلاقة وسلامة . ثم عيّن أستاذا لها في الجامعة نفسها – التي تخرج فيها – حتى عدّ من أشهر أساتذتها بين أئمة المستشرقين ... ثم ترأس تحرير " مجلة الجمعية الملكية الآسيوية " ونشر بحوثا ... كما انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، ثم في المجمع اللغوي البريطاني ، والجمعية الشرقية الألمانية ، وغيرها .(٢).

قال عدنان عبد الرحمن في مقدّمة تحقيقه لإتحاف الأمجاد : (وممن قصد العلاّمة الإمام الألوسي ، ونهل من علمه . المستشرق الإنجليزي – مرجيليوث – بعد أن ظفر كتابه " *بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب* " بجائزة لجنة اللغات الشرقية المنعقدة في " استوكهولم " بدعوة من ملك النرويج) (٣) .

وقد خلّف هذا المستشرق آثارا كثيرة ، بين مصنف ومحقق ومترجم وبحث... فمنها : " *الاعتبارات التاريخية في الخلافة* " و " *الخلافة* " و " *كتاب في الثقافة الإسلاميّة* " ... مات في لندن مسقط رأسه ، سنة (١٩٤٠ م) (٤) .

---

١ – وهو الثامن عشر من تلاميذ الشيخ الألوسي المذكورين في البحث .

٢ – المستشرقون لنجيب العقيقي ٢ / ٥١٨

٣ – مقدمة اتحاف الأمجاد ص ١٨ .

٤ – انظر : المستشرقون لنجيب العقيقي ٢ / ٥٢٠ .

المبحث الرابع :

مكانته العلميّة وثناء العلماء عليه :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مكانته العلميّة .

المطلب الثاني : ثناء العلماء عليه .

المطلب الأول : مكانته العلميّة :

لإظهار هذه المنزلة وإثباتها ومعرفتها ، اتبع تلميذه محمد بهجت الأثري ، طريقة استقرائية ميدانيّة ، فاستقرأ إنتاجه العلمي في كل ميدين المعرفة ، ودرس طبيعة عصره وأحوال ناسه ورجاله ، ثم افترض خلو عصره ببغداد منه ، وعدم ظهوره فيه ، فتوصل إلى أنّ هناك نقصا ما ، كان سيقع لولا أنّ الله تعالى أوجده .(١)

ويقول في موضع آخر : (ولقد نظرت إلى رجال العصر ، فرأيت الكاتب منهم بارعا في صناعته مقصرا في غيرها ، والمؤرّخ ضالعا في علمه ، عاجزا عن الخوض في سائر العلوم ، وا للغوي طويل الباع في اللغة ، قصيره فيما سواها ، وهكذا كل بصير فيما انصرف إليه ، ولم أر من بينهم نابغة مبرزا في جملة من العلوم ، محققا بها وضاربا منها بسهم وافر ، سوى السيد الألوسي ، فهو في العلوم الإسلامية ، الإمام الذي ألقيت إليه المقاليد ، والمقدام الذي لا يتقدمه أحد ، وفي العلوم اللسانية ، الضليع الذي لا يشاءى(٢) والفارس الذي لا يساجل (٣)، وفي التاريخ والسير والأنساب ، العالم الذي يحق له أن يتمثل بقول القائل :

ما مرّ في هذه الدنيا بنو زمن * إلاّ وعندي من أخبارهم طرف

لست في دعواي هذه بحيث أعدّ مغاليا ومفرطا ، لأنّي أكتب عن أستاذي ، أكبره وأجلّه ، وربما يربو الإكبار والإجلال على الإنصاف ، فلا يجري القلم على صراطه مستقيما ، كلاّ ، بل إنّي لأخشى أن أكون قد قصّرت ، وهذا شعور عام ، يحس به كل من عرف السيد ، ودرسه من نفسه) (٤) .

---

١ - انظر : محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية للأثري ص ١٠٥ -١٠٦ .

٢ - من : الشأو : وهو السبق ، وشاءاه : سابقه أو سبقه . القاموس المحيط ٣ /٣٤٨ .

٣ - من : (السجل) وساجل الرجل باراه وفاخره ، وهما يتساجلان : يتباريان ، والمساجلة : المفاخرة ، بأن يصنع مثل صنيعه . انظر للسان ١١/٣٢٥ - ٣٢٦ ، مادة " سجل " ، والقاموس المحيط ٣ / ٤٠٤ .

٤ - أعلام العراق ص ١٢٥ .

ومن المظاهر المستعلنة على علو منزلته في العلم ، ونبوغه وتفوقه على أقرانه ، تلكم الجائزة العالمية التى حاز عليها في ميدان التأليف ، هذه الجائزة كان قد تبرع بها " اسكار الثاني ملك السويد والنرويج " لمن ألف أحسن كتاب في تاريخ العرب قبل الإسلام .

ومما جاء في رسالته الموجّهة إلى أهل العلم والمعرفة في كل مكان ، والتي صدرت عن قصره "با ستكهلم " في شهر يناير من سنة (١٣٠٢هـ) (١٨٨٦ م) تحت عنوان : (جوائز الملوك ملوك الجوائز) : (وقد رأى - أي ملك السود والنرويج - ورأيه الموفق أن يعد جائزة لمن يؤلف كتابا في تاريخ العرب قبل الإسلام، حيث إنّ حالتهم الجاهلية اذ ذاك ، لا تعلم اليوم تمام العلم . والشرط في هذا الكتاب ، أن يكون مشتملا على عوائدهم في المأكل والمشرب والزواج ، وكيفية مجتمعاتهم ومفاخرهم ، وحروبهم وأعيادهم ومعتقداتهم ومتعبّداتهم ، وسائر أعمالهم في تلكم الأيام التي جبّها الإسلام ، وأن يظهر الفرق بين حالتي المتحضرين منهم والمتبدين ، وكيف كانت حالة مكة اذ ذاك ، وبأي وسيلة أمكن لهم في زمن قصير أن يتقدّموا هذا التقدّم السريع ،ويتغلّبوا على عدّة ممالك واسعة ، وأقطار شاسعة ، يبلغ سكانها أضعاف أضعافهم مرارا عديدا ، حالة كون بلادهم حارة مقحطة ، فقراء خالية من بواعث المدنية ، وهل بقي من آثارهم شيئ بين من يسكنون البوادي اليوم ويدعون بالعرب ؟ مع إقامة الأدلة الكافية ، والإتيان بالمستندات القوية ، لإثبات كل أمر منها تفصيلا . وقد عيّن للنظر في ذلك لجنة من أعاظم المشرقيّات (١) في أوربا . ولّما اطلع الألوسي على الدعوة - وعمره اذ ذاك ثلاثون سنة - أعجبه المطلب المقترح غاية الإعجاب . لكنه تردد في بادئ الأمر في التصدي لتأليف الكتاب ، خوفا من أن يظن به الطمع بالجائزة ، إلاّ أنّ خلصانه ، أقنعوه بوضع كتاب في الموضوع ، فاستجاب لرغبتهم ، وعكف على تأليف كتابه "*بلوغ الأرب في أحوال العرب* " . وانتهى منه خلال مدّة محدودة ، مع مراعاة الشروط المطلوبة ، وزيادات لم تكن في الحسبان (٢). ولما عرضت الكتب المؤلفة في الموضوع على اللجنة المختارة للنظر فيها ، والحكم على أحسنها ، اتفقت كلمة أعضاء اللجنة على

١ - محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص ٦٤- ٦٥ .

٢ - المصدر السابق ص ٦٧ .

تفضيل كتاب أبي المعالي الألوسي . فكتبوا إليه في ذلك رسالة ، يبشّرونه فيها بفوزه بالجائزة ، وبقرار طبع كتابه . وتقول الرسالة في أوّلها : (حضرة العالم الفاضل السيد محمود شكري أفندي ، أعزّه الله ، أيّد الله الأستاذ ، وشرح بالمعارف صدره ، ورفع بالكمالات قدره ، ولا زالت تحييه المعنى . وتخدمه بأبيضها وأسودها الأيّام والليالي ، نكتب إليه وفضله لدينا أظهر من الظهور ، وأشهر من كل مشهور ، معتقدين أنّه يسرّ بما نتلوه عليه، إذا ألقى بمقاليد سمعه إليه. وذلك أنّ كتابه " *بلوغ الأرب* " جليلة في بابه ، وقد استحق التقديم على أضرابه . فإنّ جميع الكتب التي وصلتنا في هذا الصدد- مع ما بلغت اليه من كثرة العدد ، واختلاف مصادرها شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، من أوربا ومصر والشام والعراق وغيرها من الآفاق -- لم يحصل سواك من أربابها أحد على تلك الجائزة . التي سبق بها الوعد ، لأنّ الموضوع واديه عميق ، بعيد الطريق ، غير أن كتاب الأستاذ مع ذلك أجمع الكل . مادة . وأوسعها جادة ، فلذلك أنعم عليه صاحب الجلالة مولانا ملك السويد والنرويج بـ "نيشان" من الذهب أخضر العلاقة ، لا أخضر الجلدة من بيت العرب ، وهذا النيشان لا يناله الآ عالم فاضل ، وقد خصص به الأستاذ دون سواه ، على كثرة الأمل .فليجعل صدره له حلية ، وليفخر به على نظرائه ، فإنّما يحسن الفخر على العلية... فلينشط لمثله همّته ، وليجرد على أعناق الخمول عزمته) .(١)

---

١ - المصدر السابق ص ٧١- ٧٢ .

المطلب الثاني : ثناء العلماء المعاصرين عليه ، ومدحهم إيّاه :

أ ثنى العلماء المعاصرون على الإمام العلاّمة الأ لوسي – عليه الرحمة – ، وبيّنـوا مـآ ثـره وفضله ومكانته ومنزلته بينهم . ومن الذين أ ثنوا عليه من ا لعلماء المعاصرين :

الأول : تلميذه الأ ثري :

وقد تقدم بعض كلامه فيه . ومما قاله فيه أيضا : (وصفوة القول ، أنّه كـان مـن أعـاظم رجال النهضة العلميّة في العالمين الإسلامي والعربي ، لا ينازع في ذ لك منـازع ، وآثـاره أعظم شاهد على ما نقول :

تلك آثاره تدل عليه * فانظروا بعده إلى الآثار) (١) .

الثاني : الشيخ كامل الرافعي :

نشر في مجلّة " المـنـار " مقالة طويلة عنه – بعد زيارة استطلاعية للعراق – جاء فيها : (... ولقد اجتمعت بكثير من علماء بغداد وعقلائها وأشرافها ،ولم أر فيهم أجمع لفنون ا لفضل ، وصفات الكمال ، كشكري أفندي الأ لوسي ، وابن عمّه الحاج علـي أفنـدي . فلقد رأيت من سعة إطلاعهمـا ، وقـوة دينهمـا، وسـلامة عقيدتهمـا السـلفية ، واسـتنارة عقولهما ، ووقوفهما على حكمة الدين وأسراره ، وإطلاعهما على أمراض الأمة الإسلامية ، وإلتهابهما غيرة وحميّة على الدين ، ومجاهدة في سبيله فريقا مـن الجـامدين ،مـن المقلـدة وعباد القبور ، ما بهرني وعشقني فيهمـا . ولقـد أوذوا في هـذا السـبيل وامتحنـوا ، فمـا ضعفـوا ومـا اسـتكانوا ...وأعداؤهمـا مـن عبـدة القبــور والأوهــام ، وأنصــار التقليـد والخرافات، ينبزونهما باسم الوهابية،لينفّروا منهما، ويحرّضوا الحكومة على اضطهادهمـا ، غير أنّ حزبهما من ذوي العقول النيّرة ، وطلاب الإصلاح أخذ ينمو عدده، ويكثر عضده ، وكلّهم أو جلّهم من الأعيان ، وذوي المكانة ، ورفعة الشأن . ولم أر أحـدا يقـدر علـى مؤلفات ابن تيميــة وابن القيم – رحمة ا لله عليهمــا – قــدر مثلهما،ولهما تعشق غريب

---

١ – أعلام ا لعرا ق ص ١٥٣ .

فيها ، وسعي في طبع الكثير منها ، وهمّتهما مصروفة وراء تتبعهما والسعي في طبعها .لا طمع لهما في ذلك سوى خدمة العلم والدين ، فلله درّهما، وعلى الله أجرهما ... ولشكري أفندي قوّة في التأليف عجيبة ، وقد ألّف في رمضان – ردّا على الشيخ يوسف النبهاني (١)- في سبعين كراسا ، بياضا من غير تسويد ...وهو كتاب نفيس يقضي على هذا المعاند المكابر ، قضاء لا يسمع له صوت من بعده ...) (٢) .

الثالث : هو صديقه الوافي الشيخ أحمد بن عبد الحميد بك الشاوي الحميري (٣) مفتي البصرة . مدحه بقصيدة طويلة مطلعها :

معاتبني- لو أعتب الدهر- للدهر * بما قد جرى لا تنقضي آخر العمر

ومما قاله :

---

١ – هو يوسف بن اسماعيل بن يوسف النبهاني ، شاعر ، أديب ، من رجال القضاء ، نسبته إلى(بني نبهان) من عرب البادية بفلسطين ، استوطنوا قرية " إجزم " التابعة لحيفا في شمال فلسطين . وبها ولد سنة (١٢٦٥هـ) (١٨٤٩ م) ونشأ بها وتعلم بالأزهر بمصر ...ثم ذهب إلى الإستانة ، فعمل في تحرير جريدة " الجوائب " ، ورجع إلى بلاد الشام ، فتنقل في أعمال القضاء ، إلى أن صار رئيسا لمحكمة الحقوق ببيروت . ولما نشبت الحرب العالمية الأولى ، عاد إلى قريته مسقط رأسه ، حيث توفي بها في ٢٩ من رمضان سنة (١٣٥٠هـ (١٩٣٢م) ، وله مصنفات كثيرة ، إلاّ أنّ صاحب " معجم الشيوخ " يقول : (خلط فيها الصالح بالطالح ، وحمل على أعلام الإسلام كابن تيمية وابن القيم – رحمة الله عليهما – حملة شعواء وتناول بمثلها الإمام الألوسي المفسر ، جدّ المترجم له ، والشيخ محمد عبده ، وجمال الدين الأفغاني وآخرين ...) انظر أعلام الزركلي ٢١٨/٨، ومعجم المؤلفين ١٣/ ٢٧٥ .

٢ – مجلّة المنار ، لمحمد رشيد رضا ٤٦/١١ -٤٧ ، وانظر: أعلام العراق ص ١١٤- ١١٥ .

٣ -- هو الشيخ أحمد بن عبد الحميد بك بن سليمان الشاوي ، ولد سنة أربع وأربعين ومائتين وألف ، من الهجرة النبوية ، ولم يزل منذ ميز يمينه وشماله ، يحتسي دَرّ الفضائل ، ويتتبع في تحصيل العلم علماء مصره ، حتى فاق الأقران في فنون الأدب والعرفان ، حتى كان إذا تكلم ، يود سامعه ألاّ يقطع كلامه ، وإذا سأله سائل ، نال حسن تقريره مرامه ، وكان شغوفا عظيما بكتب اللغة العربية ، وآثار السلف المرضية . توفي – رحمه الله – سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف من الهجرة . ومن آثاره : هذه القصيدة التي مدح بها العلاّمة الألوسي ، الذي ترجم له إبان شرحه لها) . انظر : شرح قصيدة أحمد بك بن عبد الحميد الشاوي ص ٢٤- ٢٨ ، مخطوط في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ، تحت رقم ميكروفلم (١٤٠٠/ ب) . والمسك الأذفر للألوسي ص٢١٩ – ٢٢٤ .

وكيف وقد روّعتني بفراق مـــن * عليَّ فراقه أمـرٌ من الصبـــر
أخ ما جد ما دنّس اللؤم عرضه * ولا شانه شيء من العيب والنكــر (١)
ولكنه يعطي الأخــوة حقـهــا * ويجمع للخلّ الوفاء مع النصــر
ولا هـو ممن همّه لبس فـــروة * يباهي بها أقرانه من بني المصــر
لعمري لقد جرّبت أبناء دهرنـــا * برمّتهم في حالة الخير والشــر
وقلّبتهم ظهراً لبطن بأسرهــم * مرارا لدى الحاجات في العسر واليسر
فماسمعت أذناي ما سـر منهــم * ولا أبصرت عيناي وجـه فتى حـــر
وما إن رأى إنسان عيني واحــداً * كما شئت إنسانا يعد سوى " شكري"
ولو لم يكن في حاضر العصرمثله * لقلنا على الدنيا العفاء بذا العصــر
فقل لغبي قاسه بسوا نــــــه * ولم يعرف التبر المصفّى من الصفر
عداك الحجا أين الثريا من الثرى * وأين حصى الحصباء من درر البحر
وهل يستوي -لا در درك - عالم * وفَةٌ جهول ناقص الدين والحجر (٢) .

الرابع : هو الشيخ محمد رشيد رضا منشئ مجلّة المنار .

قال فيه : (... عالم العراق ، ورحلة أهل الآفاق ، نـاصر السـنّة ، قـامع البدعـة ، محـي هدي السلف ، حافظ فنون الخلف ، علامـة المنقـول ، دراكـة المعقـول دائـرة المعـارف الإسلامية ، نبراس الأمة العربية ، حجّة العترة النبويّة ،عميد الأسرة الألوسـية ، صديقنـا وأخونا في الله عز وجلّ ، السيد محمود شكري الألوسي - قدّس الله روحه - كـان - رحمه الله - إماما يقتدى به في علمه وعمله وهديه وآدابه وفضائله ، وقـف جميـع حياتـه على علوم الإسلام ، وفنون اللغة العربية ، في هذا العصر الذي قلّ فيـه الاشـتغال بـالعلم والأدب في تلك البلاد ، بين أهل السنة ، ...ولم نسمع للعلوم العربية والدينية علـــــى

---

١ - عجز البيت جاء في أعلام العراق برواية : (ولا خاط كشحيه على الغدر والمكر) .

٢ - أعلام العراق ص ١١٦ -١١٧ ، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ، لأحمد تيمور ص ١١٣-١١٤ ، شرح قصيدة أحمد بك بن عبد الحميد الشاوي البغدادي للألوسي ص ٣-٤ (مخطوط) في جامعة الملك سعود بالرياض ، تحت رقم ميكروفيلم (١٤٠٠ / ب) .

مذهب أهل السنة صوتا، إلاّمن هذا الرجل ، لهذا لقّبناه في مكتوباتنا له" بعالم العراق ") . (١)

الخامس : هو الأستاذ محمد كرد علي (٢) قال : (... الألوسي نسخة حلوة من قدماء العلماء لم يأت بجديد ، انصرف إلى إحياء القديم ، أحيا سنة أجداده في العلم والانقطاع اليه ، والشغف به . ولم يتخذه سلّما إلى الدنيا ... كان عزوفا عن المطامع ، لا مطمع له في غير بثّ دعوته ، وتثقيف من يعتقد أنه يحصل منه النفع للأمة... وكان على فضل وشجاعة في بثّ دعوته الدينيّة ، أذاق المنحرفين من قلمه ما فضح به عيوبهم ، وما بالى غضبهم ولا غضب العامة ، ولا بطش الولاة ... كان الألوسي من أفراد الرجال الذين نفعوا بارشادهم ، وانتفع الناس بتآليفه على الجملة ...)(٣) .

السادس : محمدسعيد الباني (٤) :

قال : (... ذلكم النابغة الماجد العصامي، العظامي : العصامي بكدِّه وجدِّه واجتهاده . والعظامي : بأسرته العريقة بالعلم والفضل والمجد ، وما أحسن المرء إذا أضاف إلى مجد النسب مجد النبل بالعلم والأخلاق والأدب ...

ذلكم العلاّمة النابغة الأديب الناثر الشاعر العليم بجواهر اللغة العربية وعلومها وآدابها . الخبير بأحوال العرب وأنساب أحيائها وضروب قبائلها وأخبارها ، الفقيه

---

١ - مجلّة المنار ج٢٥/ ٣٧٤ - ٣٧٥ . وأعلام العراق ص ١٧٣ - ١٧٤

٢ - هو محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي ، رئيس مجمع العلمي العربي بدمشق ، ومؤسسه وصاحب مجلة " المقتبس " . أحد كبار الكتاب ، أصله من أكراد السليمانية (من أعمال الموصل بالعراق) . ولد في دمشق سنة (١٢٩٣هـ) ، تعلم في المدرسة (الرشدية) الاستعدادية . توفي بدمشق سنة (١٣٧٢هـ) . من آثاره : " تاريخ الحضارة " و " غابر الأندلس " و " المعاصرون " وغيرها . انظر : أعلام الزركلي ٦/ ٢٠٢ - ٢٠٣ .

٣ - المعاصرون ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

٤ - هومحمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن عثمان الباني ، فقيه ، أديب ، مؤرخ . ولد بدمشق في ذي القعدة سنة (١٢٩٤هـ) ، وتخرج من مدرسة الأميرية ،وأخذ العلوم الشرعية والأدبية عن بكري العطار ، وعبد الحكيم الأفغاني ، ومحمد عبده المصري ، وطاهر الجزائري . تولى قضاء وادي العجم من أعمال دمشق ، ثم عين مفتيا للجيش ، فقاضيا شرعيا في أربد من أعمال الأردن . توفي في شوال سنة (١٣٥١هـ) .

● معجم المؤلفين ١٠/ ص ٣٠ - ٣١ .

بالشريعة الإسلامية ودقائقها وأسرارها،الضليع بالسنة المحمدية وطرقهاوأسانيدهاوآثارها، الجامع بين ما حكم به الشرع وبين ما يدركه العقل بتأييد السمع ...) (١) .

السابع : الدكتور محمد تقي الدين الهلالي :

قال : (... العالم السلفي محمود شكري الألوسي البغدادي ، جادل المبتدعين من المتصوّفة وشدد عليهم الخناق بعبارات بليغة ...) (٢) .

الثامن : الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ النجدي (٣)، قال : (... هو العالم العلاّمة السلفي المؤلف اللغوي ، الأديب ، المصلح الشهير أبو المعالي السيد محمود شكري ...

صار علما من أعلام وقته ، إليه المرجع في المشكلات ، وعليه المعول في الفصل والقضاء ... نفع الله بعلومه ، وتخرج عليه خلق لا يحصون كثرة ، وصار مع هذا زعيما من زعماء النهضة الدينية ، ورائدا من رواد العلم والأدب ، وداعيا مخلصا من دعاة الإصلاح ، حارب البدع والخرافات ، وهاجم التصوف وطرقه ، وكان مثالا للعالم الجريئ أيام الدولة العثمانية وفترة الاحتلال الإنجليزي للعراق ...

نادى بضرورة تطهير الدين من أوضار البدع التي طرأت عليه ، وأخذ يشنّ الغارات الشعواء على الخرافات المتأصلة في النفوس ، فكتب الرسائل ، وألّف المؤلّفات

---

١ - أعلام العراق للأثري ص ١٨٦ - ١٨٧ .

٢ - الهداية الهادية الى الطائفة التيجانية ص ٢٢ .

٣ - هو الشيخ العالم الفاضل عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي - رحمهم الله تعالى - ولد في مدينة الرياض ، سنة (١٣٣٢هـ) ، و نشأ بها ، وقرأ القرآن على مقرئ يدعى عبد الله بن مفيريج وبعد ما ختم القرآن لا زم حلق الذكر ، ثم قرأ على الشيخ محمد بن عبد العزيز بن عياف مبادئ العلوم ، ثم انتقل مع والده الى مكة المكرمة ، وقرأ على جملة من العلماء الذين كانوا يفدون إلى مكة المكرمة. وكان كثير المطالعة ، مغرما بالكتب ، لا سيما كتب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وله تآليف ، منها : "دعوة الشيخ ومناصروه" و "علماء الدعوة" و "نسب آل سعود" وغيرها . انظر : مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٥٢١ - ٥٢٢ ، له .

التي زعزعت أسس الباطل ، وأحدثت دويا وإصلاحا عظيما ، لا يزال تأثيره عاملا في النفوس عمله المطلوب) (١).

التاسع : عبد الله بن سعد الرويشد :

قال : (محمود شكري الألوسي ، مؤرخ عالم بالأدب والدين ، من الدعاة الى الإصلاح ... حمل على أهل البدع في الإسلام برسائل ، فعاداه كثيرون ...) (٢) .

العاشر : الأستاذ السنفي الشيخ عبد الله بن خلف ، من علماء الكويت .

قال :(... علاّمة العراق ، وبدر الآفاق ، ومن وقع على علمه وفضله الإتفاق ... الإمام الأستاذ المحقق المدقق السيد محمود شكري الألوسي ...) (٣)

الحادي عشر : جرجي زيدان (٤) .

قال في معرض كلامه على مكتبات بغداد : (... مكتبة السيد الإمام الكبير محمود شكري الألوسي ، هي من المكتبات الجليلة المشتملة على عيون الكتب ، ومن عرف صاحبها ومنزلته من الأدب ، علم حقيقة قدرها ...) .

الثاني عشر : المحامي عباس العزوي ، من تلاميذه .

قال :(... ومن فضائله إحياء الكتب الدينية ، ونشر مذهب السلف ، فإنّ له اليد الطولى في إذاعتها ونشرها ، وكان يعتقد أنّ مذهب السلف ، هو الواسطة الوحيدة ، لتحرير العقول، من رق التعصب الذميم ، وعدم مراعاة الدليل ،ولم يكن ليحب التبجح

---

١ - انظر ك مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٦٨ - ٤٧٠ .

٢ - قادة الفكر الإسلامي عبر القرون ص ٤٨٣ .

٣ - أعلام العراق ص ١٧٢ .

٤ - هو جرجي بن حبيب زيدان ، لبناني ، منشئ مجلة ' الهلال ' بمصر ، صاحب التصانيف الكثيرة ، ولد في بيروت من أسرة فقيرة ، تعلم في بعض مدارسها الإبتدائية ، ودخل الكليّة -الأمريكية ، لتلقي الطب ، فلم يتم له نيل الشهادة ، ثم هاجر الى مصر ... فأصدر مجلّته (عشرين عاما) . توفي في القاهرة سنة (١٣٣٢هـ) انظر : أعلام الزركلي ١١٧/٢ . والمعاصرون ص ١٤٣ - ١٤٧ .

والافتخار – كما هو شأن التجار – وإنما يرمي إلى الحصول على الغرض ، ولا يهمه ذُكر أو لم يذكر ...

إمام الكل والصادع الأعظم بالحق ، ولصيحته دويّ هائل ، وهو أكبر من بثّ روح النهضة ... في المبادئ الإسلامية الفاضلة ، فهو أهل لأن يدعى بالمصلح العربي المسلم الكبير ...) (١) .

الثالث عشر : الأب أنستاس ماري الكرملي ، من تلاميذ الألوسي ، وصاحب مجلة " لغة العرب " .

قال : (... ليس بين علماء المسلمين في البلاد العربية لسان من كان مطلعا على أحوال جاهلية العرب ، كا لأستاذ الكبير السيد محمود شكري الألوسي ...)(٢) .

وقال أيضا : (وإذا كان للألوسي قدم راسخة في النحو والعلوم العربية واللغوية، فقدمه أرسخ في الأمور الدينية) (٣) .

١ – أعلام العراق ص ٢٠٣ – ٢٠٥ .

٢ – مجلة لغة العرب ، السنة الرابع ، عام (١٩٢٦ م) ص ١٢١ .

٣ – أعلام العراق ص ١٩٤ .

المبحث الخامس : مؤلّفات (١) الإمام الألوسي – رحمة الله تعالى عليه .

إن الإمام الألوسي – رحمه الله – من النابغين البارزين في الكتابة والتأليف ، حيث أولع بهما منذ نشأته الأولى ، وهو يطلب العلم في مسقط رأسه ، فكتب أول مؤلّفاته في الحادية والعشرين من عمره ، وهي سن مبكر في هذا الميدان، ومضى في مزاولة البحث والتدوين ، إلى أن انتقل إلى رحمة ربه تعالى ، أسكنه فسيح جنّاته .(٢)

وقد شملت مؤلفاته وكتاباته ، جميع الفنون والعلوم المشهورة في عصره–رحمه الله .

قال تلميذه الأثري : (وقد أجال قلمه في نواحي شتى من المعرفة ، وألّف في فنون وعلوم مختلفة ، حتى كانت صبغة التأليف إحدى ملكاته القويّة ...)(٣).

وقال الكامل الرافعي :(ولشكري أفندي –رحمه الله– قوّة على التأليف عجيبة ...) (٤) .

وقد تتبع الأستاذ الأثري ، مؤلفات شيخه ، فبلغ ما اهتدى إلى معرفته ، أربعة وخمسين كتابا ورسالة ، عدا تقريراته ومنتدياته ، وما حققه ونشره . وبعض هذه الكتب يتألف من مجلدين ومن ثلاثة مجلدات .(٥)

---

١ – جمعت مؤلفات الألوسي ، مخطوطها ومطبوعها ، من المصادر التالية :

- أعلام العراق للأستاذ محمد بهجت الأثري ص ١٤٠ – ١٥٢ .
- محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية للأثري ص ١١٠ – ١٢٤ .
- اتحاف الأمجاد فيما يصح به الاستشهاد للألوسي ، تحقيق عدنان عبد الرحمن ، ص٣٥– ٤٢ .
- المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر ، للألوسي، تحقيق عبد الله الجبوري
- ص ٢٧– ٤٥ .
- الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر ، للحاج علي علاء الدين الألوسي ص٤٤–٤٨.
- أعلام الزركلي ٧/ ١٧٣ .

٢ – انظر : محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية للأثري ص ١١٠ .

٣ – المصدر السابق ص ١١٠ .

٤ – مجلة المنار ج ١١ / ٤٦ ؛ وأعلام العراق ص ١١٥– ١١٦ .

٥ – انظر : محمود شكري الألوسي ص ١١٠ – ١١١ .

وأوصلها علي علاء الدين الألوسي في كتابه "*الدر المنتثر*" إلى ستة وخمسين كتابا .(١)

وأما عدنان عبد الرحمن – محقق كتاب "*إتحاف الأمجاد للألوسي*" ، فقد أوصل مؤلفات الألوسي إلى سبعة وخمسين كتابا ، (٢) بينما تجاوز بها عبد الله الجبوري الستين في مقدمة المسك الأذفر – للألوسي بتحقيقه (٣) .

وقد قسم الأستاذ الأثري – حفظه الله – مؤلفات شيخه إلى خمسة أقسام :

١- دينية . ٢- تاريخية . ٣- علوم دخيلة ومسائل عامة . ٤- أدبية . ٥- لغوية.(٤)

ولتسهيل الرجوع إليها والاستفادة منها قسمتها قسمين :

١- مخطوطة . ٢- مطبوعة . ورتبت كل قسم على حروف المعجم ، مع تعريف مؤجز بالمخطوط ، وذكرمكان وجوده إن أمكن .

القسم الأول : الكتب المخطوطة :

١- *الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى* :(٥) وهو كتاب نقدي ، تناول فيها قصيدة رائيّة للنبهاني المتوفّى سنة (١٣٥٠هـ) الذي هجا بها طائفة من علماء المسلمين ، منهم : نعمان خير الدين الألوسي ، ووالده أبو الثناء ، والمؤلف ، ومحمد عبده ، وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد رشيد رضا ، وأهل نجد لانتصارهم لابن تيمية ، وللشيخ محمد بن عبد الوهاب ، (٦) – رحمة الله تعالى عليهم – ومن هذا الكتاب

---

١ – الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر ص ٤٨ .

٢ – مقدمة اتحاف الأمجاد فيما يصح به الإستشهاد للألوسي ص ٣٤- ٤٢ .

٣ – مقدمة المسك الأذفر ص ٢٧ –٤٥ .

٤ – محمود شكري الألوسي ص ١١٠ –١١١ .

٥ – منه ميكرو فيلم بجامعة الملك سعود بالرياض ، تحت رقم ١٤٠٠ / أ ، قسم المخطوطات .

٦ – سيأتي نقل بعض الأبيات منها ، عند بيان موقف الألوسي – رحمه الله – من إطلاق لفظ الوهابية إن شاء الله .

نسخة بخط المؤلف ، كتبها سنة (١٣٣٠هـ) في (٥٢) صحيفة ، تحتفظ بها مكتبة الآثار العامة ببغداد ، برقم (٨٧٢١ / ١) .

٢- _الأجوبة المرضية على الأسئلة المنطقية_ : وهو كتاب نقد فيه علم المنطق ، وبيّن قلّة جدواه من ناحيته التطبيقية ، في (٤٣) صفحة ، كتبه سنة (١٣٤٠هـ)، وهو بخطه في مكتبة الآثار العامة ببغداد تحت رقم (٨٧٧٤) .

٣- _أخبار الوالد وبنيه الأماجد_ : وهو جزء لطيف في سيرة أبيه عبد الله بهاء الدين الألوسي ، يقع في (١٠٢) صفحة . بخط المؤلف ، في مكتبة الآثار العامة ببغداد . تحت رقم (٨٦٢٣) .

٤- _إزالة الظما بما ورد في الما_ : رسالة لطيفة في المياه ، كتبها إجابة على طلب صديق له ، أصيب بمرض ، جعله يتلذذ بذكر الماء ورؤيته ، فذكر فيها ما ورد في ذكر الماء ، وذكر الأنهار المشهورة والمياه : ماء زمزم ، دجلة ، الفرات ، النيل . كتبها المؤلف سنة (١٣٠٢هـ) ، منها نسخة عند عبد الله الجبوري [١] بخطه في (٢٦) ورقة نسخها سنة (١٣٨٤هـ) .

٥- _أمثال العوام في مدينة دار السلام_ : رسالة تتبع الأمثال العامية البغدادية ، ونسقها على حروف الهجاء ، تقع في (٧٦) صفحة ، بخط المؤلف ، منه نسختان في مكتبة الآثار العامة ببغداد ، تحت رقم (١٧٩٨) و(٨٥١) .

٦- _بدائع الإنشاء_ : جزءان : شتمل الأول منهما على رسائل أبيه السيد عبد الله بهاء الدين ، في مائة صفحة . والثاني : ضمّنه طائفة كبيرة مما كاتبه به الأمراء والعلماء والأدباء ، وترجم لبعضهم أحيانا ، يقع في (٣٤٠) صفحة ، نسخته بخط المؤلف ، في مكتبة الآثار العامة ببغداد برقم (٨٥٥٠ -٨٥٥١) ، والجزء الأول في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، برقم ٢ /١٣٧١٧) مجاميع . مسودة المصنّف في (١٦) ورقة .

---

١ -هو محقق كتاب المسك الأذفري نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر ، للألوسي .

٧- *تجريد السنان في الذبّ عن أبي حنيفة النعمان* : وهي رسالة وضعها في الدفاع عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، ردّا على أ حد الغلاة . وهي بخطه في مكتبة الآثار العامة ، برقم (٨٥٨٩) ، كتبها سنة (١٣٠٦) في (١٩٤) صحيفة .

٨- *ترجمة رسالة للقوشجي في الهيئة* : وضعها باللغة الفارسية ، علي بن محمد القوشجي السمرقندي (١)، من كبار المشتغلين بالهيئة في الإسلام . قال تلميذه الأثري : (لم أرها) (٢) .

٩- *كتاب تصريف الأفعال* : فقد في جملة ما فقدت من مؤلفاته وكتبه ، أثناء نفيه - عليه الرحمة .

١٠- *الجواب عما استبهم من الأسئلة المتعلقة بحروف المعجم* : وهي أجوبة لغوية على أسئلة ، وجّهها الجلال السيوطي(٣) الى أهل عصره ولم يجب عنها أحد في زمانه . وهي أسئلة عن معاني حروف المعجم ، وأسمائها،ومن وضعها ،ومتى وضعت ، وما مستند ذ لك ، وهل هي مختصة بالعربية أوعامة ،...وهي سبعة أسئلة ، تقع في (٤١) صفحة ، كتبها سنة ١٣١٩)، وهي بخطه في مكتبة الآثار العامة برقم (٨٦٠٥ /٨) .

---

١ - هو علي بن محمد القوشجي السمرقندي الحنفي علاء الدين ، عالم مشارك في أنواع من العلوم . ومن تصانيفه ." مسرّة القلوب في رفع الكروب في علم الهيئة " ، وتفسير البقرة ، وتفسير آل عمران ، والرسالة المحمديّة في الحساب ". توفي في سنة (٨٧٩هـ) ، انظر ترجمته :البدر الطالع للشوكاني ٤٩٥/١ ، والشقائق النعمانية ص ٩٧ . وكشف الظنون ١/ ٣٤٨، ٤٤٨ ، ٤٩٧ ، ومعجم المؤلفين ٢٢٧/٧ .

٢ - انظر : اتحاف الأمجاد ص ٣٧ .

٣ - السيوطي : هو الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد السيوطي . ولد با لقا هرة سنة (٨٤٩هـ) . صاحب ا لمصنفات الكثيرة ، قيل : زاد ت على خمسمائة مؤلفا ، منها : " الدر المنثور في التفسير بالمأثور " و " الإتقان في علوم القرآن " و " تاريخ الخلفاء " ، و"حسن المحاضرة " و " الجامع الكبير " و " الصغير " . توفي سنة (٩١١) . انظر ترجمته : ذيل تذكرة الحفاظ ص ٦-١٠ .

١١- *الجوهر الثمين في بيان حقيقة التضمين* :(١) رسالة لغوية ، بحث فيها " التضمين " اللغوي ، وهي بخطه برقم (٨٥٣٣)، وتقع في (٥٠) صفحة ، في مكتبة الآثار العامة ببغداد .

١٢- *الدر اليتيم في شمائل ذي الخلق العظيم* : في سيرة المصطفى ﷺ ، قال الأثري : (لم يتمه) ، يقع في (١٢٣) صفحة . كتبه سنة (١٣٠٤) ، نسخته بخط المؤلف ، في مكتبة الآثار العامة ببغداد ، تحت رقم (٨٦٩٢) .

١٣- *الدلائل العقلية على ختم الرسالة المحمدية* :(٢) تحدّث فيه عن دلائل نبوته ﷺ وأنه الخاتم وأنّ شريعته خالدة دائمة بدوام الإنسان ، وأنها أكمل الشرائع وأيسرها (٣) كتبه سنة (١٣١٩هـ) ، ويقع في (٣٧) صفحة ، نسخته في مكتبة الآثار

---

١ - التضمين : هو إشراب اللفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حكمه ، لتصير الكلمة تؤدي مؤدى كلمتين . وفي الشعر هو: أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به . انظر : التعريفات للجرجاني ص ٨٤ . ومشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٨٠ .

٢ - منه ميكرو فيلم بجامعة الملك سعود بالرياض ، تحت رقم ف /١٣٩٨/ ٢٤٥٩ / ح . وسيأتي إن شاء الله تعالى النقل منه ، في بيان الألوسي لبعض خصائص المصطفى ﷺ .

٣ - ومما قاله - عليه الرحمة - في ذلك :(في بيان أن شريعة محمد ﷺ أتم الشرائع وأكملها وأيسرها من نظر إلى شريعة موسى عليه السلام ، وجدها شريعة قهر وجلال ، أمروا بقتل نفوسهم ، وحرمت عليهم الشحوم ، وذوات الظفر وغيرها من الطيبات ، وحرمت عليهم الغنائم . وعجّل لهم من العقوبة ما عجّل ، وحملوا من الآصار والأغلال ما لم يحمله غيرهم . وكان موسى عليه السلام من أعظم خلق الله هيبة ، وأشدهم بأسا وغضبا وبطشا بأعداء الله .

وأما عيسى عليه السلام ، فقد كان في مظهر الجمال ، وكانت شريعته شريعة فضل وإحسان ، وليس في شريعته قتال البتة ، وليس فيها مشقة ولا آصار ولا أغلال .

وأما نبينا محمد ﷺ فكان مظهر الكمال الجامع لتلك القوة والعدل ، والشدّة في الله والرحمة . فشريعة محمد ﷺ أكمل الشرائع ، ولذلك أتت شريعته بالعدل ، إيجابا وفرضا ،وبالفضل ندبا له واستحبابا ، وبالشدّة في موضع الشدّة ، وباللين في موضع اللين ، ووضع السيف موضعه ، ووضع الندى موضعه . فيذكر الظلم ويحرمه ، والعدل فيأمر به ، والفضل ويندب إليه . حرم علينا كل خبيث ، وأباح لنا كل طيب . ونافع ، ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ الآية ١٧٥ من سورة الأعراف ، وتمامها ﴿ والذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ . الدلائل العقلية على ختم الرسالة المحمدية ص٢٧ -٢٨ . مخطوط .

العامة ببغداد ، برقم (٨٥٤٧) بخط المؤلف ، بعنوان :(رسالة في إثبات خاتمية نبوّة الرسول ﷺ) .

١٤- *رجوم الشياطين* : لم يره الأثري ولم يذكره ، الاّ أنّ المؤلف - رحمه الله - أشار اليه في كتابه "*صبّ العذاب على من سبّ الأصحاب*" (١) في معرض الكلام على المتعة ، فقال : (والكلام في المتعة مستوفى في كتابي رجوم الشياطين) .

١٥- *رسالة في أخبار بغداد* : تقع في (١٢) صفحة ، نسختها في مكتبة الآثار العامة ببغداد ، برقم (٨٧٩٨).

١٦- *رسالة في الرد على رسالة : إيليا مطران نصيبين :* فرغ منها سنة (١٣٢١) منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، برقم (٢٤٣١٧)في (٣٦) صفحة ، وأخرى في مكتبة القادرية ببغداد برقم (٦٤٣) في (٢٨) صفحة ، ورسالة إيليا بعنوان : " رسالة في وحدانية الخالق وتثليث أقانيمه ."

١٧ - *رسالة في كلمات التسبيح :* تقع في ست ورقات ، بخط ابراهيم محمد ثابت الألوسي ، منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، برقم (٢٤٣٠٩/٩ مجاميع) .

١٨- *رسالة فيما كانت عليه بغداد :* جمعها من مراصد الإطلاع وكتب أخرى في (١٢) صفحة ، وهي بالمتحف العراقي برقم (٨٧٩٨) .

١٩- *الروضة الغناء في شرح دعاء الثناء* : هو باكورة مؤلفاته ، كتبه سنة (١٢٩٤هـ) في (١٧) صحيفة ، بخط محمود بن حسين بن فقطان ، نسخها سنة (١٢٩٨هـ)

---

١ - يأتي البيان عنه في ص ٨١ . وانظر صب العذاب على من سب الأصحاب ، بتحقيق عبد الله البخاري ص١٧٥.

في مكتبة الآثار العامة ببغداد . رقم (٨٥٨٠ / ١) ، وعنوانه في الفهرست :" شرح دعاء الثناء " .

٢- *رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين :* نسخته بخطه في مكتبة الآثار العامة ببغداد ن برقم (٨٥٣٤) في (٥٥٣) صفحة .

٢١- *سعادة الدارين في شرح حديث الثقلين :* رسالة وضعها عبد العزيز غلام حليم الدهلوي (ت١٢٤٠هـ) (١) بالفارسية ، عرّبها الألوسي ، وأضاف إليها فوائد لطيفة، ورتّبها على مقدّمة ، ومقصد ، وخاتمة . منها نسخة بخط المؤلف في مكتبة الآثار العامة ، تحت رقم (٨٨٧٢). في (٢٦) صفحة ، كتبها في سنة (١٣٣٦هـ) .

٢٢- *زبدة البيان "بناء البيان" :* رسالة صغيرة في علم البيان ، اختصر بها رسالة بناء البيان ، لأبي بكر الميرستمي .منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة ، برقم (د ٢٤٣٠٩/ مجاميع) ، وهي ثلاث ورقات ، كتبها ابراهيم محمد ثابت الألوسي سنة (١٣٢٧) .

٢٣- *السيوف المشرقة مختصر الصواعق المحرقة :* وأصله للشيخ محمد المعروف بخواجة نصر الله الحسيني الصديقي المكي ، من علماء الهند ، وقد اختصره الألوسي سنة (١٣٠٣هـ) ، ونسخته بخطه في مكتبة الآثار العامة ، ببغداد ، برقم (٨٦٢٨)، ويقع في (٣٠٣) صفحة . قال الأثري : وهو ردّ بليغ على الشيعة .(٢)

---

١ - عبد العزيز الدهلوي : هو الشيخ الإمام المحدث عبد العزيز بن ولي الله بن إبراهيم العمري الدهلوي ، سيد العلماء في زمانه . ولد ليلة الخميس ، لخمس ليال بقين من رمضان سنة (١١٥٩هـ) حفظ القرآن وأخذ العلم عن والده ومن غيره . توفي بعد صلاة الفجر، يوم الأحد لسبع خلون من شوال سنة (١٢٣٩هـ)، وله ثمانون سنة .وقد خلف كثير من مصنفات منها :" تفسير القرآن ، المسمى بفتح العزيز ، والفتاوى في المسائل المشكلة ، والتحفة الأثنا عشرية - وغيرها .
انظر ترجمته :الأعلام للزركلي ٤/١٤- ١٥. ومعجم المؤلفين ٥/ ٢٤٣ .

٢ - محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ص ١١٥ ، وأعلام العراق ص ١٤٢ .

٢٤- *شرح منظومة عمود النسب في أنساب العرب*: والمنظومة للشيخ أحمد الشنقيطي البدوي المجلسي (١) . والشرح من أهم كتب الأنساب . والمنظومة في قسمين :
القسم الأول : في العدنانيين ، ونسب المصطفى ﷺ ، وأصحابه من العدنانيين .
والقسم الثاني : في القحطانيين ، وما تفرع عنهم . ومنه نسخة المؤلف وبخطه في مكتبة الآثار العامة ببغداد ، تحت رقم (٨٧٦٢) ،كتبها سنة (١٣٤٠هـ) وكتب الأول سنة (١٣٣٦هـ) ، منه نسخة في الآثار العامة برقم ((٨٧٧٢) ، في صفحة (٢٨٧) ، والثاني في (٦٧١) صفحة ، ومن الثاني قطعة في (٢٦) صفحة ، في مكتبة الدراسات العليا ،كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ونسخة اخرى بخط الأثري في مكتبة الخاصة في نحو ألف صفحة .

٢٥- *شرح خطبة كتاب المطول في البلاغة* : قال الأثري : لم أره .

٢٦- *شرح الرسالة السعدية في استخراج العبارات القياسية* : كتبه سنة (١٣٠٠هـ) وهو رسالة صغيرة .

٢٧- *شرح الدر المنضود -شرح القصيدة الأحمدية* : القصيدة لصاحبه أحمد بك الشاوي ، في مدح الألوسي . وقد أجازه عليها بشرحها شرحا أدبيا ، في ثمانين صفحة ، وهي بخط المؤلف ، في مكتبة الآثار العامة برقم (٨٧٢١ / ١) (٢) .

٢٨- *شرح منظومة العطار* (٣) : وهي في فن الوضع من فنون اللغة العربية ، تقع في (٢٥) ورقة ، منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، برقم ٢٤٣٠٩/٣) ، مجاميع .

---

١ - هو الشيخ أحمد البدوي المجلسي النسب ، اليعقوبي الشنقيطي الأموي المدني، عالم بالأنساب . من آثاره : عمود النسب في أنساب العرب . توفي في سنة (١٢٢٠هـ) . معجم المؤلفين ١/ ١٧٣ .

٢ - منه ميكروفيلم بجامعة الملك سعود بالرياض ، تحت رقم /ف /١٤٠٠ / ب) .

٣ - العطار هو الشيخ حسن بن محمد بن محمود العطار ، الشافعي الأزهري المصري ، أبو السعادات ، عالم أديب شاعر ، مشارك في الأصول والنحو . ولد بالقاهرة سنة (١١٩٠هـ) ، تولىّ مشيخة الأزهر . وتوفي في سنة (١٢٥٠هـ) من تصانيفه " حاشية على شرح الأزهرية " وديوان شعر ". انظر : أعلام الزركلي ٢/ ٢٣٦ ، ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٨٥ .

٢٩- *صب العذاب على من سب الأصحاب :* (١) نقض فيه أرجوزة لمحمد الطباطبائي ، المتستر باسم - أحمد الفاطمي - ، التي رد بها على كتاب " الأرجوزة العراقية عن الأسئلة الايرانية " لجده أبي الثناء المفسر .

٣٠- *الضرائر السائغة :* وهو مختصر لكتابه " الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر " ، يقع في سبعين صفحة بخط مؤلف . ونسخته في مكتبة الآثار العامة ببغداد برقم (٨٥٧٩) .

٣١- *عقد الدرر في شرح مختصر نخبة الفكر :* ومختصر " نخبة الفكر " في مصطلح الحديث ، للشيخ عبد الوهاب بركات ، الشافعي الأحمدي (٢) (ت بعد ١١٤٩هـ) . ومنه نسخة في مكتبة الآثار العامة . كتبها سنة (١٣٠٢هـ) برقم (٨٥٠٤) في ثلاث وسبعين صفحة ، ومنها مصورة في مكتبة المركزية لجامعة بغداد ، رقم الفيلم (٧) . وأخرى في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، برقم (١٣٧١٤) في ثمانين ورقة ، كتبت في سنة (١٣٠٢هـ) ، والكتاب من أوائل اشتغاله بالتأليف . بدأ به سنة (١٢٩٨هـ) وأتمه سنة (١٢٩٩هـ) .

٣٢- فتاوى لغوية ونحوية : قال الأثري : عندي طائفة منها ،وهي مهمّة .

٣٣- *القول الأنفع في الردع عن زيارة المدفع :* رسالة لطيفة عالج فيها موضوع المدفع الموجود الآن في بغداد . في " ساحة الميدان ، قرب وزارة الدفاع العراقية " وهو من بقايا أسلحة السلطان مراد العثماني التي استخدمها في حربه مع الفرس ، لإخراجهم من بغداد .

---

١ - وتم تحقيقه - ولله الحمد والمنة - حيث قام بتحقيقه الشيخ عبد الله بن بو شعيب البخاري المغربي . وذلك لنيل الدرجة العلمية العالية " الماجستير " في العقيدة ، باشراف فضيلة الدكتور أحمد سعد حمدان الغامدي - حفظه الله - من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين ، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة (١٤١٢ -١٤١٣) الهجرية .

٢ - وهو ابن أبي البركات الشافعي الأحمدي مفسر . من آثاره : " التيسير لمريد التفسير " . وكان حيا في سنة (١١٤٩هـ) . معجم المؤلفين ٦/٢٢١ ، وأكد الجبوري بأنه توفي فيها .
انظر : مقدمة المسك الأذفر ص ٣٣ .

وللعامة من أهل بغداد معتقد فاسد فيه ، حيث كانوا يقدّمون إليه النذور ، ويطلبون إطلاق ألسنة أطفالهم عنده ! وهو يعرف عنهم باسم " طوب أبي خزامة ". كتبها الألوسي ليردع هؤلاء عن زيارته واعتقاد هم الفاسد فيه ، وقدّمها إلى المشير-هدية هدايت - باشا ، أحد وزراء ، وترجمت إلى اللغة التركية .

ومن الأصل ، نسخة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، برقم :(٥ / ١٣٧٩٩ مجامع) في ثلاث ورقات .

٣٤- *كشف الحجاب عن الشهاب في الحكم والأدب* : وهو شرح ألف حديث صحيح إختارها القضاعي (١) في الحكم والأخلاق . قال الأثري : لم أره .

٣٥- *اللؤلؤ المنثور من حلي الصدور* : وهو في مراسلات والده ، وجدّه أبي الثناء ، ونسخته بخطه ، في مكتبة الآثار العامة ، برقم (٨٦٥٤) ، في (٢٢٥) صحيفة .

٣٦- *لعب العرب* : رسالة لطيفة اقتطفها إبّان قراءته لسان العرب ، لابن منظور الإفريقي سنة (١٣٢٦هـ) ، منه نسخة بخط المؤلف في (١٤) صفحة وهي برقم (٨٨٢٠) في المتحف العراقي .

٣٧- *ما اشتمل عليه حروف المعجم من الدقائق والحقائق والحكم* : منه نسخة بخط المؤلف في مكتبة الآثار العامة رقم (٨٥٠٧) في (١١٦) صفحة ،كتبها سنة (١٣١٩هـ) .

٣٨- *مختصر "مسند الشهاب في الحكم والموعظ والآداب للقضاعي*: يقول تلميذه الأثري : اختصرناه معا ونسخته بخطي في خزانة كتبه ، يقع في (١٠٦) صفحة ، بمكتبة الآثار العامة ، برقم (٨٦١٦) .

---

١ - القضاعي : هو الفقيه العلاّمة القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي ، المصري الشافعي ، قاضي مصر، قيل : كان متفننا في عدّة علوم ، لم ير بمصر من يجري مجراه ، وكان من الثقاة الأثبات ، شافعي المذهب والإعتقاد ، مرضي الجملة . توفي في ذي الحجة سنة (٤٥٤) . انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء ١٨ / ٩٢-٩٣ . وطبقات الشافعية الكبرى ٤/١٥٠- ١٥١ ، ووفيات الأعيان ٤/ ٢١٢- ٢١٣ ، والعبر٣/٢٣٣ ، وحسن المحاضرة للسيوطي ٤٠٣/١وشذرات الذهب ٢٩٣/٣ ، وكشف الظنون ١٦٥/١ ، ١٧١ ،٢٩٣، ٢/ ١٠٦٧ .

٣٩ - *المسفر عن الميسر* : هو من الرسائل النادرة ، حيث لم يؤثر عن التراث الإسلامي الخالد - على سعته- أنه احتفظ برسائل أو آثار في مادتها ، باستثناء رسالة النجيرمي ، نشرها الأستاذ محب الدين الخطيب (١) المتوفى (١٩٦٩م) . ورسالة الألوسي ، منها نسخة بخطه في مكتبة الآثار العامة ، برقم (٨٥٠٥ / ١) في (٤٢) صفحة . كتبها سنة (١٣١٩هـ) . ومنها نسخة أخرى في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، برقم (٢٤٢٥٨) ، في (٢٤) ورقة ، كتبها ابراهيم ثابت الألوسي سنة (١٣٤٤هـ) .

٤٠ - *المفروض من علم العروض* : استخرجه من لسان العرب ، قال : (وهذا آخر ما وجدناه من كتاب لسان العرب من المسائل العروضية) وهو في (٧٨) صفحة ، كتبه سنة (١٣٢٦هـ) .

٤١- *منتهى العرفان والنقل المحض ، في ربط بعض الآيات ببعض* : قال الأستاذ الأثري : شرع في تأليفه في أوائل سنة (١٣٤١) ثم حالت منيّته دون أمنيته في إتمامه). مسوّدته في مكتبة الآثار العامة برقم (٩٨٨١٤) .

٤٢- *النحت وبيان حقيقته ، ونبذة من قواعده* : رسالة صغيرة ، كتبها سنة (١٣١٦هـ) في (١٣) صفحة ، منه نسخة في مكتبة الآثار العامة رقم (٨٥٦٦) .

٤٣- *نشر المحاسن* : ذكره خير الدين الزركلي في الأعلام ، وقال : إنه موجود بالظاهرية بدمشق ،برقم (٧٢٩ - تاريخ)(٢) ولم يذكره أحد ممن ترجم له .

٤٤- *نقد مقامات مجمع البحرين لناصيف اليازجي :القول الطريف في تزييف دعوى ناصيف* : قال الأثري : بين فيه سرقات اليازجي وركاكة أسلوبه الذي

---

١ - محب الدين الخطيب هو ابن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب ، من كبار الكتاب الإسلاميين وا لسيا سين ، ولد في دمشق أواخر تموز سنة (١٣٠٣هـ) وتلقى تعليمه الإبتدائي في مدارسها . ثم تنقل بين أقطار العالم الإسلامي ، كما تقلب في الوظائف ، ثم هاجر إلى القاهرة حيث أنشأ فيها المكتبة السلفية . توفي سنة (١٣٨٩هـ) . ونشر من تأليفه "إتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب " و" وتاريخ مدينة الزهراء الأندلس ". انظر ترجمته : أعلام الزركلي ٥/ ٢٨٢ ، والمستدرك على معجم المؤلفين ص ٥٧٦ - ٥٧٧

٢ - أعلام الزركلي ٧ /١٧٣ .

يفوّقه كثير من النصارى على أسلوب الحريرى مع أنّ اليازجي قد انتحل مقامات من مقاماته الحريرى وغيرها ، كما برهن على ذلك الأستاذ في نقده ، وقد فقد أكثره إبّان نفيه) وتوجد بعض الأوراق عند الأستاذ الأثرى .

القسم الثاني : الكتب المطبوعة .

٤٥- *إتحاف الأمجاد فيما يصح به الاستشهاد* : طبع ببغداد سنة ١٤١٢هـ -١٩٨٢م .

٤٦- *الأسرار الإلهية في شرح القصيدة الرفاعية* : طبع في القاهرة سنة (١٣٠٥هـ) ، بالمطبعة الخيرية .

٤٧- *بلدان نجد في أوائل هذا القرن* : رسالة صغيرة ، نشرت في مجلّة العرب(ج٣-٤ السنة العاشرة (١٣٩٥هـ) ص ٢٨٩ - ٢٩٧ .

٤٨- *بلوغ الأرب في أحوال العرب* : وهو من أجلّ آ ثاره ، وأنفع المظان العربية التي درست أحوال العرب في الجاهلية . طبع لأول مرة في بغداد سنة (١٣١٤هـ) بمطبعة دار السلام (١-٣) أجزاء ، وأعيد طبعه في القاهرة أكثر من مرة . ويكفي لبيان فضل هذا الكتاب ، أنّه نال به الجائزة (١) .

٤٩- *تاريخ نجد* : (٢) نشره الأستاذ الأثري في القاهرة سنة (١٣٤٣هـ) ، ثم أعيدطبعه في القاهرة أيضا . والكتاب دراسة تاريخية لبلاد نجد ، أتى فيه الأ لوسي على تاريخها ، وأحوالها ، وطبيعتها ، وسكانها وعاداتهم ،وعادات أهلها ، وعرّف بقبائلها ، وختمه بترجمة جيدة لأمرائها ، وترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عليه الرحمة .

٥٠- *رسالة السواك* : رسالة صغيرة وضعها في السواك ،وما قيل فيه من آثار، نشرها الأثري في " مجلة الحريّة البغدادية " ، المجلد الأول ج ١-٢ ص٦٧-٧٠. في ١٢/١٢/ ١٣٤٢هـ .

---

١ - هي التي تقدمت ذكرها في ص ٦٤ . و هي التي تبرع بها " إسكار الثاني " ملك السويد والنرويج .

٢ - هذا الكتاب الجليل ، وإن كان عنوانه يتبادر منه أنه كتاب تاريخ ، غير أنّ مضمونه يكاد يكون كله في ا لعقيدة .

٥١- <u>*شرح أرجوزة تأكيد الألوان*</u> : والأرجوزة للشيخ : علي بن العزالحنفي (١)، المعروف بالشارح الجارح . ونشر هذا الشرح في مجلّة " **المجمع العلمي العربي بدمشق** " في المجلد الأول : ص ٧٦ . سنة ١٩٢١م .

٥٢- <u>*الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر*</u> : نشره الأستاذ الأثري في القاهرة سنة (١٣٤٠هـ)، وأعيد نشره مصورة في بيروت سنة (١٩٧٣م)، وهو من أهم الكتب التي عالجت الضرائر الشعرية .

٥٣- <u>*عقوبات العرب في جاهليتها*</u> : رسالة صغيرة ، نشرها الأثري في العدد الممتاز من جريدة العراق البغدادية ، العام الخامس .وفي مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٣٥ الجزء الثاني ، رجب ١٤٠٤هـ .

٥٤- <u>*غاية الأماني في الرّد على النبهاني*</u> : وهو كتاب جليل القدر ، عظيم الفائدة ، في الدفاع عن عقيدة السلف .وهو بحق غاية ما يتمناه المسلم الموحد، في الرد على القبوريين وضروبهم ، أكثر فيه المؤلف - رحمه الله - من النقل عن أشياخ الإسلام وغيرهم ، كابن تيمية ، وابن القيم ، وابن عبد الهادي (٢)، ومحمد بن عبد الوهاب ، حتى إنّه لينقل عن أحدهم الكتاب كله أو جلّه ، كما فعل ذلك بكتاب "كشف *الشبهات* " للشيخ محمد بن عبد الوهاب (٣).

والكتاب رد على كتاب :" *شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق* ﷺ "٤ الذي ألّفه يوسف بن اسماعيل النبهاني ، المتوفى سنة (١٣٥٠هـ) وطبع لكتاب - *غاية الأماني*- في القاهرة سنة (١٣٢٧هـ)، في مطبعة كرد ستان العلمية ، ثم طبع أيضا في القاهرة سنة (١٣٩٢هـ) . ثم أعيد طبعه في الرياض ، بمطابع نجد .

---

١ - هو علي بن علي بن أبي العز الحنفي الدمشقي . فقيه ، كان قاضي القضاة بدمشق ، ثم الديار المصرية . ولد سنة (٧٣١هـ) من آثاره : " التنبيه على مشكلات الهداية " . توفي سنة (٧٩٢هـ) من الهجرة . انظر : أعلام الزركلي ٤: ٣١٣ .

٢ - هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، الفقيه الحنبلي المقرئ ، المقدسي المحدث ، ولد في رجب سنة (٥٠٧هـ) وكان من المستقيمين على طريقة السلف ، واتباع الكتاب والسنة ، من تلاميذة ابن تيمية . توفي قبل أذان العصر يوم الأربعاء ، العاشر من جمادى الأولى ، سنة (٧٤٤هـ) . وله أكثر من (٧٠) مصنفا ، منها : " الصارم المنكي " انظر ترجمته : البداية والنهاية ٧/ ٢١٠ ، والدرر الكامنة ٣: ٤٢١ .

٣ - غاية الأماني ص ١/ ٢٨٩ .

٤ - سيأتي كلام الألوسي عليه إن شاء الله تعالى ص ٣٣٢ .

٥٥- *فتح المنان تتمة منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود جرجيس* : وهو نقد لكتاب" *صلح الإخوان*" الذي ألّفه داود بن سليمان العاني البغدادي ، فرد عليه الشيخ عبد اللطيف(١) بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بكتاب أسماه :" *منهاج التأسيس والتقديس في الرد على داود بن جرجيس*" ولم يتمه حيث وافته المنية ، فأكمله العلاّمة الألوسي بكتابه : " فتح المنان ..." . طبع الكتاب في الهند سنة (١٣٠٩هـ) بنفقة الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني-مؤسس دولة آل ثاني في قطر ، المتوفى سنة (١١١٣هـ) .

٥٦- *فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية* : الأصل كتاب للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عالج فيه المسائل الجاهلية التي نقضها الإسلام ، وأحصى منها (١٢٩) مسألة . طبع في القاهرة سنة (١٣٤٧هـ) و (١٣٧٦هـ) باسم "*مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية*، ثم صدرت طبعة رابعة سنة (١٣٩٨هـ) .

٥٧- *كنز السعادة في شرح كلمتي الشهادة* : (٢)

٥٨- *ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة* : وهو كتاب في علم الفلك . طبع في دمشق سنة (١٩٦٠م) ، نشره المكتب الإسلامي .

٥٩- *المدرسة المستنصرية* : رسالة صغيرة نشرها في مجلة " **المشرق**" بيروت، مجلد (٥) ص٩٦١.

٦٠- *مزايا لغة العرب* : بحث نشره في مجلة " **المشرق**" بيروت ، مجلد (١) ص ١٠٢٤.

• *مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية* : للسيد محمود شكري الألوسي ، أصله للشيخ محمد بن عبد الوهاب ؛ وقام الشيخ الألوسي بالتحقيق والشرح. طبعته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،١٣٩٦هـ.

---

١ - هو الشيخ العلاّمة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، فقيه متكلم ، أديب ، ولد - رحمه الله - سنة (١٢٢٥هـ) ، من مصنفاته : " منهاج التأسيس والتقديس ..." وغيره من المصنفات الكثيرة . توفي بالرياض سنة (١٢٩٢هـ) . انظر : مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٩٣ - ١٢١ ، ومعجم المؤلفين ٦/١٠-١١ .

٢ - طبع في بيروت - لبنان سنة (١٤١١هـ -١٩٩١م) ، نشره دار الكتاب العربي . قام بدراسته وتحقيقه الدكتور علي فريد دحروج . أستاذ علوم القرآن في المعهد العالي للدراسات الإسلامية . بيروت ؛ لبنان ، تحت اسم : "*كنز السعادة في شرح الشهادة* " .

٦١- *المستنصريات* : مجموعة قصائد في مدح الخليفة العباسي المستنصر بالله ، نشرها في " **مجلة اليقين** السنة الأولى (١٩٢٣م) ثم طبعت مستقلّة .

٦٢- *المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر* : طبع سنة (١٤١٢هـ) وهو الجزء الثاني من "*نيل المراد*" الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

٦٣- *المنحة الإلهية تلخيص ترجمة التحفة الإثني عشرية* : ويعرف بمختصر التحفة الإثني عشرية .وأصل الكتاب للعلاّمة : شاه عبد العزيز بن ولي الله أحمد الفاروقي الدهلوى باللغة الفارسية . وبعد نحو ربع قرن من تأليفه ونشره في أقطار الهند .ترجمه إلى العربية الشيخ غلام محمد بن محي الدين عمر الأسلمي ، من علماء الهند ، وقد انتهى منه سنة (١٢٢٧هـ) وصفحاته تربو على الألف .

وفي نهاية القرن الثالث عشر الهجري ، رأى الأستاذ الألوسي - رحمه الله - فيه إطناب وتكرار لكثير من المسائل . وأسلوبا بعيد بعض البعد عن الفصاحة والانسجام. فلخصه وهذّب عباراته ، وأضاف إليه فوائد جزيلة ، ثم قدّمه إلى السلطان عبد الحميد في سنة (١٣٠١هـ) ، طبع الكتاب بالهند سنة (١٣١٥هـ) طباعة رديئة ، ثم أعيد طبعه بعد ذلك بالمطبعة السلفية في القاهرة ، بعناية الأستاذ محب الدين الخطيب سنة (١٣٧٣هـ)

٦٤- *الميسر عند العرب* : ملخص عن "*بلوغ الأرب*" نشره الألوسي - رحمه الله - في مجلة " **الهلال المصرية** " ص ١٨٥- ١٩٠ -ج٧ س٧ ، كانون الثاني سنة ١٨٩٩م . ولعله هو كتاب : "*المسفر عن الميسر*" المتقدم في المخطوطات .

٦٥- *نيل المراد في أخبار بغداد* : وقد جمعه في ثلاثة أقسام مستقلة هي: ١- أخبار بغداد وما جاورها من البلاد . نشرت مقدمته في مجلة " **سبيل الرشاد البغدادية** " عدد (١ ج ١ مجلد ١) السنة (١٣٣٠هـ) ، ونشرت منه أيضا ما يتعلق بمدينة الحلة ، في مجلة " **المورد** " مجلد (٤) عدد(١) السنة ١٩٧٥ م .

٢- تاريخ مساجد بغداد وآثارها . هذّبه تلميذه الأثري ، ونشره سنة (١٣٤٦هـ) بعنوان " تهذيب تاريخ مساجد بغداد وآثارها " .

٣- المسك الأذفر ... وهو الذي تقدّم ذكره .

المبحث السادس :

وفاة العلاّمة الآلوسي - رحمة الله تعالى عليه .

أصيب الإمام الجليل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية ، برمل في المثانة ، فلم يهتم به ، وظن أنه شيئ عارض ، لا يلبث أن يزول ، فزال كما كان يتوقع ، ولكن أثره بقي كامنا فيه ، والرمل يتراكم شيئا فشيئا ، حتى سدّ المجرى ، فعاوده المرض أشدّ مما كان عليه أولا ،عند ذلك راجع الأطباء عساهم أن يكونوا سببا في تخفيف آلامه ، لكنهم لم يفيدوه شيئا ، فاحتمل الداء بصبر جميل ، وكان يذهب عنه الألم ثم يعود ، إلى أن كانت أواخر سنة (١٣٤١هـ) فهجم عليه على حين غفلة ، فانقطع عن التدريس أيّاما ،كان لا يقدر فيها على شيئ ، وأشار عليه الأطباء بالراحة الكاملة ، وعدم إشغال الفكر ، لا بعلم ولا بغيره ، حتى لا يتعب ذهنه . فلم يلتفت إليهم ، فاستحوذت عليه الحمى ، وضعف قلبه ، ونحل بدنه ، فلم يعد يقوى على تحمل المرض .

وفي العشر الأواخرمن رمضان سنة (١٣٤٢هـ) أصيب - رحمه الله - بذات الرئة ، فشعر بالموت ، وأخبر أنّه ربّما يرحل عنهم بعد أيّام ، وطلب منهم أن يكرموا نزله - رحمة الله عليه - ولا يؤذوه بالأطباء وعقاقيرهم ، وبقي المرض يزداد يوما فيوما إلى أن توفّاه الله تعالى عند أذان الظهر ، اليوم الرابع من شوال عام (١٣٤٢هـ) - رحمة الله عليه - وكتب العلم محيطة به من كل جانب .

فلما تسامع الناس نبأ وفاته ، دهشوا وهرعوا سريعا إلى تشييع جثمانه الطاهر ... فتولّى غسله بعض الفقهاء ، وعجل بحمله لاشتداد الحر ، وتزاحم الجموع ، وساروا به بين التكبير والتهليل ، وكل مامشى النعش خطوة ازداد عدد المشيعين والباكين والمتأسفين ، فكان يومه يوما مشهودا ، ومشهده مشهدا عظيما وعجيبا ، ظهر فيه مصداق قول الإمام أحمد بن حنبل -رحمة الله عليه -:(قولوا لأهل البدع ،موعدكم يوم الجنائز ...)(١).

وقال تلميذه الأثري عن هذا المشهد : (لا أظن أن بغداد في عصورها الزاهر رأت مثله ...) (٢) .

ولما وصلت الجنازة جنابة معروف الكرخي، صلى عليها الناس عدة مرات في جموع غفيرة .بمبلغين كثيرين ينقلون تكبيرات الإمام . ووري جثمانه الطاهر ، بعيد العصر وقبيل الغروب في ضريحه ، مقبرة الجنيد ، كما أوصى هو تلميذه الأثري بذلك ، طيّب الله ثراه وأحسن مثواه ، وجعل جنة الخلد نزله ومأواه) (٣) .

وصلى عليه أهل نجد صلاة الغائب . بأمر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود-رحمة الله عليه-، فرثاه العلماء ، وأبّنه الأدباء ،ورثاه أهل الفضل والعلم ...)(٤) . وإليك بعض المرثيات التي قالها هؤلاء الفضلاء . والعلماء والشعراء ، وقد جمع محمد بهجة الأثري أغلبها ، في كتابه " أعلام العراق " . (٥)

وممن رثاه ، تلميذه الشاعر المعروف : معروف الرصافي ، في قصيدة لامية ، تقع في ثمان وثلاثين بيتا ، عنون لها بعنوان " وشيخاه " ومطلعها :

أزمعت عنا إلى مولاك ترحالا * لما رأيت مناخ القوم أوحالا

وفيها يقول :

محمود شكري فقدنامنك حبر هدى * للمشكلات بحسن الرأي حلالا

---

١ - مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٧٥ - ٤٧٦ . وأعلام العراق ص ١٠٨ .

٢ - أعلام العراق ص ١٠٨ .

٣ - انظر : المصدر السابق ص ١٠٧ -١٠٨ ، ومشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٧٥ -٤٧٦ .

٤ - مقدمة المسك الأذفر ص١٦- ١٧ .

٥ - أعلام العراق ص ٢٠٧ - ٢٤١ .

قد كنت للعلم في أوطا ننا جبــلا * إ ذا تقــسّم فيها كان أ جبالا
وبحر علم إذا جاشت غواربـــه * تقــاذف الدّر في لُجّيه مُنْهالا (١)

إلى أن قال :

شكرا لأقلامك الآتي كشفت بها * عن أوجه العلم أستارا وأسدالا
كتبن في العلم أسفارا سيدرسها * أهل البسيطة أجيالا فأجيالا
ما ضرمن بعدما خلّدت من كتب* ألاّ نرى لك بين الناس أنجالا
لأشكرنّك ياشكري مدى عمري * وأبكينك أبكــارا وآصـــالا
فأنت أنت الذي لقّنتني حكما * بها اكتسبت من الآداب سربالا
أوجرتني من فنون العلم أدويةً* شفت من الجهل داء كان قتّالا(٢)
فصح عقلي وقبلا كنت مشتكيا * من علّة الجهل أوجاعا وأوجالا
أنا المقصرعن نعماك أشكرك * ولو ملأت عليك الدهر إعوالا(٣)

وممن رثاه أ يضا :

الشيخ محمد بهجت الأ ثـري ، التلميـذ الوحيـد الـذى ورث علـم العلاّمـة الأ لوسـي – رحمه ا لله – ، فقد رثاه بمرثية لامية تقع في سبعة وستين بيتا ، بعنوان : " واحرقلباه "، ومطلعها :

أتيت بالعيد أهنَىالعيد شوالا * والظن أنك قد أبللت إبلالا (٤)
فعدت والقلب ملتاع بلوعته * والعين ترسل فيض الدمع إرسالا

---

١ – غوارب الماء : أعاليه ، وقيل : أعالي موجه . انظر : اللسان ٦٤٤/١ ، والقاموس المحيط ١/ ١١٥ ، مادة : غرب) .

٢ – أوجره الدواء : جعله في فيه ، وقيل : سقاه إياه . اللسان ٢٧٩/٥ ، وا لقاموس المحيط ٢/ ١٥٨ مادة : وجر) .

٣ – أ علام العراق ، محمد بهجت الأ ثري ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

٤ – بل فلان من مرضه ، أبل اذا برأ ، وحسنت حاله بعد الهزال . والبلّة : العافية . اللسان ٦٥/١١ ، والقاموس المحيط ٣٤٧/٣ . مادة بلل) .

ومنها قوله :

يا راحلا جدّد الأحزان مصرعه * نغصت عيشي وزدتَ البال بلبالا

قد كنت براً بنا لا تنثني حدبا * فما لك اليوم تجفو الصحب والآلا ؟

سئمت منا فأزمعت السرى عجلا * أم قد رأيت مصير القوم ممحالا(١)

رحلت فانصبّت الأحزان زاخرة * عليّ حتى بها سربلت سربالا

إلى أن قال :

صبحتُ (شكري) من الأعوام أربعة * حتى بلغت به في العلم آمالا

جلّ المصاب وإن أحزن فلا عجب * إنا فقدنا إماما كان مفضالا

بغداد قد أقفرت من بعد مصرعه * فقلقل الركب عن بغداد إهبالا(٢)

هذي المدارس أضحت وهي باكية * من بعد شيخ بنى الآداب أطلالا

فاذهب عليك سلام الله في دعة * ما أشرق البدر في الظلماء أو لالا (٣)

ورثاه محمد بهجة البيطار، بقصيدة من خمسة وعشرين بيتا ، ومطلعها :

أعلامة الإسلام كهف زمانه * قم اليوم أنقذ أهله من لظى الخطب

ومنها قوله :

رأينا بك الإخلاص لله رائدا * وآثرت في كل الأمور رضا الرب

زهدت بدُنيا نا لها كل بائع * لها الوطن المحبوب من أمم الغرب

فيا ويح بغداد إذا جدّ جدّها * وأعوزها التحقيق في النازل الصعب

---

١ – المحل : المكر والكيد ، والجوع الشديد والجدب ، وهو انقطاع المطر . انظر اللسان ١١/٦١٦-٦١٧ ، والقاموس المحيط ٤/٥٠ ، والصحاح ٥/ ١٨١٧ ، مادة " محل" .

٢ – قلقل في الأرض : ضرب فيها ، ومنه رجل قلقل : صاحب أسفار . وتقلقل في البلاد : اذا تقلب فيها . اللسان ١١/٥٦٦ – ٥٦٧ ، والقاموس المحيط ٤/٤١ ، مادة " قلل" .

وأهبل : أسرع . القاموس المحيط ٤/٦٨ ، مادة " هبل" .

٣ – أعلام العراق ص ٢٠٨ – ٢١١ .

لتسوية الحبر الألوسي بغيره * لدى مشـــكلات العلم من أبين الكذب

إذا مابكاك الحق شكري وأهله * فقدكنت شمـس الحق تجلوعمى القلب

سيبقي لك التاريخ ذكرا مخلدا * رفيعا بما أخلدت من أثـــر عـــذب

ألا رحم الله الألوسي شيخنا * فقد حلّ في دار النعيم على الرحب(١)

ورثاه الشيخ عبد العزيز الرشيد – من الكويت – بقصيدة عنوانهـا " الإمـام المجـدد " ، منها هذه الأبيات :

ألا إنّ موت المصلحين مصيبة * ولا سيما موت العظيم المسدد

فقدنا بفقد الحبر محمود شكرنا * مناهل تروي كل صاد بفد فد(٢)

أخوعزمات لا تلين لغـــامـز * وقد كان يسعى دهره للتجـدد

ويسعى لتنوير العقول بعـلمـــه * وتكسير أغلال الجمود المقيد

فمن بعده يحمي الشريعة إن سطـا * عليها ذوو الإرجاف من كل معتدى؟

فوا لهفي مذ غيبوا منه أبحرا * من العلم في ذاك التراب المحدد

فما فقده فقدان فرد من الورى* ولكنـــه فـقـدان جـمـع مـؤيـــد

فياراقدا من بعد طول انتباهه * لتهنك جنات النعيم الـمخلــد(٣)

كما رثاه الأستاذ الأديب الدمشقي ، عز الدين علم الدين ، بقصيدة من أربعين بيتا بعنوان : " على ذلك الثاوي تحية " ومطلعها :

كفى حزنا أنّي أرى اليوم راثيا * وعهدي بدمعي أنّه كان آبيا

---

١ – المصدر السابق ص ٢١٨ – ٢١٩ .

٢ – صاد : داء يصيب الإبل في رؤوسها ، فيسيل من أنوفها مثل الزبد ، وتسمو عند ذلك برؤوسها.
اللسان ٣/ ٢٦١ – ٢٦٢ ،مادة "صيد " .
الفد فد : الفلاة التي لا شيئ بها . وقيل : هي الأرض الغليظة ذات الحصى .
اللسان : ٣ / ٣٣٠ ، مادة "فد فد " .

٣ – أعلام العراق ص ٢٣٥ .

إلى أن قال :

فلا يبعدنك الله شكري فإننا * عرفناك أخلاقا زكت ومباديـــا

عزيز علينا أن نرى السيف مغمدا * وقد فلّ بالأمس السيوف المواضيا

أبى طبعه تقليد من جاء قبلــــه * وهل قدّس العقل العظام البــوالــيا

تعرّضت الدنيا له مستميلــــــة * فآثر أخراه وأعرض نـائيـــا

فهل لرجال الدين يحذون حذوه * لكيما يصونوا أوجها ونواصيا

أرى الدين بالأخلاق قام عموده * وليس سوى الأخلاق للدين واقيا

ولوكان شكري موته موت غيره * ببغداد ما ألفيتموني شاكيــــا (١)

وهذه بعض نماذج مختصرة من مرثيات كثيرة وطويلة ، رثى بها العلماء والشعراء الألوسي – رحمه الله تعالى – ، وهو قدرٌ كافٍ لإلقاء نظرة شاملة ، على مدى تأثر الناس بوفاته – رحمة الله عليه – وهناك رسائل كثيرة في التعازي ، ذكرها الأستاذ محمد بهجت الأثري في كتابه " أعلام العراق ".

---

١ – المصدر السابق ص ٢١٤ – ٢١٦ .

الباب الثاني

جهود الألوسي في الدفاع عن أئمة أهل السنة والجماعة :

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : بيانه المراد بأهل السنة والجماعة ، وذبّه عن الصحابة .

الفصل الثاني : ذبه عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، وعن بعض كتبه .

الفصل الثالث : تأييده لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،والدفاع عنها .

الفصل الأول :

بيانه المراد بأهل السنة و الجماعة ، وذ بّه عن الصحابة :

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : بيانه المراد بأهل السنة والجماعة

المبحث الثاني : ذ بّه عن الصحابة – رضي الله عنهم .

المبحث الأول :

بيان الألوسي – رحمه الله – المراد بأهل السنة والجماعة :

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : السنة في اللغة .

المطلب الثاني : السنة في الاصطلاح .

المطلب الثالث : المراد بأهل السنة والجماعة .

المطلب الأول : تعريف السنة في اللغة :

السنة في اللغة : هي الطريقة و السيرة (١).

وقد اختلفت آراء أهل اللغة في المراد بالسنة ، هل هي مقصورة في اللغة على الطريقة المحمودة ، أو أنها تتعدّى إلى أوسع من ذلك ، فتكون عامة في الطريقة ، سواء كانت محمودة أو مذمومة ؟

فقال الأزهري (٢) : السنة الطريقة المحمودة المستقيمة . ولذلك قيل: فلان من أهل السنة، معناه : من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة (٣).

وقال ابن منظور (٤) : السنة السيرة ، الحسنة كانت أو قبيحة . قال الشاعر :

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها * فأول راض سنة من يسيرها

وفي الحديث : ((من سنّ سنّة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها ، ومن سنّ سنة سيّئة ، فعليه وزرها ، ووزر من عمل بها (٥)))(٦) .

والذي يظهر هو أن الذي ذهب إليه ابن منظور مستندا إلى هذا الحديث، هو الصواب ، لأن النبي ﷺ قسم السنة إلى سنة حسنة ، وسنة قبيحة .

ويعلم ذلك بالإضافة ، فإذا أضيفت إلى ممدوح ، كانت حسنة ، وإذا أضيفت إلى مذموم ، كانت قبيحة . والله أعلم .

١- انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٤٠٩/٢ ، ومختار الصحاح ص ١٣٣ ، و التعريفات للجرجاني ص ١٦١ .

٢ - هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي ، اللغوي النحوي الشافعي

٣ - تهذيب اللغة للأزهري ١٢/ ٣٠١ .

٤ - هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي المصري .

٥ - أخرجه مسلم في صحيحه مع شرح النووي ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة ، وأنها حجاب من النار ، ح (١٠١٧) ١٠٨/٧ .

٦ - انظر اللسان ١٣/ ٢٢٥ .

المطلب الثاني : تعريف السنة في الاصطلاح :

قال شيخنا الألوسي - رحمة الله عليه - في بيان المراد بأصل السنة :

(السنة في الأصل تقع على ما كان عليه الرسول ﷺ ، وما سنه أو أمر به من أصول الدين وفروعه) (١) (٢) .

وهذا المعنى الذى ذكره الألوسي لأصل السنة ، موافق لما جاء عن علماء الأمة الإسلامية وممن ذكر هذا المعنى لأصل السنة ، الإمام الشاطبي (٣)، حيث قال : (ويطلق -أي لفظ السنة - في مقابلة البدعة ، فيقال : فلان على السنة ، إذا عمل على وفق ماعليه النبي ﷺ ، كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أولا ، ويقال : فلان على بدعة ، إذا عمل على خلاف ذلك) (٤) .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن أبي الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي(٥) قوله : (فاعلم أن السنة : طريقة رسول الله ﷺ ، والتسنن بسلوكها ، وهي أقسام ثلاثة :أقوال وأعمال وعقائد) (٦) .

---

١ - وهذا التعريف للسنة في مقابلة البدعة ، حيث جاء في اصطلاح المحدثين أنها : ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أوسيرة ، سواء كان قبل البعثة أو بعدها . انظر : توجيه النظر إلى أصول الأثر ، لطاهر بن صالح ص ٣ ، والسنة ومكانتها في التشريع ، مصطفى السباعي ص٤٧ .
وفي اصطلاح الأصوليين ، تطلق السنة : (على ما جاء منقولا عن النبي ﷺ على الخصوص مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز ، بل إنما نص عليه من جهته ﷺ ، كان بيانا لما في كتاب أولا) الموافقات للشاطبي ٣/٤.

٢ - غاية الأماني في الرد على النبهاني ٤٢٨/١ .

٣ - هو الإمام العلاّمة أبو إسحاق ابراهيم بن موسى الغرناطي ، الشهير بالشاطبي ، المحقق المؤلف النظار ، أحد الجهابذة الأخيار ، كان له القدم الراسخ في سائر الفنون والمعارف ، توفي -رحمه الله - في شعبان سنة (٧٩٠) . انظر : شجرة النور الزكية ، لمحمد بن مخلوف ص ٢٣١ .

٤ - الموافقات للشاطبي ٤/٤ .

٥- هو الإمام أبو الحسن محمد بن أبي طالب عبد الملك بن محمد الكرجي ، كان إماما متقنا مكثرا من الحديث خلف ابنين محدّثين هما : معمر وأبو معشر ، ذكر السمعاني أنه سمع منهما .
انظر : الأنساب للسمعاني ٤٧/٥ .

٦ - مجموع فتاوى ١٨٠/٤ .

وقال ابن رجب (١) - رحمه الله - : (السنة هي الطريق المسلوك . فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه النبي ﷺ ، وخلفاؤه الراشدون ، من الاعتقادات والأعمال والأقوال ، وهذه هي السنة الكاملة ، ولهذا كان السلف قديما لا يطلقون السنة ، إلا على ما يشمل ذلك كله ، وروي ذلك عن الحسن(٢) والأوزاعي(٣) و الفضيل بن عياض(٤))(٥).

١- هو الحافظ زين الدين جمال الدين أبو الفتح عبد الرحمن بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي ، الشهير بابن رجب ، أجازه ابن النقيب و اشتغل بسماع الحديث ، كانت مجالس تذكيره مباركة وللناس نافعة . قيل : إنه أتقن فن الحديث . وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع الطرق . توفي سنة (٧٩٥) . انظر : شذرات الذهب ٦/ ٣٣٩ .

٢ - هو الحسن بن أبي الحسن البصري ، واسم أبيه يسار ، ثقة فقيه فاضل مشهور ، توفي سنة عشرة ومائة . وقد قارب التسعين . انظر : تقريب التهذيب لابن حجر ١/١٦٥ .

٣- هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، أبو عمرو ، الفقيه ، ثقة جليل . مات سنة سبع وخمسين ومائة . تقريب التهذيب لابن حجر ١/٤٩٣ .

٤ - الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر ، الإمام القدوة الزاهد العابد ، الثبت ، شيخ الإسلام أبو علي التميمي اليربوعي الخرساني ، المجاور بحرم الله . ولد بسمرقندي ، أخرج له : البخاري ومسلم وغيرهما ، توفي بمكة المكرمة ، في محرم سنة (١٨٧) عن ثمانين سنة . انظر: سير أعلام النبلاء ٨/٣٧٢- ٣٩٠ ، ووفيات الأعيان ٤/٤٧-٥٠ ، وتقريب التهذيب ٢/١١٣، وتهذيب التهذيب ٨/٢٩٤ رقم الترجمة (٥٣٨) وخلاصة تهذيب الكمال ص ٣١٠ ، والتاريخ الكبير ٧/١٢٣ ، والتاريخ الصغير ٢/٢٤١ .

٥- جامع العلوم والحكم ص ٢٦٢ .

المطلب الثالث : بيان الألوسي - رحمة الله عليه - المراد بأهل السنة :

وبعد أن بين العلامة الألوسي - رحمة الله عليه - المراد بالسنة ، ثنّى ذلك ببيان المراد بأهلها ، فقال: (اعلم أن أهل السنة والجماعة (١) ، هم أهل الإسلام والتوحيد، المتمسكون بالسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ في العقائد والعبادات الباطنة والظاهرة) (٢).

وكما سبق أن عرفنا موافقة تعريف الإمام الألوسي الاصطلاحي للسنّة ، لتعريف أهل السنة والجماعة ، فكذلك تعريفه لأهلها ، نجده موافقا لهم .

يقول ابن حزم (٣) : (وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة ، فإنهم الصحابة - رضي الله عنهم - وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين ، ثم

١- لا غرابة في عطف الألوسي " الجماعة " على " أهل السنة " ، فإنه اسم من أسمائهم الثابتة عن الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ ، حيث قال : ((إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة - وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار الاّ واحدة ، وهي الجماعة ، و إنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ، لا يبقى منه عرق ولا مفصل ولا دخلة ...) .

رواه أحمد في مسنده ٤/١٠٢ ، وأبو داود في السنن ، كتاب السنة ، باب شرح السنة ؛(٤٥٩٧) د/٥-٦ ، وابن أبي عاصم في السنة ص ٣٣ ، ح(٦٥) ، قال الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة : " حديث صحيح بما قبله وما بعده " . انظر السنة لابن أبي عاصم مع ظلال الجنة ص ٣٣ .

والكلب : داء يعرض للإنسان من عض الكلب ، فيصيبه شبه الجنون . النهاية لابن الأثير ٤/ ١٩٥ .

وقال القاضي ابن أبي العز الحنفي في معنى الجماعة : (والجماعة : جماعة المسلمين ، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين) . شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣١ .

وقال البربهاري : (والأساس الذي بينّا عليه الجماعة ، هم أصحاب محمد ﷺ ، - رحمهم الله أجمعين - وهم أهل السنة والجماعة) شرح السنة للبربهاري ص ٢١ .

وقد ذكر العلامة الشاطبي للعلماء في تفسير الجماعة ، خمسة أقوال ، كلها دائرة على إعتبار أهل السنة أنهم هم المعنيون بالجماعة . فراجعها في الاعتصام ٢ / ٤٤٨ - ٤٥١ .

٢- غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/ ٤٢٨ .

٣ - هو الإمام أبو محمد بن حزم علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي مولاهم الفارسي الأصل الأندلسي القرطبي الظاهري صاحب المصنفات ، كان إليه المنتهى في الذكاء وحدّة الحفظ وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر ، مع صدق الديانة ، توفي سنة (٤٥٦) عن (٧٢) سنة : انظر : شذرات الذهب ٣ /٢٩٩ .

أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء ، جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا ، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها ، رحمة الله عليهم) .(١)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في التعريف بهم : (هم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بالإحسان) .(٢)

وقال السعدي (٣) – عليه الرحمة – : (فأهل السنة المحضة ، الذين تمسكوا بما كان عليه النبي ﷺ،وأصحابه في الأصول كلها ، أصول التوحيد والرسالة والقدر ومسائل الإيمان وغيرها ، وغيرهم من خوارج ومعتزلة وجهمية وقدرية ورافضة ومرجئة ومن تفرع عنهم وكلهم من أهل البدع الاعتقادية) (٤).

وبهذه التعاريف يتضح زيف قول النبهاني في المراد بأهل السنة والجماعة ، حيث زعم أنّ الأشاعرة والماتريدية هم أهل السنة والجماعة . ومن عداهم فهم من المبتدعة ، فقد قال في معرض طعنه على بعض كتب شيخ الإسلام بن تيمية :(ومنهاج السنة هو إن كان مؤلفا للرد على الروافض ، إلاّ أنه حشاه بالرد على أهل السنة ، الأشاعرة والماتريدية)(٥) ولا شك أنّ هذا الذي ذكره النبهاني ، خلاف الواقع .

يقول الألوسي : (إنّ ما ادعاه النبهاني – تقيدا لأسلافه – أنّ الأشاعرة والماتريدية هم أهل السنة ، وأنّ من كان على طريقة السلف – كشيخ الإسلام ابن تيمية – هم من المبتدعة ، كلام لاأظنه يصدر عن فهم ومعرفة). (٦)

---

١ – الفصل في الملل والنحل ٢/٢٧١ .

٢ – مجموع فتاوى ٣/٣٧٥ .

٣ – هو العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي ؛ مفسر ، من علماء الحنابلة ، من أهل نجد ، ولد سنة ١٣٠٧هـ في مدينة عنيزة (بالقصيم) وتوفي فيها ١٣٧٦هـ ، صاحب التصانيف الكثيرة والتي منها : تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن ، والقواعد الحسان في تفسير القرآن ، وغيرهما من المؤلفات القيمة .

● انظر ترجمته : الأعلام للزركلي ٣/٣٤٠ .

٤ – الفتاوى السعدية : للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ٦٣– ٦٤ .

٥ – شواهد الحق ، للنبهاني ص ١٢٤ .

٦ – غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/٤٢٨ .

فإنّ لفظ أهل السنة كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أنه (يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة ، فيدخل في ذلك جميع الطوائف ، الاّ الرافضة ، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة ، فلا يدخل فيه الاّ من يثبت الصفات لله ، ويقول إنّ القرآن غير مخلوق ، وأنّ الله يرى في الآخرة ، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة) (١)(٢)ومن الشق الثاني من هذا التعريف ، وما تقدم ذكره عن السعدي - رحمه الله - يتبين المراد من هذا اللفظ ، وليس كما وهم هذا المحرف .

١ - منهاج السنة النبوية ٢/٢٢١ .

٢ - ولمزيد الوقوف على تعريف أهل السنة ، انظر :تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٢١ ،والأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي ص ٨١ ، بتحقيق مشهور حسن سلمان ، وشرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لموفق الدين ابن قدامة المقدسي ، بقلم العلاّمة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٢٢ ، والكواشف عن معاني الواسطية : عبد العزيز السلمان ص ٥٢ .

المبحث الثاني :

ذ بّه عن الصحابة رضوان ا لله عليهم .

وفيه توطئة ومطلبان :

التوطئة : بيان المراد بالصحابة لغة واصطلاحا .

المطلب الأول : في تفضيل الصحابة رضوان الله عليهم .

المطلب الثاني : الإمساك عما شجربينهم .

التوطئة : بيان المراد بالصحابة لغة واصطلاحا :

أولا : المراد بالصحابة في اللغة : (هو من) صحب يصحب صحبة واستصحبه ، أي دعاه إلى صحبة ولازمه) . (١) وقيل : كل شيئ لاءم شيئا فقد استصحبه(٢) .

وقال أبو بكر محمد بن الطيب : (٣)(لا خلاف بين أهل اللغة في أنّ القول "صحابي" مشتق من " الصحبة "وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص ، بل هو جار على كل من صحب غيره ، قليلا كان أوكثيرا ...ويقال :صحبت فلانا حولا ودهراوسنة وشهرا ويوما وساعة ، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره ، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار) (٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :(والأصحاب جمع صاحب ، والصاحب اسم فاعل من صحبه يصحبه ، وذلك يقع على قليل الصحبة وكثيرها ، لأنه يقال : صحبته ساعة ، وصحبته شهرا ، وصحبته سنة) (٥) .

ثانيا : تعريف الصحابة عند أهل الحديث :

وأما التعريف بهم في عرف أهل الحديث وفنه ، فقد اختلفت أقوالهم في ذلك ، اختلافا كثيرا .

١ - قال الإمام البخاري - رحمه الله - :(من صحب النبي ﷺ ،أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه) .(٦)

---

١ - انظر : القاموس المحيط ٩٥/١ ، ترتيب القاموس المحيط ٧٩٨/٢ ، ولسان العرب ٥١٩/١ .

٢ - الصحاح للجوهري ١ /١٦٢ .

٣ - هو محمد بن الطيب بن سعيد بن موسى ، أبو بكر الصياغ . كان صدوقا ، ولد في سنة ثمان وثلاثين وثلا ثمائة ، ومات في يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخر ثمان وعشرين وأربعمائة)
انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣٨٣/٥ .

٤ - انظر : كتاب الكفاية للخطيب البغدادى ص ٥٠ ، وأسد الغابة ١٩/١ ، وفتح المغيث للسخاوي ٨٦/٣.

٥ - الصارم المسلول ص ٥٧٥ -٥٧٦ .

٦ - صحيح البخاري مع فتح البارى ٣/٧ .وانظر التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ العراقي ص ٢٥١ .

٢- وروى الخطيب البغدادي بإسناده إلى عبدوس بن مالك العطار(١) قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل :وذكر من أصحاب رسول الله ﷺ . فقال : (ثم أفضل الناس بعدهم هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بعث فيهم ، كل من صحبه سنة أوشهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه ، له الصحبة ، على قدر ما صحبه ، وكانت سابقته معه ، وسمع منه ونظر إليه) .(٢)

٣- وقال علي بن المديني (٣) : (من صحب النبي ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي ﷺ) (٤)

وبما أنّ التعريفات التي وضعها علماء الحديث و الأثر للصحابة ، كثيرة جدا ، أكتفي بما تقدم ، وبما رآه الحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله - أصحها ، وهو ما قرره بقوله : (وأصح ما وقفت عليه من ذلك ، أنّ الصحابي من لقي النبي ﷺ ، مؤمنا به ومات على الإسلام) (٥) .

ثم تولّى شرح هذا التعريف بقوله : (فيدخل فيمن لقيه ، من طالت مجالسته له أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يغز ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى . ويخرج بقيد الإيمان ، من لقيه كافرا ، ولو أسلم بعد ذلك ،اذا لم يجتمع به مرة أخرى ، وقولنا (به) يخرج من لقيه مؤمنا بغيره ، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة ، ويدخل في قولنا (مؤمنا به) كل مكلف من الجن والإنس ... ويخرج بقولنا (ومات على الإسلام) من لقيه مؤمنا به ثم ارتد ومات على ردّته - والعياذ بالله -...ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت ، سواء اجتمع به ﷺ ، مرة أخرى أم لا .وهذا هو الصحيح المعتمد).(٦)

---

١ - هو أبو محمد عبدوس بن مالك العطار . قيل :كانت له عند أبي عبد الله - الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله منزلة في هدايا وغير ذلك . وله به أنس شديد . وكان يقدمه . روى عنه مسائل لم يروها غيره ، ولم تقع إلينا كلها ،ومات ولم تتخرج عنه . انظر: تاريخ بغداد ١١/١١٥ ؛ وطبقات الحنابلة ١/ ٢٤١- ٢٤٦ .

٢ - كتاب الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٥١ ، وانظر نحوه :تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٠١ .

٣ - هو الشيخ الإمام أمير المؤمنين في الحديث ، أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد السعدي المعروف بابن المديني . ولد سنة (١٦١) سمع من أبيه ، له أكثر من (٢٠٠) مصنف ، توفي رحمه الله في سامراء في ذي القعدة سنة (٢٣٤) . انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء ١١/ ٤١ - ٦٠ ، وطبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٨ ، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٢٥ ، وطبقات الشافعية ٢/ ١٤٥ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٨

٤ - فتح الباري ٧/ ٥

٥ - الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر ، تحقيق طه محمد الزيني ١/ ٨-٧ ، وانظر نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص ٥٧ - ٥٨

٦ - الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٧-٨ .

المطلب الأول : في تفضيل الصحابة رضوان الله عليهم .

عرف في التوطئة من هم أولئك الصفوة الصافية التى اصطفاها الله واستخلصها لصحبة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وليكونوا له وزراء وخلفاء من بعده ، وفضائلهم وشمائلهم مما نطق بها الكتاب العزيز المنزل من لدن حكيم حميد ، على نبيه محمد ﷺ كما نطقت بها السنة المطهرة وطفحت كتب أهل السنة والجماعة ببيانها .

وفي بيان ذلك يقول شيخنا الألوسي - رحمه الله - وهو بصدد بيان معتقد أهل نجد ، في الآل والأصحاب - رضي الله عنهم - قال : (يعتقدون في الآل والأصحاب ، وما وردت به السنة والكتاب ، ويؤمنون بما ورد في شأنهم من الفضائل ، وما روي عنهم من الشمائل ...وأولئك السادات من الأصحاب الذين خلطهم بجلدته ، وألظّ بهم في شدّته ، وأحبوا فيه وأبغضوا ، وأنفقوا له وأقرضوا ، وفرض عليهم الصبر معه على البأساء فما أعرضوا ، ولكل من هذين الفريقين مقام معلوم ، وسهم في السبق والفضيلة غير مهموم ...فأولئك السادات هم النجوم الذين كان بهم الاقتداء ، وبهم كان الاهتداء ، وقصارى المسلم في هذا الزمان أن يتعلق منهم سببا ، ويأخذ عنهم دينا وأدبا، لايبلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه ، ولو انفق مثل أحد ذهبا ، نعم لا يغالون (أي أهل نجد وعلماؤهم و أمراؤهم)في حبّهم كحب أهل البدع والضلالة ، فذلك الذي ما أنزل الله به من سلطان ، ولا اقتضته الرسالة) (١) .

وقال أيضا نقلا عن العلاّمة عبد اللطيف - عليه الرحمة - موضحا ما عليه أهل الحديث والسنة : (ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله سبحانه ، لصحبة نبيه ﷺ ، ويأخذون بفضائلهم ...ويقرّون أنّهم الخلفاء الراشدون المهديون ، وأنّهم أفضل الناس كلّهم بعد النبي ﷺ .) (٢) .

وبهذا الذى قرره الألوسي ، جاء التنزيل ، فبين فضلهم ، وأثبت تفضيلهم على سائر الأمة بعد نبيها ﷺ ، وذلك في آيات كثيرة ، أكتفي ببعضها ، فمن ذلك :

---

١ - تاريخ نجد للألوسي ص ٤٤- ٤٥ .

٢ - المصدر السابق ص ٨٦ ، ومنهاج التأسيس والتقديس لعبد اللطيف ص ٦٧ . وأصل الكلام لأبي الحسن الأشعري في كتابه : مقالات الإسلاميين ١ / ٢٤٨ .

١- قال عز من قائل : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾(١) قال إمام المفسرين الطبري - رحمة الله عليه - مبينا معنى هذه الآية : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ كما هديناكم أيّها المؤمنون بمحمد - عليه الصلاة والسلام - وبما جاءكم به من عند الله فخصصناكم وفضّلناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملّته ، وفضّلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل ، كذلك خصّصناكم ففضّلناكم على غيركم من أهل الأديان ، بأن جعلناكم أمة وسطا ، والوسط في كلام العرب ، الخيار ، يقال : فلان وسط الحسب في قومه ، أي : متوسط الحسب ، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه ، وهو وسط في قومه وواسط ... وأرى أنّ الله تعالى ذكره ، إنّما وصفهم بأنّهم وسط ، لتوسطهم في الدين ، فلا هم من أهل غلو فيه ، غلوّ النصارى الذين غلوا بالترهيب ، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه ، ولا هم أهل التقصير فيه ، تقصير اليهود الذين بدّلوا كتاب الله ، وقتلوا أنبياءهم ، وكذبوا على ربّهم ، وكفروا به ، ولكنّهم أهل توسط واعتدال فيه ، فوصفهم الله بذلك ، اذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها ...إلى أن قال : القول في تأويل قوله تعالى :﴿ لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ والشهداء جمع شهيد ، فمعنى ذلك : وكذلك جعلناكم أمة وسطا عدولا ، شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ ، أنّها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها ، ويكون رسولي محمد ﷺ ، شهيد عليكم بإيمانكم به ، وبما جاء به من عندي) (٢) .

وقال السفّاريني (٣)- رحمه الله - مبينا معنى الآية : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ الآية ، أي : أمة خيارا عدولا ، فإنّ هذا حقيقة الوسط ، فهم خير الأمم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم ، وإراداتهم ونياتهم ، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء

---

١ - الآية :(١٤٣) من سورة البقرة .

٢ - تفسير الطبري ٢/٦-٨ .

٣ - هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني شمس الدين أبو العون ، عالم بالحديث والأصول والأدب ، ولد سنة (١١١٤) وتوفي (١١٨٨) . انظر : الأعلام للزركلي ٦/ ٢٤٠ .

للرسل على أممهم يوم القيامة ، وا لله تعالى يقبل شهاداتهم عليهم ، فهم شهداؤه ، ولهذ ا نوّه بهم ، ورفع ذكرهم وأثنى عليهم)(١) .

فهذه الآية الكريمة ، بيّنت فضيلة هذه الأمة المحمدية على غيرها من الأ مم السابقة ، ولا شك أنّ أول من يدخل في هذه الفضيلة ، هم أصحاب رسول ا لله ﷺ ، لأنّ هذه الآية نزلت في زمانهم ، وكانوا هم المخاطبين بها قبل غيرهم ، ومن هذا الوجه تكون هذه الآية ، دليلا على فضل الصحابة رضوان ا لله تعالى عليهم جميعا .

٢- قال ا لله تعالى : ﴿إنّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر الاّ على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ٧٢ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ٧٣ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ٧٤﴾ (٢) .

قال أبو الفداء العلاّمة ابن كثير (٣)- رحمه ا لله - عند قوله تعالى :

﴿ إنّ الذين آمنوا والذين هاجروا ﴾ الآية : (ذكر تعالى أصناف المؤمنين ، وقسّمهم إلى مهاجرين خرجوا من د يارهم وأموالهم وجاؤا لنصر ا لله ورسوله وإقامة دينه ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذ لك ، وإلى أنصار وهم المسلمون من أ هل المدينة

---

١ - لوامع ا لأنوار ا لبهية ٢ /٣٨٤ .

٢ - الآيات (٧٢ - ٧٤) من سورة الأنفال .

٣ - الإمام ابن كثير : هو اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع، القرشي ا لبصري ، ثم الدمشقي أبو الفداء ، مؤرخ مفسر ، من مؤلفاته : تفسير القرآن ا لعظيم ، والبداية وا لنهاية ، ا لباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث ، وغيرها . (ت ٧٧٤) . انظر : الدرر الكامنة ١/٣٧٣ ، والبدر الطالع ١/١٥٣ ، وشذرات الذهب ٦/٢٣١ ، وأعلام الزركلي ١/٣٢٠ ، وجلاء ا لعينين ص ٤٧ .

إذ ذاك ، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم ، وواسوهم في أموالهم ، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم ، فهؤلاء بعضهم أولياء بعض ...)(١) .

وقال الإمام القرطبي (٢)، عند تفسير قوله تعالى: ﴿أوليك هم المؤمنون حقا﴾ الآية : "حقا" مصدر ، أي : حققوا إيمانهم بالهجرة والنصرة ، وحقق الله إيمانهم بالبشارة في قوله : ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ أي : ثواب عظيم) (٣) .

وقال الألوسي (الجد) عن هذه الآية : (كلام مسوق للثناء على القسمين الأولين من الأقسام الثلاثة للمؤمنين . وهم : المهاجرون والأنصار بأنهم الفائزون بالقدح المعلى من الإيمان ، مع الوعد الكريم بقوله سبحانه : ﴿هم مغفرة﴾ لا يقادر قدرها ﴿ورزق كريم﴾ أي : لا تبعة له ، ولا منة فيه . وقيل : هو الذي لا يستحيل نجو في الأجواف . وهو رزق الجنة)(٤).

٣- قال الله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى ولا يشركون بى شيئا ﴾ (٥) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - موضحا لمعنى هذه الآية ، وتلك التي ختمت بها سورة الفتح (٦) :(فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف،

---

١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٤١/٢ - ٣٤٢ .

٢ - الإمام القرطبي هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري ، الخزرجي الأندلسي ، أبو عبد الله القرطبي من كبار المفسرين ، من تصانيفه : الجامع لأحكام القرآن ، والتذكرة لأحوال الموتى وأمور الآخرة ، وغيرهما (ت ٦٧١) انظر : طبقات المفسرين للسيوطي ص ٩٢ ، وطبقات المفسرين للداودي ٦٩/٢ ، والوافي بالوفيات ١٢٢/٢ ، والديباج المذهب ص٣١٧ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٣٩ ، وأعلام الزركلي ٣٢٢/٥ .

٣ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٨/٨ .

٤ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للألوسي المفسر ٣٩/٥ .

٥ - الآية (٥٥) من سورة النور .

٦ - وهي قوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في

كما وعدهم في تلك ، مغفرة وأجرا عظيما ، وا لله لا يخلف الميعاد ، فد لّ ذ لك على أنّ الذين استخلفهم كما اسخلف الذين من قبلهم ، ومكن لهم ديـن الإسـلام ، وهـو الـذي ارتضاه لهم ، كما قال تعالى : ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (١) وبد لهم بعد خوفهـم أمنا ، لهم المغفرة والأجر العظيم . وهذ ا يسـتدل بـه مـن وجهـين : يسـتدل بـه علـى أن المستخلفين مؤمنون ، عملوا الصالحات ، لأنّ الوعد لهم ، لا لغيرهم . ويستدل به على أنّ هؤلاء مغفور لهم ، ولهم أجر عظيم ، لأنّهم آمنوا وعملوا الصالحات ، فتناولتهم الآيتان : آية "النور "وآ ية " الفتح " . ومن المعلوم أنّ هذه النعوت منطبقـة علـى الصحابـة ، عنـى زمن أبي بكر وعمر وعثمان ، فإ نه إذ ذ اك حصل الاستخلاف ، وتمكن الدين ، والأمـن بعد الخوف ، لمّا قهروا فارس والروم ، وفتحوا الشام والعراق ومصر وخرسان وأفريقيـة ، ولما قتل عثمان وحصلت الفتنة ، لم يفتحوا شيئا من بلاد الكفار ، بل طمع فيهم الكفار بالشام وخرسان ... وحينئذ فقد دل القرآن على إ يمان أبي بكر وعمـر وعثمـان ، ومـن كان معهم في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن ، وأدركوا زمـن الفتنـة كعلـي والزبـير وأبي موسى ومعاوية وعمرو بن العاص ، دخلوا في الآية،لأنهم استخلفوا ومكنوا وآمنـوا. وأما من حدث في زمن الفتنة ، كالرافضة الذين حدثوا في الإسلام في زمن الفتنة والافتراق ، وكالخوارج المارقين ، فهؤلاء لم يتناولهم النص ، فلم يدخلـوا فيمـن وصـف بـالإ يمـان والعمل الصالح ، المذكورين في هذه الآيـة ، لأنّهـم أولا : ليسـوا مـن الصحابـة المخـاطبين بهذا ، ولم يحصـل لهـم مـن الا ستخلاف والتمكـين ، والأمـن بعـد الخـوف ، مـا حصـل للصحابة ، بل لا يزالون خائفين مقلقلين غير ممكنين) .(٢)

وقال - رحمه ا لله تعالى - عـن قولـه تعـالى : ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾(٣) :(قال طائفة من السلف : هم أصحاب محمد ﷺ . ولا ريب أنهم

الإنجيل كزرع أخرج شطيه فآزره فا ستغلظ فا ستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ الآية (٢٩) من سورة الفتح .

١ - الآية (٣) من سورة المائدة .

٢ - منهاج السنة النبوية ٢/٣٦ - ٣٨ .

٣ -الآية (٥٩) من سورة النمل .

أفضل المصطفين من هذه الأمة التي قال الله فيها ﴿ ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ۝ جنّات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ۝ وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إنّ ربنا لغفور شكور ۝ الذى أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ۝ ﴾ (١) .

فأمة محمد ﷺ ، هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم : اليهود والنصارى ، وقد أخبر الله أنّهم الذين اصطفى ... ومحمد ﷺ ، وأصحابه هم المصطفون من المصطفين من عباد الله) (٢) .

الأدلة من السنة :

فكما جاء القرآن الكريم ببيان فضائل الصحابة وشمائلهم، بذلك نطقت السنة المطهرة أيضا . والأحاديث التي وردت في ذلك كثيرة جدا ، منها :

١ - ما رواه الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه من حديث أبي بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : صلينا مع رسول الله ﷺ ،ثم قلنا : لو جلسنا حتى نصلي العشاء،قال : فجلسنا ، فخرج علينا فقال :ما زلتم هاهنا ؟ قلنا : يا رسول الله ، صلينا معك المغرب ، ثم قلنا : نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: " أحسنتم " أو " أصبتم " قال:فرفع رأسه إلى السماء ، وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال : ((النجوم أمنة السماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)) (٣).

---

١ - الآيات (٣٢- ٣٥) من سورة فاطر .

٢ - منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣٤/٢ . وانظر : لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٨٤/٢ .

٣ - صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ ، أمان لأصحابه ، وبقاء أصحابه أمان للأمة ح(٢٥٣١) ١٩٦١/٤ .

قال أبو حاتم محمد بن حبان البستي - رحمه الله - موضحا لمعنى هذا الحديث :
(ويشبه أن يكون معنى هذا الخبر، أنّ الله جلّ وعلا ، جعل النجوم علامة بقاء السماء ، وأمنة لها عن الفناء ، فإذا غارت واضمحلّت أتى السماء الفناء الذي كتب عليها ، وجعل الله - جلّ وعلا - المصطفى أمنة أصحابه ، من وقوع الفتن ، فلما قبضه الله - جلّ وعلا - إلى جنته ، أتى أصحابه الفتن التي أوعدوا ، وجعل الله أصحابه ، أمنة أمته من ظهور الجور فيها ، فإذا مضى أصحابه أتاهم ما يوعدون ، من ظهور غير الحق من الجور والأباطيل) (١) .

قال النووي -رحمه الله -(٢) : (ومعنى الحديث أنّ النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية ، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة ، وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت ، وقوله ﷺ : ((وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون)) ، أي : من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحا وقد وقع كل ذلك . قوله ﷺ ،:((وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)) ، معناه : من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه ، وطلوع قرن الشيطان ، وظهور الروم وغيرهم عليهم ، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك ، وهذه كلها من معجزاته ﷺ) (٣)

---

١ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، للأمير علاء الدين أبي الحسن علي بن بلبيان بن عبد الله الفارسي ٩/ ١٨٦ .

٢ - هو يحي بن شرف بن مري بن حسن أبو زكريا محي الدين الحزامي الحوارزمي الشافعي ، ولد عام (٦٣١) كان من علماء الفقه والحديث واللغة ، من تصانيفه : المجموع شرح المهذب ، وشرح صحيح مسلم ، و تهذيب الأسماء واللغات ، وغيرها . توفي (٦٧٦) . انظر : العبر ٣/٣٣٤ ، وتذكرة الحفاظ ٤/١٤٧ وطبقات الشافعية الكبرى ١/ ٣٩٥ ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٨ ، وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٤ ، والأعلام للزركلي ٨/ ١٤٩ .

٣ - شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/٣١٦ -٣١٧ .

٢ - ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - عن النبي ﷺ ، قال :((يأتي على الناس زمان يغزو فئام(١) من الناس فيقال لهم : فيكم من رأى رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم . فيفتح لهم ، ثم يغزو فئام من الناس ، فيقال لهم : هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم ، فيفتح لهم . ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم : هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون نعم ، فيفتح لهم)) (٢) .

قال النووي - رحمه الله - (وفي الحديث معجزات لرسول الله ﷺ ، وفضل الصحابة والتابعين وتابعيهم) (٣)

٣- حديث عمران بن حصين - رضي الله عنهما - الذي رواه الشيخان في صحيحيهما أيضا ، قال رسول الله ﷺ :((خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا ، ثم إنّ بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن)) (٤) .

قال النووي : (اتفق العلماء على أنّ خير القرون ، قرنه ﷺ ، والمراد أصحابه)(٥) .

الأدلة من أقوال السلف الصالح في الثناء عليهم ، وبيان فضلهم :

لقد امتلأت كتب السلف الصالح بالثناء عليهم أجمعين ، بما امتازوا به من الصفات

---

١ - الفئام : الجماعة الكثيرة . النهاية لابن الأثير ٣/ ٤٠٦ .

٢ - صحيح البخاري مع الفتح . كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ . باب فضائل أصحاب النبي ﷺ . ح(٣٦٤٩) ج٧/ ٢٨٧ ، وصحيح مسلم . واللفظ له . كتاب فضائل الصحابة . باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم . ح(٢٥٣٢) ٤/ ١٩٦٢ .

٣ - شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ٣١٧ .

٤ - صحيح البخاري مع الفتح . كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ . باب فضائل أصحاب النبي ﷺ . ح (٣٦٥٠) ٧/ ٣ . واللفظ له . صحيح مسلم مع شرح النووي . كتاب فضائل الصحابة . باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ... ح (٢٥٣٥) ج ١٦/ ٣٢١ .

٥ - شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ٣١٨ .

الحميدة الطيبة ، والسيرة الحسنة ، والأخلاق المشرفة الفاضلة ، والأعمال الصالحة ، التي جعلتهم أهلا لأن يكونوا أصحابا ووزراء لخير البرية صلوات الله وسلامه عليه ، فمن ذلك :

١- ما جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: (إنّ الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، خص نبيه محمد ﷺ ،بصحابة أثروه على الأنفس والأموال ، وبذلوا النفوس دونه في كل حال، ووصفهم الله في كتابه فقال : ﴿ **رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾ (١) قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه ، وظهرت آلاء الله ، واستقرّ دينه ووضحت أعلامه ، وأذل بهم الشرك ، وأزال رؤوسه ، ومحا دعائمه ، وصارت كلمة الله العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية ، والأرواح الطاهرة العالية ، فقد كانوا في الحياة لله أولياء ، وكانوا بعد الموت أحياءً ، وكانوا لعباد الله نصحاء ، دخلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها ، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها)(٢) .

٢- ما رواه الإمام أحمد -رحمه الله - في المسند بإسناده إلى ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : (إنّ الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه ، فابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه ، فما رأى المسلمون حسنا ، فهو عند الله حسن ، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيء) (٣) .

---

١ - الآية (٢٩) من سورة الفتح .

٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ٣/ ٦٥ -٦٦ .

٣ - المسند للإمام أحمد ٣٧٩/١ ، وانظر شرح السنة للبغوي ٢١٤/١ - ٢١٥ ، وصححه الحاكم ٧٨/٣ ، ووافقه الذهبي . وأورده الهيثمي في المجمع ١٧٧/١- ١٧٨ ، وقال : رواه أحمد والبزار ، ورجاله موثقون .

٣ - وروى ابن بطة (١)- كما جاء في منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية - بإسناده إلى عبد الله بن مسعود ، أنه قال : (من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات ، فإنّ الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ، كانوا والله أفضل هذه الأمة ، وأبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلّها تكلف قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فإنّهم كانوا على الهدى المستقيم) (٢) .

وقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه : (كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا) ، كلام جامع ، بيّن فيه حسن قصدهم ونياتهم ببر القلوب ، وبيّن فيه كمال المعرفة ودقتها ، بعمق العلم ، وبيّن فيه تيسير ذلك عليهم ، وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف) (٣) .

٤- وروى الإمام أحمد بإسناده إلى قتادة بن دعامة السدوسي ، أنه قال : (أحق من صدقتم ، أصحاب رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه)(٤) .

٥ - وقال الحافظ ابن كثير-رحمه الله-: قال حماد بن سلمة (٥) عن أيوب السختياني (٦)

---

١ - هو الإمام القدوة العابد الفقيه المحدث شيخ العراق ، أبو عبد الله ، عبيد الله بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي ، ابن بطة ، مصنف كتاب " الإبانة الكبرى " ولد رحمه الله سنة (٣٠٤). توفي في محرم من سنة (٣٨٧) . انظر ترجمته : سير الأعلام ١٦/٥٢٩ ، وتاريخ بغداد ١٥/٣٧١ -٣٧٥، وطبقات الحنابلة ٢/١١٤- ١٥٣ ، وشذرات الذهب ٣/١٢٢- ١٢٤ ، والبداية والنهاية ١١/٣٢١ -٣٢٢ ، والعبر٣/٣٥.

٢ - منهاج السنة النبوية ٢/٧٦ -٧٧ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : رواه غير واحد ، منهم ابن بطة - كما تقدم - عن قتادة ، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٢ .

٣ - المصدر السابق ٢/٧٩ .

٤ - المسند ٣/ ١٣٤ .

٥ - هو حماد بن سلمة بن دينار ، الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، أبو سلمة البصري ، النحوي البزاز ، الخرقي البطائني مولى آل ربيعة بن مالك ، توفي يوم الثلاثاء ، في ذي الحجة بعد العيد بسنة (١٦٧) عن ست وسبعين سنة . انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٤٤ - ٤٥٦ ومشاهير علماء الأمصار ص ١٥٧ ، والجرح والتعديل ٣/١٤٠ - ١٤٢ ، وحلية الأولياء ٦/٢٤٩ ، وميزان الإعتدال ١/٥٩٠- ٥٩٥ ، وطبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٢ ، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٢- ٢٠٣ .

٦ - هو أيوب بن تميمة كيسان السختياني البصري ، أبو بكر ، سيد فقهاء عصره ،تابعي ، من حفاظ الحديث ، كان ثبتا ثقة ،ولد سنة ست وستين ، وقيل : ثمان وستين ، وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة . انظر :

أنه قال : (من أحب أبابكر فقد أقام الدين ، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان ، فقد استنار بنور ا لله ، ومن أحب عليا فقـد استمسـك بـالعروة الوثقى ، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول ا لله ﷺ ، فقد برئ من النفاق)(١) .

تهذيب التهذيب ٣٩٧/١ ، وحلية الأولياء ٣/٣ ، وا للباب ص١٠٨ ، والأعلام للزركلي ٣٨/٢ .

١ - البداية والنهاية ٨/ ١٣ .

٦- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية . مبينا لما عليه أهل السنة والجماعة تجاه الصحابة وتفضيلهم على غيرهم بعد نبيّهم محمد ﷺ : (ومن أصول أهل السنة والجماعة ، سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى : ﴿ والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاّ للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (١) ، وطاعة للنبي ﷺ ، في قوله : ((لا تسبوا أصحابي . فو الذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه)) (٢) (٣) .

وبمجموع ما تقدم ذكره . يتضح لنا رفعة مكانة هذه الطائفة المختارة . التي استخلصها الله تعالى لصحبة المصطفى ﷺ . ولإقامة الدين ونصرته ونشره، فمن أحبّهم وأثنى عليهم ، فقد أطاع الرسول ﷺ ومن سبّهم وأبغضهم فقد عصى رسول الله ﷺ .(٤)

---

١ - الآية (١٠) من سورة الحشر .

٢ - رواه مسلم في صحيحه ، ح (٢٥٤٠) كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سبّ الصحابة ، رضي الله عنهم ، ٤/ ١٩٦٧ .

٣ - العقيدة الواسطية بشرح صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ص ١٨٤ .

٤ - انظر : شرح العقيدة الواسطية ، صالح بن فوزان الفوزان ص ١٨٦ .

المطلب الثاني : الإمساك عما شجر بينهم .

عرف فيما تقدم من كلام الألوسي وغيره من أهل السنة والجماعة ، وما استدل به من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، ثبوت فضل تلك النخبة الكريمة من الأمة المحمد ية المفضّلة على من سواهم بعد رسول ا لله ﷺ .

ففي هذا المطلب يبين الأ لوسي – رحمه ا لله تعالى – ما عليه أهل السنة والجماعة ، من أهل نجد وغيرهم فيما شجر بينهم ، رضوان ا لله تعالى عليهم جميعا ، فيقول : (و لم يزل أمراؤهم (أي أهل نجد) وعلماؤهم ، يأمرون بالأخذ على ألسنة السفهاء من الخوض فيما شجر بين آل النبي ﷺ وأصحابه ، وإظهار العصبيّة التي تزحزح الحق عن نصابه ، وترجعه على أعقابه ، وليس مستندها إلاّ مغالات ذوي الجهل (١) ، وربما نشأ منها فتنة ، والفتنة أشد من القتل) (٢).

وقال أيضا نقلا عن العلاّ مة عبد اللطيف – رحمه ا لله – في بيان ما عليه إمام الدعوة السلفية شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في حق الصحابة رضي ا لله عنهم قال : (يوا لي جميع أصحاب رسول ا لله ﷺ ، ويكفّ عما شجر بينهم ، ويرى أنهم أحق الناس بالعفو عما صدر منهم ، وأقرب الخلق إلى مغفرة ا لله وإحسانه وفضائلهم وسوابقهم وجهادهم وما جرى على أيديهم من فتح القلوب بالعلم النافع ، والعمل الصالح وفتح البلاد ، ومحو آثار الشرك وعبادة الأوثان والنيران والأصنام والكواكب ، ونحو ذ لك مما عبده جهال الأنام ، ويرى أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ ، أبو بكر فعمر فعثمان فعلي – رضي ا لله عنهم أجمعين .) (٣) .

ويفهم مما أشار إليه الشيخ ، أنّ مذهب أهل السنة والجماعة في أ صحاب النبي ﷺ ، مذهب وسط ، لا إفراط ولا تفريط ، فهم يعتقدون فضل جميع أصحاب رسول ا لله ﷺ

---

١ – يشير شيخنا – رحمه ا لله – إلى الروافض الذين يدّعون محبّة آل البيت ، وهم منهم بر يؤون ، لأ نها انقلبت إلى ضدّها ، لما روي عن علي بن الحسين من قوله : (يا أيّها الناس أحبّونا حبّ الإسلام ، فما برح بينا حبكم حتى صار عارا علينا) مختصر منهاج السنة النبوية ، للشيخ عبد ا لله ا لغنيمان ١٧٣/١ .

٢ – تاريخ نجد للأ لوسي ص ٤٥ .

٣ – المصدر ا لسابق ص ٨١ .

على جميع الأمة ، ويقررون تفاوتهم في الفضل فيما بينهم ، ولا ينفون عنهم الصفات البشرية ، فقد يقع منهم الذنب ، ويحدث منهم الخطأ ، ولكنهم مع ذلك أهل فضل وصلاح ، ويجب على المسلمين أن يحفظوا لهم حقهم ، وأن يكلوا ما حدث بينهم إلى الله عز وجلّ (١).

قال أبو نعيم (٢): (فالواجب على المسلمين في أصحاب رسول الله ﷺ ، إظهار ما مدحهم الله تعالى به ، وشكرهم عليه من جميل أفعالهم وسوابقهم ، وأن يغضّوا عما كان منهم في حال الغضب والإغفال ، وفرط منهم عند استزلال الشيطان إيّاهم ونأخذهم في ذكرهم بما أخبر الله تعالى به ، فقال تعالى : ﴿ والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ (٣) ، فإن الهفوة والزلل والغضب والحدة والإفراط لا يخلو منه أحد ، وهو لهم مغفور ...) (٤) .

وقال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - : (وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة -عليهم السلام-(٥) إلاّ بخير ما يذكرون به ، وعلى أنهم أحق أن ينشر محاسنهم ، ويلتمس لأفعالهم أفضل المخارج ، وأن نظنّ بهم أحسن الظن ،وأحسن المذاهب ، متمثلين في ذلك قوله ﷺ ((إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)) (٦) ، وقال أهل العلم : معنى ذلك ، لا تذكروهم إلاّ بخير الذكر) .(٧)

---

١ - انظر: شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي ، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان الغامدي ٨/ ١٣٩٤ ، هامش (٢) منها .

٢ - هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الشافعي أبو نعيم ، محدث مؤرخ ، ولد سنة (٣٣٦) وقيل : (٣٣٤) وتوفي بأصبهان سنة (٤٣٠) من مصنفاته : حلية الأولياء ، تاريخ أصبهان ، دلائل النبوة) . انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٥٣ ، وتذكرة الحفاظ ١٠٩٢/٣ ومعجم المؤلفين ١/ ٢٨٢ -٢٨٣ .

٣ - الآية (١٠) من سورة الحشر .

٤ - كتاب الإمامة لأبي نعيم ص ٣٤١- ٣٤٢

٥ - هكذا في النص عنده ، والأولى في الصحابة الترضي عنهم .

٦ - أخرجه الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود ، في المعجم الكبير ١٠/ ٢٤٤ . وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير ، وحكم بصحته ٢٠٩/١ ، وقال في سلسلة الأحاديث الصحيحة : روي من حديث ابن مسعود وثوبان وابن عمر وطاووس مرسلا ، وكلها ضعيفة الأسانيد ، ولكن بعضها يشد بعضا ، ١/ ٤٢ .

٧ - رسالة إلى أهل الثغر ، بباب الأبواب لأبي الحسن الأشعري ص ١٧٢ ، تحقيق عبد الله شاكر الجنيدي .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (وأهل السنة يحسنون القول فيهم ، ويترحمون عليهم ، ويستغفرون لهم ، لكن لا يعتقدون العصمة من الإقرار على الذنوب ، وعلى الخطأ في الاجتهاد ، إلاّ لرسول الله ﷺ ، ومن سواه فيجوز عليه الإقرار على الذنب والخطأ ، لكن هم كما قال تعالى :﴿ **أوليك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم** ﴾ (١) ، وفضائل الأعمال إنما هي بنتائجها وعواقبها لابصورها) (٢).

وبناء على ما تقدم ، يلزم كل مسلم الترحم والترضي على جميع أصحاب رسول الله ﷺ ، صغيرهم وكبيرهم ، وأولهم وآخرهم ، وذكر محاسنهم ، ونشر فضائلهم ، والاقتداء بهديهم ، والاقتفاء لآثارهم ، وأن الحق في كل ما قالوه ، والصواب فيما فعلوه (٣) .

١ - الآية (١٦) من سورة الأحقاف .

٢ - مجموع فتاوى ٤/٤٣٤ .

٣ - انظر : كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، ص ٢٦٤ . للعكبري .

المطلب الثالث : في ذبّه ما ألصقه بهم الرافضة (١) من التهم .

التوطئة :

لقد نحا الرافضة في الصحابة -رضي الله عنهم- منحا ، خالفوا فيه أغلب الملل المنتسبة إلى الإسلام ، فقد احتموا وراء زعمهم حبّ آل البيت ، وسلّوا سيوف أقلامهم وألسنتهم ، على رقاب الصحابة . فوقعوا فيهم بالسبّ واللعن والتكفير .

ولا غرابة في ذلك ، لأنّ شدة بغضهم ، على رفاق رسول الله ﷺ ، ناتج عن قلوبهم المحترقة ، المليئة حقدا وحسدا ، ذلك أن أولئك ، هم الذين أرغموا أنوف أسلافهم ، وكسّروا شوكة ماضيهم ، ودمروا أوكار كفرهم ، وأزالوا ملكهم وسلطانهم وخربوا قصورهم وحصونهم ، وأذلوا الشرك والمشركين . فمن ينظر إلى هذه الأمور ، لا يرتاب في كونها سبب تلك الوقيعة ، في تلك السواد التي حمت هذا الدين ، ورفعت راية التوحيد عاليا .(٢)

وبناء على هذا ، فقد قالوا بكفر الصحابة - رضوان الله عليهم- بعد رسول الله ﷺ . فقد روى الكليني (٣) في الكافي : (كان الناس أهل ردة بعد النبي إلاّ الثلاثة : المقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي)(٤) . وقال قائلهم :(إنّ الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ ، غير أربعة) .(٥)

وهؤلاء الأربعة الذين نجوا من تكفير الشيعة هم : سلمان الفارسي ، وأبو ذر والمقداد ، وعمار بن ياسر ، رضي الله عنهم .(٦)

---

١ - سيأتي التعريف بهم في ص ٢٣٢ وما بعدها .

٢ - انظر : الشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي ظهير ص ٤٤ .

٣ - الكليني :هو محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني ، أبو جعفر ، شيخ الرافضة في وقته ، وإمامهم ، ألف كتاب " الكافي" ، وهو أصح كتاب عند الرافضة ، وهو في ثمانية مجلدات .توفي سنة (٣٢٨) . انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٨٠ ، ولسان الميزان ٥/٤٣٢ .

٤ - كتاب الروضة من الكافي ٨/ ٢٤٥ ، ونص الشيعة وأهل البيت ص ٤٥ .

٥ - الشيعة وأهل البيت ص ٤٤ ، نقلا عن كتاب سليم بن قيس العامري ص ٩٢ ، ط دار الفنون ،بيروت .

٦ - مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٦ .

وهذا من أهم وأعظم ما رمى به الشيعة صحابة رسول الله ﷺ ، - وحاشاهم - أن يكونوا كما تمنى لهم الشيعة ، ويأبى الله إلاّ أن يقيم لهذا الدين من يحميه وينصره ، ولدعاته من يدافع ويذبّ عنهم . فقد قام علماء هذه الأمة ، بالدفاع عن الصحابة - رضوان الله عليهم - بألسنتهم وأقلامهم ، وألّفوا في ذلك وصنّفوا .

وكان العلاّمة الشيخ الألوسي - رحمه الله - أحد أولئك العلماء ، الذين جردوا أقلامهم ، وصنّفوا في التصدى لهؤلاء الأشرار الطغام ، ودافع عن الصحابة بالحجج الدامغة ، والبراهين الساطعة ، وله في الرد عليهم آثار عديدة منها ما يلي :

١- صبّ العذاب على من سبّ الأصحاب .

٢- رجوم الشياطين .

فهذان كتابان صنفهما في الرد على تهم الرافضة ومفترياتهم على صحابة رسول الله ﷺ ، كما قام باختصار بعض الكتب الموضوعة في هذا المجال ، فاختصر كلا من :

١- المنحة الإلهية ، تلخيص ترجمة التحفة الإثنى عشرية .

٢- السيوف المشرقة مختصر الصواعق المحرقة .

٣- سعادة الدارين في شرح حديث الثقلين .(١)

ردود الإمام الألوسي - رحمه الله تعالى :

وهنا نورد - إن شاء الله - بعض ردوده عليهم في دعاويهم الباطلة على الصحابة -رضي الله عنهم - باختصار :

أولا : رده على تكفير الرافضة للصحابة - رضي الله عنهم :

رد الألوسي - رحمه الله -على تكفيرهم للصحابة -رضوان الله عليهم ، فقال في

---

١ - قد تقدم الكلام حول هذه الكتب في ص٧٩ ، ٨٧ عند ذكر مؤلفاته ، بما فيه الكفاية ، فليراجع هناك .

"صب العذاب" عند رده على قول الناظم الرافضي : (١)

ألا إنا لم نقل بالكفر * وقولنا أمر وراء الستر (٢)

قال -رحمه الله- : هذا مردود بما نقل في الأصل (٣)، في كتاب وفاة النبي ﷺ (٤)، عن ابن عباس عن أمير المؤمنين، وعن غير واحد عن الصادق : (أنّ الصحابة ارتدوا بعد النبي ﷺ إلاّ أربعة) (٥) .

وقال : (وسبب كفرهم - بزعمهم - تقديمهم أبا بكر على علي كرم الله وجهه(٦)، في الخلافة، وعدم عملهم بحديث الغدير (٧) الذي هو نص عندهم، في خلافة الأمير كرم الله وجهه، بعد رسول الله ﷺ، بلا فصل، وثبوته - بزعمهم- ضروري عند جميع الصحابة، من حضر منهم الغدير، ومن لم يحضر) .(٨)

وبيّن - رحمه الله - بطلان قول الناظم في البيت السابق :

(.... * وقولنا أمر وراء الستر) قال : (وهذه كتبهم طافحة بما تبرأ منه هذا الناظم الخبيث ... وهذا كتاب إحقاق الحق بين الأيدي، ولم يدع مؤلفه الخنزير من المثالب والمطاعن، إلاّ ونسبها إلى من شيدوا الدين، ونصروا شريعة سيد المرسلين .

١- هذا الناظم هو محمد الباقر بن أبي القاسم بن الحسن بن المجاهد الطباطبائي، ولد بالنجف سنة(١٢٧٣هـ) متفقه متكلم أديب ناظم، من تصانيفه : (السهم الثاقب في رد ما لفقه الناصب)، وهي الأرجوزة التي يرد عليها الإمام الألوسي في (صب العذاب على من سب الأصحاب) . وله غيرها . مات بكربلاء سنة (١٣٣١هـ) وله اسم مستعار كان يستتر خلفه . وهو أحمد الفاطمي . انظر : أعلام الزركلي٦/٤٩، ومعجم المؤلفين ٩/٨٩ .

٢ - صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٢٦٩ (الرسالة) .

٣ - يريد بالأصل :(الأجوبة العراقية على الأسئلة) ،وأصله . عبارة عن جواب على سؤال ورد إلى علماء بغداد من أهل " لاهور " عن جماعة ظهرت في بلادهم يسبون الصحابة رضي الله عنهم . فقام الألوسي أبو الثناء المفسر بكتابة الجواب المعنون : "بالأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية ".انظر ص ١٤من الكتاب نفسه.

٤ - كتاب وفاة النبي ﷺ . هو كتاب السقيفة، لسليم قيس الهلالي .

٥ - كتاب السقيفة ص ٩٢ . وصب العذاب على من سب الأصحاب ص ٢٧١ .

٦ - الأولى أن يترضى عليهم جميعا ، وعدم التفريق بينهم .

٧ - حديث الغدير هو قوله ﷺ يوم غدير خم : (من كنت مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه) . أخرجه الترمذي في سننه ٥/٦٣٣، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه (دون الجزء الأخير) من الحديث . وأخرجه ابن ماجة في سننه ١/٢٤، المقدمة، باب فضل أصحاب رسول الله ﷺ، وأحمد في مسنده ٤/٣٧٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ٣٣١ .

٨ - صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٢٧٢ .

صلوات الله وسلامه عليه، وعليهم أجمعين. بل ما كفاه ذلك حتى جعلهم أسوأ حالا من اليهود و النصارى الضالين الحيارى، سوّد الله وجهه في الدنيا والآخرة، وحشره وإخوانه مع فرعون وهامان، وسائر الملل الكافرة.

نعم إن أراد بقوله: (وراء الستر)، أنّهم كتموه نفاقا، وأخفوه خوفا من أهل الحق، كسائر ما يعتقدون به كان له وجه، فإنّهم أظهروا غير ما أبطنوا، وكتموا خلاف ما أعلنوا)(١) و قد عرفوا بذلك، كما هو واقع في عقيدة التقية لديهم.

ثانيا: رده – رحمه الله – على سبّهم نخبة خلق الله – رضوان الله عليهم:

قال رحمه الله في رده على قول الناظم الرافضي:

ولا يجوز سبّ غير من ظلم * آل النبي الغر شافع الأمم

قال الألوسي: (قد عرف السب في أصل الكتاب (٢)، بما لايحتاج إلى بيان، وتبين فيه حكم الساب واللاعن، بأتم دليل وبرهان.

وذكر فيه: أن (٣) الشيعة جوّزوا السبّ واللعن على أكثر الصحابة، منهم من كتم النص، وهو – بزعمهم – حديث الغدير (٤)، وكذا من حارب الأمير، كرم الله وجهه، كعائشة وطلحة والزبير و معاوية وعمرو بن العاص وضرابهم، بل اعتقدوا أن لعن هؤلاء وسبّهم من أعظم العبادات وأقرب القربات ...(٥) الخ، وهذا مما لا يحتاج إلى دليل، ولا قال ولا قيل). (٦)

ورد على قول الرافضي في سب عمرو – رضي الله عنه –:

وسبّ عمرو ويزيد عندنا * ندب نقول قولا معلنا

وإن من أنكره لمنكر * وجدانه و الأمر فيه أظهر

---

١ – المرجع السابق ص ٢٧٢ – ٢٧٤.

٢ – يقصد جواب جده لأهل لاهور، المعروف بالأجوبة العراقية ...

٣ – من هنا بدأ نقله من الأجوبة العراقية ص ٤٥.

٤ – تقدم تخريجه في ص ١٢٣.

٥ – إلى هنا انتهى النقل عن الأجوبة العراقية.

٦ – صب العذاب ص ٢٧٥.

من ذاالذي يمنع سبّ من سبّ * آل النبي المصطفى واعجبا

سباهم سبي العبيد و الإما * لكفره كما به ترنما

وأمر عمرو طفحت به السير * فشاع ما قد شاع واشتهر

وكفره عند أولى الأبصار * كالشمس في رابعة النهار

قال الألوسي - رحمه الله -: (أقول :الندب وما يرادفه كالمندوب ، والأولى والسنة ، والمستحب ونحو ذلك ، ما يمدح فاعله ، ولا يذم تاركه(١) . لأنه اقتضاء للفعل غير كف ، لا على سبيل الجزم ، وهو أحد أقسام الحكم الذي هو خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف ، من حيث هو مكلف ، اقتضاء جازما أو تخييرا .

ولم يرد في شريعة من الشرائع . التكليف بسب أحد ، والإثابة على ذلك ، فضلا عن شريعة الإسلام التي جاء بها خير الخلق . عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام .

فقول الناظم : (ندب .. الخ) ظاهر البطلان ، لا يحتاج في كذبه إلى بيان . كيف لا ، وفيه أيضا مخالفة لما ثبت عن الأمير كرم الله وجهه ، في نهج البلاغة حيث قال : - وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين - :(إني أكره أن تكونوا سبّابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالكم وذكرتم حالكم ، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر ، وقلتم مكان سبكم إياهم : اللهم أحقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم ... الخ (٢)) (٣) .

وقال أيضا : (ومن تعصبتهم أنهم يرون أن الإبتداء بلعن أبي بكر وعمر بدل التسمية في كل أمر ذي بال ، أحب وأولى ، ويقولون :كل طعام لعن عليه الشيخان سبعين مرة ، كان فيه زيادة البركة ، ولا يخفى على من له بصيرة ، أن هؤلاء لا إيمان لهم ولا دين ،

---

١ - انظر هذا التعريف : الإحكام في أصول الأحكام ١/١٧ ، ونهاية السول في شرح منهاج الأصول ١/٧٧.

٢ - نهج البلاغة ٣٢٣ ، خطبة رقم (٢٠٦) .

٣ - صب العذاب ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

بل هم من زمرة الشياطين ، وكذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (١) (٢) .

وردود الإمام الألوسي على الروافض في سب الصحابة ولعنهم وتكفيرهم ، كثيرة جدا ، (٣) ، يصعب حصرها ، ولا يسعنا هنا سوى الاكتفاء ببعض الإشارات إلى ردوده ، وعلى وجه الاختصار .

من ذلك :

أنه - رحمه الله - قد ذكر حكمهم عند ذكره لعقيدة أهل السنة في التكفير ، فقال : الثابت عن أهل السنة عدم تكفير أهل القبلة ، ما لم يثبت عنهم إنكار ما علم ضرورة أنه من الدين ، وإلاّ فيحكم بالكفر ، كغلاة الشيعة و المجسمة (٤) القائلون : إنّ الله جسم كالأجسام ، فإنهم كفار على ما صرح به الإمام الرافعي (٥) ، وهو الأصح .
وكالإثنى عشرية (٦) ، فقد كفرهم معظم ما وراء النهر ، وحكموا بإباحة دمائهم وأموالهم وفروج نسائهم ، حيث أنّهم يسبون الصحابة رضي الله عنهم ، لا سيما

---

١ - إقتبس العلاّمة ذلك من قوله تعالى :﴿ **وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار** ﴾ الآية (١٦٧) من سورة البقرة .

٢ - مختصر التحفة ص ٢٨٧ .

٣ - خاصة ما علمنا أنه قد أفرد لذلك مؤلفا سماه " صب العذاب على من سب الأصحاب " .

٤ - المجسمة : هم القائلون بأن الله جسم من الأجسام ، وأول من عرف عنه ذلك في الإسلام ، هو هشام بن الحكم الرافعي . انظر: مجموع فتاوى ١٨٦/٣ . ومنهاج السنة ٧٢/١ -٧٣ .

٥ - هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل ، أبو القاسم القزويني ، شيخ الشافعية ، من مؤلفاته : فتح العزيز في شرح الوجيز . توفي سنة (٦٢٣هـ) . سير أعلام النبلاء ٢٢ /٢٥٢ .
وله كلام نفيس فيما يخرج به المسلم من الإسلام ، من الاعتقادات والأقوال والأفعال ، من ذلك :
نسبة الشيئ إلى الله تعالى ، منفي عنه بالإجماع ، وكذلك نسبة عائشة رضي الله عنها إلى الفاحشة .
راجع : فتح العزيز في شرح الوجيز . كتاب الردة ،(ق١٧٧/ب -١٨١ ب ، ج ١٤) ، مصور بالجامعة الإسلامية تحت رقم (٢٥١١) ميكرفيلم .

٦ - الإثني عشرية : فرقة من فرق الإمامية ، سموا بذلك لحصرهم الإمامة في اثني عشر رجلا ، هم : علي بن أبي طالب ، والحسن ، والحسين ، وزين العابدين ، والباقر ، والصادق ، والكاظم ، والرضى ، والجواد ، والتقي ، والحسن العسكري ، وابنه محمد الملقب بالقائم ، مهديهم المنتظر . انظر : مقالات الإسلاميين ٩٠/١ ، والفرق بين الفرق ص ٦٤ .

الشيخين -رضي الله عنهما - وهما السمع والبصر منه عليه الصلاة والسلام (١)؛ وينكرون خلافة الصديق ، رضي الله تعالى عنه) (٢) .

وقال رحمه الله - في معرض رده على تجويزهم السب واللعن ، قال :﴿ ألا لعنة الله على الظالمين﴾ (٣) ولم يكن أحد من الصحابة ظالما لأهل البيت)(٤) .

وقال أيضا :(وقد علمت أن سب الصحابي ، لاستلزامه إنكار ما قام عليه الإجماع - كفر)(٥) .

وقال : (وقد صرح البخاري في كتاب الأدب ... بما رواه مرفوعا : ((لعن المؤمن كقتله ، ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله)) (٦) ، ولا يخفاك أنّ الروافض قد لهجوا بسب ولعن من ثبت - بنصوص الكتاب والسنة والعترة الطاهرة - إيمانه وإسلامه . فوجه كفرهم حينئذ . قد علم بالضرورة ، ولا محيص لهم عن ذلك بوجه من الوجوه) (٧) .

ثم نقل - رحمه الله - ما رواه الخطيب (٨)في الكفاية ، بسنده إلى أبي زرعة الرازي (٩) أنه قال : (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ ،

---

١ - أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب مناقب أبو بكر الصديق ، ح (٣٦٧١) ، ٥/٦١٣ ، وقال: هذا حديث مرسل . وعبد الله بن حنطب لم يدرك النبي ﷺ ، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٦٩ ، وصححه ، وحسنه الذهبي ، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٨١٤) ٢/٤٧٢ .

٢ - صب العذاب ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

٣ - الآية (١٨) من سورة هود .

٤ - صب العذاب ص ٢٧٦ .

٥ - المصدر السابق ص ٢٨١ .

٦ - الحديث ذكره الألوسي بالمعنى ، ونصه في البخاري : ((... من لعن مؤمنا فهو كقتله ، ومن قذف مؤمنا بكفر ، فهو كقتله)) . البخاري مع الفتح ١٠/٤٦٤ كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن السباب واللعن .

٧ - صب العذاب ص ٢٨٢ .

٨ - هو أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد أبو بكر الخطيب البغدادي ، صاحب " تاريخ بغداد " الحافظ الناقد محدث وقته . توفي سنة (٤٦٢هـ) . سير أعلام النبلاء ١٨/٢٧٠ .

٩ - هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ ، أبو زرعة الرازي . إمام حافظ ، ثقة مشهور . توفي سنة (٢٦٤هـ) . سير الأعلام ١٣/ ٦٥- ٨٥ .

فاعلم أنه زنديق) ولتكن ممن يقول : ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاّ للذين آمنوا ربنا إنّك رؤوف رحيم﴾ (١) (٢) .

وقد حشد - رحمه الله - كثيرا من الآيات والأحاديث والآثار والحجج ، في فضائل الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وفي النهي عن سبّهم ولعنهم ، بما لا يتسع له هذا البحث .(٣)

قال الألوسي - رحمه الله - (وسب عمرو -رضي الله عنه - على الوجه الذي لهج به الروافض ، كفر بلا شبهة ، كسب باقي الصحابة ، رضي الله عنهم) (٤) .

وقال أيضا : (ما ثبت عن الروافض اليوم - من التصريح بكفر الصحابة الذين كتموا النص- بزعمهم -ولم يبايعوا عليا كرم الله تعالى وجهه ، بعد وفاة النبي ﷺ ، كما بايعوا أبابكر كذلك ، وكذا التصريح ببغضهم واستحلال إيذائهم ، وإنكار خلافة الخلفاء الراشدين منهم ، والتهافت على سبهم ولعنهم تهافت الفراش على النار - دليل على كفرهم (٥) . ورحم الله السيد عبد الغفور ، حيث يقول :

ألم تكفر الأرفاض والكفر دينهم * وقد نسبوا صحب النبي إلى الكفر

صحابة هادينا و أعلام ديننا * تسب بلا ذنب جنته ولا وزر

أكان جزاء المصطفى سب جنده * وأزواجه ظلما وأصحابه الطهر.

وبهذه الإشارات ، نكتفي بما ذكره الإمام الألوسي ، في الرد على الرافضة ، وهو كثير جدا .

---

١ - الآية (١٠) من سورة الحشر .

٢ - صب العذاب ص ٢٨٦ ، والكفاية للخطيب البغدادي ص ٩٧ .

٣ - انظر : كتاب صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٢٨٥ ،٢٨٩، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، وذكر بعدها العديد من الآثار وفضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وغيره من الصحابة .
وفي التحفة الإثنى عشرية ص ١٣٥ - ١٣٧ ، وكذلك في بداية هذا الفصل .

٤ - صب العذاب ٣٢٩ .

٥ - المصدر السابق ص ٣٤٣ - ٣٤٥ .

كما أنّ ما فعله الألوسي ، يعدّ إحـدى المجهـودات العديـدة ، قـام بهـا علمـاء هـذه الأمة في الدفاع عن صحابة رسول الله ﷺ ، وتفنيد ما نسب إليهم من أباطيل ، من قبل أعداء هذا الدين قديما وحديث .

نسأل الله أن يهدينا رشدنا ، ويرزقنـا محبـة رسـوله ﷺ ، وصحابتـه الكـرام ، رضوان الله عليهم أجمعين .

الفصل الثاني:

ذبه عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، وعن بعض كتبه .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ذبّه عن شخصية الشيخ ما ألصقه به النبهاني وغيره

المبحث الثاني : نقله لعقيدة الشيخ من كتبه ، وتوضيحه لها .

المبحث الثالث : ذبّ الألوسي عن بعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية

المبحث الأول : ذب الألوسي عن شخصية شيخ الإسلام ، ما ألصقه به النبهاني وغيره :

وفيه توطئة ومطلبان :

المطلب الأول : موجز ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية - عليه الرحمة .

المطلب الثاني : ردّ الألوسي على بعض افتراءات النبهاني ، على شيخ الإسلام ابن تيمية - عليه الرحمة .

التوطئة :

لقد طفحت كتب العلماء من أهل السنة و الجماعة وغيرهم ، و امتلأت مصنفات الموالين والمعادين ، بترجمة الإمام العلاّ مة وحيد الدهر، تقي الدين شيخ الإسلام ابن تيمية ، وبذكر فضائله ومحاسنه وشمائله ، وعلو منزلته ، ورفعة مكانته ، وتبحره في سائر الفنون والعلوم والملل والنحل ، إلى غير ذ لك من العلوم والفنون التي عرفتها البشرية .

ومن الصعب حصر الأعلام الذين ألفوا في مناقب هذا الإمام الجليل المبجل . والعلاّمة الألوسي-رحمه ا لله -أحد أولئك الأعلام ، الذين جمعوا شيئا من تلك المناقب ، ر دّا على الذين انسلخوا من جبلّتهم وخلقتهم وطبعهم البشرى ، بسعيهم في النيل من شرف شيخ الإسلام وشهرته ، والطعن في شخصيته – رحمة ا لله عليه – ، وحملهم على ذ لك الحسد والحقد ، مما حظي به الشيخ ، وناله من الشهرة والشرف ، وذيوع الصيت ، فتصدّى الألوسي – رحمه ا لله – لردّ فريتهم وبهتانهم .

المطلب الأول : موجز ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه ا لله :

فمما قاله الأ لوسي في ترجمة الشيخ ، نقلا عن الكرمي الحنبلى – رحمه ا لله – من كتابه : " *الكواكب الدرّية في مناقب الإمام المجتهد شيخ الإسلام ابن تيمية* "(١) وقد نقله – رحمه ا لله – برمته ، فإني أكتفي بذكر شيء يسير فقط : (٢)

---

١ – وهو كتاب جليل ، في بيان مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع فيه مؤلفه ثلا ثة كتب ، في مناقب الشيخ حيث يقول : (فهذه فوائد لطيفة ، وفر ا ئد شريفة ، في مناقب شيخ الإسلام وبحر العلوم ، ومفتي الطرق والمجتهد أحمد تقي الدين بن تيمية ، لخصتها من " مناقبه " للشيخ الحافظ الإمام شمس الدين أبي عبد ا لله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحليم بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي ، ومن " منا قبه " للشيخ الإمام العالم الأوحدي الحافظ ، سراج الدين أبي حفص عمر بن أبي علي بن موسى ا لبزار ، ومن " مناقبه " للشيخ الإمام ا لعالم ، أوحد الأدباء وشيخ الفضلاء ، شهاب الدين أ حمد بن ا لقاضي محي الدين بن اليعمري ا لشافعي .

انظر : غاية الأماني في الرد على ا لنبهاني ١٥٤/٢ ، وكتاب الكواكب الدرية ص ١٣٨ مع الرد ا لوا فر .

٢ – لأن المقام ليس للترجمة ، فليراجع : غاية الأما ني في الرد على النبهاني ٢/ ١٥٤ ، وما بعدها ، وكتاب الكواكب لدرية في مناقب الشيخ ، والقول الجلي ، والأ علام ا لعلية في مناقب ابن تيمية ، والرد ا لوافر وغيرها .

قال الألوسي عن اسم شيخ الإسلام : (ابن تيمية : هو الشيخ الإمام العالم العامل الرباني ، إمام الأئمة ، وعلامة الأمة ، ومفتي الفرق ، وبحر العلوم ، وسيد الحفاظ ، وفارس المعاني والألفاظ ، فريد العصر ، ووحيد الدهر ، شيخ الإسلام ، بركة الأنام ، علاّمة الزمان ، ترجمان القرآن ، علم الزهاد ، وأحد العباد ، قامع المبتدعين ، وآخر المجتهدين ، تقي الدين ، أبو العباس : أحمد بن الشيخ الإمام العلاّمة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الإمام العلاّمة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم ، الخضر بن محمد بن محمد الخضر ابن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني نزيل دمشق ، وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها .

وعن مولد شيخ الإسلام ونشأته وتحصيله العلمي ، يقول الألوسي – رحمه الله- : ولد –رحمه الله تعالى – بحران ، يوم الإثنين ، عاشر ، وقيل : ثاني عشر ربيع الأول ، سنة (٦٦١هـ) ، وبقي بحران إلى أن بلغ سبع سنين ، ثم بعد ذلك هاجر والده به وبإخوته إلى الشام ، عند جور التتر ، ... فنشأ بدمشق أتم نشأة ، وأزكاها ، و أنبته الله أحسن النبات وأوفاه ، وكانت مخائل النجابة عليه في صغره لائحة ، ودليل العناية فيه واضحة ، فلم يزل منذ صغره مستغرق الأوقات في الجد والاجتهاد .

وختم القرآن صغيرا ، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية ، حتى برع في ذلك ، مع ملازمته مجالس الذكر ، وسماع الأحاديث والآثار .

وعن ثناء الأئمة الأعلام عليه ، يقول : (لقد أكثر أئمة الإسلام من الثناء على هذا الإمام ، كالحافظ المزي (١) وابن دقيق العيد (٢) وأبي حيان

---

١ – المزي : هو العالم الحبر الحافظ الأوحد ، محدث الشام ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف القضاعي ثم الكلبي الدمشقي الشافعي ، ولد بظاهر حلب ، سنة (٦٥٤هـ) ، من تصانيفه : " تهذيب الكمال " و " الأطراف " وغيرهما ، توفي سنة (٧٤٢هـ) ، انظر ترجمته : تذكرة الحفاظ ١٤٩٩/٤ – ١٥٠٠ ، والبداية والنهاية ١٩١/١٤ – ١٩٢، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥١٧ .

٢ هو الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المنفلوطي الصعيدي المالكي والشافعي، صاحب التصانيف، ولد في شعبان سنة (٦٢٥) بقرب من ينبع من الحجاز ، إلى السعودية ... من تصانيفه : " شرح العمدة " وكتاب " الإلمام بأحاديث الأحكام " وكتاب " الإمام في شرح الإلمام " غير أنه لم يكمل تصنيفه وتبييضه حتى وافته المنية في سنة ، (٧٠٢هـ) بالقاهرة . انظر ترجمته تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٨١/٤ – ١٤٨٢ ، والأعلام للزركلي ٢٨٣

النحوي(١) والحافظ ابن سيد الناس (٢) و العلاّمة كمال الدين الزملكاني (٣) والحافظ الذهبي (٤) وغيرهم من أئمة العلماء) (٥) (٦) .

ويقـــول عـــن وفـــاة شيخ الإسلام ابن تيمية - عليه الرحمة - نقلا عن علم الدين

---

١ أبو حيان : هو الشيخ الإمام العلاّمة علم القراء ، أستاذ النحاة والأدباء ، جمال المفسرين ، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان النفزي الأندلسي الجياني ، ثم الغرناطي، ثم المصري الظاهري ، ولد قرب غرناطة ، سنة (٦٥٤) ، وتوفي سنة (٧٤٥) بعد أن أضر في آخر عمره في القاهرة . من تصانيفه : " البحر المحيط" في تفسير القرآن . انظر ترجمته : الدرر الكامنة ٤/ ٣٠٨ لابن حجر ، ونفح الطيب ٢٣٥/٢ ، وفوات الوفيات ٢٨٢/٢ ، وشذرات الذهب ١٤٥/٦ ، والنجوم الزاهرة ١٠/ ١١١ ، والرد الوافر ص١١٨ وما بعدها ، والأعلام للزركلي ١٥٢/٧.

٢ - الحافظ ابن سيد الناس ، أبو الفتح الشافعي ، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحي اليعمري الأندلسي الإشبيلي المصري المعروف بابن سيد الناس ، ولد في ذي القعدة ، وقيل ك ذي الحجة سنة (٦٧١هـ) بالقاهرة . من تصانيفه : " عيون الأثر " وغيره ، انظر ترجمته : شذرات الذهب ٦/ ١٠٧ -١٠٩ ، لابن العماد الحنبلي وذيل العبر للذهبي ٩٩/٤ ، ومرآة الجنان لليافعي ٤/ ٢٩١ ، والبداية والنهاية ١٦٩/١٤.

٣ - كمال الدين الزملكاني : هو أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن عبد الواحد خطيب زملكا ، أبي محمد عبد الكريم بن خلف الأنصاري الشافعي ، ولد سنة (٦٦٦هـ) وقيل (٦٦٧هـ) ، وتوفي سنة (٧٢٧هـ) بمدينة بلبيس ، وهي أول مدينة في الديار المصرية ، مما يلي بلاد الشام .

انظر : الرد الوافر ، لابن ناصر الدين الدمشقي ص ١٠٧ ، ٢٦٧ .

٤ - هو الإمام الحافظ ، محدث العصر ، وخاتمة الحفاظ ، ومؤرخ الإسلام ، وفريد الدهر ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز التركماني ثم الدمشقي المقرئ . ولد -رحمه الله- سنة (٦٧٣هـ) ، وله من المصنفات : " تاريخ الإسلام " و "سير أعلام النبلاء " وتذكرة الحفاظ " و " ميزان الإعتدال " وغيرها .

توفي في سنة (٧٤٨هـ) بدمشق . انظر ترجمته : طبقات الحفاظ ص ٥١٧ -٥١٨ ، والبدر الطالع ١١٠/٢، والدرر الكامنة ، ٤/ ٤٢٦ ، وذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٤ .

٥ - انظر : غاية الأماني ٢/ ١٥٤، ١٥٥ ؛ وكتاب الكواكب الدرية ص ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠ .

٦ - سيأتي نقل ثناء بعضهم عليه ، إن شاء الله تعالى .

البرزالي (١): وفي ليلة الإثنين ، لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، توفي الشيخ الإمام ، العلاّمة الفقيه الحافظ الزاهد القدوة، شيخ الإسلام تقي الدين ، أبو العباس أحمد بن شيخنا الإمام المفتيّ ، شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوسا فيها ، فاشتد التأسف عليه ، وكثر البكاء والحزن – إلى أن قال : وقد اتفق جماعة ممن حضر وشاهد الناس والمصلين عليه ، على أنهم يزيدون على نحو خمسمائة ألف ، وحضرها نساء كثير بحيث حزرن بخمسة عشر ألفا ، و هكذا شيع جنازته بهذا الجم الغفير ، حتى وري جثمانه الطاهر ، فرحمة الله تعالى عليه وطيب ثراه) (٢) .

وبعد ذلك تدفق وابل قصائد الرثاء عليه ، من الفضلاء والأعلام والأئمة مما لا يتسع هذا المقام لنقلها . (٣)

---

١ – هو الشيخ أبومحمد القاسم بن محمد البرزالي ، مؤرخ الشام الشافعي ،ولد سنة (٦٦٥هـ) ، وتوفي سنة (٧٣٩هـ) محرما ، عن (٧٤) سنة . انظر : البداية والنهاية ١٤/ ١٨٥– ١٨٦، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص٥٢٢ –٥٢٣.

٢ – انظر : غاية الأماني في الرد على النبهاني ٢/ ٢١٥ – ٢١٦ ، ٢١٧ ، والكواكب الدرية ص ٢٠٠ – ٢٠١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٤/١٣٥– ١٤٠ .

٣ – عن قصائد الرثاء انظر : غاية الأماني ٢/٢١٨– ٢٤٠ .

المطلب الثاني : ردّ الألوسي على بعض افتراءات النبهاني ، على شيخ الإسلام ابن تيمية – عليه الرحمة :

لقد رام النبهاني النيل من شرف شيخ الإسلام ، ومن قدره ومنزلته ، حمله على ذلك الحسد والحقد ، والجهل بمكانة الشيخ ، فهو كما قال ابن فضل الله (١) في رثائه للشيخ :

ما أنكروا منك إلاّ أنهم جهلوا * عظيم قدرك لكن ساعد القدر

يا ليت شعري هل في الحاسدين له * نظيره في جميع القوم إن ذكروا (٢)

و لله تعالى الحمد ، حيث قيض لردّ سهامه وسهام أضرابه في نحورهم ، أعلاما أجلاّء ، منهم العلاّمة الألوسي ، الذي تصدّى لردّ ترهات النبهاني .

فمما نقله عن النبهاني ، في حق شيخ الإسلام ابن تيمية ، قوله : قال النبهاني : (فقد ثبت وتحقق وظهر ظهور الشمس في رابعة النهار ، أن علماء المذاهب الأربعة ، قد اتفقوا على رد بدعة ابن تيمية ، ومنهم من طعن بصحة نقله ، كما طعن بكمال عقله فضلا عن شدّة تشنيعهم عليه ، في خطئه الفاحش في تلك المسائل التي شذّ بها في الدين ، وخالف بها إجماع المسلمين ، ولا سيما فيما يتعلق بسيد المرسلين) (٣) .

فهذا النقل كما يظهر ، إنه مجرد دعوى بدون دليل ولا برهان ،و إليك ما أجاب به الألوسي ، حيث قال : (الجواب عنه : أنه قد ثبت وتحقق لدى كل منصف أن علماء المذاهب أثنوا عليه ، واعترفوا بفضله ، وألفوا في مناقبه كتبا مفصلة ، ومن شذ منهم وطعن عليه ، ألقم الحجر وردّ عليه كلامه ، وأن اعتراضه كان لجهل أو غرض أو تعصب أو نحو ذلك . وتبيّن أن ابن تيمية لم يبتدع شيئا في الدين ، وما اختار شيئا إلاّ

---

١ – هو الشيخ القاضي الإمام العالم ، شهاب الدين أبو العباس ، أحمد بن يحي بن فضل الله القرشي العدوي العمري الشافعي ،، مؤرخ ، حجة في معرفة الممالك والمسالك و خطوط الأقاليم والبلدان . ولد في دمشق سنة (٧٠٠هـ) ، وتوفي فيها سنة (٧٤٩هـ) . أجل آثاره : " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " و "الدائرة بين مكة والبلاد " . انظر ترجمته : الرد الوافر ص ١٤٦– ١٤٩ ، وأعلام الزركلي ٢٦٨/١.

٢ – انظر : غاية الأماني في الرد على النبهاني ٢٢٠/٢ ، ٢٢١ ، وقد نقل الألوسي القصيدة برمتها . وتبلغ ست وسبعين بيتا .

٣ – غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/ ٣٧٢ . وانظر شواهد الحق للنبهاني ص١٢١ .

وأقام عليه الدلائل الصحيحة ، والبراهين ، ومن طعن بصحة نقله ، فهو عدوّ له مبين ، ولم يسلم أحد من لسان الخلق حتى رب العالمين (١) ، وسيد الأولين والآخرين (٢) ، وغزارة علمه من سعة عقله وكمال فضله ، وما ذهب إليه من المسائل ، هو الحق الحقيق بالقبول،وحديث الإجماع على خلافها،كذب عند علماء المنقول والمعقول) (٣) .

ثم يذكر الألوسي ثناء علماء المذاهب على الشيخ ، لإثبات كذب النبهاني ، وكون دعواه عارية من الصحة فقال :

(قال الحافظ الذهبي : ما رأيت أشد استحضارا للمتون وعزوها منه ، وكانت السنة بين عينيه ، وعلى طرف لسانه ، بعبارة رشيقة ، وعين مفتوحة .

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعي : وبالجملة كان - رحمه الله تعالى - من كبار العلماء ، وممن يخطئ ويصيب ، ولكن خطؤه بالنسبة لصوابه ، كنقطة في بحر لجّي ، وخطؤه أيضا مغفور له ، لما صح في صحيح البخاري : ((إذا اجتهد الحاكم فأصاب ، فله أجران ، وإذ اجتهد فأخطأ ، فله أجر)) (٤) .

وقال حافظ الإسلام ، الحبر النبيل ، أستاذ أئمة الجرح والتعديل ، شيخ المحدثين ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي الشافعي في ابن تيمية : ما رأيت مثله ، ولا رأى هو مثل نفسه ، وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

---

١ - حكى سبحانه وتعالى عن الكفار قولهم : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون ﴾ الآية (١١٦) من سورة البقرة .

وقال تعالى أيضا : ﴿ قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ الآية (٦٨) من سورة يونس .

٢ - حكى تعالى عن الكفار قولهم :﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾ الآية (٤) من سورة ص ، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن الله تعالى لم يسلم من ألسن الخلق ، وكذا نبيه ﷺ .

٣ - غاية الأماني ١/ ٣٧٣ .

٤ - صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الإعتصام بالسنة ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد ح(٧٣٥٢) ٣١٨/١٣ ، ولفظه في صحيح البخاري : ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)) من حديث ابن عمرو بن العاص .

ولا أتبع لهما منه . وناهيك بهذا الكلام من الحافظين العدلين المستوعبين ، أبي الحجاج المزي ، وأبي عبد الله الذهبي .

وقال الشيخ الإمام ، بقية المجتهدين ، تقي الدين ابن دقيق العيد الشافعي ، لما اجتمع به ، وسمع كلامه : كنت أظن أن الله تعالى ما بقي يخلق مثلك ، وقال أيضا : رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه ، يأخذ منها ما يريد ، ويدع ما يريد .

وقال السيد صفي الدين الحنفي (١) في ترجمة ابن تيمية : قد نص على أنه بلغ رتبة الاجتهاد ، جمع من العلماء ، منهم : الإمام أبو عبد الله الذهبي ، والحافظ ابن حجر (٢)، والحافظ السيوطي في طبقات الحفاظ ، ولم يتفرد بمسألة منكرة قط ، وإن كان قد خالف الأئمة الأربعة في مسائل ، فقد وافق بعض الصحابة أو التابعين ...) (٣) .

قال الألوسي : (وبهذا أيضا تبين إلحاد النبهاني ، وزوره وكذبه ، واتباعه لهواه ، وقد جادل بغير علم وذلك كما كان عليه أهل الجاهلية .

وفي شرح المسائل (٤) : الجدال بغير علم كما ترى كثيرا من أهل الجهل يجادلون أهل العلم عند نهيهم عما ألفوه من البدع والضلالات ، وهي خصلة جاهلية ، نهانا الله تعالى عن التخلق بها ، قال تعالى :﴿ **يأهل الكتاب لم تحاجّون في ابراهيم وما أنزلت**

---

١ - هو محمد بن أحمد بن محمد بن خير الدين الحنفي الأثري ، المحدث الحسيني ، (١١٥٤-١٢٠٠هـ) . انظر : تاريخ الجبرتي ٦٥٣/١ ، معجم المؤلفين ٥/٩ . فهرس الفهارس ١٥٢/١ .

٢ - الحافظ ابن حجر : شيخ الإسلام و إمام الحفاظ في زمانه ، وحافظ الديار المصرية ، بل الدنيا مطلقا ، قاضي القضاة أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد الكناني العسقلاني الشافعي ، ولد سنة (٧٧٣هـ) ، وصنف التصانيف التي عم النفع بها ، منها :" شرح صحيح البخاري فتح الباري" و " تهذيب التهذيب " و " تقريب التهذيب " و لسان الميزان " وغيرها ، توفي - رحمه الله - في ذي الحجة سنة (٨٥٢هـ) . انظر ترجمته : ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٢٦ ، وحسن المحاضرة للسيوطي ٣٦٣/١ ،وطبقات الحفاظ ص ٥٤٧ - ٥٤٨ ، وشذرات الذهب ٢٧٠/٧، والضوء اللامع ٣٦/٢،وانظر تقريظه على الرد الوافر لابن ناصر (ت٨٤٢هـ) من كتاب القول الجلي في ترجمة ابن تيمية ، لصفي الدين الحنفي ، تحقيق محمد بن إبراهيم الشيباني .

٣ - انظر : غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/ ٣٧٢ - ٣٧٣ ، والبداية والنهاية ١٤ /١٣٩ - ١٤٠ ، والقول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ص ٧-٨ .

٤ - يشير الألوسي إلى كتاب " مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ . وأصل الكتاب لشيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب .

التوراة والإنجيل إلاّ من بعده أفلا تعقلون ﴿٦٥﴾ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿٦٦﴾ ﴾ (١) .

وأخرج ابن اسحاق (٢)، وابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ ، فتنازعوا عنده ، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلاّ يهوديا . وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلاّ نصرانيا . فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ، المنادية على جهلهم وغباوتهم وعنادهم .

فوازن بين النبهاني وبين إخوانه ، تجد الفريقين كما قال القائل :

رضيعي لبان ثدي أم تقاسما * بأسحم داج (٣) عوض لا نتفرق (٤)) (٥) .

وأما قوله أي النبهاني : ولا سيما فيما يتعلق بسيد المرسلين الخ ،

قال الألوسي : فإنه يدل على أن ابن تيمية مخل بحقوق النبي ﷺ ، وبه صرح مرارا حيث قال : إن ابن تيمية حيث لم يجوّز الاستغاثة بالنبي ﷺ ، ولا دعاءه ولا الالتجاء إليه ، ولا شد الرحل إلى زيارة قبره (٦) ﷺ :

فاعلم أن حب النبي ﷺ وتعظيمه ، باتباع شريعته ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وحبه وتعظيمه بما ذكره الخصم ، هو من قبيل تعظيم النصارى لعيسى ، وغلوهم في الأنبياء والرسل عليهم السلام . قال تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى**

---

١ - الآيتان (٦٥- ٦٦) من سورة آل عمران

٢ - هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ، وقيل : ابن كوثان العلامة الحافظ الأخباري ، القرشي المطلبي (٨٠-١٥١هـ) ، صاحب السيرة النبوية . انظر : سير أعلام النبلاء ٧/٣٣-٣٤ ، والأعلام للزركلي ٦/٢٨ .

٣ - بأسحم داج : أي بليل أسود . ديوان الأعشى ص ١٢٠ .

٤ - انظر غاية الأماني ١/٣٧٤ ، ومسائل الجاهلية التي خالف فيها النبي ﷺ ، للألوسي ص ٧٢ ، وجامع البيان للطبري ٣/ ٣٠٥ .

٥ - ديوان الأعشى ص ١٢٠ ، وقد أورد البيت صاحب لسان العرب ١٢/٢٢٨ .

٦ - غاية الأماني ١/٣٧٤ .

مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ﴾ (١) .

والغلو في المخلوق ، هو أعظم أسباب عبادة الأصنام والصالحين ، كما كان في قوم نوح ، من عبادة نسر وسواع ويغوث ويعوق (٢) ونحوهم ، وكما كان من عبادة النصارى للمسيح عليه السلام ، وهذا هو القول على الله بغير حق .

والمقصود : أن مراعاة حقوق النبي ﷺ ، إنما تكون بالمحافظة على شريعته ، لا بما يقول النبهاني الغبي . ومن المعلوم ما كان عليه ابن تيمية من اتباع السنن ، حتى إنه عقد فصلا في كتابه : "*الصارم المسلول*" لبذل الأموال وسفك الدماء في تعزير رسول الله ﷺ وتوقيره (٣) ... وفصلا آخر في أنّ الله تعالى أوجب لنبيه ﷺ ، حقوقا زائدة على القلب واللسان والجوارح (٤)،وأن سبّه سبّ لجميع المسلمين، وطعن في دينهم ...

---

١ - الآية (١٧١) من سورة النساء . وتمامها : ﴿ له ما في السموات والأرض وكفى بالله وكيلا ﴾

٢ - يشير شيخنا الألوسي إلى قوله تعالى : ﴿ وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلّوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلاّ ضلالا ﴾ الآيتان (٢٣ -٢٤) من سورة نوح

٣ - ومما جاء في هذا الفصل ، قول الشيخ :(إن نصر رسول الله ﷺ ، وتعزيره و توقيره واجب ، وقتل سابه مشروع ، فلو جاز ترك قتله ، لم يكن ذلك نصرا له ، ولا تعزيرا ، ولا توقيرا ، بل ذلك أقل نصره ،لأنّ الساب في أيدينا ، ونحن متمكنون منه ، فان لم نقتله مع أن قتله جائز ، لكان ذلك غاية الخذلان ، وترك التعزير والتوقير ، وهذا ظاهر . الصارم المسلول لابن تيمية ص ٢٩٩ -٣٠٠ .

٤ - وجاء في ذلك قول الشيخ : (أنّ الله سبحانه وتعالى أوجب لنبينا ﷺ ، على القلب واللسان والجوارح حقوقا زائدة على مجرد التصديق بنبوته ، كما أوجب سبحانه على خلقه من العبادات على القلب واللسان والجوارح أمورا زائدة على مجرد التصديق به سبحانه ، وحرم سبحانه لحرمة رسوله ، ما يباح أن يفعل مع غيره ، أمورا زائدة على مجرد التكذيب بنبوته . فمن ذلك : أنه أمر بالصلاة عليه والتسليم بعد أن أخبر أن الله وملائكته يصلون عليه ، والصلاة عليه تتضمن ثناء الله عليه ، ودعاء الخير ، وقربته منه ورحمته له ، والسلام عليه يتضمن سلامته ، من كل آفة ... ومن ذلك : أنه أخبر أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن حقه أن يجب أن يؤثره العطشان بالماء ، والجائع بالطعام ، وأنه يجب أن يوقى بالأنفس والأموال ، كما قال تعالى : ﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ﴾ الآية (١٢٠) من سورة التوبة انظر :الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٤٢٠- ٤٢١ ، وما بعدها . وإلى غير ذلك من الحقوق التي ستأتي ذكر بعضها في ص ٤٠١ . والتي أوجبها لنبيه ﷺ ، على أمته .

وذكر فصولا مهمة ،كلها تدل على ما انطوى عليه من مزيد حبه وأدبه لرسول الله ﷺ ؛ حتى أنه قال نقلا عن القاضي عياض: (جميع من سبّ النبي ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله ، أو عرض به شبهة بشيء على طريق السبّ له ، والإزراء عليه ، أو لبغض منه والعيب له : فهو ساب له ، والحكم فيه حكم الساب ، يقتل ، ولا تستثن فصلا من فصول هذا الباب عن هذا المقصد ، ولا تمترى فيه ، تصريحا كان أو تلويحا ، وكذلك من لعنه ، أو تمنى مضرة له ،أو دعا عليه أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم ، أو عيبه في جهة الغريزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور ، أو عيّره بشيئ مما يجري من البلاء والمحنة عليه، أو غمصه ببعض العوارض البشرية ، الجائزة والمعهودة لديه ، قال : وهذا كله ، إجماع من العلماء ، وأئمة الفتوى من لدن الصحابة – رضوان الله عليهم – وهلمّ جرا . - إلى أن قال – : وذكر القاضي عياض ، أجوبة جماعة من فقهاء المالكية المشاهير، بالقتل بلا استتابة في قضايا متعددة ، أفتى في كل قضية بعضهم وفصلها (١) (٢) .

انتهى ما قصدنا نقله من كتاب الصارم المسلول ، وهو كتاب جليل ، يدل دلالة صريحة على ما كان عليه مؤلفه من المحبة بالإتباع ، وبه يسقط كل ما هذى به النبهاني من الباطل والزور . (٣)

قال الألوسي عن النبهاني : (قال النبهاني : ويقوى عدم اعتبار نقل ابن تيمية ، في بعض ما ينقله ، ما قاله في حقه الحافظ العراقي الكبير (٤) ، وها أنا أنقله تتميما

---

١ – أي : وفصل القاضي عياض الأجوبة ، حيث فيها : أن رجلا سمع قوما يتذكرون صفة النبي ﷺ ، إذ مرّ بهم رجل قبيح الوجه واللحية ، فقال : تريدون تعرفون صفته ؟ هي في صفة هذا المارّ في خلقه ولحيته . قال القاضي : أفتى أبو محمد بن أبي زيد بقتله .

وقال أيضا : قال أحمد بن سليمان ، صاحب سحنون : من قال : إنّ النبيﷺ كان أسوداً يقتل .

انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص ٢١٧، وكتاب الصارم المسلول لابن تيمية ص ٥٢٦- ٥٢٧.

٢ – انظر غاية الأماني ١/ ٣٧٥- ٣٧٦ ، والصارم المسلول ص ٥٢٥ – ٥٢٦ ، والشفا بتعريف حقوق المصطفى ص٢١٠ .

٣ – غاية الأماني ١/ ٣٧٦ .

٤ – هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم أبو الفضل الكردي الرازناني الأصل ، المصري ، الشافعي ، زين الدين ، ولد في جمادى الأولى سنة (٧٢٥) ، وتوفي في القاهرة في شهر شعبان سنة =

للفائدة ، وتقوية للحجة ، وإن لم يكن مما نحن فيه ، فأقول : قد اطلعت على جزء لطيف ، تأليف الحافظ العراقي- شيخ ابن حجر والإمام العيني - تكلم فيه على أكل الدجاج والحبوب والتوسعة على العيال يوم عاشوراء ، ردّ به على الإمام ابن تيمية في منعه ذلك) (١) ثم إنه أورد الرسالة بتمامها .(٢)

قال الألوسي : (جوابه : أنّ ما ذكرناه سابقا ، من ثناء أهل العلم وأكابر المحدثين ، وعدّ هم له من أكابر الحفاظ ، يستوجب سقوط ما ذكره النبهاني ، من عدم اعتبار نقله ، وهو الثقة الصدوق ، يشهد له بذلك أحباؤه وخصومه (٣) ، ولم يخالف في ذلك أحد ، حتى أنّ علماء الحديث قالوا : كل حديث لا يعلمه ابن تيمية ، فهو ليس بحديث ، فانظر إلى هذه المنزلة العظيمة ، والدرجة العليا من الصدق ، وما نقله عن العراقي - إن صح نقله - فهو دليل على جهله ، وعدم معرفته بأحكام الدين ، فإنّ تخصيص يوم عاشوراء بشيء من الأمور الدينية والدنيوية مما لا أصل له (٤) ،كما عليه أ ئمة المذاهب

=(٨٠٦) . من مؤلفاته : " نظم الدرر السنية في السيرة الزكية " و " ألفية في علوم الحديث " . انظر ترجمته : الضوء ا للامع للسخاوي ١٧١/٤- ١٧٨ ، وشذرا ت الذهب ٥٥/٧- ٥٧ ، وحسن المحاضرة للسيوطي ٢٠٤/١ ، والبدر الطالع للشوكاني ٣٥٤/١ ، وأعلام الزركلي ٣٤٥/٣ ، ومعجم المؤلفين ٥/ ٢٠٤ .

١ - غاية الأماني ٣٧٦/١ ، وشوا هد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق للنبهاني ص ١٢١ .

٢ - ومما ذكره النبهاني في مقدمتها : (فقد تقرر السؤال من العوام في عدة الأعوام ، عن أكل الدجاج والحبوب يوم عاشوراء ، وهل هو مباح أو محرم عند العلماء ؟ فأجبت بأنه من جملة المباحات ، وإن اقترنت بنية صالحة ، فهو من الطاعات ...) انظر : شواهد الحق للنبهاني ص ١٢١ -١٢٢ .

٣ - كا لشيخ كمال الدين الز ملكاني - تقدم نقل ثنائه على الشيخ - الذي أحب علم الشيخ في بداية الأمر ، ثم انقلب على عقبه ، والشيخ صدر الدين أبو عبد ا لله محمد بن زين الدين عمر المعروف بابن المرحل ، وابن ا لوكيل ، المتوفى سنة (٧١٦) حيث قال صفي الدين الحنفي نقلا عن البرزالي :(لأن علماء ا لشريعة شهدوا له بأنّ أدات الاجتهاد اجتمعت فيه ، حتى كان أشد المتعصبين عليه ، العاملين في إ يصال الشر إليه . وهو الشيخ كمال الدين الزملكاني ، شهد له بذ لك ، وكذ لك الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، الذي لم يثبت لمناظرته غيره ...) القول الجلي ص ٩ ، وتقريظ ابن حجر ا لعسقلاني على الرد الوافر ص ١٤ ، تحقيق محمد بن إبراهيم الشيباني .

٤ - جاء بيا ن ذ لك عن شيخ الإسلام ابن تيمية من خلال جوابه على سؤال يتعلق بما يفعله الناس في هذا اليوم من ا لتكحّل والاغتسال ، والحناء ، والمصا فحة ، والطبخ ، وإظهار السرور وغير ذ لك ، فهل ورد في ذ لك عن النبي ﷺ حديث صحيح ؟ فأجاب الشيخ بقوله : الحمد لله رب العالمين ، لم يرد شيئ من ذلك حديث صحيح =

وفقهاؤها ، والأحاديث التي أوردها : منها ما هو موضوع ، ومنها ما لا يدل على الغرض المقصود (١)، وتفصيل الكلام فيها يخرجنا عن موضوع الكتاب .

ولقد أكثر النبهاني من ذكر خصوم الشيخ والطاعنين فيه ، مع أنّ الاعتماد على الكثرة والسواد الأعظم . والاحتجاج على بطلان لشيئ بقلة أهله من الجهل بمكان . قال تعالى : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله إن يتّبعون إلاّ الظنّ وإن هم إلاّ يخرصون ۝ إنّ ربّك هو أعلم من يضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ۝ ﴾ (٢) .

=عن النبي ﷺ ، ولا عن أصحابه ، ولا استحب ذلك أحد من علماء المسلمين ، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ، ولا روى أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئا ، لا عن النبي ﷺ ، ولا الصحابة ، والتابعين ، لا صحيحا ولا ضعيفا ، لا في كتب الصحيح ، ولا في السنن، ولا في المسانيد ، ولا يعرف شيئ من هذه الأحاديث ، على عهد القرون الفاضلة . ورووا في حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ ، (أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء ،وسع الله =

=عليه سائر السنة).ورواية هذا كله عن النبي ﷺ كذب - إلى أن قال - : ولم يسن رسول الله ﷺ ، ولا خلفاؤه الراشدون ، في يوم عاشوراء شيئا من هذه الأمور ، ولا شعائر الحزن والترح ، ولا شعائر السرور والفرح ، ولكنه ﷺ ، لما قدم المدينة ، وجد اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال :((ما هذا ؟)) فقالوا :هذا يوم نجى الله موسى من الغرق ، فنحن نصومه ، فقال : ((نحن أحق بموسى منكم ، فصامه ، وأمر بصيامه)) . وأما سائر الأمور ، مثل اتخاذ طعام خارج عن العادة ، إما حبوب وإما غير حبوب، أو تجديد لباس أو توسيع نفقة ، أو اشتراء حوائج العام ذلك اليوم ، أو فعل عبادة مختصة ،كصلاة مختصة به ، أو قصد الذبح ،أو ادخار لحوم الأضاحي ليطبخ بها الحبوب ، أو الاكتحال ، أو الاختضاب ،أو الاغتسال ، أو التصافح ، أو التزاور ، أو زيارة المساجد والمشاهد ، ونحو ذلك ، فهذا من البدع المنكرة ،التي لم يسنها رسول الله ﷺ ، ولا خلفاؤه الراشدون ، ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين ، لا مالك ولا الثوري ، ولا الليث بن سعد ، ولا أبوحنيفة ، ولا الأوزاعي ، ولا الشافعي ولا أحمد بن حنبل ، ولا إسحاق بن راهويه ، ولا أمثال هؤلاء من أئمة المسلمين ،وعلماء المسلمين ، وإن كان بعض المتأخرين من أتباع الأئمة ، قد كانوا يأمرون ببعض ذلك ، ويروون في ذلك أحاديثا وآثارا ، ويقولون : إن بعض ذلك صحيح ، فهم مخطؤون غالطون بلا ريب ، عند أهل المعرفة بحقائق الأمور) .

- انظر : مجموع فتاوى ٢٩٩/٢٥، ٣٠٠، ٣١٠، ٣١٢ ، و٥١٣/٤- ٥١٥ .
- وحديث صوم يوم عاشوراء المتقدم ، أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح ح(٢٠٠٤) ٢٤٤/٤ .

١ - انظر : شواهد الحق ص ١٢٣ - ١٢٤ ، للوقوف على تلك الأحاديث .

٢ - الآيتان (١١٦، ١١٧) من سورة الأنعام .

فالكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه ، لمن كان له بصيرة وقلب ، فالحق أحق بالاتباع وإن قل أنصاره ، كما قال تعالى ﴿ **قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإنّ كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم** ﴾ (١) ، فأخبر الله عن أهل الحق أنّهم قليلون ، غير أنّ القلة لا تضرهم ، فإنّ من له بصيرة ، نظر إلى الدليل ، وأخذ بما اقتضاه البرهان ، و إن قلّ العارفون به ، و المنقادون له ، ومن أخذ بما عليه الأكثر ، وماألفته العامة من غير نظر إلى دليل ، فهو مخطئ ، سالك غير سواء السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل) . (٢)

---

١ - الآية (٢٤) من سورة ص .

٢ - غاية الأماني في الرد على النبهاني ١ /٣٧٧ .

المبحث الثاني :

نقله لعقيدة الشيخ من بعض كتبه وتوضيحه لها :

فيه مطلبان :

المطلب الأول : بيان الألوسي اعتصام الشيخ بالكتاب السنة في هذا لباب وغيره من الأبواب .

المطلب الثاني : نقل الألوسي مجمل معتقد الشيخ ، من خلال المجالس التي عقدت لمناظرة الشيخ في عقيدته الواسطية

التوطئة :

لما كثر القيل والقال من النفاة ، فيما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - من ترجيح مذهب السلف الصالح في باب الأسماء والصفات ، على غيره من المذاهب (١) ، - الأمر الذي جعل بعضهم يتهم الشيخ بالتجسيم والتشبيه - تصدّى بعض جهابذة علماء أهل السنة والجماعة ، لردّ مثل هذه المزاعم ، وذلك بنقل كلام الشيخ من بعض كتبه ، لبيان المعتقد الصحيح الذي يعتقده السلف الصالح ، والشيخ ، وهو المذهب المدعّم بالوحي السماوي ، لا بالعقل المجرد .

فمن هؤلاء الأعلام ، البزار(٢) الذي ينقل عنه شيخنا الألوسي في معرض ردّه على فرخ من فروخ النفاة - النبهاني - الذي انتحل جميع ما هذوا به ، ولم يترك منه حرفا واحدا .

---

١ - وذلك في كتابيه : الواسطية والحموية الكبرى ، والذي كان تأليفهما سبب محنته ، وسبب انعقاد مجالس مناظرته - رحمة الله عليه - . ومن تلك المجالس ، نقل الألوسي مجمل ما جاء فيها من معتقد الشيخ معتقد أهل الحق أهل السنة والجماعة .

٢ - البزار : هو الشيخ الفقيه ، المحدث الحافظ ، سراج الدين ، أبو حفص عمر بن على بن موسى بن الجليل البغدادي الأزجي البزار ، ولد سنة (٦٨٨) تقريبا في بغداد ، وكانت وفاته عند توجهه إلى الحج ، صبيحة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة (٧٤٩) . ومن آثاره :" الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية " ، انظر ترجمته : الرد الوافر ص ٢١٠ ، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/ ٤٤٤ ، والدرر الكامنة لابن حجر ٣/٢٥٦ ، وإيضاح المكنون للبغدادي ١٠٣/١ ، ومعجم المؤلفين ٧/ ٣٠٢ .

المطلب الأول : بيان الألوسي -رحمه الله- اعتصام الشيخ بالكتاب والسنة في هذا الباب، وغيره من الأبواب .

قال : قال الشيخ الإمام العالم العامل، الأوحد الفاضل الحافظ، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزار - رحمه الله تعالى - : (كان الشيخ تقي الدين ابن تيمية - رضي الله تعالى عنه(١) - من أعظم أهل عصره قوة ومقاما وثبوتا على الحق، وتقريرا لتحقيق توحيد الحق، لا يصده عن ذلك لوم لائم، ولا قول قائل، ولا يرجع عنه لحجة محتج، بل كان إذا وضح له الحق، يعض عليه بالنواجذ، ولا والله، ما رأيت أحدا أشد تعظيما لرسول الله ﷺ، ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه، حتى كان إذا أورد شيئا من حديثه في مسألة، ويرى أنه لم ينسخه شيئ غيره من الحديث، يعمل ويقضي ويفتي بمقتضاه، ولا يلتفت إلى قول غيره من المخلوقين، كائنا من كان .

قال : وإذا نظر المنصف إليه، بعين العدل، يراه واقفا مع الكتاب والسنة، ولا يميله عنهما قول أحد، كائنا من كان، ولا يراقب في الأخذ بمعلومهما أحد، ولا يخاف في ذلك أميرا ولا سلطانا، ولا سوطاً ولا سيفاً، ولا يرجع عنهما لقول أحد، وهو متمسك بالعروة الوثقى، واليد الطولى، وعامل بقوله تعالى : ﴿فإن تنازعتم في شيئ فردوه إلى الله والرسول﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿وما اختلفتم فيه من شيئ فحكمه إلى الله﴾ (٣) .

وما سمعنا أنه اشتهر عن أحد منذ دهر طويل، ما اشتهر عنه، من كثرة المتابعة للكتاب والسنة، والإمعان في تتبع معانيهما، والعمل بمقتضاهما، ولهذا لا يرى في المسألة أقوال العلماء، إلاّ وقد أفتى بأبلغها موافقة للكتاب والسنة، وتحرى الأخذ بأقومها من جهة المنقول والمعقول .

---

١ - أصل الترضي أن يقال في الصحابة، والأولى في غيرهم من الصالحين الترحم عليهم .

٢ - الآية (٥٩) من سورة النساء .

٣ - الآية (١٠) من سورة الشورى .

قال : وهذا أمر قد اشتهر وظهر ، فإنه رضي الله عنه ، ليس له مؤلف مصنف، ولا نص في مسألة ، ولا أفتى ، إلاّ وقد اختار فيه ما رجحه الدليل النقلي والعقلي على غيره ، وتحرى قول الحق ، وبرهن عليه بالبراهين القاطعة الواضحة الظاهرة ، بحيث إذا سمع ذلك ذو الفطرة السليمة ، ينثلج قلبه عليها ، ويجزم أنه الحق المبين (1).

وتراه في جميع مؤلفاته ، إذا اصح الحديث عنده ، يأخذ به ويعمل بمقتضاه ، ويقدمه على قول كل قائل ، من عالم ومجتهد ، (2) وقد سبقه الإمام الشافعي - رحمه الله - إلى ذلك ، حيث قال : إذا صحّ الحديث فهو مذهبي (3) (4) .

١ - عدى النبهاني المنحرف ، الذي فسدت فطرته .

٢ - إلى هنا من الأعلام العلية بتصرف ص ٣٠ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ .

٣ - انظر قول الشافعي : آداب الشافعي ومناقبه ص ٦٨ ، ٩٣ ، ٩٥ ، وحجة الله البالغة ، لأحمد شاه ولي الله ١/ ٤٢٦ .

٤ - غاية الأماني في الرد على النبهاني ٢/١٨١ ، والأعلام العلية ص ٣٠ ، ٧٧، ٨٠ ، ٨١ .

المطلب الثاني :

نقل الألوسي مجمل (١) معتقد شيخ الإسلام ابن تيمية من خلال المجالس التي عقدت لمناظرة الشيخ في عقيدته الواسطية .

ومما جاء فيها قول الشيخ عليه الرحمة :

(هو أنّ اعتقاد أهل السنة والجماعة : الإيمان بما وصف الله به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف (٢) ، ولا تعطيل (٣) ولا تكييف (٤) ولا تمثيل (٥) . وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، والإيمان بأن الله خالق كل شيء ، من أفعال العباد وغيرها . وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وأنه أمر بالطاعة وأحبّها ورضيها ، ونهى عن المعصية وكرهها ، والعبد فاعل حقيقة . والله خالق فعله . وأنّ الإيمان والدين قول وعمل ، يزيد وينقص وأن

---

١ - سيأتي زيادة بيان الألوسي لمعتقد الشيخ من خلال مقولاته المتفرقة عنه في الأبواب القادمة .

٢ التحريف في اللغة : التغيير والتبديل . وفي الاصطلاح : تغيير ألفاظ الأسماء الحسنى ، والصفات العليا ومعانيها إلى معاني باطلة ، لا يدل عليه الكتاب العزيز والسنة المطهرة . وينقسم إلى تحريف لفظي ومعنوي :

أ- التحريف اللفظي : مثل نصب لفظ الجلالة في قوله تعالى :﴿ وكلّم الله موسى تكليما ﴾ الآية (١٦٤)النساء. ليكون التكلم من موسى عليه السلام ، ونفي كلام الله له ، وكقول الجهمي في قوله تعالى :﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ الآية (٥) من سورة طه . (استولى) .

ب - التحريف المعنوي : كتحريف اليدين المضافتين إلى الباري عز وجل ، إلى القوة أو النعمة . وكتفسير الغضب إلى إرادة الانتقام ، والرحمة بإرادة الإنعام .

٣ **التعطيل** في اللغة : مأخوذ من العطل ، الذي هو الخلو والفراغ والترك ، ومنه قوله تعالى ﴿ وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾ الآية (٤٥) سورة الحج .

وفي الاصطلاح : هو إنكار ما يجب إثباته لله تعالى من الأسماء والصفات ، أو إنكار بعضها .

والفرق بين التحريف والتعطيل : هو أن التعطيل : نفي المعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة .

وأما التحريف : فهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة ، التي لم يدل عليها الكتاب ولا السنة ، أي بينهما عموم وخصوص مطلق .

٤ - التكييف : هو بيان كيفية صفات الباري عز وجل ،بأن يقال : إن الصفة على هيئة كذا أو كيفية معينة .

٥ - هو إثبات المثيل والنظير للشيء ، فنقول : هذا مثل هذا ، أو مثيله أو نظيره . انظر هذه التعريفات : الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ، لعبد العزيز السلمان ص ٨٦-٨٩ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٠-١٢١، والعقيدة الواسطية بشرح صالح الفوزان ص ١٣- ١٤ ، والتحفة المهدية -فالح مهدي ٢٦/٢- ٢٧ ، ومفردات الراغب ص ٤٤٣ ، ٤٥٩ ، ومختار الصحاح ص٥٦ ، ١٣٨ ، واللسان ٦١٠/١١ .

لا نكفر أحدا من أهل القبلة بالذنوب ، ولا نخلد في النار من أهل الإيمان أحدا (١) ،وأنّ أفضل الخلفاء بعد رسول الله ﷺ ، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، وترتيبهم في الفضل،كترتيبهم في الخلافة،ومن قدم عليا على عثمان،فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار)(٢).

قال الألوسي - رحمه الله - عن معنى قول الشيخ : (منه بدأ وإليه يعود) : (أي هو المتكلم به ، وهو الذي أنزله من لدنه ، على محمد -ﷺ- ، ليس هو كما تقوله

---

١ - هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، أهل الحق في أصحاب المعاصي والذنوب ، ويزيده وضوحا ، حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - الذي أخرجه البخاري ومسلم ، وهو أنّ رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة - وهم الجماعة من العشرين إلى الأربعين - من أصحابه : ((بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف ، فمن وفّى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله ، فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه)) فبايعنا على ذلك . انظر : صحيح البخاري مع فتح الباري ح(١٨) ، كتاب الإيمان ٦٤/١ ، وصحيح مسلم ح(١٧٠٩) كتاب الحدود ، باب الحدود كفارات لأهلها ، صحيح مسلم بشرح النووي ٢٣٥/١١ .

فالحديث يدل بكل وضوح على أنّ النبي ﷺ لم يحكم على مرتكبي ما ذكر بالكفر ، والخروج من الإسلام ، وهذا يتناول جميع الكبائر - عدا الشرك - الذي لا يغفره الله ، إلاّ بالتوبة النصوح ، حيث قال تعالى :

﴿ إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ الآية (١١٦) من سورة النساء .

وهو ما ذكره الإمام النووي في شرحه للحديث ، قال : (قوله ﷺ : ومن أصاب شيئا من ذلك ...إلى آخره ، المراد به ، سوى الشرك ، وإلاّ فالمشرك لا يغفر له ، وتكون عقوبته كفارة له ، وفي الحديث فوائد ، منها : تحريم هذه المذكورات وما في معناها ، ومنها الدلالة لمذهب أهل الحق أن المعاصي غير الكفر ، لا يقطع لصاحبها بالنار ، إذا مات ولم يتب منها ، بل هو تحت مشيئة الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ، خلافا للخوارج والمعتزلة ، فإنّ الخوارج يكفّرون بالمعاصي ، والمعتزلة يقولون : لا يكفر ، ولكن يخلد في النار) شرح صحيح مسلم للنووي ١١/ ٢٣٦ .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني :(قوله : فهو إلى الله : قال المازري : فيه رد على الخوارج الذين يكفّرون بالذنوب ، وردّ على المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة ، لأنّ النبي ﷺ ، أخبر بأنه تحت المشيئة ، ولم يقل لا بد أن يعذبه ...) انظر فتح الباري ٦٨/١ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (... وكذلك كل مسلم يعلم أنّ شارب الخمر والزاني والقاذف والسارق ، لم يكن النبي ﷺ يجعلهم مرتدين يجب قتلهم ، بل القرآن والنقل المتواتر عنه ، يبيّن أنّ هؤلاء لهم عقوبات غير عقوبة المرتد عن الإسلام ، كما ذكر الله في القرآن ، جلد القاذف والزاني ، وقطع يد السارق ، وهذا متواتر عن النبي ﷺ ، ولو كانوا مرتدين لقتلهم ...) . مجموع فتاوى ٢٨٧/٧- ٢٨٨ .

٢ - انظر غاية الأماني ٣١١/١ ، ومجموع الرسائل الكبرى ٤١٦/١ وما بعدها .

الجهمية ، أنه خلق في الهواء أو غيره ، وبدأ من عند غيره ، كما لا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله ، أو عبارة (١) ، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف ، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله ، فإنّ الكلام إنّما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدأ لا إلى من قاله مؤديا ...

وأما : (إليه يعود) : فإنّه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور ، فلا يبقى في الصدور منه كلمة ، ولا في المصاحف منه حرف (٢) .

فهذا موجز ما يعتقده شيخ الإسلام ابن تيمية ، معتقد سلفه الصالح ، وعنه يدافع دفاعا مستميتا ، وبهذا نطق ، وإليه دعا ، حيث نقل عنه الألوسي : (قولنا فيها ، ما قاله الله سبحانه ورسوله ﷺ ، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان ، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره) .(٣)

---

١ - ذكر شارح العقيدة الطحاوية تسعة أقوال للناس في كلام الباري عز وجل ، وأنا أسردها هنا بإيجاز :

القول الأول : أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني إما من العقل الفعال ، أو من غيره

القول الثاني : أنه مخلوق ، خلقه الله منفصلا عنه .

القول الثالث : أنّ كلام الله معنى واحد قائم بذات الله ، وهو الأمر والنهي .

القول الرابع : أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل .

القول الخامس : أنّ كلام الله حروف وأصوات ، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما .

القول السادس : أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته ، القائم بذاته .

القول السابع : أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته ، وهو ما خلقه في غيره .

القول الثامن : أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات ، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات

القول التاسع : أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ، ومتى شاء ، وكيف شاء ، وهو يتكلم به بصوت يسمع ، وأن نوع الكلام قديم ، وإن لم يكن الصوت المعين قديما . وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة . شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٩ - ١٨٠ . وانظر : رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٠٥ - ١٠٦ ، بتحقيق محمد با كريم با عبد الله .

٢ - انظر : غاية الأماني ١/ ٣١٨ ، ومجموع الرسائل الكبرى ١/ ٤١٩ - ٤٢٠ .

٣ - غاية الأماني ٢/ ١٨٢ ، والفتوى الحموية الكبرى ص ٤ .

المبحث الثالث : ذبّ الألوسي عن بعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية :

التوطئة :

حظي كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أئمة الدعوة السلفية بالعناية الفائقة ، والاهتمام البالغ من قبل العلماء قديما وحديثا .

والإمام الألوسي - رحمه الله - أحد تلك النخبة التي بذلت جهودها واهتمامها في النشروالذبّ عن كتب الشيخ وغيره من أهل السنة والجماعة ، حيث ضحى - غفر الله له - بكل غال ونفيس ، في سبيل خدمة كتب شيخ الإسلام والدفاع عنها ، ذلك إما بالنسخ والتحقيق ، أو بالتأليف والاستكتاب ، فنجده - رحمه الله - كما قال تلميذه محمد بهجت الأثري: (... لكن أعظم جهده كان مصروفا إلى كتب الإصلاح الديني ، ولا سيما كتب الإمامين ابن تيمية وابن القيم ، فإنّ تقصيه لها في خزائن الكتب بالعراق والشام ومصر والحجاز ونجد والهند، واستكتابه إيّاها ، أو نسخه لها بيده ، وجدّه في تحقيقها ، وسعيه في طبعها ، هو فوق الوصف ... فإليه يرجع الفضل في إحياء كثير منها ، في صدر هذا العصر ، والمتتبعون يشهدون له بهذا الفضل ، ولا ينسونه له ، ومن هذا ما كتبه الأستاذ محبّ الدين الخطيب ، في مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب" جواب *أهل العلم والإيمان* " من تأليف الإمام ابن تيمية ، وهو قوله : ويرجع الفضل في تعريف أهل هذا العصر ، بهذا الكتاب النافع ، لعلاّمة العراق السيد محمود شكري الألوسي – رحمه الله - ، فقد عثر على نسخة مخطوطة منه في بغداد ، فنقلها بخطه ، وأرسلها إلى القاهرة سنة (١٣٢٢هـ) ، فطبعت بمطبعة التقدم .

وقال الأثري : أما الكتب القيمة التى حققها ونشرها ، فأذكر ما عرفته منها على سبيل الإتفاق ، لا التتبع والاستقراء ، إذ كان هذا يتطلب مجهودا ووقتا لا أملكهما ، ومن هذه الكتب ، ما أثبت اسمه فيه ، ومنها ماأغفل اسمه فيه لسبب أجهله ، ولكنني وجدت شواهد سعيه في استكتابه أو نسخه وجدّه في نشره .

في جملة ما وقفت عليه من مراسلاته لعلماء الأمصار في هذا الشأن ، ومنها : من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية :

١- *منهاج السنة النبوية* : للإمام أحمد بن تيمية ، ٤/مجلدات ، طبع بالمطبعة الأميرية الكبرى ببولاق القاهرة ، سنة (١٣٢١ - ١٣٢٢هـ) ، أغفل اسم الألوسي فيه ، ولدي بينات اجتهاده في نسخه ونشره .

٢- *بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول* ، للإمام ابن تيمية أيضا ، طبع في هامش الكتاب السابق ، وهو بعض أجزاء هذا الكتاب العجيب .

٣- *وتفسير سورة الإخلاص* ، له أيضا ، طبع سنة (١٣٢٣هـ) ، بالمطبعة الحسينية ، القاهرة ، على نسخة قرئت على الألوسي ، كما نص على ذلك في أول الكتاب .

٤- *جواب أهل العلم والإيمان* ، له أيضا ، وقد تقدم الكلام عليه قريبا .(١)

ذبّ الألوسي عن كتب الشيخ :

يفهم مما تقدم في التوطئة ، أنّ جهود الألوسي ليست قاصرة على الذبّ فحسب ، ولكن شملت كلاً من النسخ والتحقيق والاستكتاب والتأليف والطبع والنشر .

وأما ما يتعلق بالذبّ ، فنجده - رحمة الله عليه - يتصدّى لردّ افتراءات وترهات النبهاني وشبهه ، حول كتب الشيخ ، ومما جاء في ذلك :

قال الألوسي نقلا عن النبهاني : (الكلام على بعض كتب ابن تيمية - إلى أن قال- فمن كتب ابن تيمية : "*الجواب الصحيح ، في الرّد على من بدّل دين المسيح*" وهو أربعة مجلدات متوسطة . وهو في غاية النفاسة لو خلا من التعرض لبدعه التي انفرد بها وشذ عن المسلمين ، من منعه الاستغاثة به ﷺ ، كسائر الأنبياء والصالحين (٢) . ولتعرضه لأكابر أولياء الله بالتكفير والتشنيع ، فضلا عن التبديع ، كسيدي محي الدين ابن

---

١ - انظر : محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية ، للأثري ص ١٢٨ -١٢٩ . بيد أني لم أقف على هذه الكتب .

٢- يراجع جواب شيخ الإسلام عن الإستغاثة بهؤلاء ، فيما يأتي ٣٠٠- ٣١٣ ، ومجموع فتاوى ١/١٠٣ - ١٠٤ .

عربي (١)، وسيدي عمر بن الفارض (٢) ، وغيرهما ، ممن ذكر بعضهم في كتابه - الفرقان (٣) ، وشنع عليهم ، وكفرهم ، وجعلهم أولياء الشيطان ، وهذا دأبه ، عفا الله

---

١ - ابن عربي محي الدين : هو أبو عبد الله محمد بن علي ، المعروف بابن عربي ، الطائي الحارثي الأندلسي . من غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود ، تقول له الصوفية : الإمام الأكبر ، والكبريت الأحمر ، له مؤلفات كثيرة منها :" الفتوحات المكيّة " و" فصوص الحكم " وغيرهما ، (ت ٣٨٦) . انظر ترجمته :

جمهرة الأولياء للمنوني ٣/ ٣٠١، والأعلام للزركلي ٦/٢٨١ -٢٨٢ ، ومعجم المؤلفين ١١/ ٤٠- ٤٢ .

٢ - ابن الفارض : هو أبو حفص عمر بن أبي الحسين علي بن المرشد بن علي شرف الدين الحموي الأصل ، المصري المولد ، ولد في القاهرة ، في ٤/ ذي القعدة سنة (٥٧٦هـ) ، و(ت ٦٣٢هـ) . من أشهر مؤلفاته : ديوانه المعروف " بديوان ابن الفارض " والذي يتغزل فيه بالحب الإلهي حسب زعمه . انظر ترجمته :في البداية والنهاية ١٣/١٤٣ ، ومقدمة ابن الفارض والحب الإلهي ص ٢٨ ، وأعلام الزركلي٥/٥٥-٥٦ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ٧/ ٣٠١.

٣ - ومما جاء في هذا الكتاب الجليل ، الذي زعم النبهاني أنّ الشيخ كفّر سادته فيه ، كابن عربي وابن الفارض ، قول الشيخ - رحمه الله - : (بيّن سبحانه وتعالى في كتابه ، وسنة رسوله ﷺ ، أنّ لله أولياء من الناس وللشيطان أولياء ،ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فقال تعالى :﴿ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ الآيتان (٦٢- ٦٤) من سورة يونس . وقال تعالى :﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ الآية (٢٥٧) من سورة البقرة .

فأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، كما قال تعالى :﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وأما أولياء الشيطان فهم الذين قال تعالى عنهم :﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ الآيتان (٩٨- ٩٩) من سورة النحل . وقال تعالى أيضا :﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ الآية (٧٦) من سورة النساء . وانظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ضمن مجموع فتاوى ١١/١٥٧- ١٥٨ .

ويفهم مما تقدم من كلام شيخ الإسلام ، أنّ معيار الولاية : هو الإيمان والتقوى . وليس كما زعم النبهاني وأضرابه في ولاية ابن عربي وابن الفارض ، اللذين يفوح من كلامهما ما يناقض هذا المعيار .

فإنّ الولاية كما قال الشيخ : (ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض والبعد ، وقد قيل : إنّ الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات ، أي متابعته لها ...

وقال أيضا : فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمره وينهى عنه ، كان المعادي لوليه معاديا له ، كما قال تعالى :﴿ لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾ الآية (١) من =

عنه في كتبه ، ولذلك قلّل الله النفع بها ، كما جرت عادته تعالى ، فيمن يتعرض لأوليائه بالسوء (١).

قال الألوسي في ردّه على هذه الفرية : (أقول جوابه : إنّ كتب شيخ الإسلام جميعها من الكتب التي أنعم الله تعالى بها على الأمة ، وعلى اختلاف أنواعها وفنونها ، ليس لها نظير في بابها ، وقد ذكر الحافظ ابن القيم في " *الكافية الشافية* " وحث على مطالعتها فقال :

فاقرأ تصانيف الإمام حقيقة * شيخ الوجود العالم الرباني
أعنى أبا العباس أحمد ذاك * البحر المحيط بسائر الخلجان (٢)
واقرأ كتاب العقل والنقل الذي * ما في الوجود له نظير ثان
وكذاك منهاج له في ردّه * قول الروافض شيعة الشيطان
وكذاك أهل الاعتزال فإنه * أرداهم في حفرة الجبان
وكذلك التأسيس أصبح نقضه * أعجوبة للعالم الرباني
وكذاك أجوبة له مصرية * في ست أسفار كتبن سمان
وكذا جواب للنصارى فيه ما * يشفي الصدور وإنّه سفران(٣)- خ -

= سورة الممتحنة . فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه) . الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ضمن مجموع فتاوى ١١/١٦٠- ١٦١ .

ثم إذا رجعنا إلى ما هو ثابت في كتب هؤلاء - كفصوص الحكم لابن عربي وغيره - الذين ادعى لهم النبهاني الولاية ، نجدها ممتلئة بما يناقض معيار الولاية ، حيث ثبت عنهم تفضيل الأولياء على الأنبياء ، أو تسويتهم بهم . وجعل منهل الأولياء والأنبياء واحدا - كما سيتضح إن شاء الله تعالى من خلال نقل الألوسي عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في ص ١٥٩-١٦٢ ، فكيف يحكم لأمثال هؤلاء بالولاية لله تعالى ، وقد حكم الله تعالى فيهم بهذا الحكم ، الذي زعمه النبهاني أنه للشيخ ! .

انظر : الفرقان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠٨ - ١١٤ .

١ - انظر : غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/٣٧٧ ، وشواهد الحق للنبهاني ص١١١ وما بعدها .

٢ - الخلجان : جمع خليج ، وهو ما انقطع من معظم الماء ، لأنه يجذ منه ، وقيل : الخليج : شعبة تتشعب من الوادي ، تعبّر بعض مائه إلى مكان آخر ، انظر اللسان ٢/٢٥٧ ، مادة " خلج" .

٣ - انظر غاية الأماني ١/٣٧٧- ٣٧٨ ، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة : بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية . لأحمد بن ابراهيم بن عيسى ، تحقيق زهير الشاويش ٢/ ٢٩٠ - ٢٩٤ .

وجاء عن الألوسي - رحمه الله - في شرح بعض هذه الأبيات ، قوله : (اعلم أنّ الناظم لم يذكر كتبه مرتبة ، أعني كتب كل فن على حدة ، لعدم مساعدة النظم على ذ لك ، ونحن نشرحها حسب ما ذكرها ، فنقول : (١)

قوله : واقرأ كتاب العقل والنقل الذي * ما في الوجود له نظير ثان .

هذا الكتاب ألّفه في بيان أنّ الشريعة كافية بنصوصها ، ولا حاجة بها إلى ما أحدث من القواعد الكلامية المأخوذة من الحكمة اليونانية ، وأن الدليل النقلي يفيد اليقين ، وهذا الكتاب متداول بين الأيدي ...

قوله : وكذاك منهاج له في رده * قول الروافض شيعة الشيطان.

وهذا الكتاب أيضا من كتب الشيخ المهمة ، وهو أحسن كتاب ألف في الرد على الروافض، مشتمل على فنون كثيرة وعلم غزير ، ونسخه أيضا كثير في البلاد ، وكثير من خزائن الكتب الإسلامية ، مشتملة عليه .

قوله : وكذاك جواب للنصارى فيه ما * يشفي الصدور إنه سفران

يريد به (*الجواب الكافي لمن بدل دين المسيح*) ، ولم يؤلف في الرد على النصارى كتاب مثله ، وكتبت في شأنه بعض المجلات المصرية ، ... جاء في آخر ما كتب : وقد اطلع على هذا الكتاب بعض قسيسي المجمع العلمي ، المنعقد في بعض البلاد الإفرنجية ، فقدَّرُوه قدره وأثنوا على مؤلفه خيرا ، وقالوا لو جمع مؤلفه كتابا آخر في محاسن دين الإسلام ، لدخل الناس فيه أفواجا) .(٢)

قال شيخنا الألوسي : (وأما انتقاد النبهاني ،كتاب الجواب الصحيح ، أنّ الكتاب في غاية النفاسة ، لو خلا من التعرض لبدعه التي انفرد بها عن المسلمين ... الخ)(٣) .

---

١ - أكتفي بشيئ يسير فقط من الشرح .

٢ - غاية الأماني ٣٧٩/١ ، ٣٨٠، ٣٨١ .

٣ - شواهد الحق ص١٢٤ وما بعدها .

فجوابه : أن ما انتقده هو من محاسن الكتاب ، وأجل فصوله ، فإنّ الاستغاثة بالمخلوق والاستعانة به ، والالتجاء إليه ، هو الذي كان من غلو أهل الكتاب ، وهو مذهب النصارى ، فإنّ عبادة المسيح وأمه ، عبارة عن ذلك ، فلو لم يبطل هذا القول ، لما ساغ له الردّ عليهم ، وكذلك الرد على القائلين بالحلول (١) والإتحاد (٢) ، فإنه لو لم يردّ عليهم ، ويبطل دعواهم ، ويخرجهم عن الملة ، لما ساغ إبطال قول النصارى في دعواهم ، حلول الإله في المسيح أو الإتحادية ونحو ذلك . فإنّ لقائل أن يقول حينئذ : إنّ من المسلمين من يقول بأشنع من هذا القول ، وهو دعوى الحلول والإتحاد ، التي أبطلها الشيخ وغيره من العلماء الربانيين المتبعين لما جاء به الشرع المبين ... وهذا الذي نقم النبهاني الزائغ ، وانتقد به كلام الشيخ ، من أوضح ما يدل على زيغه ، واتباعه لهواه . قال تعالى : ﴿ **وما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾ (٣) . ومثل ما حكى الله عن إخوانه : ﴿ **أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ۝ يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنّ الله على كل شيئ قدير ۝** ﴾ (٤) .

وما أحسن ما قال القائل :

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرّا به الماء الزلالا.

---

١ - الحلول : عبارة عن كون أحد جسمين ضرفا للآخر . وقيل : عبارة عن اتحاد الجسمين ، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد . انظر : التعريفات للجرجاني ص ١٢٥ ، وفرق معاصرة ، لشيخنا فضيلة الدكتور غالب بن علي عواجي ٢/٦٧٧ .

٢ - الإتحاد هو تصيير الذاتين واحدة ، ولا تكون إلاّ في العدد من الإثنين فصاعدا ، وقال الجرجاني : وهو شهود وجود الحق الواحد المطلق ، الذي الكل موجود بالحق ، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيئ موجودا به معدوما بنفسه ... وهو امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئا واحدا . التعريفات للجرجاني ص ٢٢ . وهذه هي الصوفية ص ٢٤ .

٣ - الآية (٨) من سورة البروج .

٤ - الآيتان (١٩ ، ٢٠) من سورة البقرة .

وقال الآخر :

تعد ذنوبي عند قومي كثيرة * ولا ذنب لي إلاّ العلا والفواضل.

ولم يعرف النبهاني وأضرابه من الغلاة ، قدر كتب شيخ الإسلام ، وتمنّى عدم وجودها وفقدها من العالم ، لأنّها تبطل ما ذهب إليه من الأقوال الفاسدة ، وتهدم بنيان أشياخه ، قال تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم قل إنّ هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير ﴾ (١) .

وأهل الحق وذوو البصائر ، إذا ظفروا بكتاب من كتبه ، تراهم كأنّهم ظفروا بكنز من كنوز العلم) (٢). وهو كذلك .

وأما قول النبهاني : (وهذا دأبه في كتبه ، ولذلك قلّل الله النفع بها ، كما جرت عادته فيمن يتعرض لأوليائه بالسوء ...)(٣) . قال الألوسي :

(**فجوابه** : أنّ من الواجب على العالم أن يظهر علمه ، وإلاّ ألجمه الله بلجام من النار(٤)، قال تعالى : ﴿ والعصر ۝ إنّ الإنسان لفي خسر ۝ إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصّبر ۝ ﴾ (٥) .

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-:(لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم) (٦) .

وبيان ذلك : أنّ المراتب أربعة ، وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله ، وهي:

إحداها : معرفة الحق .

---

١ - الآية (١٢٠) من سورة البقرة .

٢ - غاية الأماني ١/ ٣٨٦-٣٨٧ .

٣ - شواهد الحق ص ١٢٤ .

٤ - يشير شيخنا إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، الذي أخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم ، باب ما جاء في كتمان العلم ، وهو قوله ﷺ : ((من سئل عن علم ثم كتمه ، ألجم يوم القيامة بلجام من نار)) وقال الترمذي : حديث أبي هريرة حديث حسن . ٥/٢٩ ح (٢٦٤٩) .

٥ - سورة العصر .

٦ - انظر تفسير القاسمي ١٧/ ٦٢٥٠

الثانية : عمله به .

الثالثة : تعليمه من لا يحسنه .

الرابعة : صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه .

فذكر تعالى المراتب الأربع في هذه السورة ، وأقسم سبحانه في هذه السورة - العصر - أنّ كل أحد في خسر ، إلاّ الذين آمنوا : وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به . فهذه مرتبة ، وعملوا الصالحات : وهم الذين عملوا بما علموه من الحق ، فهذه مرتبة أخرى ، وتواصوا بالحق : وصّى به بعضهم بعضا ، تعليما وإرشادا . فهذه مرتبة ثالثة . وتواصوا بالصبر : صبروا على الحق ووصّى بعضهم بعضا بالصبرعليه والثبات ، فهذه مرتبة رابعة .

وهذا نهاية الكمال ، فإنّ الكمال أن يكون الشخص كاملا في نفسه ، مكملا لغيره ، - إلى أن قال- فعلم (١) أنّه يجب على العالم أن يصدع بالحق ، وإن كثر المخالفون له .

وقد رأى من الحق ، التنبيه على الفرق بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن ، وقد أطنب الكلام في ذلك ، ومما قال : وقد ضلّ طائفة غالطة ، أنّ خاتم الأولياء يكون أفضل الأولياء ، قياسا على خاتم الأنبياء ، ولم يتكلم أحد من المشائخ المتقدمين ، بخاتم الأولياء ، إلاّ محمد بن حكيم الترمذي(٢)، صنّف في ذلك مصنّفا ، غلط فيه في مواضع .

ثم صار طائفة من المتأخرين . يزعم كل منهم أنه خاتم الأولياء ، ومنهم من يدّعي أنّ خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله ، وأن الأنبياء يستفيدون العلم

---

١ - يقصد الألوسي شيخ الإسلام ابن تيمية .

٢ - محمد بن حكيم الترمذي : هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي ، قال الذهبي : وله حكم ومواعظ وجلالة . لولا هفوة بدت منه ، وقال أيضا عن أبي عبد الرحمن السلمي : أخرجوا الحكيم من ترمذ ، وشهدوا عليه بالكفر . وذلك بسبب تصنيفه كتاب " ختم الولاية " وكتاب " علل الشريعة " وقالوا : إنه يقول : إنّ للأولياء خاتما . كالأنبياء لهم خاتم ، وإنه يفضل الولاية على النبوة ، وقيل : عاش نحوا من ثمانين سنة . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣/ ٤٣٩ - ٤٤٢ ، وتذكرة الحفاظ له ٢/ ٦٤٥ . وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٢٤٥ - ٢٤٦ .

با لله من جهته، كما زعم ذ لك ابن عربي صاحب الفتوحات ، في كتاب الفصوص (١)، فخالفوا الشرع والعقل ، مع مخالفة جميع أنبياء ا لله وأولياء ا لله - كما يقال لمن قال : فخر عليهم السقف من تحتهم ، لا عقل ولا قرآن - وذ لك لأنّ الأنبياء أسبق في الزمان من أولياء هذه الأمة ، والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أفضل من الأولياء ، فكيف يكون الأنبياء كلّهم والأولياء ، يستفيدون معرفة ا لله ممن يأتي بعدهم ، ويدّعي أنّه خاتم الأولياء ، وليس آخر الأولياء أفضلهم ، كما أنّ آخر الأنبياء أفضلهم ، فإنّ فضل محمد ﷺ ، على سائر الأنبياء ثبت بالنصوص الدالة على ذ لك ، كقوله ﷺ :((أنا سيد ولد آدم ولا فخر)) (٢) ، وقوله : ((آتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن : من أنت؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك))(٣) ، وليلة المعراج رفع ا لله درجته فوق الأنبياء كلهم ، فكان أحق بقوله تعالى : ﴿ **تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات** ﴾ (٤) - إلى أن قال -:ومن ادعى أ نّ من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ ، من له طريق إلى ا لله ، لا يحتاج فيه إلى محمد ، فهو كافر ملحد ، وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد ﷺ ، في علم الظاهر دون الباطن ، أو في الشريعة دون علم الحقيقة ، فهو شر من اليهود والنصارى ، الذين قالوا : إ نّ محمدا رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب ، فإنّ أولئك آمنوا ببعض ما جاء به وكفروا ببعض ، فكانوا كفارا بذ لك ، وكذ لك هذا الذي يقول : إنّ محمدا

---

١ - جاء في هذا الكتاب قول ابن عربي :(...وليس هذا ا لعلم إلاّ لخاتم ا لرسل - وهو علم السكوت ، وهو أعلى عالم با لله - وخاتم الأولياء وما يراه أحد من الأنبياء والرسل ، إلاّ من مشكا ة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء ، إلاّ من مشكاة الولي الخاتم ، حتى إ نّ الرسل لا يرونه - متى رأوه- إلاّ من مشكاة خاتم الأولياء . فإ نّ ا لرسالة والنبوّ ة تنقطعان ، والولاية لا تنقطع أبدا ، فالمرسلون مع كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه ، إلاّ من مشكاة خاتم الأولياء ، فكيف من دونهم من الأولياء) فصوص الحكم ٦٢/١ .

فتفضيل ابن عربي خاتم الأولياء - الذي يدعيه لنفسه - على رسل ا لله وأ نبيائه فيما تقدم ، لجلي وواضح بل أوضح من ا لشمس في كبد ا لسماء الصافية .

٢ - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب ا لفضائل ، با ب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ، ٥٩/٧ .

٣ - أ خرجه مسلم في صحيحه كتاب الإ يمان ، باب في قول ا لنبي ﷺ :((أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعا)) ح(١٩٧) . صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ٧٣-٧٤ .

٤ - الآية (٢٥٣) من سورة ا لبقرة .

بعث بعلم الظاهر دون الباطن : آمن ببعض ما جاء به ، وكفر ببعض، وهذا كافر، أكفر(١) من أولئك ، لأنّ علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من لعلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة، فإذا ادّعى المدّعي أنّ محمدا إنّما علم هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الإيمان ، وأنه لا يأخذ الحقائق من الكتاب والسنة ، فقد ادّعى أنّ بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول ، دون البعض الآخر ، وهذا شر ممن يقول : أومن ببعض وأكفر ببعض ، ولا يدّعي أنّ هذا البعض الذي آمن به ، أولى القسمين ، وهؤلاء الملاحدة قد يدّعون أنّ الولاية أفضل من النبوة ،ويلبّسون على الناس ويقولون : إنّ ولاية محمد ﷺ أفضل من نبوته ، وينشدون :

مقام النبوة في برزخ * فويق الرسول دون الولي

ويقولون: نحن شاركناه في ولايته، التي هي أعظم من رسالته ، وهذا من أعظم ضلالهم ، فإنّ ولاية محمد ﷺ ، لم يماثله فيها أحد، لا إبراهيم ، ولا موسى ،- عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ، فضلا عن أن يماثله هؤلاء الملاحدة ، وكل رسول نبي، وكل نبي ولي، فالرسول نبي وولي ، ورسالته متضمنة للنبوة ، ونبوته متضمنة لولايته ، فكيف تكون ولايته المتضمّنة في نبوّته ، أفضل من نبوته الداخلة في ولايته ؟ وإذا قدروا مجرد إنباء الله إيّاه ، بدون ولايته لله ، فهذا تقدير ممتنع ، فإنّه حال إنباء الله إيّاه يمتنع أن لا يكون وليا لله ، فلا تكون نبوّة مجردة عن ولاية ، ولو قدّرت مجردة ، لم يكن أحد مماثلا للرسول في ولايته لله ،وهؤلاء قد يقولون: -كما يقول صاحب الفصوص ابن عربي إنّهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك، الذي يوحى به إلى الرسول... الخ)ﷺ .(٢)

---

١ - فهؤلاء هم سادة النبهاني ، الذين يدافع عنهم ، وأنّ الشيخ كفّرهم في كتابه الفرقان ، وهم أولياء الله عنده وكيف يكون مثل ابن عربي - الذي يقول : (وكذلك خاتم الأولياء كان وليا وآدم بين الماء والطين ، وغيره من الأولياء ما كان وليا إلاّ بعد تحصيله شرائط الولاية) - وليا من أولياء الله ؟ انظر فصوص الحكم ص ٦٤ .

٢ - انظر : غاية الأماني ٣٨٩/١ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ضمن مجموع فتاوى ١١/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

ثم قال الألوسي - رحمه الله - بعد صفحات مبينا لسبب نقله لما تقدّم : (والمقصود مما نقلناه كله : أنّ قول النبهاني عن أهل الحلول والإتحاد ، أنّهم أولياء الله، كلام دل على جهله ، واتباعه لهواه وغيّه .

وقد ذكر الشيخ علي القاري (١) ، في الردّ على " الفصوص " من المنكرات والأوهام والغلطات ، ما تقشعر منها الجلود ، وقال في آخر كتابه : وما سبق من المنكرات من كلام ابن عربي ، لا سبيل إلى صحة تأويلها ، فلا يستقيم اعتقاد أنّه من أولياء الله ، مع اعتقاد صدور هذه الكلمات منه ، إلاّ باعتقاد أنّها لم تصدرعنه، أو أنّه رجع إلى ما يعتقده أهل الإسلام في ذلك ، ولم يجيئ بذلك عنه خبر، ولا روي عنه أثر، فذمه جماعة من أعيان العلماء وأكابر الأولياء لأجل كلامه المنكر) (٢) .

وقال الألوسي أيضا : (وأما قول النبهاني : عن كتب ابن تيمية ، أنه بسبب كلامه على القائلين بالحلول والإتحاد وغير ذلك ، مما يدل على البطلان والفساد ، قلّل الله النفع بها ...الخ)

فجوابه : أنّ الله تعالى لم يقلّل الانتفاع بها ، بل لم يزل الناس يلتقطون منها درر الفوائد ، ويصححون بها أعمالهم والعقائد ، وهي كما قال الحافظ ابن القيم :تشترى بالغالي من الأثمان في كل عصر وزمان ، فأي عالم من العلماء انتفع الناس بكتبه ، كما انتفعوا بكتب شيخ الإسلام ، وذلك من المعلوم بين الخاص والعام ، ولكن الأمر كما قيل :

وقد تنكر العين ضوء الشمس من رمد* وينكر الفم طعم الماء من سقم .

وكتب المتأخرين من الحنابلة وغيرهم ، مشحونة بالنقل عن كتبه ، والمنقولات عنها زينة للكتب وغرة محاسنها ، وقد أودع الله تعالى فيها خاصية التأثير في القلوب ، فلا تجد أحداً يطالع فيها إلاّ و فتح الله عليه أبواب العلوم ، وأفاض عليه من زلال عذب منطوقها

---

١ - الشيخ علي القاري هو : ابن سلطان محمد ،نور الدين الملا الهروي الحنفي، عالم مشارك في أنواع من العلوم ، ولد في هراة ، ورحل إلى مكة واستقر بها ، إلى أن توفي بها سنة (١٠١٤) .من مصنفاته الكثيرة : مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح " و " تلخيص القاموس ، وسماه :الناموس " وغيرهما .
انظر ترجمته: معجم المؤلفين ٧/١٠٠-١٠١ ، والأعلام للزركلي ٥/ ١٢ -١٣ .

٢ - غاية الأماني ١/ ٤٠٦ .

والمفهوم ، إلاّ من قسي قلبه.. كما قال تعالى عن كتابه :﴿ **يضلّ به كثيرا ويهدى به كثيراً وما يضل به إلاّ الفاسقين﴿٢٦﴾ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أوليك هم الخاسرون ﴿٢٧﴾** ﴾[1][2]

وبهذا القدر أكتفي ، وفيه الكفاية إن شاء الله تعالى ، لأنّ كلام النبهاني في حق كتب الشيخ تقي الدين ، لاوجه له . بل هو دليل على جهله ، وتعصبه للباطل ، واتباعه هواه . وإنّ كل ما هذى به من ترهاته لا يصدر عن طفل مبتدئ في العلم ، فضلا عمن يدّعي العلم ، ولكن الله سبحانه وتعالى ، فضحه بسبب تطاوله على خير عالم في الزمان الأخير ، لم يلتفت إلى ما هو فيه من المسك والحال الذي ينبغي أن يرثى له من يشفق عليه ، وباقي كلامه من هذا القبيل ، فلا نتعب البنان بالتطويل ...) (٣) .

---

١ - الآيتان (٢٦ ، ٢٧) من سورة البقرة .

٢ - انظر غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/٤٠٦-٤٠٧ ، و ٢/٢٧١-٢٧٣ .

٣ - انظر : المصدر السابق ٢/ ٢٧٣ .

الفصل الثالث :

تأييد العلاّمة الألوسي لدعوة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب ، ودفاعه عنها .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : موقف الألوسي من إطلاق لفظ " الوهابيّة " .

المبحث الثاني : بيانه لعقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

المبحث الثالث : ردّه على بعض معارضي دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

المبحث الرابع : خدمته لبعض كتب الشيخ - رحمه الله .

المبحث الأول : موقف الألوسي من إطلاق لفظ " الوهابية " .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : موجز ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

المطلب الثاني : موقف الألوسي من إطلاق لفظ الوهابية .

المطلب الأول :

موجز ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب– رحمه ا لله .

تناول كثير من المؤرخين والأدباء والكتاب وأصحاب التراجم وأ ئمة الدعوة السلفية ، شخصية شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، ودعوته السلفية ، بالترجمة والكتابة تارة ، وبالذبّ والمنافحة أخرى ، الأمر الذي لم يقع إلا للأعلام المجددين ، بحيث لا تكاد تجد كتاب تاريخ أو تراجم لأهل عصره ، أو ليقظة المسلمين الحديثة ، وحاضر العالم الإسلامي ، إلاّ وتجد لشيخ الإسلام ترجمة ، أو شيئا منها .

فلذ ا لا حاجة للإ طالة في هذا المكان ، بل يقتصر على إيراد بعض النقول المؤجزة عن الأ لوسي – رحمه ا لله – لإثبات أنه من الأعلام الذين ترجموا للشيخ وذبّوا ونفحوا عنه وعن دعوته السلفية ويشمل :

أولا : اسم الشيخ ونسبه :

قال الألوسي في كتابه "*تاريخ نجد*" : (الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علي بن وهيب التميمي النجدي ، صاحب الدعوة – **السلفية** – المشهورة . (١)

---

١ – وعن اسم شيخ الإسلام ونسبه ، انظر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، لعثمان بن بشر ١/٨٩- ٩٠ ، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، وأثرها في ا لعالم الإسلامي ، لشيخنا صالح العبود ، حفظه ا لله ص ٦٨- ٧٣ ، وتاريخ نجد الحديث وملحقاته ، لأمين الريحاني ص ٣٣ وما بعدها .

ثانيا : ولادة الشيخ ونشأته وتحصيله للعلم :

قال – رحمه الله – وقد نشأ الشيخ محمد ، في بلدة العيينة ، وهي مسقط رأس الشيخ ، حيث بها ولد – رحمه الله – سنة (١١١٥هـ) (١)، من بلاد نجد ، في حجر أبيه ، الشيخ عبد الوهاب بن سليمان القاضي في بلد العيينة في زمن إمارة عبد الله بن محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر ، المشهور صاحب العيينة ، التي زخرفت في أيامه ، وذلك قبل انتقال الشيخ عبد الوهاب إلى بلد **حريملا** من بلاد نجد . فقرأ الشيخ محمد على أبيه الفقه ، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل . وكان الشيخ محمد في صغره ، كثير المطالعة لكتب التفسير والحديث والعقائد ، فصار ينكر على أهل نجد كثيرا من الأمور ، فلم يسعفه على ذلك أحد ، وإن استحسن إنكاره بعض الناس .فسافر من بلد العيينة إلى حج بيت الله الحرام ، فلما قضى نسكه سار إلى المدينة ، فأخذ فيها عن الشيخ العالم : **عبد الله بن إبراهيم بن سيف** (٢)، من آل سيف ، رؤساء بلد " **المجمعة** " ثم رحل إلى " **البصرة** " يريد " **الشام** " ، فلما ورد البصرة أقام فيها مدة ، وأخذ عن العالم الشيخ محمد المجموعي (٣)، ثم إن الشيخ محمد أراد السفر إلى" الشام" ، فضاق زاده ، فانثنى عزمه عن الشام ، فقصد " **الإحساء** " ، فنزل بها عند الشيخ العالم : عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الإحسائي (٤). ثم خرج من الإحساء ، وقصد بلد " حريملا " من نجد ، وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب ، قد انتقل إليها من بلد العيينة ، سنة (١١٣٩هـ) ، بعد وفاة عبد الله بن معمر ، صاحب العيينة ، في الوباء الذي وقع بها فأفناها .

ولما وصل الشيخ محمد إلى حريملا ، لازم أباه ، وقرأ عليه ، وأظهر الإنكار على أهل نجد في عقائدهم ، فوقع بينه وبين أبيه منازعة وجدال ، وكذلك وقع بينه وبين الناس في بلد حريملا جدال كثير، فأقام على ذلك مدة سنين ، حتى توفي أبوه سنة ثلاث وخمسين

---

١ – انظر : عنوان المجد ، لابن بشر النجدي ص١٤٠ . وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٦٧ .

٢ – توفي الشيخ عبد الله بن إبراهيم في المدينة المنورة سنة (١١٤٠) رحمه الله . انظر : علماء نجد خلال ستة قرون . لابن بسام ٢/ ٥٠٤

٣ – لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه .

٤ – لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه .

ومائة وألف ، ثم أعلن الشيخ محمد بالدعوة (١)، والإنكار على الناس ، وتبعه أناس من أهل حريملا ، واشتهر بذلك .(٢).. الخ .

ثالثا : وفاة الشيخ - رحمة الله عليه .

وفي سنة ست ومائتين وألف من هجرة المصطفى ﷺ ، توفي(٣) مجدد عصره ، ووحيد زمانه ، شيخ الإسلام ، قامع البدع ، ومحي السنة المحمدية ، محمد بن عبد الوهاب -عليه الرحمة -، وكانت وفاته في يوم الإ ثنين من آخر شهر شوال(٤) ، وقيل آخر ذي القعدة (٥) .

ورجح الشيخ صالح العبود القول الأول ، وذ لك لتقدم ابن غنام على ابن بشر ، ومعاصرته للشيخ وشهوده زمن وفاته ،وتدوينه لتاريخه ...وابن بشر ينقل عن ابن غنام ، فلعله نقل ذ لك وسهى في نقله ، والأمر سهل . (٦)

---

١ - ولمزيد معرفة طبيعة هذه الدعوة ، وما ترتب على الصدع بها ، فليراجع : تاريخ نجد للأ لوسي ص ١٠٨،

وما بعدها ، وعنوان المجد في تاريخ نجد ، لعثمان بن بشر ١/ ٩-١٥ .

٢ - تاريخ نجد للأ لوسي ص ١٠٦-١٠٧ ، ١٠٨ ، ويظهر أن أصل هذا الكلام للشيخ عثمان بن بشر في كتابه : عنوان المجد في تاريخ نجد ١/ ٦ ، ٧ ، ٨ .

٣ - المصدر السابق ص١١٣ .

٤ - روضة ابن غنام ٢/ ١٥٤ .

٥ - عنوان المجد في تاريخ نجد ١/ ٩٥ .

٦ - انظر : عقيدة الشيخ محمد بن عبد ا لوهاب ... ص ١٤٦ .

المطلب الثاني :

موقف الألوسي من إطلاق لفظ " الوهابيّة " :

يتضح ذلك من خلال ردوده - رحمه الله - على بعض مفتريات وترهات النبهاني ، التي منها : تسمية أتباع شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، **بالوهابيّة** .(١)

نقل عنه الألوسي قوله : (القسم الخامس : في وصف الوهابية ، أتباع محمد بن عبد الوهاب النجدي ، التابع في بدعته لابن تيمية (٢)) رحمة الله عليهما .

قال الألوسي في رده على هذه الفرية : (أقول : في هذا العنوان عدّة غلطات ، تدل على مبلغه من العلم وحاله من الدين والفهم . منها :

---

١ - هذه التسمية - كما قال مسعود الندوي - (إنّ من أبرز الأكاذيب على دعوة شيخ الإسلام ، تسميتها بالوهابية ، ولكن أصحاب المطامع حاولوا من هذه التسمية أن يثبتوا بأنها دين خارج عن الإسلام ...)

انظر : محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه ص ١٩٩ .

وقال الشيخ أحمد أمين : (وأما اسم الوهابية ، فهو اسم أطلقه عليهم خصومهم ، واستعمله الأوربيون)

زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ١٠ .

٢ - نقله الألوسي من قصيدة النبهاني (الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغراء) لم أقف عليها .

قال الألوسي : (ورتّبها على خمسة أقسام ، جعل القسم الأول في المدح الكتاب والسنة ، والأئمة الأربعة ومذاهبهم .

والقسم الثاني ، في شتم الشيخ جمال الدين الأفغاني ، والقسم الثالث : في شتم مفتي الديار المصرية ، الإمام المشهير محمد عبده - رحمه الله - بسبب انتصاره لشيخ الإسلام تقي الدين .

والقسم الرابع : في شتم منشئ مجلة المنار ، العلاّمة الشهير السيد رشيد رضا ، بسبب انتصاره للسلف ، وأخذه بالكتاب والسنة .

والقسم الخامس : في شتم مسلمي نجد ، ومن وافق الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية ، عليهما الرحمة . ولما كان شتمه لكل بسبب الذبّ عن السلف ، والنجديين ، اقتصرنا على بيان ما في القسم الخامس من الزور والبهتان ، وموافقة الشيطان ومخالفة الحق ومراغمة الديان) .

الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى ص ٢ ، مخطوط ، جامعة الملك سعود بالرياض ، قسم المخطوطات ، رقم ميكروفيلم (١٤٠٠ / أ) .

قوله في الوهابية : أنّهم أتباع محمد بن عبد الوهاب ، وذلك أن السلفيين من أهل نجد وغيرهم ، لم يتبعوا محمد بن عبد الوهاب ، ولم يقلدوه ، ولم يدّع هو الإمامة لأحد ، وإنّما كان يذكر الناس بالكتاب والسنة ، فوافق اعتقادهم اعتقاده ، إذ الحق لا يتعدد . وهكذا يقال في محمد بن عبد الوهاب والشيخ تقي الدين ابن تيمية . والسلفيون كلّهم يأخذون بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وهكذا جميع أئمة الأمة ، فهم متفقون على ذلك الاعتقاد ، إذ مأخذ الجميع واحد .

ومنها : خطؤه في النسبة ، فإنّ من وافق محمد بن عبد الوهاب ، إن كانوا أتباعه ، فينبغي أن ينسبهم إلى اسمه ، فيقال : محمديّة ، كما أنّ أتباع مالك يقال لهم : المالكية ، وهكذا ، فالنسبة إنّما تكون لاسم المتبوع ، لا لأبيه ، كما لا يخفى ، فالنبهاني جاهل بالعربية ، كما أنه لا خبرة له في الأمور الدينية ، فقلّد غيره في هذه التسمية والنسبة ، تقليدا أعمى لأعمى ، أو يقال: إنّه إذا راعى القواعد فسماهم محمدية ، غص هو وأعداء الحق بريقهم ، إذ هم في نفس الأمر كذلك ، لأنّهم متبعون للكتاب والسنة ، فهم أتباع محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ ، لا أتباع ابن عبد الوهاب ، فحسدهم أعداء الحق ، على هذه النسبة ، ونبزوهم بهذا اللقب ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ (١) .

ومنها : زعم أنّ ما عليه القبوريون الغلاة ، هو السنة ، وما ذهب إليه مخالفوهم ، مما دلّ عليه الكتاب والحديث الصحيح هو البدعة . وهذا كلام من لم يعلم الفرق بين السنة والبدعة ، ولم يعرف حدود ما أنزل الله على من أرسله الله بالهدى ودين الحق ، بل إنّه يشبه كلام من كان يقول : (ولا تؤمنوا إلاّ لمن اتبع دينكم) (٢) فرد الله عليهم بقوله :

---

١ - الآية (١١) من سورة الحجرات . وتمامها :﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهنّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ .

٢ - اقتباس من قوله تعالى : ﴿ ولا تؤمنوا إلاّ لمن اتبع دينكم قل إنّ الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ الآية (٧٣) من سورة آل عمران .

﴿قل إنّ هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾(١) (٢).

منها (٣): جعله أهل نجد من سلالة مسيلمة الكذاب وسجاح .

قال الألوسي نقلا عن النبهاني :

ضعاف النهى أعراب نجد جدودهم * وقد أورثوهم عنهم الزور والوزرا
مسيلمة الجد الكبير وعرسه * سجاح لكل منهم الجدة الكبرى .

قال -رحمه الله- في ردّه على هذه المزاعم :

أقول: من المعلوم أنّ أهل نجد كغيرهم من خلص العرب وصميمهم ، وأجدادهم من أصحاب رسول الله ﷺ ، الذين نصروه ، وجاهدوا من خالفه ، وبذلوا نفوسهم ونفيسهم في سبيل الله . وكلام النبهاني هذا صريح في تنقيصهم وثلبهم وشتمهم ، بنسبة الزور والوزر لهم ، والرسول ﷺ يقول : ((الله الله في أصحابي)) (٤) ، ويقول(من)(٥) حديث آخر : ((من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب))(٦) . فالنبهاني قد حارب الله بقوله هذا ، وكفى الله المؤمنين بما أحق به من النكال والخزي المؤبد .

---

١ - الآية (١٢٠) من سورة البقرة .

٢ - الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى ص٢ ، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ، رقم ميكرو فيلم (١٤٠٠ / ١) .

٣ - من مفتريات النبهاني على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأهل نجد .

٤ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٥٤ ، ٥٧ .

٥ - يظهر أن الصواب (في) بدلا من (من)

٦ - أخرجه البخاري في صحيحه ، ونصه فيه ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ، ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته)) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ح(٦٥٠٢) ١١/٣٤٠ .

ثم إنه قد جاءت نصوص في مناقب أهل نجد ، خاصة وعامة :

أما الخاصة : فكما ورد في فضل تميم . روى البخاري في صحيحه ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أنه قال : أحبّ تميما لثلاث سمعتهنّ من رسول الله ﷺ قوله ، لما جاء ت صدقاتهم : ((هذه صدقات قومي)) وقوله في الجارية التميمية :((اعتقها فإنها من ولد إسماعيل)) وقوله : ((هم أشد أمتي على الدّجال)) (١) .

وأما العامة للعرب : فلا شك في عمومها لأهل نجد ، لأنهم من صميم العرب .

ومعلوم أنّ رؤساء عباد القبور ، الداعين إلى دعائها وعبادتها ، لهم حظ وافر مما يأتي به الدجال ، وقد تصدّى رجال من تميم وأهل نجد للردّ على الدجاجلة عباد القبور ، الدعاة إلى تعظيمها مع الله ، قاله الإمام عبد اللطيف . قال:(وهذا من أعلام نبوته ﷺ ، إن قلنا إنّ (ا ل) في الدّجال للجنس لا للعهد ، وإن قلنا إنّه للعهد - كما هو الظاهر - فالردّ على جنس الدّجال توطئة وتمهيد لجهاده ، وردّ باطله . فتأمله فإنه نفيس جدا) (٢). انتهى

فثبت بما قررناه أن النبهاني عدو لأصحاب رسول الله ﷺ ، مبغض للعرب مع ما ورد في ذلك من الوعيد الشديد ...

وقوله : (ضعاف النهى ...) ، مخالف لما عليه أهل العلم ، من أنّ العرب فاقوا غيرهم من الأمم في قوة الإدراك ، وكمال العقل والفطنة والذكاء ، وفصاحة اللسان ، وبلاغة البيان ، يعلم ذلك كل من عرف سيرهم وأحوالهم ، والأخبار التي وردت في فضائلهم ومناقبهم ، والمشاهدة تصدق ذلك وتؤيده ، وهم الموصوفون بصدق اللهجة والوفاء بالعهود ومراعاة الذمم ، والغيرة والمروءة والسماحة والنجدة ، فهم لا يعرفون الزور

---

١ - و إليك نص الحديث كما ورد في صحيح البخاري : عن أبي هريرة قال : ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله ﷺ يقول فيهم ، سمعته يقول :((هم أشدّ أمتي على الدّجال . قال : وجاء ت صدقاتهم ، فقال رسول الله ﷺ : هذه صدقات قومنا . وكانت سبية منهم عند عائشة فقال : أعتقيها ، فإنّها من ولد إسماعيل)) البخاري مع الفتح ، كتاب العتق ، باب من ملك من العرب رقيقا فوهب وباع وجامع وفدى وسبي الذرية . ح (٢٥٤٣) ٥/١٧٠ .

٢ - منهاج التأسيس والتقديس ص ٩٢ .

والوزر ، حتى يورثونه أبناء هم أهل نجد . فقول النبهاني عن جدودهم إنّهم أورثوهم الزور والوزر ، كلام يستوجب غضب الرب عليه ، ففي الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول الله . قال: الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور وقول الزور وقول الزور)) (١) .

وأما قوله : (مسيلمة الجد الكبير ...) ، فهذا أيضا من زور النبهاني وافترائه وبهتانه ، وذلك لأنّ مسيلمة هذا هو الكذاب الذي ادّعى النبوة على عهد النبي ﷺ ، وادّعى المشاركة في الرسالة زورا . فحاربه خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ،في اليمامة . فنصره الله وقتله ، وفرّق جنده ، وشتت أصحابه ومزّقهم كل ممزّق .

والمقصود أنّ مسيلمة ، كان كافرا ، عدوّا لله ورسوله ، ولم يعقب والد ولا ولدا ، كما في كتب الأنساب .

وأما سجاح فهي بنت الحرث بن سويد بن عقفان التميمية ، قد أقبلت من الجزيرة وادّعت النبوّة ، وكانت ورهطها في أخوالها من تغلب يقود أفتاء (٢)ربيعة ، معها الهذيل بن عمران في بني تغلب . وكان نصرانيا فترك دينه وتبعها ، وكانت تريد غزو أبي بكر ، فعرض لها ما اقتضى مسيرها إلى اليمامة ، وفيها بنو حنيفة ، فبلغ ذلك مسيلمة . إلى أن كان من أمر اجتماعهما ما كان ، مما هو مفصل في كتب التاريخ . ثم انصرفت إلى الجزيرة ، فلم تزل سجاح في تغلب . حتى نقلهم معاوية عام الجماعة . وجاءت معهم ، وحسن إسلامهم وإسلامها ، وانتقلت إلى البصرة ، وماتت بها ، وصلى عليها سمرة بن جندب ، وهو على البصرة لمعاوية ، قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خرسان ، وولايته البصرة .

---

١ - صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر ح (٥٩٧٧) ١٠/٤٠٥ ، وكتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور ح(٢٦٥٤) ٥/٢٦١ .

٢ - لعلّ الشيخ يقصد جمع " الفتيان" بكسر الفاء ، وهي قبيلة من بجيلة . منهم ربيعة ورفاعة الفتياني تحدث انظر : القاموس المحيط ٤/٣٧٥ ، واللسان ١٥/١٤٨ .

هذا ما كان من أمر مسيلمة وسجاح ، ولم يقل أحد أنّ مسيلمة جد عرب نجـد، ولا سجاح أمهم .

ونجد فيها بطون وقبائل مختلفون ، تجمعهم العربية ، والشـريعة المحمديّـة ، وكلّهـم - بحمد الله -موحدون ، وعن سبيل الغي ناكبون ، محافظون على أركـان الإسـلام ، وسـنة النبي عليه الصـلاة والسـلام ، فـلا نسـب بينهـم وبين مسـيلمة ولا خلّـة ، فكيـف سـاغ للنبهاني الحكم بأنّ مسيلمة الجد الكبير ، على أنه لو كان ثمّ نسـب ، لانقطـع بـالكفر ، قـال الله تعـالى﴿ **لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفايزون** ﴾ (١) .

ومن هذا البيت ، يعلم حـال النبهـاني في التعصـب ودرجتـه مـن العلـم ، وهكـذا أحكامه والأمر فيه والبغض ، لا ينبغي أن يوصل صاحبه إلى الافتراء علـى الله ورسـوله ﷺ . وفي الكتـاب الكريـم : ﴿ **لا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله** ﴾ (٢) .

وأولى الناس بمسيلمة وأضرابه ، من ألحد بآيات الله ، وعادى أهل التوحيد . وينبغي -على حكمه هـذا - أن يكـون فرعـون أبـا للمصريـين ، ونمـرود أبـا للعراقيـين، والأسود العنسي - الذي ادّعى النبوة في اليمن - أبا لليمنيين ، وهكذا طليحـة الأسـدي وغيره ، فما من بلدة من البلاد ، ولا قطر من الأقطار إلاّ وظهر منه طغاة ، فهـل يجـوز أن يحكم عليها بما حكم النبهاني على أهل نجد ، بسبب ما كان من مسيلمة وسجاح في اليمامة ؟ لا أظن ذا عقل يسوغ له ذلك ، فضلا عمـن كـان ذا ديـن ، فالنبهـاني أحـق الملحدين أن يكون من أتباع مسيلمة الكذاب ، بل ربما زاد عليـه وعلـى شـيطانه ، مـن تلفيقه المنامات الكاذبة ، وادّعائه حبّ رسول الله ﷺ ، وهو عدوه، لأنـه صـرف معظـم عمره في مراغمة شريعته الغراء ، ومغالاته فيما لم ينزل الله بـه مـن سـلطان ، ومعـاداة نصرة الكتاب والسنة ، وحملة العلم ، وسبهم وشتمهم أحياء وأمواتا) .(٣)

---

١ - الآية (٢٠) من سورة الحشر .

٢ - الآية (٨) من سورة المائدة ، وتمامها :﴿ **إن الله خبير بما تعملون** ﴾

٣ - الآية الكبرى على ضلال النبهاني ، مخطوط ص ٢ -٤ .

المبحث الثاني :

بيانه لعقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

عقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب :

تحدث الألوسي - رحمه الله - عن معتقد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي ، وأهل نجد في بعض أبواب العقيدة (١). وفي هذا المبحث يقتصر على مجمل اعتقادهم في النبي ﷺ ، وسائر الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وما أعطى نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة .

وإلى ذلك يشير شيخنا بقوله: (وأمّا اعتقادهم في النبي ﷺ ، فهم يعتقدون فيه أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، القرشي الهاشمي المكي ، عبد الله ورسوله إلى الخلق أجمعين ، نبي الرحمة ، وهادي الأمة ، أرسله الله تعالى بالآيات الباهرة ، والمعجزات الظاهرة ، وكرّمه سبحانه بطهارة الأعراق ، وشرّفه بما جبله عليه من مكارم الأخلاق ، التي نقض بها عوائد الفطر ، وباين لها جميع البشر ،من فروسيته وشجاعته...وتواضعه ، وخضوعه وخشوعه ...ودوام طريقته وسنته ، وإنصافه في معاملته ، وتقواه وأمانته ، وشفقته ورفقه ، وحسن خلقه وخلقه ...وصدق توكله ، وحباه من الحوض المورود ، والمقام المحمود ، واللواء والكوثر ، والشفاعة في المحشر، والقرآن والتلاوة - إلى أن قال-: والرهبة من الجبار ، وسبق في الذكر ، والتقدم في الأصفياء ، والتأخر في البعث ، والختمة للأنبياء ، مما يدل بمجموعه على إثبات نبوته ،وصدق مقالته، وتفضيله على جميع الخلائق والأنام ، وتمييزه على سائر ولد آدم عليه السلام .

وذلك مع دلائله،مفصّل في كتبهم ، واعتقده كل من صغيرهم وكبيرهم ،وكذلك يعتقدون أن إرسال الرسل حق ، فهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا يفرقون بين أحد منهم ، ويؤمنون بالسؤال والبعث والحشر والنشر ... الخ) (٢) .

وقال أيضا : (وأهل نجد مذهبهم على ما كان عليه الإمام أحمد بن حنبل - نضر الله وجهه ، وقد رأيت رسالة (٣) مختصرة ، يحفظها صبيانهم وشبانهم في العقائد من

---

١ - انظر : ص ١٠٦ ، ٢٨٢ ، ٤٣٩- ٤٤٠ ، ٤٨٦ ، ٥٠٥ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥ .

٢ - تاريخ نجد للألوسي ص ٤٣ - ٤٤ .

٣ - يشير - رحمه الله - إلى كتاب " الأصول الثلاثة وأدلتها " .

تصانيف أبي عبد الله العلاّمة الشيخ محمد-رحمه الله - وليس فيها ما يصادم الكتاب والسنة ، وما عليه أئمة الإسلام ، وهي هذه : (١)

(بسم الله الرحمن الرحيم : اعلم رحمك الله أن طلب العلم فريضة ، وأنه شفاء القلوب المريضة ، وهو من أهم ما وجب عليك ، والعمل به سبب لدخول الجنة . والجهل به وإضاعته سبب لدخول النار ، وإنه يجب عليك أربع مسائل :

الأولى : معرفة الله تعالى ، ومعرفة نبيه ﷺ ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة .

الثانية : العمل به .

الثالثة : الدعوة إليه .

الرابعة : الصبر على الأذى فيه ، والدليل قوله تعالى : ﴿ والعصر ١ إنّ الإنسان لفى خسر ٢ إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ٣ ﴾(٢)

قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - لو لم ينزل الله على خلقه حجة إلاّ هذه السورة لكفتهم (٣) .وقال الإمام البخاري : باب العلم قبل القول والعمل ، والدليل قوله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلاّ الله واستغفر لذنبك ﴾ (٤) (٥) .

واعلم -رحمك الله- أنّ الله أوجب على كل مسلم ومسلمة ،تعلم هذه المسائل الثلاث ، والعمل بهن .

الأولى : أنّ الله خلقنا لعبادته ، ولم يتركنا هملاً ، وأرسل إلينا رسولا ، فمن أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار ، والدليل قوله تعالى : ﴿ إنّا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم ﴾ (٦) .

---

١ - وقد نقل -رحمه الله - الكتاب برمته ، وأنا أكتفي بنقل ما يبرهن به على ما تقدم ، ويظهر أنّ هذا هو الغرض من نقل الألوسي للكتاب

٢ - سورة العصر .

٣ - تقدم ذكر هذا الأثر عن الإمام الشافعي في هذه السورة ، مع اختلاف يسير في اللفظ . ص ١٥٨ .

٤ - الآية (١٩) من سورة محمد .

٥ - انظر صحيح البخاري مع الفتح ١/ ١٥٩ .

الثانية : أن الله لا يرضى أن يشرك به في عبادته أحدا ، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ (١)

الثالثة : أنّ من أطاع الرسول ووحد الله ، فلا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب ، والدليل قوله تعالى ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ (٢) .

واعلم أرشدك الله لطاعته ، أنّ الحنفية ملة إبراهيم عليه السلام ، أن تعبد الله مخلصا له الدين ، كما قال الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون ﴾(٣)، ومعنى يعبدون : يوحدون ، وأعظم ما أمر الله به التوحيد ، وهو إفراد الله تعالى بالعبودية ، وأعظم ما نهى عنه الشرك ، وهو دعاء غير الله تعالى معه ، والدليل قوله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ﴾(٤) ... الى آخر الكتاب .(٥)

ويدل مجموع ما تقدم ذكره ، دلالة واضحة على أنّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، وأهل نجد ، لم يعتقدوا غير ما اعتقده السلف الصالح ، ولم يأخذوا إلاّ بما أخذوا ، ولم يستقوا إلاّ من المعين و المنهل الذي ارتووا منه ، وبذلك استحقوا ما استحقه سلفهم ، وهو صفاء العقيدة ونقاؤها من شوائب الشرك وخزعبلات الصوفية القبوريين وبدعهم ، فسموا بالسلفيين ، وأهل السنة والجماعة ، والفرقة الناجية ، لا بما نبزهم به النبهاني المحرف وأضرابه ، الذين لا هم لهم إلاّ حطام الدنيا الزائلة ، فعليهم من الله ما يستحقون .

---

٦ - الآية (١٥) من سورة المزمل .

١ - الآية (١٨) من سورة الجن .

٢ - الآية (٢٢) من سورة المجادلة .

٣ - الآ ية (٥٦) من سورة الذاريات .

٤ - الآ ية (٣٦) من سورة النساء .

٥ - انظر : غاية الأماني في الرد على النبهاني ٦٩/١-٧٠ ، والأصول الثلاثة وأدلتها ص٥-٧ ، طبعة مركز شئون الدعوة ط (٢) .

المبحث الثالث :

ردّه على بعض معارضي دعوة شيخ الإسلام

(محمد بن عبد الوهاب)

التوطئة :

جاءت دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، السلفية التصحيحية ، التي ظهرت من وسط الجزيرة العربية ؛ في وقت كان المسلمون أحوج ما يكونون إليها ، لإنقاذهم من الجهل الذي ران عليهم ، وفشى فيهم ، وتصحيح مفاهيمهم في أمور العقيدة والعبادات ، بإزاحة شبه القبوريين ، وخرافات الصوفية المبتدعة ، وتطهير المجتمع الإسلامي من تلك الظاهرة البشعة التي فشت في العالم الإسلامي رغم وفرة العلماء .

ومع ذلك نجد الغلاة المارقين ، ودعاة عبادة الأولياء والصالحين - بنقلهم العبادات برمتها إلى المقابر والمشاهد - يكدسون جهودهم دون انتشار هذه الدعوة السلفية ، وذلك بتشويه صورتها ، وسمعة مؤسسها - عليه الرحمة- ، فالله سبحانه وتعالى لهم بالمرصاد ، لأنه كما قال تعالى : ﴿**يريدون ليطفيوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ٨ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ٩**﴾(١) .

فقيض الله سبحانه وتعالى أعلاما أجلاء (٢) ذبُّوا ونافحوا عن هذه الدعوة السلفية المباركة ، والتي نقّى عقيدة الأمة الإسلامية ، وصفاها من شوائب الشرك ، فأعادها إلى مجراها الصحيحة .

---

١ - الآيتان (٨-٩) من سورة الصف .

٢ - كالشيخ العلاّمة محمد بشير السهسواني الهندي ، بكتابه "*صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان*" .
والشيخ مسعود الندوي بكتابه : "*محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه*" .
والدكتور محمد بن سعد الشويعر ، بكتابه : "*تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية*" .
والشيخ عبد العزيز محمد بن علي العبد اللطيف ، بكتابه : "*دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد*" وغير هؤلاء كثير جدا .

رد شيخنا الألوسي -رحمة الله عليه :

وسأقتصر هنا على بعض ما رد به الشيخ ، على بعض مزاعم النبهاني ، في حق شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب . ودعوته السلفية :

قال رحمه الله : (ثم إنّ النبهاني نقل كلام ابن دحلان (١) في كتابه : " *خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام* " . وعقد له بابا . وجعله ثالث الأبواب . وهو كلام ليس عليه أثارة من علم ، ونقله النبهاني بأسره . فذكر الشبه التي تمسك بها الوهابية على زعمه . فقال : ينبغي أولا :أن نذكر الشبه التي تمسك بها ابن عبد الوهاب في إضلال العباد ، ثم نذكر الرد عليه ، ببيان أن كل ما تمسك به ، زور وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين .

قال : فمن شبهاته التي تمسك بها : زعمه أنّ الناس مشركون في توسلهم بالنبي ﷺ ، وبغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين ، وفي زيارتهم قبره (٢) ﷺ ونداءهم له بقولهم : يا رسول الله نسألك الشفاعة (٣) ، وزعم أنّ ذلك كله إشراك ، وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين ، على الخواص والعوام من المؤمنين ، كقوله تعالى : ﴿ **فلا تدعوا مع الله أحدا** ﴾(٤) وقوله تعالى :﴿ **ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعايهم غافلون ٥ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ٦** ﴾ (٥)، وقوله : ﴿ **فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذّبين** ﴾ (٦) ، إلى آخر ما سرد من الآيات (٧) - وأمثال هذه

---

١ - هو أحمد بن زيني دحلان ، ولد بمكة سنة (١٢٣٢) ، وتوفي في المدينة سنة (١٣٠٤) . انظر : الأعلام للزركلي ١/١٢٩ -١٣٠ .

٢ - يأتي بيان الألوسي لأنواع الزيارة في ص ٣٨٣- ٣٩١ .

٣ - يأتي بيان أن النبي ﷺ هو الشافع المشفع ، ونرجوا شفاعته يوم القيامة ، إلاّ أن الشفاعة كلها لله ، قال تعالى : ﴿**قل لله الشفاعة جميعا**﴾ الآية (٤٤) من سورة الزمر . وذلك في ص ٥١٤ - ٥٢١ .

٤ - الآية (١٨) من سورة الجن .

٥ - الآيتان (٥-٦) من سورة الأحقاف .

٦ - الآية (٢١٣) من سورة الشعراء .

٧ - لأنّ هذه خرافة (النبهاني) ومن نحا نحوه . فهو كل الآيات التي يستدل بها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب =

الآيات كثيرة في القرآن ، كلّها حملها على الموحدين .(١)

قال شيخنا الألوسي في رده لهذه الفرية :

(أقول ومن الله أستمد التوفيق : إنّ النبهاني لم يزل يكرر مباحث كتابه ، ويعيد حتى يعظم حجم كتابه ، وما أدري ماذا قصد بنقل كلام ابن دحلان ، فهل للاستدلال به على باطله ؟ وهو لا يفيد ذلك ، فإنّ الرّجل ليس ممن يحتج بقوله ، بل ولا ممن يوثق به ، فإنّه مبتدع ، بل من الغلاة المشهورين ، وإن كان نقله لكلامه ، ليبيّن للناس أنّ له أمثالا في الغلو و الضلال ، فهذا مما لا يحتاج ، فقد قيل :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وإن خالها تخفى على الناس تعلم (٢)

وعلى كل حال ، فإنّ ما نقله النبهاني عن صاحبه مؤلف كتاب " *خلاصة الكلام ...* " و " *الدرر السنيّة في الردّ على الوهابيّة* " قد رددناه سابقا ، كما قد ردّ عليه من قبلي ، علماء أفاضل محققون ، وقد انتشرت كتبهم ، منها : كتاب " *صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان* " للعلاّمة الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الرحيم السندي(٣) - رحمه الله تعالى - وقد أجاد في ردّه عليه وأظهر زيفه وعواره ،

= في كتابه : " كشف الشبهات " ، ولسوء فهمهم وقلة بضاعتهم من العلم ، ولادراكهم القاصر ، وهموا بأن هذه الآيات لا تدل على ما ذهب إليه الشيخ ، وسلفه الصالح . فنعوذ بالله من سوء الفهم .

١ - انظر : غاية الأماني ٣٠٣/١ ، وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، لأحمد بن زيني دحلان ، ص ٢٣٨ -٢٣٩ ، وشواهد الحق ص ٩٢ وما بعدها .

٢ - البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٨٨ .

٣ - الاسم الصحيح الذي وقفت عليه ، لمؤلف هذا الكتاب ، والذي اشتهر به كتاب : " *صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان* " ، هو **محمد بشير بن محمد الفاروقي العمري السهسواني** ، ولد بسهسوان من أعمال ولاية " بدايون " بالهند ، سنة (١٢٥٠) ، وتوفي بدلهي في ٢٩ جمادى الأولى سنة (١٣٢٦) . وقال عمر كحالة : من مؤلفاته بالعربية : " صيانة الإنسان في الرد على أحمد زيني دحلان في جواب كتابه : " *الدرر السنية في الرد على الوهابية* " . معجم المؤلفين ١٠٣/٣ .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تعريفه بكتاب : " صيانة الإنسان " : كان الشيخ محمد بشير السهسواني - رحمه الله تعالى - من فحول علماء الهند ، وكبار رجال الحديث فيهم . -إلى أن قال- وهو قد اجتمع بالشيخ أحمد دحلان في مكة المكرمة ، وناظره في التوحيد الذي هو أساس دعوة الوهابية ، وأقام الحجة . ولما عاد إلى الهند ألف كتابه هذا ، ولكنه طبع في عهده منسوبا إلى العلاّمة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم السندي ،-الذي نسب الألوسي رحمه الله الكتاب إليه -، والعلماء كثيرا ما يفعلون هذا في عصورهم =

فقد قال في خطبة كتابه : أما بعد : فإنّي وقفت عى الرسالة التي جمعها الشيخ أحمد بن زيني دحلان ، وسمّاها : "*الدرر السنّية في الردّ على الوهابّية*" ورأيت مؤلفها يدّعي في ديباجة رسالته الباطلة الساقطة الدنية الردية (أنّه جمع فيها ما تمسك به أهل السنة في زيارة النبي ﷺ ، والتوسل به ، من الدلائل والحجج القويّة ، من الآيات والأحاديث النبوية)(١) . فتعجبت منه التعجب الصراح ، كيف وليس في الباب حديث واحد حسن فضلا عن الصحاح ، فتأملت فيها تأمل الناقد البصير ، لكي أعلم به هل صدق في تلك الدعوى ، أم كذب كذب المجادل الضرير ، فوجدت دعواها عارية عن لباس الصدق والحق المبين ، محلاّة بحلية الزور والكذب والباطل المهين ؛ فإنّه ليس فيها من الأحاديث إلاّ ما أورده التقي السبكي (٢) في "*شفاء السقام*" وهي دائرة بين الاحتمالات الثلاثة السقام : إما موضوعة عملتها أيدي الوضاع اللئام ، أو ضعاف واهية ، رواها من وسم بمثل : كثرة الغلط والخطأ والأوهام ، أو شيئ يسير من الصحيح والحسن في زعمه ، قاصر عن إفادة المرام ، كما بين ذلك كله الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه "*الصارم المنكي*" وليس فيها من الآيات والأحاديث الصحاح والحسان ما يدل على المطلوب المحكي ، وكان حقا على المؤلف تعاطي واحد مما يذكر ، لئلا يعد كلامه مما يهجر وينكر ، إما إيراده لأحاديث صحيحة أو حسنة ، دالة على المطلوب ، غير ما أورد في الشفاء ، أو الإجابة عما تكلم به عليها ، صاحب الصارم وغيره من الأئمة الأذكياء .

وإن لم يفعل هذا ولا ذاك ، فليس له فائدة ،ولا يؤول هذا الطول إلى منفعة وفائدة.

= وهذا كتاب" غاية الأماني في الرد على النبهاني " هو من تأليف علاّمة العراق السيد محمود شكري الألوسي ، - رحمه الله تعالى - وعزي لأبي المعالي الشافعي السلامي .) . مقدمة صيانة الإنسان ص ١٤ - ١٥ . وهذا هو الصواب إن شاء الله تعالى .

١ - انظر : الدرر السنيّة في الرد على الوهابيّة ص٢

٢ - هو علي بن عبد الكافي بن علي بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصاري السبكي ، ولد في سبك العبيد من أعمال المنوفية بمصر ، سنة (٦٨٣) ، وتوفي في جمادى الآخرة سنة (٧٥٦) بالقاهرة . انظر : معجم المؤلفين ١٢٧/٧ ، وطبقات الشافعية الكبرى ١٤٦/٦- ٢٢٧ ، والدرر الكامنة ٦٣/٣-٧١ .

ومن عجائب صنيعه أن المؤلف مع زعمه أنّه من جملة المقلدين ، يستدل بالأدلة الشرعية ، وهو منصب المجتهدين .

فعنّ لي أن أنبه على ما وقع فيها من مساوي المفاهيم ، وزخارف الأقوال ، وأراجيف الاستدلال ، لئلا يغتر بها من يقف عليها ممن لا خبرة له بحقائق علم السنة ، من المتون والرجال .) (١)

وإذا عرفت ما كان من الردود على أقوال ابن دحلان فالتعرض لها في مثل هذا المقام فضول ، ومع ذلك نشير إشارة إجمالية إلى الرد عليها ، فنقول :

قوله : فمن الشبهات التي تمسك بها : زعمه أنّ الناس مشركون في توسلهم بالنبي ﷺ إلخ ، : لا أصل له ، بل أنّ له دلائل قطعية من الكتاب والسنة ، على أن العبادة مختصة بالله تعالى ، لا يشركه غيره ، لقوله تعالى : ﴿ **إيّاك نعبد وإيّاك نستعين** ﴾ (٢) ، وقوله ﷺ ، في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم : ((إذا استعنت فاستعن بالله)) (٣) الخ ، وبين أنّ ما لا يقدر عليه إلاّ الله ، فطلبه منه مخ العبادة ، فمن صرفه لغيره فلا شك أنّه عبد الغير ، ومن عبد الغير فقد أشرك ، على ما سبق فيما نقل عنه من كتابه "*كشف الشبهات*" (٤) . ثم إنّه لم يقل إنّ زيارة قبر النبي ﷺ ، أو قبور سائر الأنبياء والصلحاء ، الزيارة المشروعة ، شرك ، بل ندبها واستحبها ، نعم إنّ الزيارة المخالفة لما ورد فهي ليست بمقبولة ، كما أنّها كذلك عند المحققين من الأئمة ، وقد

---

١ - انظر : غاية الأماني ١/٣٠٤ -٣٠٥ ، وصيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص ٢٥ -٢٦ .

٢ - الآية (٥) من سورة الفاتحة .

٣ - هذا الحديث لم أعثر عليه بهذا اللفظ في الصحيحين ، والذي عثرت عليه في صحيح مسلم هو قوله ﷺ : ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيئ فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله ما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان)) صحيح مسلم كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ، والإستعانة بالله . ح(٢٦٦٤) ١٦ / ٤٥٥ -٤٥٦ .

وأخرجه بهذا اللفظ وبطوله كل من الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة ، باب (٥٩) ح (٢٥١٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ٤/ ٦٦٧ . والإمام أحمد في مسنده ١/٢٩٣ .

٤ - أنظر غاية الأماني ١/ ٢٩٠-٢٩٤ ، وكشف الشبهات ص ١٨ وما بعدها .

سبق بيان ذلك فيما نقلناه (١) عن شيخ الإسلام - أي ابن تيمية - ، وكذلك التوسل به بمعنى جعله وسيلة ، والطلب من الله تعالى ليس مما نوزع فيه .

وقوله : وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين ...الخ

فقد تقدم أيضا بيان ذلك مفصلا في " *كشف الشبهات*(٢) "وحاصل ما أسلفناه : أنّ من عبد غير الله ، شملته نصوص المشركين ، وإن صام ، وإن صلّى ، فلا حاجة إلى تكرار الكلام في هذا المقام) (٣) .

قال الألوسي : (ثم إنّ النبهاني ، نقل كلام بن دحلان بجملته ، وهو عين ما هذى به في كتابه : " *الدرر السنية* " ... قال بعد كلام طويل : (والحاصل إنّ الذين اعتنوا بالرد على محمد بن عبد الوهاب ، خلائق لا يحصون من مشارق الأرض ومغاربها ، من أرباب المذاهب الأربعة في كتب مبسوطة ومختصرة) (٤).

قال شيخنا في رده على هذه الفرية : (أقول : يجاب على هذا الكلام من وجوه :

الوجه الأول : أنّ كثيرا من العلماء المحققين انتصروا للشيخ وردّوا على من ردّ عليه ، بكتب مفصّلة مفيدة ، لا يسع المقام ذكرها .(٥)

الوجه الثاني : أنّ ردّ كثير من العلماء على الشيخ ، لا يقتضي بطلان ما كان عليه ، ولا حقيّة ما كان عليه خصومه ، إنّما معيار الحق شهادة الكتاب العزيز ، والسنة النبوية ، وإذا كان قوله وعمله موافقا للثقلين ، فلا مبالاة بمخالفة الغير ، كائنا من كان .

إذا رضيت عنّي كرام عشيرتي * فلا زال غضبانا عليّ لئامها .

الوجه الثالث : أنّ الأمة لم تزل راد ومردود ، ولا يزالون مختلفين ،ولذلك خلقهم (٦).

---

١ - أنظر غاية الأماني ١/ ١٣١ - ١٧٠ ، والجواب الباهر ص ٢٥ .

٢ - انظر : غاية الأماني ١/ ٢٨٩ وما بعدها ، وكشف الشبهات ص ١٨ وما بعدها .

٣ - غاية الأماني ١/٣٠٤ - ٣٠٥ .

٤ - المصدر السابق ١/ ٣٠٦ ، والدرر السنية في الرد على الوهابية ، لأحمد دحلان ص ٥١ - ٥٢ ، وشواهد الحق للنبهاني ص ١١٠.

٥ - وقد تقدم سرد بعضها في آخر التوطئة لهذا المبحث .

٦ - هذا اقتباس من قوله تعالى : ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ الآيتان (١١٨ ، ١١٩)من سورة هود .

وكثير من علماء الصحابة وتابعي التابعين ، قد خالفهم كثير من العلماء ، وهؤلاء أئمة المذاهب الأربعة كل واحد منهم ، له من المخالفين أكثر من الموافقين ، وكل منهم قد ردّ عليه خصومه بردود مفصّلة ، وهذا من المسلّمات التي لا يسوغ النزاع فيها ، فالشيخ الدحلاني كأنّه غض طرفه عمّا جرى بين أئمّته وأتباعهم ، وما كان من خراب الدّيار بسبب تنازعهم ، ورأى ما اعترض به خصوم ابن عبد الوهاب عليه ، لمّا أظهر زيفهم وزيغهم وباطلهم وضلالهم ، والحق بيد الشيخ الدحلاني ، فإنّه على جهله ،قد ادّعى الرّياسة على قوم لم يميّزوا بين يمينهم وشمالهم ، وأطاعوه لموافقته لهم ، على ما ألفوه من الضلال والغي ، فإذا علمت أقوال هذا الرّجل ، وتبصّر بها من تبصر ، تقطّعت حبائل ابن دحلان وأمثاله من حزب الشيطان ، ثم إنّه ليس هو بأول من ردّ عليه ، ولا أول من عودي وحسد ، ففي البخاري : (أنّ رسول الله ﷺ ، لمّا أخبر ورقة بن نوفل ما رأى ، قال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : ((أومخرجيّ هم ؟)) قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به ، إلاّ عودي ، وإن يدركني يومك ، أنصرك نصرا مؤزرا) (١)، ولو أخذنا نذكر ما جرى على الأمة طال الكلام . (٢)

ويقول شيخنا، في تمام الرد عن الشيخ عبد اللطيف -رحمه الله - بعد كلام طويل : (... وقد ضمن الله لهذه الأمة ، أن لا تجتمع على ضلالة (٣)، وأن لا يزال فيها من يعبد الله تعالى قائما على أي وصف وحالة (٤). وجاء الحديث بأنّه تعالى : (يبعث لهذه

---

١ - هذا آخر حديث أم المؤمنين عائشة-رضي الله تعالى عنها . وبدايته قال : ((أول مابدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ...)) الخ .صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب بدء الوحي ح(٣) ١/٢٢.

٢ - غاية الأماني ١/ ٣٠٦ - ٣٠٧ .

٣ - يشير العلاّمة الألوسي إلى حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أنّ رسول الله ﷺ قال:((إنّ الله لا يجمع أمتي - أوقال - أمة محمد ﷺ على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ في النار)) . أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في لزوم الجماعة ، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه) ح (٢١٦٧) ٤/٤٦٦ . والإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٤٥ .

٤ - ويشير شيخنا بذلك إلى حديث معاوية ، قال : سمعت النبي ﷺ يقول : لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك)) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب (٢٨) ح (٣٦٤١) . انظر صحيح البخاري مع الفتح ٦/٦٣٢ .

الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمر الدين)[1] ويقوم من الحجة بالواضح المستبين . فمنهم من قص علينا نبؤه ووصل . ومنهم من انقطع عنا خبره ، وما اتصل . وأحق أهل القرن الثاني عشر، عند من خبر الأمور وسبر ، ووقف على ما قرره أهل العلم والأثر ، من حصول الوصف الكاشف المعتبر، شيخ الإسلام والمسلمين ، المجدد لما درس من أصول الملّة والدين ، السلفي الأول -وإن تأخر زمانه - عند من عقل وتأمل ، محمد بن عبد الوهاب ، -رحمه الله تعالى وأجزل له الثواب . وكان قيامه - رحمه الله تعالى - بعد الخمسين ومائة وألف من سني الهجرة المحمديّة ، وابتداء التواريخ الإسلامية ، فشمر -رحمه الله تعالى - عن ساعدي جدّه واجتهاده ، وأعلن بالنصح لله ولكتابه ولرسوله وسائر عباده ،وصبر على مانانه من أعباء تلك الرتبة والدعوة ، وما قصد به من أنواع المحنة والجفوة ، وقرر - رحمه الله تعالى - أنّ الواقع الذي حكيناه (٢)، والصنيع الذي رأينا ورويناه ، عن عباد القبور والصالحين ، هو بعينه فعل الجاهلية الوثنيين ، وهو الذي جاءت الرسل بمحوه وبطلانه ، وتكفير فاعله ، ورد باطله ومحاله .

وقال : إنّ حقيقة دين الإسلام ، وزبدة ما جاءت به الرسل الكرام : هو إفراد الله تعالى ، بالقصد والعبادة ، وإسلام الوجه له بالعمل والإرادة ، وترك التعلق على الأولياء من دون الله والأنداد ، والبراءة من عبادة ما سواه من سائر المخلوقات والعباد . وهذا معنى كلمة الإخلاص والتوحيد.وهو الحكمة المقصودة بخلق جميع الكائنات والعبيد. وقرر- رحمه الله تعالى - أنّ مجرد الإتيان بلفظ الشهادة ، مع مخالفة ما دلّت عليه الأصول المقررة ، ومع الشرك الأكبر في العبادة ، لا يدخل المكلّف في الإسلام ، إذ المقصود من الشهادتين. حقيقة الأعمال التي لا يقوم الإيمان بدونها ،كمحبة الله وحده ، والخضوع له ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، وإفراده بالاستعانة والاستغاثة فيما لا يقدر

---

١ - يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)) . أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ٤٨٠ ، الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المائة .

٢ - انظر : غاية الأماني ١/ ٣٠٧ - ٣٠٨ .

عليه سواه ، وعدم الاشراك به فيما يستحقه من العبادات ، كالذبح والنذر والتقوى ، والخشية ونحو ذلك من الطاعات) (١) .

فهذا الذي قرره شيخ الإسلام ابن عبد الوهاب ، وبذلك آمن ، وإليه دعى ، وعنه دافع دفاعا مستميتا ، وبذلك جاء التنزيل قال تعالى : ﴿ إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ؛ ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى إنّ الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إنّ الله لا يهدي من هو كاذب كفّار ﴾ (٢)، وقال تعالى أيضا : ﴿ قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (٣) .

وبه نطقت السنة العترة ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((يا معاذ بن جبل ، أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال: الله ورسوله أعلم ، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، أتدري ما حقهم عليه ؟ قال: الله ورسوله أعلم ، قال: أن لايعذّبهم)) .(٤)

قال الشيخ عبد الله الغنيمان – حفظه الله –: (فحقه تعالى على عباده ، أن يعبدوه مخلصين له العبادة ، ممتثلين ما أمرهم به وأوجبه عليهم ، وأعظمه التوحيد ، ومجتنبين ما نهاهم عنه ، وحرمه عليهم ، وأعظمه الشرك ، فإذا فعلوا ذلك ، فحقهم عليه أن يغفر لهم ولا يعذبهم ،وأن يدخلهم الجنة ، وقد وعدهم ذلك ، ووعده حق لا يخلف) (٥). وليس الأمر كما زعم النبهاني وشيخه ابن دحلان المحرفان المنحرفان . فشيخ الإسلام حسبه الله تعالى ونعم وكيله ، عليه الرحمة ، وطيب الله ثراه ، وأجزل له المثوبة .

---

١ - غاية الأماني ١/٣٠٨ -٣٠٩ ، ومنهاج التأسيس والتقديس . غير أنّني لم أعثر على هذا الكلام من الطبعات التي تيسر لي الوصول إليها .

٢ - الآيتان (٢-٣) من سورة الزمر .

٣ - الآيتان (١٦٢- ١٦٣) من سورة الأنعام .

٤ - أخرجه الإمام البخاري بطوله ونصه في صحيحه ، كتاب الرقاق باب من جاهد نفسه في طاعة الله . ح (٦٥٠٠) . انظر صحيح البخاري مع الفتح ١١/ ٣٣٧ .

٥ - شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله الغنيمان ١/ ٤٤-٤٥ .

المبحث الرابع :

خدمته لبعض كتب شيخ الإسلام - محمد بن عبد الوهاب
ونشره له

التوطئة :

إ نّ كل من تتبع حياة الأ لوسي واستقرأها ، يدرك أ نّه ليس من تلك الفئة الذين يحكمون على المخطوطات والنوادر من الكتب ، بالسجن المؤبد ، ويضنّون بها على الناس ، بل كان يكره حبس الكتب في الخزائن ، وقصر فوائدها على أناس قليلين ، وكان يبذل في هذا السبيل كل ما يملك من مال ووقت ، فإ ذا ظفر بكتاب نادر عمل على نشره ، بجميع الوسائل الممكنة ، ولعل خير شاهد على ذ لك ، ما ذكره تلميذه الأ ثري في قصة كتاب " *نقض أساس التقديس* " لابن تيمية ، وذ لك أنه تسامع الأ لوسي بوجود بعض أجزائه في دمشق ونجد ، فجدّ في استكتابها حتى ظفر بها ، ووافق وصولها إليه مجيئ الأثري إليه ليأخذ العلم منه ، فجعل شرطه عليه ، نسخ الكتاب وقراء ته عليه) (١).

بيان ما قام به الألوسي تجاه بعض كتب الشيخ - رحمة الله عليه :

قامت خدمة الأ لوسي لبعض كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب على شقين ،هما :

الشق الأول : تضمين بعض كتب الشيخ برمته ، أو جلّه في بعض مصنّفاته ونشره ، ويتمثل ذ لك في كتابي (٢) سيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

الأول : كتابه "*كشف الشبهات*" قام رحمه ا لله بنقل جلّه في كتابه : "*غاية الأماني في الرّد على النبهاني*" (٣) في معرض ردّ ه على شبه المجوّزين للاستغاثة بغير ا لله تعالى ، قال: (وقد رأيت رسالة مختصرة ، صنّفها العلاّمة أبو عبد ا لله الشيخ محمد - رحمه ا لله - سمّاها" *كشف الشبهات* " (٤) . أودعها نبذة من ذ لك (٥) ، وهي على اختصارها نافعة جدا لطالب الحق ، فأحببت إيراد شيئ منها ، إتماما للفائدة) (٦) .

---

١ - انظر : محمود شكري الأ لوسي وآ راؤه ا للغوية ص ١٢٥ .

٢ - هذا الذي تيسر لي العثور عليه ، فلذلك ذكرتهما على سبيل المثال ، لا الجزم بالحصر .

٣ - انظر : ١/٢٨٩- ٣٠٠ .

٤ - بدأ النقل من قول الشيخ :(اعلم أ نّ ا لله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد إلاّ جعل له أعداء - إلى قوله - فأين هذا من استغاثة ا لعباد ة والشرك لو كانوا يفقهون) .انظر كشف ا لشبهات ص ١٦-٣١ .

٥ - أي من الردّ على شبههم .

٦ - غاية الأ ماني ١/٢٨٩ .

الكتاب الثاني : هو كتاب " *الأصول الثلاثة وأدلتها* " (١)، فقد نقله برمّته .

الشق الثاني : التعليق والشروح والنشر لبعض كتبه :

قام -رحمه الله- بذلك في كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب " *مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية* " .

قال - عليه الرحمة - في مقدمة الكتاب : (إنّي قد وقفت على رسالة صغيرة الحجم ، كثيرة الفوائد ، تشتمل على نحو مائة مسألة من المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية من الأميين والكتابيين ، وهي أمور ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا أخذت عن نبي من النبيّين ، ألّفها الإمام محي السنة ، ومجدد الشريعة النبوية ، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي ، تغمّده الله تعالى برحمته . فرأيتها في غاية الإيجاز ، بل كادت تعدّ من قبيل الألغاز ، قد عبّر عن كثير منها بعبارة مجملة ، وأتى فيها بدلائل ، ليست بمشروحة ولا مفصّلة ، حتى إنّ من ينظرها ليظن أنّها فهرس كتاب ، قد عدّت فيه المسائل من غير فصول ، ولا أبواب ، ولاشتمالها على تلك المسائل المهمة ، الآخذة بيد المتمسك بها إلى منازل الرحمة ، أحببت أن أعلق عليها شرحا ، يفصل مجملها ، ويكشف معضلها من غير إيجاز مخل ، ولا إطناب ممل ، مقتصراً فيه على أوضح الأقوال ، ومبينا ما أورده من برهان ودليل ، عسى الله أن ينفع بذلك المسلمين ، ويهدي به من يشاء من عباده المتقين . (٢)

---

١ - سبق ذكر ما نقله الألوسي من هذا الكتاب ، في معرض بيانه لعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . انظر ص ١٧٦ - ١٧٨ المتقدمة .

٢ - مسائل الجاهلية ص ٣-٤ .

الباب الثالث :

جهود الألوسي في مقاومة البدع وأهلها

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تعريف البدعة ، وبيان أنّ كلها مردودة ، والأدلة على النهي عنها ، وعلى وجوب الإتباع .

الفصل الثاني : جهوده في الرد على المتصوفة في بعض بدعهم .

الفصل الثالث : جهوده في الرد على الرافضة في أهم بدعهم .

الفصل الأول :

تعريف البدعة ، وبيان أنّ كلّها مردودة ، والأدلة على النهي عنها وعلى وجوب الإتباع .

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف البدعة لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : بيانه أنّ البدع كلّها مردودة .

المبحث الثالث : الأدلة على النهي عن البدع ، وعلى وجوب الإتباع .

المبحث الأول :

تعريف البدعة لغة واصطلاحا .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف البدعة في ا للغة .

المطلب الثاني : تعريف البدعة في الاصطلاح .

التوطئة :

إن الله سبحانه وتعالى بفضله خلق الخليقة ، وجعلهم في الأرض ، كما أنه بكرمه لم يتركهم سدى ، ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ (١) . بل كلفهم بعبادته تبارك وتعالى، مخلصين له الدين ، كما أخبر بذلك في قوله : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (٢) وقال أيضا : ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ (٣) .

ولتحقيق هذا المقصد العظيم ، تفضّل عليهم بإرسال رسله إليهم ، يعرفونهم ربّهم ، ويعلّمونهم كيفيّة عبادته ، والطرق السليمة التي يجب عليهم إتباعها في ذلك . فما من نبي إلاّ أرشد أمته إلى أكمل ما فيه .

وهذا هو المصطفى صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ، قد بين لأمته شؤون دينهم ، وما يجب عليهم ويحظر عنهم ، ولم ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، إلاّ وقد كملّ الله له الدين ، ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (٤)، وبيّنه عليه السلام لأمته ، حتى تركهم على محجّة بيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلاّ هالك ، على هذا تركهم ، وأوصاهم باتباع الخلفاء الرشدين ، الذين عاشروا نزول الوحي ،وحذّرهم من الابتداع في دين الله ، بعد أن تركه لهم بيضاء نقيا صافيا .

وعلى هذا سار علماء الأمة المخلصون المتبعون للعقيدة الخالصة الصافية ، يذودون ويذبّون عنها بألسنتهم وأيديهم ، حرصا على بقاء هذا الدين على ما تركه عليه حبيبنا محمد ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

---

١ – الآية (٣٥) من سورة القيامة .

٢ – الآية (٥٦) من سورة الذريات .

٣ – الآية (٥) من سورة البينة .

٤ – الآية (٣) من سورة المائدة .

وشيخنا العلاّمة الألوسي - رحمه الله - أحد هؤلاء الذين لم يتوانوا في الدفاع والذبّ عن عقيدة السلف الصالح ونبذ البدع ، فإنّه كما قام ببيان السنة وأهلها وتوضيحها ، فقد قام أيضا بتوضيح ماهية البدعة ، ذكر بعض أدلة النهي عنها ، وردّ قدر المستطاع على القبوريين المبتدعين .

وفي هذا الباب ، نتطرق إلى ما قام به الألوسي في ذلك الأمر - إن شاء الله - وذلك في المباحث التالية :

المطلب الأول : تعريف البدعة في اللغة .

قال الإمام الألوسي في تعريف البدعة في اللغة :

(اعلم أنّ البدعة في اللغة : المحدثة مطلقا) (١)

وهذا التعريف للبدعة ، يوافق تعريفات أهل اللغة في تعريفهم للبدعة ، ففي اللسان : (البدعة : الحدث ، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال.) وفيه: (البدعة :كل محدثة) .(٢)

وعلى هذا ، يلاحظ في تعريف العلاّمة شيخنا الألوسي - رحمة الله عليه - الدّقة المتناهية في تعريفه اللغوي للبدعة ، إذ أطلق معنى البدعة في كل محدثة ، من غيرالتفات إلى نوعيّتها ، سواء كان ذلك في الدين أو غيره .

فكل أمر مخترع على غير مثال سابق ، فهو بدعة ، تقول العرب : أبدعت الشيئ : اخترعته لا على مثال .(٣)

ومنه قوله تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض ﴾ (٤) ، أي : خالقها ومبدعها ، فهو سبحانه الخالق المخترع ، لا عن مثال سابق .(٥) وقوله تعالى أيضا : ﴿ قل ما كنت

---

١ - فتح المنان تتمة منهاج التأسيس والتقديس للألوسي ص ٥١٩ . وغاية الأماني ٣٦٥/١ .

٢ - لسان العرب ٦/٨ ، مادة " بدع" ، وانظر نحوه في : القاموس المحيط ٣/ ٣ ، معجم مقاييس اللغة لأحمد ١/ ٢٠٩- ٢١٠ ، والصحاح للجوهري ٣/ ١١٨٣ .

٣ - لسان العرب ٦/٨ .

٤ - الآية (١١٧) من سورة البقرة .

٥ - لسان العرب ٦/٨ ، ومعجم مقاييس اللغة ٢٠٩/١ ، وأصول في البدع والسنن ص ١٨ .

بدعا من الرسل ﴾ (١) أي : ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل قبلي كثير إلى أهل الأرض . (٢)

ويقال : ابتدع فلان بدعة : أي ابتدع طريقة لم يسبقه إليها أحد ، فهو بدع (٣).

ويقال : هذا أمر بديع : في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن ، ولكن تستعمل في الشر أكثر من استعمالها في الخير والحسن ، كما نص على ذلك ابن الأثير في النهاية . (٤) وعلى هذا المعنى ، سميت البدعة بدعة . والله تعالى أعلم .

---

١ الآية (٩) من سورة الأحقاف .

٢ - كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي ص٢١ . وانظر : البدعة تحديدها ص ١٩٣ وما بعدها .

٣ - المراجع السابقة . نفس الصفحات . والصحاح للجوهري ٣ /١١٨٣ .

٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٠٧ - ١٠٨ ، وانظر : كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي ص٢١ هامش (١) ، والاعتصام للشاطبي ١/٢٧ .

المطلب الثاني :

تعريف البدعة في الاصطلاح :

لا يختلف العلاّ مة الأ لوسي في تعريفه للبدعة في الاصطلاح الشرعي ، عن غـيره مـن الأئمة ، فقد قال – رحمه ا لله – بعد تعريفه للبدعة ا للغوية :

(...واصطلاحا–إذا قوبلت بالسنة –يراد بها المحدثة في الدين، إما بزيادة أونقصان ، وهـي السيئة التي ليس لها أصل ظاهرمن الكتاب والسنة ،أو سند صحيح استنبطه علماء الأمة) (١) .

فهنا نجد الشيخ قد جعل البدعة الشرعية ، في مقابلة السنة ، فكل أمر تركـه النبي ﷺ لأمته ، مما دلّ عليه الكتاب أو السنة ، أو استنبطه العلماء من هذين الأصلين ، فهـو أمـر شرعي ، لا ينازع في ذ لك منازع .

وأما ما أحدث في الدين ممـا لا أصـل لـه في الشـرع يـدل عليـه ، فهـذه هـي البدعـة الشرعية . والتي يدل عليها تعريف الشيخ وغيره من العلماء . فقد عرّفها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه ا لله – بقوله :

(البدعة في الدين : هي ما لم يشرعه ا لله ورسوله ، وهو ما لم يأمر بـه أمـر إيجـاب ولا استحباب ، فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب ، وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية ، فهو من الدين الذي شرعه ا لله ، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذ لك ، وسـواء كـان هـذا مفعولا على عهد النبي ﷺ ، أو لم يكن)(٢) .

كما عرّفها العلاّمة ابن رجب بقوله : (والمراد بالبدعة : ما أحدث مما لا أصـل لـه في الشريعة يدل عليه ، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه ، فليس ببدعة شرعا ، وإن كان بدعة لغة) (٣) (٤).

ويفهم من مجموع هذه التعريفات ،أ نّ ما أحدث في الدين ، ممـا لـه أصـل في الشـرع يدل عليه ، فليس ببدعة شرعا ،وإ ن سمي بدعة ،فيقصد به البدعة باعتبار معناها اللغوي .

---

١ – فتح المنان ص ٥١٩ ، وغاية الأماني ص ٣٦٥ .

٢ – مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/ ١٠٧ –١٠٨ .

٣ – جامع العلوم والحكم ص ٢٦٥ .

٤ – وانظر بقية التعريفات : الا عتصام للشاطبي ٢٨/١ ، الأمر بالاتباع وا لنهي عن الابتداع للسيوطي ص٨٨ .

وقد أشار شيخنا الألوسي ، إلى هذا النوع ، وقال بإمكان كونه مباحا أو مستحبا أو واجبا ، حيث قال - رحمه الله - بعد تعريفه للبدعة في الاصطلاح : (...فأما ما كانت حسنة ناشئة عن هذه الأصول ، فهي قد تكون مباحة ، كالمواظبة على أكل لب الحنطة مثلا ، وقد تكون مستحبة ، كبناء المنارة ، وتصنيف الكتب ، وقد تكون واجبة ، كنظم الأدلة ، لردّ كيد الملاحدة وشبه الفرق الضالة .

وقد وقع من ذلك عن الصحابة شيئ كثير، كما وقع لأبي بكر وعمر وزيد بن ثابت في جمع القرآن ، فإنّ عمر أشار به على أبي بكر ،خوفا من اندراس القرآن بموت الصحابة - رضوان الله عليهم - لما كثر فيهم القتل يوم اليمامة وغيره ، فتوقف أبو بكر ، لكونه صورة بدعة ، ثم شرح الله صدره لفعله ، لأنه ظهر له أنّه يرجع إلى الدين ، وأنه غير خارج عنه ، ولما دعا زيد بن ثابت وأمره بالجمع ، قال له زيد : (كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال : والله إنّه حق) .(١)

وكما وقع لعمر في جمع الناس لصلاة التراويح في المسجد ، مع تركه ﷺ لذلك ، بعد أن كان فعله ليالي(٢) ، وقال -أعني عمر- (نعمت البدعة هذه) (٣) ، فإنّها وإن سمّاها بدعة باعتبار معناها اللغوي ، فليس فيها ردّ لما مضى ولا زيادة في الدين ، بل هي من الدين ، لأنّه ﷺ علّل الترك بخشية الافتراض ، وقد زال بوفاته ﷺ ، ومنشأ

---

١ - أخرجه البخاري بطوله في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، وعنده :(هذا والله خير) . ح(٤٩٨٦) انظر : صحيح البخاري مع الفتح ٩/ ١٠ .

٢ - جاء ذلك في حديث عروة - أنّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أخبرته ، أنّ رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد ، وصلّى رجال بصلاته ، فأصبح الناس فتحدثوا ، فاجتمع أكثر منهم ، فصلّى فصلّوا معه ، فأصبح الناس ، فتحدثوا ، فكثر أهل المسجد في الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله ﷺ فصلى بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الفجر ، فلما قضى الفجر ، أقبل على الناس

فتشهد ، ثم قال : أما بعد ، فإنه لم يخف علي مكانكم ، ولكني خشيت أن تفرض عليكم ، فتعجزوا عنها . فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب صلاة التراويح ، باب فضل من قام رمضان ح (٢٠١٢) . انظر : صحيح البخاري مع الفتح ٤/ ٢٥٠ - ٢٥١ .

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب صلاة التراويح ، باب فضل من قام رمضان ح(٢٠١٠) ، انظر: الصحيح مع الفتح ٤/ ٢٥٠ .

الذم ما قاد إلى شيء من مخالفة السنة و دعا إلى ضلالة) (١) . فهذه الأمور ليست بدعا شرعية ، لدخولها تحت قواعد الشريعة ، إلاّ أنه يصح تسميتها بدعا في ا للغة – كما تقدم في كلام الشيخ عليه رحمة الله .

١ – فتح المنان ص ٥١٩– ٥٢٠ ، غاية الأماني ١/ ٣٦٥ .

وأصل هذا الكلام منقول من كتاب : فتح المبين في شرح الأربعين ، لابن حجر الهيتمي ص ١٠٧ ، بتصرف .

المبحث الثاني :

بيانه أ ن البدع كلها مردودة .

توطئة :

تبين لنا فيما تقدم ، إيضاح الألوسي لمعنى البدعة الشرعي المذموم في الدين ، وهو أنه كل محدثة في الدين ، مما لم يدل عليه دليل شرعي ، فكل أمر كان كذلك ، فإنّه مردود على صاحبه ، وليس من الإسلام من شيء .

فعدم فعله ﷺ للفعل وترك أمره للشيء ، لم يكن عن نسيان أو غفلة أو خيانة – حاشاه – للأمة ، وإنما هو رحمة من الله لعباده .

وقد نقل الإمام الألوسي عن صاحب "*مجالس الأبرار*"(١) ملخصا : (أنّ عدم وقوع الفعل في الصدر الأول ، إما لعدم الحاجة إليها ، أو لوجود مانع ، أو لعدم تنبه ، أو لتكاسل أو لكراهة ، أو لعدم مشروعية . والأولان منتفيان في العبادات البدنية المحضة ، لأنّ الحاجة في التقرب إلى الله تعالى لا تنقطع ، وبعد ظهور الإسلام لم يكن منها مانع ،ولا يظن بالنبي ﷺ عدم التنبه أوالتكاسل ، فذاك أسوأ الظن المؤدي إلى الكفر ، فلم يبق إلاّ كونها سيئة غير مشروعة .

وكذلك يقال : لكل من أتى في العبادات البدنية المحضة ، بصفة لم تكن في زمن الصحابة ، إذ لو كان وصف العبادة في الفعل المبتدع ، يقتضي كونه بدعة حسنة ، لما وجد في العبادات ما هو بدعة مكروهة) (٢) .وهناك أمور يحسن ذكرها تأييدا لما أشار الشيخ الألوسي منها :

أولا : أنّ الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان ، لأنّ الله تعالى قال فيها: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾(٣)، والنبي ﷺ ترك أمته على محجة بيضاء ليلها كنهارها ، لا يضل عنها إلاّ هالك. كما أنّه عليه السلام لم ينتقل إلى جوار ربه حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج اليه في أمور الدين والدنيا .

---

١ – هو كتاب في شرح مائة حديث من أحاديث المصابيح للشيخ أحمد الرومي . انظر : كشف الظنون ١٢٩٠/٢ ؛ غير أني لم أقف عليه .

٢ – غاية الأماني ١/ ٣٦٦ .

٣ – الآية (٣) من سورة المائدة .

فالمبتدع - بعد هذا الإتمام والتكميل والبيان - كأنه يقول إنّ الشريعة لم تتم ، وأنه بقي منها أشياء ، يجب استدراكها عليها ، وقائل هذا لا شك أنه ضال عن الصراط المستقيم ، حيث جاء عن بعض السلف الصالح : أنّ من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة ، فقد زعم أنّ محمدا ﷺ خان الرسالة ، لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا .

ثانيا : أنّ المبتدع معاند للشرع ، ومشاق له ؛ لأنّ الشارع قد عين لمطالب العباد طرقاً خاصة على وجوه خاصة وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي ، والوعد والوعيد . وأخبر أنّ الخير فيها وفي اتباع من السلف ، وأنّ الشر في تعديها بالابتداع؛ لأنّ الله تعالى يعلم ونحن لا نعلم . وأنه إنّما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين . والمبتدع راد هذا كله ، فإنه يزعم أنّ ثم طرقاً أخر وليس ما حصره الشارع بمحصور ولا ما عينه بمتعين ، كأن الشارع يعلم ونحن أيضا نعلم ، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع أنه علم ما لم يعلم الشارع . وهذا إن كان مقصودا للمبتدع فهو كافر ، وإلاّ فضلال مبين .

ثالثا :

أنّ الابتداع إتباع للهوى ، لأنّ العقل إذا لم يكن متبعا للشرع لم يبق له إلاّ الهوى والشهوة ، وأنت تعلم ما في اتباع الهوى ، وأنه ضلال مبين ، قال تعالى : ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إنّ الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ (١)، فحصر الحكم في أمرين لا ثالث هما عنده : الحق والهوى . إذ لا يمكن في العادة إلاّ ذلك . قال تعالى ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله

---

١ - الآية (٢٦) من سورة ص .

﴿إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (١): الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ، والاعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين .

والآية صريحة في أنّ من لم يتبع هدى الله ، ولا سنة نبيه ﷺ ، في هوى نفسه ، فلا أحد أضل منه . وهذا شأن المبتدع ، فإنه اتبع هواه بغير هدى من الله ، فكان أضل الناس ، وهو يظنّ أنه على هدى .

فالمبتدع من هذه الأمة ، إنّما ضلّ في أدلّتها ، حيث أخذها مأخذ الهوى والشهوة ، لا مأخذ الانقياد تحت أحكام الله تعالى .(٢)

وهذا الكلام بهذا السبر، يتضح أنّ الهوى والشهوة، أساس البدع كلها ، وكل عمل مبني على ذلك فهو لا شك مذموم ومردود .

---

١ - الآية (٥٠) من سورة القصص .

٢ - انظر : الإبداع في مضار الابتداع ، على محفوظ ص ٩٧- ١٠٠ .

المبحث الثالث :

الأدلة على النهي عن ا لإبتداع ووجوب الإتباع :

إ نّ الأدلة على النهي عن الابتداع و التحذير منـه ، والأمـر باتبـاع ، ولـزوم السـنة ، والحث عليه والترغيب فيه ، كثيرة جدا ، بلغ من استفاضتها وشهرتها بين أ هـل السـنة ، ما يتعذر معه حصرها ، أو الإحاطة بها لأحد . وهـي نصـوص واضحـات مـن الكتـاب العزيز ، والسنة المطهرة ، وأقوال الصحابة – رضوان ا لله عليهم – ومن جاء بعدهم من سلف الأمة .

والعلاّ مة الأ لوسي – رحمه ا لله – لم يفرد في مصنفاته بابا لسرد تلك ا لأدلة – ولعـل شهرتها واستفاضتها أغنته عن ذ لك – بل اكتفى بمجرد إشارة إلى بعض من تلك الأدلة من السنة المطهرة ، ومن أقوال الصحابة رضي ا لله عنهم جميعا .

وإتماما للفائدة أقدّم شيئا يسيرا من الأدلة من الكتاب العزيز .

ومما جاء في كتاب ا لله العزيز ، من الآيات في ا تباع أمره تعالى ، وا تباع سنة نبيـه ﷺ ، قوله تعالى آمرا أبوينا باتباع هداه عند إهباطهمـا إلى الأرض : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منّي هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ (١)

وقـال عـز مـن قـائل ، آمـرا بمتابعـة رسـوله ﷺ : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (٢) وقـال : ﴿ يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ (٣) ، وغيرها من الآيات في هذا الباب .

ومما جاء في السنة المطهرة ، ما أشار إليه العلاّمة الأ لوسي :

١- قول النبي ﷺ : ((كل بدعة ضلالة)) (٤) .

٢- قول النبي صلوات ا لله وسلامه وبركاته عليه:((كل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردّ)) (٥) .

---

١ – الآية (١٢٣) من سورة طه

٢ – الآية (٧) من سورة الحشر .

٣ – الآية (٢٠) من سورة الأ نفال .

٤ – هذا جزء من حديث العرباض بن سارية الذي أخرجه أصحاب السنن ، ومنه ((... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء ا لراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإ نّ كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة)) . وسيأتي الحديث بتمامه في المتن وتخريجه في ص ٢٨٠ .

٥ – تقدم تخريجه في ص (و) .

فالحديثان يفيدان النهي عن الابتداع في الدين ، إذ إنّ ذلك ضلالة ، ولـذا اقتضى ردّ كل عمل كان أساسه على ذلك ، كما يفيدان أنّ ما كان تبعا لأمر النبي ﷺ وسنته ، فهو المقبول من صاحبه .وقد أشار الشيخ - رحمه الله - نقلا عن صاحب "مجالس الأبرار" إلى ما يفيد بقاء هذين الحديثين على عمومهما ، لا يخرجهما عنه استحسان محسن ، فلا حسن إلاّ ما استحسنه الشرع ، وهذا لايدخل في البدع ، فيبقى العموم .(١)

٣- ومن السنة المطهرة أيضا ، ما جاء في الصحيحين من حديث أنس - رضي الله تعالى عنه ، في قصة الثلاثة الذين جاءوا بيوت النبي ﷺ ، فقال أحدهم : أصلّي الليل أبدا، وقال الآخر: أصوم الدهر ولا أفطر . وقال الآخر : أنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج ، فقال رسول الله ﷺ لهم :((أما والله إنّي لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنّي أصوم وأفطر ، وأصلّي وأرقد ، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس منّي)) (٢) .

فهذا بعض ما جاء عن النبي ﷺ ، أنصح الخلق وأبرّهم لأمته ، وأعلمهم لما فيه صلاحهم ، وهدايتهم ، يأمرهم فيها ويوصيهم في آخر حياته بالاعتصام بكتاب ربّهم ، واتباع سنته ، ويحذرهم من محدثات الأمور والبدع ، كما يخبرهم ﷺ - محذرا - مما سيحدث بعده من اختلاف الأمة وتفرّقها ، ونجوم البدع وشيوعها ، وأنّ طريق الخلاص وسبيل النجاة عندئذ هو التمسك بسنته ، وسنة خلفائه الراشدين المهديين من بعده ، فصلوات ربه وسلامه وبركاته عليه .

---

١ - غاية الأماني ٣٦٦/١ ، ونحوه في إقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦ .

٢ - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ...) . صحيح البخاري مع الفتح ١٠٤/٩ح(٥٠٦٣) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح ...) ح (١٤٠١) ١٨٥/٩ .

وأما ما جاء عن الصحابة من الآثار، في الأمر بلزوم السنة ، والترغيب فيه ، والتحذير من الابتداع في الدين ، وذمه وأهله ، فكثيرة جدا ، فأكتفي بإيراد ما اشار إليه الألوسي – رحمه الله . فمن ذلك قوله :

١- وأخرج أبو داود عن حذيفة (١) -رضي الله عنه ، قال :(كل عبادة لم تفعلها الصحابة فلا تفعلوها) (٢).

٢- وقال – رحمه الله-: (وأخرج البيهقي أنّ ابن عباس قال: (أبغض الأمور إلى الله تعالى البدع) .(٣)

٣- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : (ما ابتدعت بدعة إلاّ ازدادت مضيا ، ولا تركت سنة ، إلاّ ازدادت هربا) .(٤)

فهذه بعض أقوال أصحاب النبي ﷺ ، على العاقل البصير بأمر دينه ، أن يتدبرها ويفقهها ، ثم ليعمل بها ويقف عندها، فإنّه لم يأت بعد أصحاب النبي ﷺ ، أعلم وأفقه بالدين منهم ،لأنّهم عايشوا نزول الوحي ، وأخذوا من النبي ﷺ ، وشهدوا أعماله ، فهم أدرى بالشرع . فلذلك نالوا شرف الاقتداء بسنتهم كما أرشدنا إلى ذلك الحبيب المصطفى ﷺ كما تقدم في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ووصفهم ابن مسعود بأنهم : (خير هذه الأمة ، وأبرها قلوبا وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا) (٥) .

---

١ – هو ابن اليمان الصحابي المعروف ، صاحب سر النبي ﷺ . توفي في المدائن سنة (٣٦) هجرية .

٢ – غاية الأماني ١/ ٣٦٧ ، ولم أجد هذا الأثر في " *سنن أبي داود* " وقد ذكره أبو شامة في كتابه " *الباعث على إنكار البدع والحوادث* " ص ١٥- ١٦ ، وذكره الشيخ الطرطوشي أيضا في كتابه : " *الحوادث والبدع* " بلفظ : " كل عبادة لم يتعبدها أصحاب النبي ﷺ ، فلا تتعبدوها ، فإنّ الأول لم يدع للآخر مقالا ، فاتقوا الله

يا معشر القراء ، وخذوا طرق من كان قبلكم) ص ١١٧

٣ – غاية الأماني ٣٦٧/١ ، وانظر : السنن الكبرى للبيهقي ٣١٦/٤ ، كتاب الصيام ، باب الاعتكاف في المسجد ، وتمام الأثر : (وإنّ من البدع الاعتكاف في المساجد التي في الدور) ، وذكره أبو شامة في الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ١٥ .

٤ – رواه ابن وضّاح في " *البدع والنهي عنها* " ص ٣٧ ، وابن بطة في الإبانة الكبرى ٣٥١/١ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ٩٣ ، برقم (١٢٨) .

٥ – هذا جزء من أثر، رواه البغوي عن ابن مسعود في شرح السنة ٢١٤/١ .

فيجب على الأمة الوقوف عندما وقف هؤلاء الرجال ، وليسعهم ما وسعهم ، وليحذروا أشدّ الحذر من البدع ، كما حذّروهم من ذلك في أقوالهم ، وليقتدوا بهم في أفعالهم ، كما اقتدى بهم من أتى بعدهم من سلف الأمة .

فمن ترك هدى هؤلاء واتجه إلى الإحداث في الدين بالزيادة أو النقص ، فقد مال إلى ما يبغض الله ورسوله ﷺ ، فمهما بلغ الشيئ من الحسن - فيما يراه الناس - فإنه يجب إبعاده عن دائرة الشريعة الغراء ، ما لم يدل عليه دليل شرعي .

قال الشيخ الألوسي فيمن يقول : إنّ زيادة العمل الصالح في الدين ، لاتضر ، قال : (يقال له : هكذا تتغير شرائع الرسل ، فإنّ الزيادة لو جازت ، لجاز أن تصلّى الفجر أربعا ، والظهر ستا ، ويقال: هذا عمل صالح ، زيادته لا تضر ، لكن أهل السنة يتبعون النبي ﷺ وأصحابه ، في الفعل والترك ، فإنّ الله تعالى قد بيّن لنا الشرائع ، وأتمّ لنا الدين ، فهذا هو من غير زيادة أو نقص ، فالزيادة عنده كالنقصان ، فنعبده بما شرع ، ولا نعبده بالبدع ، فعقولنا عن مثل ذلك قاصرة ، وآراؤنا إذا كاسدة خاسرة ، والعقول لا تهتدي إلى الأسرار الإلهية ، فيما شرعه من الأحكام الدينية ، أو ما ترى كيف نوديت إلى الصلاة دائما، ونهيت عنها في الأوقات الخمسة (١)، وذلك ينتهي إلى قدر ثلث النهار .

فينبغي لك أن تكون حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وأعمالهم ، فهم السواد الأعظم ، ومنهم يعرف الحسن من القبيح ، والمرجوح والرجيح ، وإذا وقع أمر ينظر فيه إلى قواعد المجتهدين الذين هم السلف لمن خلف ، فإن وافق أصولهم ، قبله المتبع بقلبه ، وإلاّ فلينبذه وراء ظهره ، وليتبصر في حمية أمره ، ولا يغرنّك عوائد الناس ، فإنّها السموم القاتلة ، والداء العضال ، وعين المشاقة المؤدية إلى الضلال . وقد كان هشام بن

---

١ - الأوقات الخمسة التي ينهى عن الصلاة فيها : ١- وقت طلوع الشمس . ٢- وقت غروبها . ٣- بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس . ٤- وقت الزوال . ٥- بعد صلاة العصر . (على خلاف في الوقتين الأخيرتين) . انظر : بداية المجتهد ١/١٠١ -١٠٣ .

عروة (١) يقول : لا تسألوا الناس اليوم عما أحدثوه ، فإنهم قد أعدوا له جوابا ، لكن سلوهم عن السنة ، فإنّهم لا يعرفونها (٢)) (٣).

ويحسن قبل ختم هذا الفصل ، ايراد ما ذكره الإمام الشاطبي في كتابه : *الاعتصام* ، حول ذم البدع ، وأنه عام، لا يخص بدعة منهية عنها شرعا ، دون غيرها ، فإنّه كلام نفيس جدا في هذا الباب ، أذكره بإيجاز غير مخلّ ، إن شاء الله تعالى .

قال – رحمه الله – بعد نقله الأدلة على ذم البدع : (فاعلموا رحمكم الله أنّ ما تقدّم من الأدلة حجة في عموم الذم من أوجه :

أحدها : أنها جاءت مطلقة عامة على كثرتها ، لم يقع فيها استثناء البتة ، ولم يأت منها ما يقتضي أنّ منها ما هو هدى ، ولا جاء فيها : كل بدعة ضلالة إلاّ كذا وكذا ، ولا شيئ من هذه المعاني. فدلّ على أنّ تلك الأدلة بأسرها، على حقيقة ظاهرها من الكليّة .

الثاني : أنّه قد ثبت في الأصول العلمية ، أنّ كل قاعدة كليّة ، أو دليل شرعي كليّ ، إذا تكررت في مواضع كثيرة ، وأتى بها شواهد على معان أصولية أو فرعية ، ولم يقترن بها تقييد ولا تخصيص ، مع تكرارها ، وإعادة تقديرها ، فذلك دليل على بقائها على مقتضى لفظها من العموم .

وقد جاء في الأحاديث المتعددة : ((إنّ كل بدعة ضلالة ، وأنّ كل محدثة بدعة))(٤) .

وما كان نحو ذلك من العبارات الدالة على أنّ البدع مذمومة ، ولم يأت في آية أو حديث ، تقييد ولا تخصيص ولا ما يفهم منه خلاف ظاهر الكليّة فيها ، فدل ذلك دلالة واضحة على أنها على عمومها وإطلاقها .

---

١ – هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد ، بو المنذر القرشي ، الأسدي المدني ، ولد سنة (٦١) ، وتوفي (١٤٦) . انظر : تاريخ بغداد ٣٧/١٤ ، وسير الأعلام ٦/ ٣٤ .

٢ – هذا الأثر لم أقف عليه فيما اطلعت .

٣ – غاية الأماني ١/ ٣٦٧ .

٤ – رواه الإمام أحمد ١٢٦/٤ ، وأبو داود ١٣/٥، والترمذي مع تحفة الأحوذي ٤٣٨/٧ ، وقال :(هذا حديث حسن صحيح) .

الثالث : إجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم ، على ذمّها كذلك ، وتقبيحها والهروب عنها ، وعمّن اتسم بشيء منها . ولم يقع منهم في ذلك توقف ولا مثنويّة ، فهو - حسب الاستقراء - إجماع ثابت ، فدلّ على أنّ كل بدعة ليست بحق ، بل هي من الباطل .

الرابع : أنّ متعقل البدعة يقتضي ذلك بنفسه ، لأنه من باب مضادة الشارع ، واطّراح الشرع ، وكل ما كان بهذه المثابة . فمحال أن ينقسم إلى حسن وقبيح ، وأن يكون منه ما يمدح ومنه ما يذم ، إذ لا يصح في معقول ولا منقول استحسان مشاقة الشارع . وأيضا لو فرض أنّه جاء في النقل استحسان بعض البدع ، أو استثناء بعضها عن الذم ، لم يتصور ، لأنّ البدعة طريقة تضاهي المشروعة من غير أن تكون كذلك ، وكون الشارع يستحسنها دليل على مشروعيّتها ، إذ لو قال الشارع: المحدثة الفلانية ، حسنة ، لصارت مشروعة) .(١) والله تعالى أعلم .

---

١ - الاعتصام ، للإمام الشاطبي ١/ ١٠٤ - ١٠٥ .

الفصل الثاني :

جهوده في الرد على المتصوفة في بعض بدعهم .

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالمتصوفة

المبحث الثاني : الرد عليهم في الذكر .

المبحث الثالث : قولهم بالفناء والرد عليه .

المبحث الأول :

التعريف بالمتصوفة :

و فيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بالمتصوفة لغة .

المطلب الثاني : التعريف بالمتصوفة اصطلاحا .

التوطئة :

التعريف بالصوفية أو التصوف ، أمر اختلفت فيه كلمة العلماء اختلافا كثيرا ، وتشعبت فيه آراؤهم ، حتى إنّ الباحث يكاد يضيع بين تلك التعريفات التي قدّرت بأعداد قد تصل إلى ألفي تعريف . (١)

فبينما تجد من يعرفه بطريقة النسبة إلى مصدره ومنشئه ، تجد الآخرين يعرفونه حسب أحوالهم وتصرفاتهم ، وهكذا . وهنا قبل أن أتطرق إلى ذكر شيء من ذلك ، نشير أولا إلى المعنى اللغوي للتصوف ، وبعده نذكر معناه الاصطلاحي .

فأقول مستعينا با لله :

المطلب الأول : معنى التصوف في اللغة .

تأتي كلمة التصوف في المعاجم اللغوية ، تحت مادة " **صوف** " على معاني عدة ، منها : تطلق على الصوف ، قال الجوهري : (٢) (الصوف للشاة ، والصوفة أخص منه)(٣)

ويقال : كبش صاف ، أي كثير الصوف . (٤)

وتطلق بمعنى الميل والعدول ، يقال : صاف السهم عن الهدف ، أي عدل عنه، وصاف عن شر فلان ، وأصاف الله عنّي شره : عدله . (٥)

---

١ - التصوف المنشأ والمصدر ص ٣٧ .

٢ - هو اسماعيل بن حماد الجوهري ، أبو نصر الفارابي ، لغوي ، أديب ، ذو خط جيد ، قيل : يضرب بخطه المثل أصله من بلاد الترك من فاراب ، ورحل إلى العراق ، وقرأ العربية على أبي على الفارسي ... توفي بنيسابور سنة (٣٩٣). من تصانيفه : تاج اللغة وصحاح العربية ، كتاب المقدمة في النحو ، وغيرهما من الكتب . انظر : بغية الوعاة ص ١٩٥ ، ومعجم المؤلفين ٢٦٧/٢ ، وشذرات الذهب ١٤٢/٣، ومعجم الأدباء ١٥١/٦-١٥٦ ، والنجوم الزاهرة ٢٠٧/٤ -٢٠٨ ، وسير أعلام النبلاء ٨٠/١٧- ٨٢ .

٣ - الصحاح للجوهري ١٣٨٨/٤ ، وانظر : مختار الصحاح للرازي ص ١٥٦ .

٤ - المصباح المنير ٤٨١/١ .

٥ - الصحاح ٤/ ١٣٨٨ .

وقد ذهب صاحب المصباح المنير ، إلى أنّ كلمة " **الصوفيّة** " مولّدة ، لا يشهد لها قياس واشتقاق في اللغة العربية . (١)

ونسبة الصوفية إلى الصوف ، وإن لم يكن على القياس اللغوي ، غير أنّ أكثر العلماء يرجّحونه ، نظرا لما للقوم من تفضيل لباس الصوف . وهو ما يرجحه شيخ الإسلام ابن تيمية ، حيث قال - رحمه الله - (وقيل : -وهو المعروف - أنه نسبة إلى لباس الصوف) . (٢)

المطلب الثاني :

التعريف بالمتصوفة اصطلاحا .

سبقت الإشارة إلى مدى كثرة اختلاف أقوال العلماء في التعريف الصوفية . ولن نخوض هنا في سرد العديد من تلك التعريفات ، بل سوف نكتفي بذكر ما هو أقرب شيئ بأحوال المتصوفة ، ومن ذلك :

قال الدكتور إبراهيم هلال :

(رغم كثرة التعريفات التي عرف بها التصوف الإسلامي (٣) في كتب التصوف وغيرها ، فإننا نستطيع أن نقول أنّ التصوف كما يراه الصوفية في عمومه هو : السير في طريق الزهد ، والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها ، وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع من العبادة ، والأوراد والجوع . والسهر في صلاة أو تلاوة أوراد ، حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي . ويقوى فيه الجانب النفسي أو الروحي ، فهو إخضاع الجسد للنفس بهذا الطريق المتقدم . سعيا في تحقيق الكمال النفسي كما يقولون ، وإلى معرفة الذات الإلهية وكمالاتها ، وهو ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة) . (٤)

---

١ - المصباح المنير ١/ ٤٨١ .

٢ - انظر : مجموع فتوى ١١ /٦ .

٣ - عند من يرى ذلك .

٤ - التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة ص ١ .

ويظهر أنّ هذا التعريف يوضح زبدة ما عليه القوم بالنظر إلى أحوالهم وواقعهم العملي والاعتقادي ،كما أنّه يشكل محورا يدور حوله كثير من التعريفات ، سواء ما كانت منها لأقطاب الصوفيّة ، أو من مخالفيهم ، كقول معروف الكرخي :(١) (التصوف الأخذ بالحقائق ، واليأس مما في أيدي الخلائق) (٢) .

وقول الجنيد (٣) : (التصوف : تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإجماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدواعى النفسانية، ومنازلة الصفات الربانية ، والتعلق بعلوم الحقيقة ، واتباع الرسول في الشريعة) (٤). وقال أيضا ، وقد سئل عن التصوف : (أن تكون مع الله بلا علاقة) . (٥)

وقول آخر : التصوف هو تجريد العمل لله تعالى ، والزهد في الدنيا وترك دواعى الشهرة والميل ، إلى التواضع والخمول ، وإماتة الشهوة في النفس . (٦)

ويظهر أنّ هذا التعريف لا يصدق إلاّ على التصوف في عهده الأول ، الذي كان التصوف فيه ، عبارة عن الانقطاع لعبادة الله وحده ، والزهد في الدنيا ، والتخفف من متاعها والإقبال على الآخرة دون أن يلبسوا ذلك بشيئ من الأفكار والسلوك المشين ، الذي وصل إليه الصوفية بعد ذلك . (٧)

وبهذا التعريف الأخير ، أشار الشيخ الألوسي إلى الصوفية ، وذلك عند كلامه على البدع السيّئة – التي لا يدل عليها دليل شرعي – وقد ذكر –رحمه الله – من ذلك فقال : (الانتماء إلى جماعة يزعمون التصوف ، ويخالفون ما كان عليه مشائخ الطريق

---

١ – هو معروف بن فيروز ، أبو محفوظ البغدادي . قيل : كان أبواه نصرانيين ، فأسلم على يد علي بن موسى الرضا ، وكان من كبار الصوفية . (ت٢٠٠هـ) . انظر تاريخ بغداد ١٩٩/١٣ ، وسير الأعلام ٣٣٩/٩ .

٢ – عوارف المعارف للسهروردي ص ٦٥ ، باب في ماهية التصوف .

٣ – هو الجنيد بن محمد بن الجنيد ، أبو القاسم ، النهاوندي ، ثم البغدادي القواريري ، شيخ الصوفية ، والده : الخزاز ، (ت ٢٩٧هـ) . انظر : حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥ ، تاريخ بغداد ٢٤١/٧ ، سير الأعلام ٦٦/١٤ .

٤ – التعرف لمذهب أهل التصوف ، للكلاباذي ص ٣٤ .

٥ – عوارف المعارف ص ٦٥ ، باب في ماهية التصوف .

٦ – فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، لشيخنا غالب بن على عواجي ٥٧٩/٢ .

٧ – انظر : تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ص ١٥٦ ، فرق معاصرة للدكتور غالب ٥٧٥/٢ .

من الزهد والورع ، وسائر الكمالات المشهورة عنهم ، بل كثير من أولئك إباحية لا يحرمون حراما ، لتلبيس الشيطان عليهم أحوالهم القبيحة الشنيعة ، **فهم** باسم الفسق أو الكفر أحق منهم باسم التصوف أو الفقر) (١) .

ويفهم أنّ الألوسي بنقله هذا الكلام . يبرز رأيه حول مسمّى الصوفيّة ، إذ يدرك منه تفريقه لها إلى حالتين :

أولاهما : التصوف في عهده الأول . حيث كان الناس فيه على الانقطاع للعبادة ، والزهد والورع ، وغير ذلك من الصفات المحمودة ، من غير أن يتخذوا الصوفية طريقة أو سلوكا معينا كفرقة .

أما الحالة الثانية : فهي الصوفية في عهد المتأخرين الذين خالفوا ما كان عليه الأوائل ، وخرجوا عن طوق الصفات المحمودة ، ولبسوها بالأفكار والسلوك المشين ، بدءا بإدخال البدع المنكرات في الدين ، ووصولا إلى الإباحية المطلقة ، لا يحرمون حراما . والله أعلم .

---

١ - غاية الأماني ١/٣٦٧ - ٣٦٨ . وقد عزاه - رحمه الله - كلامه هذا في كتابه : فتح المنان ص ٥٢١ ، إلى ابن حجر الهيتمي المكي ، في شرح الأربعين . وهو هنا لك ص ١٠٨ ، عند شرحه للحديث الخامس من الأحاديث الأربعين النووية . وأصل الكلام : عزاه الهيتمي لشيخه أبي شامة .

المبحث الثاني :

الردّ على بدعهم في الذكر .

توطئة :

إنّ ذكر الله تعالى من بين المحاور الأساسية والمهمة التي تدور حولها رحى الإسلام ، فهو يشغل حيزاً كبيراً في حياة المسلم ، كما يستغرق أوقاتا طويلا من أوقاته اليومية .

وقد بدا أهمية الذكر جليا من خلال أمره سبحانه وتعالى عباده بذلك . وحثّهم عليه ، وعلى الإكثار منه في كل وقت وحين . ووعده بالمغفرة والثواب الجزيل لعباده الذاكرين ، كل ذلك في مواضع عدة من كتابه الكريم .

كما حث على ذلك أيضا رسوله ﷺ أمته ، في أحاديث كثيرة (١) . وكان - عليه أفضل الصّلاة وأتم التسليم - خير قدوة لهذه الأمة في جميع أمور الدين ، بما فيها الأذكار .

وهنا يجدر بي ذكر طرف من تلك الآيات التي ترشدنا وتحثنا على ذكر الله سبحانه وتعالى ، منها :

ما جاء في أمره سبحانه وتعالى لنا بالذكر :

قال تعالى ﴿ يأيّها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ○ وسبحوه بكرة وأصيلا ○ ﴾ (٢) ، وقال جلّ شأنه : ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ (٣)

فالآيتان تفيدان أمره سبحانه وتعالى عباده بالذكر والتسبيح ، وأنّ ذلك يكون سببا لذكر الله سبحانه لعبده ، وهذا أهم ما يتطلع إليه العبد ، لذا أمر بالذكر في كل وقت وحين ، كما قال تعالى : ﴿ واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار ﴾ (٤)

---

١ - هذا وقد بوب أصحاب السنن - رحمهم الله - الذكر في سننهم ، أوردوا فيه العديد من الأحاديث . كما أنّ كثيرا من المصنفين ، تناولوا هذا الباب بالتصانيف المستقلة ، على نمط : "الأذكار" للنووي . والإمام النسائي في "عمل اليوم والليلة" وهكذا

٢ - الآيتان (٤١ ، ٤٢) من سورة الأحزاب .

٣ - الآية (١٥٢) من سورة البقرة .

٤ - الآية (٤١) من سورة آل عمران .

وقوله : ﴿ واذكر اسم ربّك بكرة وأصيلا ۝ ومن الليل فاسجد له وسبّحه ليلا طويلا ۝ ﴾ (١) .

ومن هذه الآيات، يفهم الأمر والحث والترغيب في الإكثار من الذكر في جميع الأوقات ، سواء أكان ذلك ليلا أو نهارا ، صباحا أو مساء .

وكذلك أمرنا سبحانه وتعالى بالذكر عقب كل صلاة ، فقال تعالى :﴿ فإذا قضيتم الصّلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ﴾ (٢) . إلى غير ذ لك من الآيات التي أمر ا لله سبحانه وتعالى فيها عباده ، ورغبهم وحثهم على الذكر والمداومة عليه ، إذ بذكره سبحانه تطمئن القلوب .

وأما ما جاء في ذلك من السنة النبوية ، فهو كثير جدا ، ويكفي هنا الإشارة إلى قوله ﷺ وإرشاده لأحد أصحابه لما سأله عن شيئ يتشبث به ، قال : ((لا يزال لسانك رطبا من ذكر ا لله)) (٣).

فحثه ﷺ ، وترغيبه لأمته على استمرارية الذكر ، والمداومة عليه ، بيّن وجلي في هذا الحديث الشريف .

فكل هذه الدلائل أتينا بها توكيدا لمشروعية الذكر ، وأصالته في ديننا الإسلامي الحنيف ، وإلزاما للصوفية الذين غيّروا وبدّلوا وأنشأوا من قبل أنفسهم أذكارا ، ألصقوها بالدين ، وأنّها من تعاليم خير البريّة نبينا محمد ﷺ ، مع أ نّ ا لله سبحانه وتعالى ،لا يأمر بأمر إلاّ ويقوم رسوله ﷺ بتعليمه للناس، لا يتركهم سدى ، تائهين لا يعلمون ما يفعلون ، ويجتهدون في الدين على هواهم ، وعلى هذا وجب أ ن تكون جميع الأعمال الدينية – بما فيها الذكر – وفقا للتعاليم الإسلامية ، وتبعا لسنة نبيناﷺ ، فذلك هو الإسلام ، وهو بالتأكيد ما كان عليه السلف الصالح وتبعهم عليه الخلف (من أهل السنة والجماعة) ، وخالفهم فرقة عرفت بالمتصوفة ، أتت بأشياء ما أنزل ا لله بها من سلطان ، وقاموا بها باسم الدين ، وهي في الحقيقة طقوس وأوراد ابتدعوها من عند أنفسهم ، ما كتبها ا لله

---

١ – الآيتان (٢٥ –٢٦) من سورة الإنسان .

٢ – الآية (١٠٣) من سورة ا لنساء .

٣ – أخرجه ا لترمذي في سننه ، كتاب الدعاء ، باب ما جاء في فضل الذكر ح (٣٣٧٥) ، ٢٥٨/٥ .

عليهم ، وزعموا بها - إفكا وزورا - متابعة النبي ﷺ ، وهو مما هـم فيـه بريئ ، وكثير منهم فاسقون .

وهنا نشير إشارة خفيفة إلى الذكر الصّوفي قبل التطرق إلى ما ردّ به الشيخ الألوسي -رحمه الله تعالى - على بدعتهم هذه .

الذكر الصوفي :

إنّ كل من ينظر إلى الذكر الصوفي من ضعيف العقل - فضلا عن العاقل والعالم - فإنه يعلم سخافة أولئك الصوفيين وسذاجتهم ومـدى تمسكهم بالباطل ، وانحرافهم عن طريق الحق والهدى .

فليس مسمّى الذكر عند الصوفية . نفس ما هو ذكر عنـد غيرهم مـن أهـل السنة . فالذكر الصوفي له طرق عـدّة ، وكيفية وشروط ، لا يصح إلاّ عـلى ضوئها . فالذاكر الصوفي يجب عليه قبل البدئ في الذكر ما يلي : (**أن يستحضر شيخه** ، وأن يستمد منه عند الشروع فيه فيقول : **مددك يا أستاذي** ، **وأن يرى أنّ استمداده منه ، عين استمداده منه ﷺ** ، فإنه الواسطة إليه . وأن يستأذن شيخه بقلبه ، فيقول : **دستور يا أستاذي !** وأن يستأذن أصحاب الطريق والقدم ، وهم أهل السلسلة ، فيقول : **دستور يا أصحاب الطريق القدم**) (١).

فتلك بعض الشروط للإذن بالذكر .

أمّا خلاصة الكيفية للذكر الصوفي : فهي أنّهم بعد جلوسهم في معابدهم - والتي يصدق عليها اسم خانات الرقص - يجلس الشيخ بين صفين من دراويش ودرويشات نفرت منهنّ الحياء والفضيلة ، ثم يصفق بيديه إيذانا ببدء الذكر ، ثم يخرج من شفتيه ومنخريه اسم الله ملحدا في حروفه وفي النطق به . ثم يهبّ الشيخ ويهبّ معه المريدون ، وعند ذلك يميلون يمنة ويسرة ، كل منهم في ذلك يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه ، يبدأ ب (**لا**) يمينا ، ويرجع ب (**إله**) فيتوسط ، ويختم ب(**إلاّ الله**) يسارا قبلة القلب . فإن ذكر اسما مفردا (**كالله**) و (**هو**) ضرب بذقنه على صدره ، كل ذلك يذكر

---

١ - هذه هي الصوفية ، لعبد الرحمن الوكيل ص ١٤٣ - ١٤٤ .

جماعة مع رفع الصوت ، وما هي إلاّ لحظة ، حتى تجد هذه الأجساد بما فيها من رغبات محترقة ، فيحصل من الإثم والفاحشة ما لا يعلمه إلاّ الله ، نسأل الله العافية والحماية .

ومما يجب ملاحظته أنّ أغلب أذكارهم يرافقها غناء وتصفيق وطرب وضرب بالدف ورقص ، فهذه هي ملخص صورة الذكر الصوفي .(١)

وقد أورد الإمام الألوسي فيما نقله عن عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، من رسالته إلى بعض أصحابه ، يحذره من كتب أبي حامد الغزالي (٢) جاء فيها :(٣) (قال الغزالي : ذهبت الصوفية إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية ، فيجلس فارغ القلب مجموع الهم يقول :" الله الله الله " على الدوام ، فيفرغ قلبه ، ولا يشتغل بتلاوة ولا كتب حديث ، فإذا بلغ هذا الحد التزم الخلوة ببيت مظلم ، ويدثر بكسائه ، فحينئذ يسمع نداء الحق : ﴿ يا أيّها المزمّل ﴾ (٤) ﴿يا أيها المدثر﴾ (٥) (٦).

وقد قام علماء أهل السنة بالتشنيع على أهل هذه الطريقة ، وصنّف بعضهم في الرد على تلك المنكرات مصنّفات .

وكان العلاّمة الشيخ الألوسي ، أحد أولئك الذين تصدوا لتلك المنكرات ، بالرد عليها ، وكشف عوراتها . فقد قال - رحمة الله عليه - في معرض حديثه عن البدع : (ومن البدع المنكرة ، ما يستعمله المتصوفة من أذكار اشتملت على الدفوف والطبلان والغناء وأنواع الرقص ، ويسمونه حالا ، وتراهم يعملون ذلك ، ومغنّيهم ينشدهم من الشعر المشتمل على ما لا يرضي الله تعالى ، ويحضره الفسقة والمردة والنساء ، فيحصل من ذلك ما تظهر به شعائر الفسق والعصيان ، وترى الشيخ لو حصلت له مواجهة

---

١ - هذه هي الصوفية ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ .

٢ - هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي ، أبو حامد الغزالي ، صاحب التصانيف في الأصول والفقه والكلام ، نقم عليه آراؤه الاعتزالية ، توفي سنة (٥٠٥) . انظر : طبقات السبكي ٦/١٩١ ، وسير الأعلام ١٩/٣٣٣- ٣٣٤ .

٣ - وردت هذه الرسالة في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣/١٣٧ ، وقد نقل الشيخ عبد اللطيف -رحمه الله - هذا الكلام عن الذهبي في سير الأعلام ١٩/٣٣٣- ٣٣٤ ، عند ترجمته للغزالي .

٤ - الآية (١) من سورة المزمل .

٥ - الآية (١) من سورة المدثر .

٦ - غاية الأماني ٢/ ٣٧٢ . وقد ذكر الغزالي هذا الكلام في الإحياء ٣/ ٢١ .

الظلمة ، وظفر بدراهمهم ، نعد ها من أطيب المكاسب ، وأ قرب المراتب ، لا أكثر ا لله من أمثالهم) (١) .

ثم ذكر – رحمه ا لله – بدعة الرفاعية في الذكر ، فقال : (وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين : مبتدعة الرفاعية ، (٢) فلا تجد بدعة إلاّ ومنهم مصدرها وعنهم موردها ومأخذ ها ، فذكرهم عبارة عن رقص وغناء والتجاء إلى غير ا لله وعبادة مشائخهم ، وأعمالهم عبارة عن مسك الحيات والعقارب ونحو ذلك)(٣) .

ومن الغريب أنّك عند اطلاعك على الذكر الصوفي – كما تقدم بيانه بما يشتمله من الغناء والرقص والطبول والدفوف وغيرها – تجد الصلة الوثيقة بين هذا الذكر والبدعة الجاهلية اليهودية !!

فقد جاء في العهد القديم ما نصه : (ليفرح اسرائيل بخالقه ، ليبتهج بنو صهيون بملكهم ليسبحوا اسمه برقص. بدف وعود ، ليرنموا له ... هلّلوا يا سبّحوا ا لله في قدسه . سبحوه بصوت الصور . سبحوه برباب وعود . سبحوه بدف ورقص ، سبحوه بأوتار ومزمار ، سبحوه بصنوج التصويت . سبحوه بصنوج الهتاف) (٤) .

فيا سبحان ا لله ، ما أشبه الليلة با لبارحة ، فإنه من عرف هذ وذاك ، يكاد لا يشك في أ نّ هذا الذكر الصوفي هو أحد الدسائس اليهودية ، التي ما انفك اليهود يدسونها على التعاليم الإسلامية .

---

١ – غاية الأماني ١/ ٣٧٠ .

٢ – ا لرفاعية : طريقة صوفية ، منسوبة للشيخ أحمد بن علي أبي العباس الرفاعي ، (ت ٥٧٨) .
انظر : دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٤٧ .

٣ – غاية الأماني ١/ ٣٧٠ .

٤ – النص من ا لعهد القديم ، سفر المزامير ، المزمور (١٤٩ – ١٥٠) ص ٩٣٦ .

المبحث الثالث :

قو لهم با لفناء وا لرد عليه :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : معنى الفناء في المعتقد الصوفي .

المطلب الثاني : ر ده على قولهم بالفناء .

التوطئة :

من المعلوم أنّ العبادة عند أهل السنة ،تقوم على أسس عدة ، من ذلك : عبادة الله رغبة فيما عنده سبحانه وتعالى ، من ثواب جزيل ، ورهبة مما عنده من عقاب أليم ، كما ذكر سبحانه ذلك عن عباده المؤمنين ، فقال تعالى : ﴿ إنّهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ (١) .

لكننا نجد هذين الأمرين ليسا هدفا للصوفيين ، فهم يزعمون أنّ هذا طلب لعامة والدهماء ، أما هم فقد اتخذوا لأنفسهم أهدافا أخرى ، متمثلة في وصول الصوفي إلى مقام النبوة أولا ، ثم الترقي حتى يصل - في زعمهم - إلى مقام الألوهية والربوبية ، ويصير هو الله (٢) - تعالى الله عما يزعم الظالمون علوا كبيرا .

ومن هذا الأساس ينتج مقولة الصوفية بالفناء . وهو ما سنعلمه في المطلب التالي :

---

١ - الآية (٩٠) من سورة الأنبياء .

٢ - انظر : الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، لعبد الرحمن عبد الخالق ص ٦٥ .

المطلب الأول :

الفناء في المعتقد الصوفي :

جاء بيان معنى الفناء في المعتقد الصوفي ، عن علماء أهل السنة والجماعة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - (" **الفناء** " الذي يوجد في كلام الصوفية ، يفسر بثلاثة أمور :

(**أحدها**) : " فناء القلب عن إرادة ما سوى الله " بحيث لا يحب إلاّ الله ، ولا يعبد إلاّ إيّاه ، ولا يتوكل إلاّ عليه ، ولا يطلب غيره ".(١) وقال : " وهو الفناء الديني الشرعي ، الذي جاءت به الرسل ، وأنزلت به الكتب) (٢) .(٣)

قال الشيخ :(**والأمر الثاني**): فناء القلب عن شهود ما سوى الرب ،... وهو فناء عن الشهادة ، وعن العلم بالغير والنظر إليه . فهذا الفناء فيه نقص .) (٤) قال - رحمه الله - : (وهو الذي يذكره بعض الصوفية ، وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى ، فيفنى بمعبوده عن عبادته ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن معرفته ، بحيث قد يغيب عن شهود نفسه لما سوى الله تعالى ، فهذا حال ناقص قد يعرض لبعض السالكين ، وليس هو من لوازم طريق الله) (٥) .

وقال أيضا : (وفي هذا الفناء قد يقول : أنا الحق ، أو سبحاني ، أو ما في الجبّة إلاّ الله ، إذ فني بمشهوده عن شهوده ، وبموجوده عن وجوده) (٦) (٧) .

---

١ - مجموع فتاوى ١٠/ ٢١٨ -٣٣٧ .

٢ - المصدر السابق ٣/ ١١٨ .

٣ - فهذا نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء ، وهو با لتأكيد ليس مراد الصوفية ، عند إطلاقهم للفظ الفناء ، إذ إنّ كل ما فيه يسمونه للعامة والدهماء .

٤ - مجموع فتاوى ٢١٩/١٠ ، ٣٣٨ .

٥ - المصدر السابق ١١٨/٣ - ١١٩ .

٦ - المصدر نفسه ٣٣٩/١٠ .

٧ - ولا شك أنّ هذا النوع هو مراد الصوفية بالفناء ، حيث يفنى الصوفي حتى يغيب عن شهود نفسه ، ولا يرى صورته إلاّ الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

وبمثل هذا ، عرّف الإمام ابن القيم " **الفناء الصوفي** " أن تذهب المحدثات في شهود العبد ، وتغيب في أفق العدم ، كما كانت قبل أن توجد ، ويبقى الحق تعالى كما لم يزل ، ثم تغيب صورة المشاهد ورسمه أيضا ، فلا يبقى له صورة ولا رسم ، ثم يغيب شهوده أيضا ، فلا يبقى له شهود ، ويصير الحق هو الذي يشاهد نفسه بنفسه ، كما كان الأمر قبل إيجاد المكونات) (١) .

وقال أيضا : (وحقيقته : أن يفنى من لم يكن (وهي المخلوقات ممن سواه) ويبقى من لم يزل (وهو الرب تعالى) (٢) .

(**أمّا النوع الثالث**) فهو الفناء عن وجود السوى ، بحيث يرى أنّ وجود المخلوقات . هو عين وجود الخالق ، وأن الوجود واحد بالعين لا وجود سواه ، لا به ولا بغيره ، وهذا قول أهل الإلحاد والإتحاد الزنادقة ، من المتأخرين ، كالبلياني (٣) والتلمساني(٤) والقانوني ونحوهم ، الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات ، وحقيقة الكائنات(٥)

فهذا النوع أيضا يعد الدرجة الأخيرة لغلاة الصوفية ، فلا يصل إليها سوى من وصل لدرجة الإلحاد والزندقة ، وألبس حقائق وحدة التفريد(٦) ، كالذين أشار إليهم شيخ الإسلام في هذا النوع .

وهذا هو مجمل معنى الفناء عند الصوفية .

---

١ - مدارج السالكين ١٦٧/١ .

٢ - المرجع السابق نفس الصفحة ، وانظر : مجموع الفتاوى ٢١٩/١٠ .

٣ - هو عبد الله بن مسعود بن محمد الحسيني البلياني ، أوحد الدين ، صوفي ، عارف بعلم الرمل ، من آثاره : الوحدة المطلقة ، ومفتاح الكنوز . (ت ٦٧٦) . انظر : معجم المؤلفين ١٥٠/٦ .

٤ - هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني (العفيف التلمساني أبو الربيع ، صوفي ، شاعر . توفي بدمشق سنة (٦٩٠) ، ودفن بمقابر الصوفية ، من آثاره : شرح فصوص الحكم لابن عربي ، والمواقف في التصوف ، وشرح منازل السائرين للهروي . انظر : معجم المؤلفين ٢٧٠/٤ .

٥ - مجموع الفتاوى ١١٩/٣ ، و٣٤٢/١٠ .

٦ - معنى التفريد : أن يعتقد الصوفي أنّ ما ثم في الحياة إلاّ فرد واحد ، هو الله ، تعدد وجوداته بحسب ما يظهر للناس . ولكن الحق واحد . انظر الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، لعبد الرحمن عبد الخالق ص ٦٦ .

المطلب الثاني :

رد الألوسي على قولهم بالفناء .

لم أجد للعلامة الألوسي - رحمه الله - رداً سلفياً واضحاً على الفناء الصوفي ، وكل ما ذكره في كتاباته - كما في كنز السعادة - (١) ، كان لا يزال في مرحلته الأولى من مراحله العقدية المتقدمة (٢) .

غير أني وجدت له رداً على دعوى الصوفية في " أنّ الاستغاثة بالولي ، تكون بمثابة الاستغاثة بالله " ؛ وقد كان ذلك في طوره العقدي الثالث ، بعد تحرره من بعض ما كان قد علق به من شوائب الصوفية في طوره الأول ، فقد قال في كتابه غاية الأماني :

(قال بعض أكابر السادة (٣) الصوفية : إنّ الاستغاثة بالأولياء محظورة إلاّ من عارف يميز بين الحدوث والقدم ، يستغيث بالولي لا من حيث نفسه بل " من حيث ظهور الحق فيه " فإنّ ذلك غيرمحظور ، لأنه استغاثة بالحق حينئذ) (٤).

١ - انظر كنز السعادة في شرح كلمة الشهادة ص ٥٥ - ٥٧ .

٢ - تقدم ذكر أطواره العقدية في ص ١٧ - ٢٢ .

٣ - يقصد بهم الغلاة القائلين بالنوع الثالث من أنواع الفناء الصوفي ص ٢٢٧ .

٤ - غاية الأماني ٢/ ٣١٢ .

قال -رحمه الله عقب هذه الزعم : (وأنا أقول : إذا كان الأمر كذلك ، فما الداعي للعدول عن الاستغاثة بالحق من أول الأمر ؟ وأيضا إذا ساغت الاستغاثة بالولي من هذه الحيثية ، فلتسغ الصلاة والصوم وسائر أنواع العبادة له من تلك الحيثية أيضا ، ولعل القائل بذلك قائل بهذا ... فالطريق المأمول عند كل رشيد ، قصر الاستغاثة والاستعانة على الله عز وجل ، فهو سبحانه الحق القادر العالم بمصالح عباده ، فإياك والانتظام في سلك الذين يرجون النفع من غيره تعالى) (١).

---

١ - المصدر السابق نفس الصفحة .

الفصل الثاني :

جهوده في الرد على الرافضة في بدعهم .

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : التعريف بالرافضة .

المبحث الثاني : ردود الأ لوسي عليهم في أهم عقائدهم وبيا ن الحق في ذ لك .

المبحث الأول :

التعريف بالرافضة :

ويحتوي على ما يلي :

أولا : معنى الروافض في اللغة .

ثانيا : معنى الروافض في الإصطلاح .

أولا : معنى الروافض في اللغة :

الروافض في اللغة : من الرفض ، وهو بمعنى الترك .

تقول : رفضت الشيئ أرفضه رفضا ، أي : تركته .

ويعرّف أهل اللغة الروافض بأنهم : جنود تركوا قائدهم وانصرفوا ، فكل طائفة منهم رافضة . والنسبة : رافضي . (١)

ثانيا : معنى الروافض في الاصطلاح :

الرافضة فرقة من الشيعة ، ذات أفكار وآراء اعتقادية ، رفضت إمامة زيد بن علي (٢) ، وخلافة الشيخين ، وزعمت أن الخلافة في علي - رضي الله عنه - وذريته من بعده ، بنص من رسول الله ﷺ (٣) .

وأصل هذه التسمية هو مذهبهم الرافض لخلافة الشيخين ، قال أبو الحسن الأشعري (٤) : (إنّما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر) . (٥)

حيث كانوا قد بايعوا زيد بن علي بن الحسين ، بعد خروجه على هشام بن عبد الملك ، وبناء على مذهبهم في الشيخين ، قالوا له : تبرأ من الشيخين نقاتل معك . فأبى ، وقال: كانا وزيري جدي ، فتركوه ورفضوه ، فقال لهم زيد : رفضتموني ؟ قالوا : نعم ، فسموا روافض . (٦)

---

١ - انظر : لسان العرب ١٥٦/٧ ، والقاموس المحيط ٢/ ٣٤٤ ، مادة " رفض" .

٢ - زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الإمام أبو الحسين الهاشمي القرشي ، عده الجاحظ من خطباء بني هاشم ، وقال أبو حنيفة - رحمه الله - ما رأيت في زمانه أفقه منه ، ولا أسرع جوابا ولا أبين قولا ، ولد في سنة (٧٩هـ) ، وكانت وفاته في سنة(١٢٢هـ) . انظر ترجمته : أعلام الزركلي ٥٩/٣ .

٣ - انظر :مقالات الإسلاميين ٨٨/١ ٨٩ . والحجة في بيان المحجة ٤٧٨/٢ ، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ١٦٣/١.

٤ - هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم ابو الحسن الأشعري ، اليماني البصري ، ولد عام (٢٦٠هـ) برع في معرفة الاعتزال ، ثم تبرأ منه إلى الأشعرية ، ثم تركه وصار من جماعة أهل السنة ، وألف مقالات الإسلاميين "و" الإبانة " . انظر : تاريخ بغداد ٣٤٦/١١ ، وسير الأعلام ٨٥/١٥ .

٥ - مقالات الإسلاميين ١ /٨٩ .

٦ - مروج الذهب ٢٢٠/٣ ، مقالات الإسلاميين ٨٩/١ ، البداية والنهاية ٣٤٣/٩ .

والشيخ الألوسي - رحمه الله - في اختصاره للتحفة ، ذكر فرق الشيعة ، ولم يشر إلى الروافض (١)بهذا الإسم ، بل ذكر أنّهم أربع فرق ، وعرّف كلّ منها ، قال :

الفرقة الأولى : **الشيعة الأولى** ، ويسمون أيضا " **الشيعة المخلصين** " :

وهم عبارة عن الذين كانوا في وقت خلافة الأمير كرّم الله وجهه من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان ، كلّهم عرفوا له حقه ، وأحلّوه من الفضل محله . ولم ينتقصوا أحدا من إخوانه ، أصحاب رسول الله ﷺ ، فضلا عن إكفاره وسبه .(٢)

الفرقة الثانية : **الشيعة التفضيلية** : وهم عبارة عن الذين يفضلون الأمير ، كرّم الله وجهه ، على سائر الصحابة ، من غير إكفار واحد منهم ، ولا سبّ ولا بغض . (٣)

الفرقة الثالثة : **الشيعة السبئيّة** ، ويقال لها " **التبرئيّة** " :

وهم عبارة عن الذين يسبون الصحابة ، إلاّ قليلا منهم ، وينسبونهم إلى الكفر والنفاق ، ويتبرؤون منهم .

قال : وهذه الفرقة حدثت في عهد الأمير رضي الله عنه ، بإغراء عبد الله بن سبأ اليهودي (٤) (٥) .

---

١ - لكنه اكتفى بالإشارة إلى خذلهم للإمام زيد بن علي بن الحسين ، وتركهم إيّاه ، من غير إطلاق اسم الرافضة عليهم ، انظر : مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٦٢ -٦٣ .

٢ - ولا شك أنّ هذه الفرقة ، ليست هي المقصودة هنا بالرافضة ، إذ إنّهم كانوا معتدلين ، شايعوا عليا ونصروه في حق ، وأعطوا كل ذي حق حقه .

٣ - ويظهر أنّ هؤلاء أيضا ، ليسوا المقصودين بالروافض، على ما عرفناهم فيما تقدم من تعريف العلماء بهم .

٤ - هو عبد الله بن سبأ اليهودي ، رأس الطائفة التي دعت ألوهية علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - . قيل أصله من اليمن ، كان يهوديا ، تظاهر بالإسلام ، رغبة في الطعن والنيل منه ، انظر ترجمته : أعلام الزركلي ٨٨/٤ .

٥ - ويفهم أنّ هذه هي فرقة الرافضة ، حسب التعريف الاصطلاحي الذي تقدم فقد كان هذا مبدأ مذهبهم وعقيدتهم في الصحابة ، الذي هو السب والشتم والتكفير والبراءة ، ثم كان ظهورهم باسم الرافضة على عهد الإمام زيد بن علي ، عندما رفضوه وتركوه لرفضه اتباع مذهبهم في البراءة من الشيخين كما طالبوه بذلك .

الفرقة الرابعة : **الشيعة الغلاة** : وهم عبارة عن القائلين بألوهية الأمير - كرّم الله وجهه. (١)

والذي يلاحظ : أنّ الشيخ في كتابه" *صبّ العذاب على من سبّ الأصحاب* " كان يرد عليهم تحت اسم الرافضة ، غير أنه لم يؤثر عنه تعريف مستقل لهذا اللفظ .

---

١ - انظر : مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٩ .

المبحث الثاني :

ردود الألوسي عليهم في أهم عقائدهم وبيان الحق في ذ لك :

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : رده على عقيدتهم في الخلافة والإمامة .

المطلب الثاني : رده على تد ينهم بالتقية .

المطلب الثالث : رده على عقيدتهم في المهدي .

المطلب الرابع : رده على موقفهم من القرآن الكريم .

المطلب الأول : رده على عقيدتهم في الخلافة والإمامة .

توطئة :

الإمامة والخلافة من أهم المسائل التي اعتنت بها الرافضة ، بل أهم الأسس التي تنبني عليها عقيدتهم . فقد اخترعوا قضية الإمامة ، وأوجبوها على الله ، ونصبوا لذلك شروطا لم يجعل الله لها من سلطان ، ورفعوا منزلة الإمام ، وساووه بالأنبياء المعصومين ، بل أكثر من ذلك ، نسبوا إليهم معرفة الغيب ، إلى غير ذلك من ترهاتهم وهذياناتهم. ووضعوا في سبيل تدعيم أقوالهم كتبا تحمل روايات موضوعة (١) ، ليفتروا على الله الكذب وهم يعلمون .

ومن أهم ما وضعوه في ذلك : جعل الإمامة ركنا من أركان الإسلام ، بل يأتي في مقدمتها ، فقد روى الكليني ، بسنده عن أبي جعفر قال :(بني الإسلام على خمس ، على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية ، فأخذ الناس بأربع ، وتركوا هذه - يعني الولاية) (٢) .

فمن اطلع على هذه الرواية - ممن لهم أدنى بصيرة فضلا عن العقلاء والعلماء - علم مدى اهتمام الرافضة بمسألة الإمامة ، ومنزلتها عندهم ، حيث إنّ راويهم أسقط الشهادتين من أركان الإسلام ، ووضع مكانهما الولاية ، وعدها من أعظم الأركان .

وهذا يكفي لكشف مدى خطورة هذه الفرقة على الدين الإسلامي ، الذي نسبوا إليه الكثير من المفتريات ، وهو منها بريئ . ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ (٣) .

---

١ - ككتاب الكافي للكليني ، الذي صنفه مؤلفه ، مضاهيا به " صحيح البخاري " . قال أحد أعيانهم عن هذا الكتاب : (كتاب الكافي في الحديث الذي لم يعمل الإمامية مثله) وقال آخر : (وقد جمع هذا الكتاب من الأحاديث الشرعية ، والأسرار الدينية ، ما لا يوجد في غيره) . انظر : الأصول من الكافي ٢٦/١-٢٧ .

٢ - الأصول من الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب دعائم الإسلام ١٨/٢ .

٣ - الآية (٤٢) من سورة ابراهيم .

فقد قيّض الله سبحانه وتعالى لهذا الدين، من يذبّ ويدافع عنه من خيار العلماء (١) يكشفون للناس زيغ أولئك القوم. ويردون ضلالاتهم وشبهاتهم.

والعلامة الألوسي - رحمه الله - أحد هؤلاء العلماء الذين لهم جهود جبارة في الكشف عن حقائق القوم، وافتراءاتهم على أهل البيت.

وهنا نكتفي بذكر بعض ردوده عليهم في أهم معتقداتهم (٢)، وذلك فيما يلي:

رده على عقيدتهم في الخلافة والإمامة:

تقدمت الإشارة إلى أنّ الرافضة وضعت للإمامة شروطا، وهي شروط قاسية، يستحيل تحقيقها وحصولها في غير أئمتهم، ووصفوهم بأوصاف (٣) تفوق ما اتصف به رسل الله عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ذكر الألوسي - رحمه الله - في التحفة لإثني عشرية قال: (اعلم أنّ القدر المشترك في جميع فرق الشيعة، المجمع عليه بينهم، إنّما هو: كون الأمير - رضي الله تعالى عنه - إماما بلا فصل، وإمامة الخلفاء الثلاثة باطلة، ولا أصل لها. وقد تبين بأوضح البيان، إبطال أهل السنة عليهم هذا القدر المشترك. (٤)

ثم ذكر - رحمه الله - ما استدلوا به على إثبات إمامة الأمير بلا فصل. (٥) ذكر منها:

---

١ - منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، بكتابه "منهاج السنة النبوية"، وتلميذه ابن القيم وغيرهما من جهابذة أهل السنة والجماعة.

٢ - وقد تقدم ذكر رد الشيخ على موقفهم من الصحابة، في الباب الثاني عند الكلام عن دفاعه عن أئمة السلف، وذلك في الفصل الثالث.

٣ - ومن تلك الأوصاف الوهمية، أنّ أئمتهم يعلمون متى يموتون، ولا يكون إلاّ باختيارهم، وفي ذلك يروي الكليني عن أبي عبد الله ما نصه: (أي إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير، فليس ذلك بحجة لله على خلقه) لأصول من الكافي ٢٥٨/١، كتاب الحجة، باب أنّ الأئمة يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلاّ باختيارهم. ومنها: أنّهم يعلمون علم ما كان وما يكون، يروي في ذلك الكليني عن أبي عبد الله أيضا قال: (إنّي لأعلم ما في السموات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون ...) الأصول من الكافي كتاب الحجة، باب أنّ الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون ... ٢٦١/١. إلى غير ذلك من الأوصاف التي يشمئز المؤمن من سماعها فضلا عن قراءتها.

٤ - مختصر التحفة الإثني عشرية ص ١٨٨

٥ - المصدر السابق ص ١٨٣.

١- استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصَّلَوٰة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ (١) .

بيان الألوسي لوجه استدلال الرافضة بهذه الآية :

قال : وتقرير استدلالهم لهذه الآية ، ما يقولون من أ نّ أهل التفسير أجمعوا على نزولها في حق الأمير (٢)، إذ أعطى السائل خاتمه في حال الركوع ، وكلمة (إ نّما) مفيدة الحصر ، ولفظ (الولي) بمعنى المتصرف في الأمور ، والظاهر أ نّ المراد ههنا التصرف العام في جميع المسلمين ، المساوي للإمام ، بقرينة ضم ولاية ا لله ورسوله ، فثبت إمامته ، وانتفت إمامة غيره للحصر المستفاد .(٣)

ثم أتى الألوسي ، بأجوبة مطولة من كلام أهل السنة ، منها :

أولا : النقض بأ نّ هذا الدليل كما يدل على نفي إمامة الأئمة المتقدمين - كما قرر - يدل كذ لك على سلب الإمامة عن الأئمة المتأخرين ، بذلك التقرير بعينه ، فلزم أنّ السبطين ومن بعدهما من الأئمة ، لم يكونوا أئمة ... الخ .

---

١ - الآ ية (٥٥) من سورة المائدة .

٢ - إ نّ دعوى ا لإجماع على نزول الآية في حق علي ، بجرد دعوى باطلة ، عارية من الدليل وا لبرهان ، حيث روى ابن جرير الطبري -رحمه ا لله- عن ابن اسحاق عن والده اسحاق بن يسار قال : أ نّها نزلت في عبادة بن الصامت - رضي ا لله عنه ، ببراءته من حلف بني قينقاع ، لما حاربوا رسول ا لله ﷺ ، فمشى إلى النبي ﷺ ، وخلع بني قينقاع ، وتبرأ إلى ا لله ورسوله من حلفهم وولايتهم ، ففيه نزلت الآية لأنه قال : أتولّى ا لله ورسوله والذين آمنوا . تفسير الطبري ٦/ ٢٨٧ . وقال الحافظ ابن كثير - رحمه ا لله - بعد استعراضه للآثار ا لتي رويت في ذلك قال : وليس يصح شيئ منها بالكلية ، لضعف أسا نيدها ، وجهالة رجالها ، ثم نقل عن الطبري أ نّ عبد الملك سأل أبا جعفر -رحمه ا لله - عن هذه الآية : من الذين آمنوا ؟ قال أبو جعفر : الذين آمنوا . قلنا : بلغنا أ نها نزلت في علي بن أبي طالب - رضي ا لله عنه - قال : عليٌّ من الذين آمنوا) تفسير ابن كثير ٢/٧٤ ، وتفسير الطبري ٦/ ٢٨٩ .

فإذا كان محمد الباقر - وهو حفيد علي بن أبي طالب ، يقول هذا ، فمن الفضول التزيد عليه ، بشهوة تحميل الآية ما لا يحتمله ، من تجريح خلافة المسلمين ، وإيذاء علي بن أبي طالب في إخوانه الذين عا ش ومات على محبتهم وولايتهم .

٣ - مختصر ا لتحفة ص ١٣٩- ١٤٠ .

ثانيا : أنّ ولاية الذين آمنوا ، غير مرادة في زمان الخطاب البتّة بالإجماع ، لأنّ زمن الخطاب عهد النبي ﷺ ، والإمامة نيابة للنبوة بعد موت النبي ﷺ ، فلما لم يكن زمن الخطاب مرادا ، لا بد أن يكون ما أريد به زمانا متأخراً عن موت النبي ﷺ ، ولا حد للتأخير، سواء كان بعد أربع سنين أو بعد أربع وعشرين ، فقام هذا الدليل في غير محل النزاع .(١).. الخ .

٢- قال الألوسي : (ومنها قوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلاّ المودّة في القربى ﴾ (٢) .

بيان الألوسي لوجه استدلال الرافضة بهذه الآية :

قال -رحمه الله - في بيان وجه استدلالهم بها : لما نزلت ، قالوا يا رسول الله ،من قرابتك الذين وجبت عينا مودّتهم ؟ قال : عليّ وفاطمة وأبناؤهما (٣) . فذكر الشيعة في تقديرها مقدمات فاسدة مؤيدة لمطلبهم ، وهي :

أهل البيت واجبوا المحبة ، وكل من كان كذلك فهو واجب الإطاعة ، فعليّ واجب الإطاعة ، وهو معنى الإمام ، وغيرعليّ لا تجب محبته فلا تجب إطاعته)(٤) .

ثم ذكر -رحمه الله - جوابا طويلا ، على هذا القياس الفاسد الكاسد . قال : (وأجيب عن هذا القياس، بأنّ المفسرين اختلفوا في المراد من هذه الآية ، اختلافا فاحشا . فالطبراني (٥) والإمام أحمد ، رويا عن ابن عباس هكذا ،ولكن ردهما المحدثون بأن سورة الشورى بتمامها مكيّة ، ولم يكن هنالك الإمامان الحسن والحسين ، وما كانت

---

١ - انظر : مختصر التحفة ص ١٤٠ -١٤٨ .

٢ - الآية (٢٣) من سورة الشورى .

٣ - قال الحافظ ابن كثير بعد ذكره لهذه الرواية : وهذا إسناد ضعيف ، فيه مبهم لا يعرف ، عن شيخ شيعي محترق ، وهو حسين الأشقر ، ولا يقبل خبره في هذا المحل) . تفسير ابن كثير ١٢٢/٤.

٤ - مختصر التحفة ص١٥٣ .

٥ - انظر : المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم الطبراني ٣٩/٣ ، ح (٢٦٤١) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، وقال : (رواه الطبراني وفيه جماعة ضعفاء وقد وثقوا) ١٦٨/٩ ، باب فضل أهل البيت رضي الله عنهم ، وذكره أيضا في ١٠٣/٧ .

فاطمة رضي الله عنها متزوجة بعليّ رضي الله تعالى عنه ، (١)، وقد وقع في سند هذه الرواية ، بعض الغلاة من الشيعة ، ولعله حرف ذلك . (٢)

والذي رواه البخاري عن ابن عباس ، أنّ القربى من بينه وبين النبي ﷺ قرابة (٣)، وجزم قتادة والسدي الكبير وسعيد بن جبير ،بأنّ معنى الآية : لا أسأ لكم على الدعوة والتبليغ من أجر إلاّ المودّة والمحبة ، لأجل قرابتي بكم ، وهذه الرواية أيضا ، في صحيح البخاري (٤) عن ابن عباس ، ومذكورة بالتفصيل أنّ قريشا لم يكن بطن من بطونهم ، إلاّ وقد كان للنبي ﷺ قرابة بهم ، فيذكرهم تلك القرابة وأداء حقوقها ، بطلبه منهم ، لا أقل من ترك إيذائه ، وهو أدنى مراتب صلة الرحم ، وقد ارتضى جمع من المفسرين المتأخرين هذا المعنى (٥) (٦)... الخ .

وعن مقدماتهم الثلاث الواهية التي بنوا عليها ريبتهم – مع علمهم بأنها أوهن من بيت العنكبوت – يقول الشيخ الألوسي : (لا نسلم الكبرى – أي المقدمة الكبرى – وهي : " كل واجب المحبة ، فهو واجب الإطاعة " وكذلك : " كل واجب الإطاعة صاحب الإمامة التي هي بمعنى الرياسة العامة " :

أما الأول ، فلأنه لو كان وجوب المحبة مستلزما لوجوب الإطاعة ، يلزم أن يكون جميع العلويين واجبي الإطاعة – وإن روى إجماعهم على وجوب محبة العلوية – .

---

١ – انظر نحوه في تفسير ابن كثير ٤ /١٢٢ .

٢ – انظر : هامش (٣) من الصفحة السابقة .

٣ – صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : ﴿ **إلاّ المودة في القربى** ﴾ ح(٤٨١٨) . انظر الصحيح مع فتح الباري ٥٦٤/٨ .

٤ – انظر : صحيح البخاري مع الفتح ٥٦٤/٨ ، ح (٤٨١٨) .

٥ – كابن كثير الذي يقول : (والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة ، وترجمان القرآن . عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، كما رواه عنه البخاري ، ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم ، واحترامهم وإكرامهم ، فإنهم من ذرية طاهرة ، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة ، كما كان عليه سلفهم ، كالعباس وبنيه ، وعليّ وأهل بيته ، وذريته رضي الله عنهم أجمعين) ١٢٢/٤ .

٦ – مختصر التحفة ص ١٥٣ -١٥٤ .

وأيضا يلزم أن تكون سيدتنا فاطمة رضي الله عنها إمامة ، بهذا الدليل ، وهو خلاف الإجماع .

وأيضا يلزم كون كل من هؤلاء الأربعة ، إماما في عهد النبي ﷺ ، والسبطين إمامين في زمن خلافة الأمير ، وهو باطل بالإتفاق .

وأما الثاني : فلأنّ كل واجب الإطاعة ، لو كان صاحب الخلافة الكبرى ، يلزم أن يكون كل نبي في زمنه ، صاحب الخلافة الكبرى ، وهذا أيضا باطل ، لأنّ شموئيل عليه السلام كان نبيا واجب الإطاعة ، وكان طالوت صاحب الزعامة الكبرى ، بنص الكتاب .(١)

ثالثا : لا نسلم انحصار وجوب المحبة في الأشخاص الأربعة المذكورين ، بل تجب في غيرهم أيضا . روى ابن عدي عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال : ((حب أبي بكر وعمر من الإيمان ، وبغضهم كفر))(٢) . وروى الترمذي أنه أوتي بجنازة رجل إلى رسول الله ﷺ فلم يصلّ عليه ، وقال : ((إنّه كان يبغض عثمان ، فأبغضه الله)) (٣) .

---

١ - يشير العلاّمة الألوسي إلى قوله تعالى :﴿ ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألاّ تقاتلوا قالوا وما لنا ألاّ نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولّوا إلاّ قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيّهم إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إنّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ﴾ الآيتان (٢٤٦،٢٤٧) من سورة البقرة . انظر تفسيرها : تفسير القرآن العظيم ٣٠٧/١ - ٣٠٨ .

وجاء في العهد القديم في صموئيل الأول . الإصحاح الثامن ، أنّ بني إسرائيل قالوا للصموئيل : (... فالآن اجعل لنا ملكا يقضي لنا كسائر الشعوب ... ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا ...) ص ٤٣٧- ٤٣٨ من الكتاب (المسمى لدى النصارى) بالمقدس .

٢ - الكامل في الضعفاء لابن عدي ٩٤٣/٣ . وانظر : كنز العمال ١١/ ٥٦٣ ، ح(٣٢٦٦٢ ، و ٥٧١/١١ ح (٣٢٧٠٣) .

٣ - سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في مناقب عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ح(٣٧٠٩) ٥/ ٦٣٠ قال الترمذي : (هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه ، ومحمد بن زياد صاحب ميمون بن مهران ضعيف في الحديث جدا) .

وهذه الروايات لم يسلمها الشيعة ، لكونها في كتب أهل السنة ، فيثبت وجوب محبة الخلفاء الثلاثة ، بقوله تعالى : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ (١)، فإنّه نزل في حق المقاتلين لأهل الردة بالإجماع ، والخلفاء الثلاثة كانوا سادة أولئك المجاهدين وقادتهم ، ومن كان الله يحبه ، فهو واجب المحبة .(٢)

ثم قال – رحمه الله – (اعلم أن الإمام بعد رسول الله ﷺ بلا فصل ، أبو بكر الصديق ، بإجماع أهل الإسلام ، وقد تفردت الشيعة بإنكار ذلك ، وقالوا : الإمامة كذلك لعلي –رضي الله عنه– وعند أهل الحق له بعد الثلاثة .(٣)

وأكتفي بهذا القدر من أدلة القوم ، فإنّ الشيخ – رحمه الله – قد سرد في التحفة كثيرا من أدلة الرافضة وشبههم ، وأجاب على كل دليل وشبهة بعد ذكرها ، وقد طوّل في ذلك بما لا يتسع له المكان .(٤)

رده على ما وضعوه شروطا للإمامة :

إنّ من بين الشروط التي وضعتها الرافضة لصحة الإمامة ، والتي لا بد من ظهورها وتحققها فيمن هو أهل لها ، ما ذكره الشيخ الألوسي – رحمه الله – ، فمنها :

الشرط الأول : أنّه لا يجوز للرعية إختيار إمام ، بل يجب أن يكون الإمام منصوصا عليه .

وأصل هذا الشرط : أنّ نصب الإمام واجب على الله ، وأصل هذا الأصل : أنّ بعث النبيّ واجب على الله ، وأنّ الرسول ﷺ ، نص على عليّ وأولاده .(٥) فهم الأئمة إلى أن تقوم الساعة .

وأجاب الشيخ الألوسي على هذه الدعوى بقوله : (اعلم أنّ الشيعة يعتقدون أنّ بعث الأنبياء واجب على الله تعالى ، ولا يليق ذالك بمرتبة الربوبية والألوهية ، فإنّ

---

١ – الآية (٥٤) من سورة المائدة .

٢ – انظر : مختصر التحفة ص١٥٤ –١٥٥ .

٣ – المرجع السابق ص ١٢٣ .

٤ – يراجع في ذلك : مختصر التحفة ص ١٣٨– ١٨٨ .

٥ – الأصول من الكافي ،كتاب التوحيد ، باب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة ٢٨٦/١ وما بعدها.

الله هو الحاكم الموجب على عباده ، فمن يحكم عليه بوجوب شيئ ؟ نعم ، تكليف العباد وبعثة الانبياء واقع حتما ، ولكن بمحض فضله وكرمه ، بحيث لو لم يفعل ذلك ؛ لم يكن لهم مجال شكاية ، فإذا فعل فهو عين فضله ومحض رحمته .

وهذا هو مذهب أهل السنة ، ولو كان بعث الأنبياء واجبا عليه تعالى ، لم يمتن ببعثهم في كثير من الآيات ، قال تعالى : ﴿ بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان ﴾(١)وقال تعالى : ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ (٢) وظاهر أنه ليس في أداء الواجب منّة ... ولا يعتقد أهل السنة وجوب شيئ على الباري تعالى) (٣).

ثم رد على إيجابهم كون الإمام منصوصا عليه بقوله : (الإمام لا يلزم أن يكون منصوصا من الباري تعالى ، لأنّ نصبه واجب على العباد ، فتعيين الرئيس مفوض إليهم ، وهو الأصلح لهم) (٤).

الشرط الثاني : العصمة .

ذكر العلاّمة الألوسي – رحمه الله – من بين ما اشترطه الرافضة في الإمام ، أنّهم يوجبون عصمة الأئمة ، ليتوصلوا إلى نفي الخلافة عن الخلفاء الثلاثة ، قالوا : (إنّ الإمام يجب أن يكون معصوما . وغير الأمير من الصحابة لم يكن معصوما ، فكان هو إماما لا غيره) (٥) .

قال الألوسي –رحمه الله – في رده على هذا الشرط : (وفي هذا الترتيب نظر ، يظهر لكل ذي نظر . وفيه بعد منع (٦). أما الصغرى ، فلأنّ الأمير نص بقوله : (إنّما الشورى للمهاجرين والأنصار) على أنّ الشورى لهم فقط . وبديهي أنّ الجماعة

---

١ – الآية (١٧) من سورة الحجرات .

٢ – الآية (١٦٤) من سورة آل عمران .

٣ – مختصر التحفة ص ٩٩ .

٤ – المرجع السابق ص ١٢٢ .

٥ – المرجع السابق ص ١٧٧ ، وصب العذاب على من سب الأصحاب ص ٣٦١ .

٦ – يريد بالمنع ، منع المقدمتين ، الصغرى والكبرى ، وأنهما باطلتان منقوضتان ، وقد فصل –رحمه الله تعالى – وجه ذلك في مختصر التحفة ص ١٧٧ – ١٨٠ .

الذين جعلهم المهاجرون والأنصار خلفاء ، لم يكونوا معصومين ، فعلم قطعاً أنّ العصمة ليست بشرط في الإمامة أصلا ، وأيضا لما سمع الأمير ما قال الخوارج (١) " لا إمرة " قال :" لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر " (٢) كذا في نهج البلاغة (٣) .)

قال: (وأيضا طريق العلم بالعصمة لغير النبي ﷺ مسدود (٤)، إذ أسباب العلم ثلاثة : الحواس السليمة ، والعقل ، والخبر الصادق ، ولا سبيل لأحد منها إلى تحصيله .

أما الأول : فظاهر، لأنّ العصمة ملكة نفسانية ، تمنع من صدور القبائح ، وهي غير محسوسة .

أما الثاني : فلأنّ العقل لا يدرك الملكة ، إلاّ بطريق الاستدلال بالآثار والأفعال ، وأين الاستقراء التام في هذا المقام (٥) سيّما مكنونات الضمائر ، من العقائد الفاسدة ، والبغض والعجب من الرياء ونحوها .

ولو فرضنا الإطلاع على عدم الصدور ، فأين الإطلاع على عدم إمكانه ؟ وهو المقصود .

أما الثالث : فلأنّ الخبر الصادق ، إما المتواتر ، أو خبر الله ورسوله . و ظاهر أنّ المتواتر لا دخل له ههنا ، اذ يشترط انتهاؤه إلى المحسوس في إفادة العلم ، ولا انتهاء ، إذ لا محسوس .(٦)

---

١ - الخوارج : هم الذين خرجوا عن طاعة أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - بعد قضية التحكيم . وقيل لهم فيما بعد : الحرورية ، والمحكمة ، والشراة ، والنواصب ، وهم فرق كثيرة ، يجمعهم القول بتكفير عثمان وعلي وأصحاب الجمل والحكمين ومن صوّ بهما أو رضي با لتحكيم . انظر :مقالات الإسلاميين ١/١٦٧ والفرق بين الفرق ص ٧٢ .

٢ - مختصر التحفة ص ١٧٨ ، وذكره في صب العذاب ص ٣٦١- ٣٦٢ . مختصرا .

٣ - نهج البلاغة ص ١٤٥ ، وتمامه : (لما سمعهم قالوا : لا حكم إلاّ لله ، قال : كلمة حق يراد بها باطل نعم لا حكم إلاّ لله ، لكن هؤلاء يقولون : لا إمرة إلاّ لله ، ولا بد للناس من أمير بر أو فاجر ، يعمل في إمرته المؤمن ، ويستمتع فيها الكافر) .

٤ - بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك في منهاج السنة النبوية ٦/ ٤٣٦ .

٥ - معنى ذلك أننا لم نستقرئ كل آثار الأئمة وأفعالهم حتى نستطيع الحكم على أنهم معصومون ، وخاصة ما في قلوبهم .

٦ - الإنتهاء إلى محسوس : أن يكون سند المخبرين في الأخبار هو الإحساس بالمخبر عنه ، أي إدراكه بإحدى الحواس الخمس ، وهو أحد الشروط في إفادة المتواتر . انظر : المستصفى للغزالي ١/١٣٤ .

وخبر الله ورسوله ،لا يكون موجبا للعلم هنا على أصول الشيعة ، لإمكان البداء (١) عندهم ، فيجوز أن يخبر في وقت بعصمة رجل ، ثم يفسّقه في وقت آخر .(٢)

ثم رد الشيخ على استدلالهم بقوله تعالى : ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ (٣) قال : (قالت الشيعة في تقرير الاستدلال بهذه الآية : إنّ المفسرين (أجمعوا) على نزول هذه الآية ، في حق عليّ وفاطمة والحسن والحسين -رضي الله عنهم (٤)، وهي تدل على عصمتهم دلالة مؤكدة ، وغير المعصوم لا يكون إماما .

ولا يخفى أنّ المقدمات المذكورة ههنا مخدوشة كلّها :

أما الأولى : فلكون (إجماع المفسرين) على ذلك ممنوعا ، روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنها نزلت في نساء النبيﷺ . وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق : إنّ قوله تعالى : ﴿ إنّما يريد الله ليذهب﴾ الآية نزلت في نساء النبيﷺ (٥) .

أما الثانية : فلأنّ (غيرالمعصوم لا يكون إماما) مقدمة باطلة ممنوعة ، يكذبها الكتاب وأقوال العترة . سلمنا ، ولكن ثبت من هذا الدليل صحة إمامة الأمير ، أما كونه إماما بلا فصل فمن أين ؟ إذ يجوز أنّ أحدا من السّبطين يكون إماما قبله ولا محذور فيه . والتمسك بالقاعدة التي لم يقل بها أحد ، دليل العجز ، إذ المعترض لا مذهب له) . (٦)

---

١ - البداء : أحد أهم عقائد الرافضة في الله تعالى،ومعناه : أنّ الله سبحانه وتعالى يبدو له غير الذي كان أراده . فيرجع عن إرادته إلى الذي بدى له من بعد . انظر : مختصر التحفة ص ٢١ ، ومقالات الإسلاميين ١/ ١١٣ .

٢ - صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

٣ - الآية (٣٣) من سورة الأحزاب .

٤ - ذكر الطبري في تفسيره ٢٢/٦ ، نزولها في أولئك ، لكن دون ذكر الإجماع على ذلك .

٥ - هذا قول ثابت فيمن نزلت فيهم الآية . وهو ينفي الإجماع المزعوم ذكره الطبري في تفسيره ٢٢/٨ . وانظر : مختصر التحفة ص ١٤٩ .

٦ - مختصر التحفة ص١٥٣ .

ومما يزعمه الرافضة في أئمتهم ، ما ذكره الشيخ في رده على قول الناظم الرافضي :

نحبه وحبه إيمان * وبغضه كفر وذا الميزان .

قال الألوسي : (أقول : هذا هو الذي تعلقوا به وتمسكوا ، في إنكار تعذيب الله من يشاء ، وإثابة من يشاء ، فقد قالت الإمامية (١) من الروافض : إنّ أحدنا لا يؤاخذ بصغير ولا كبير ، لا في القيامة ولا في القبر ، وحب علي كرّم الله وجهه ، كاف في الخلاص ، إذ لات حين مناص .

تبا لهم ، أولا يفقهون أنّ حب الله تعالى ورسوله ﷺ بلا إيمان ولا عمل غير كاف ، كما هو غير خاف ، وهذا في الأصل مأخوذ من قول اليهود ، حيث قالوا - كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله - : ﴿لن تمسّنا النار إلاّ أيّاما معدودات وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ (٢).

وأيضا إنّ حب الأمير ليس الإيمان كله ، وإلاّ لبطلت التكاليف ،ولا تمام(٣) المشترك ، لأنّ التوحيد و النبوة ، أقوى وأهم ، فهو جزء من أجزاء الإيمان ، فلا يكفي وحده لدخول الجنة .

وأيضا لا يدخل النار إلاّ مبغضوه ، يدل على أنه لا يدخل أحد من الكافرين الغير الباغضين ،كفرعون وهامان ، لأنّهم لم يعرفوا فلم يبغضوا . سبحانك هذا بهتان)(٤).

وهذا مجمل ما ذكره الشيخ الألوسي حول مسألة الإمامة عند الرافضة .

---

١ - الإمامية : سموا بذلك لقولهم بوجوب الإمامة ، وأنّ النبي ﷺ نص على استخلاف عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه . وهم فرقة من فرق الروافض . انظر : المقالات ٨٨/١ ، والفرق بين الفرق ص ٥٣ .

٢ الآية (٢٤، ٢٥) من سورة آل عمران .

٣ - أي إنّ حب الأمير ليس هو كل الإيمان ، ولا هو من الأصول التي يتم بها الإيمان ، بحيث إذا نقضت بطل الإيمان كله ، مثل التوحيد ، والنبوة ، واليوم الآخر ، وغير ذلك من العقائد الضرورية .

٤ - صب العذاب ص٢٦٤، ٢٦٥، ومختصر التحفة ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٨٤ .

المطلب الثاني :

رد العلاّمة الألوسي على تدينهم بالتقية :

التوطئة :

التقية من أهم العناصر التي يبني عليها الرافضة دينهم ، فهو رأس مال التشيع ، إذ لا قيام له بدونها ، وهي عندهم بمنزلة الرأس من الجسد .

وقد تمكنوا من خلالها من النجاة بمعتقدهم الفاسد أمام قوة الحق ، المحمول على ألسنة أهل السنة أصحاب المعتقد السليم ، وأتباع المنهج النبوي الصحيح .

وهذه التقية – حسب عرف الرافضة – قد صيّرت أصحابها أخس من المنافقين والزنادقة ، بل من سائر أهل الأديان الفاسدة .

فبإمكان السني أن يصبح المجوسي ، المظهر لدينه على الملاء ، معتقدا صحة ما هو عليه ، فمن اليسر أن يوقفه السني على حقيقة الأمر ، فيتفطن ويهتدي ، وهذا بعيد مناله من شيعي منافق يظهر لداعيه الوفاق ، وهو في نفسه كذاب أشر . وقد صدق فيهم قول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – إذ قال فيهم : (والنفاق والزندقة في الرافضة أكثر منه في سائر الطوائف ، بل لابد لكل منهم من شعبة نفاق ، فإنّ أساس النفاق الذي بني عليه الكذب ، أن يقول الرجل بلسانه ما ليس في قلبه . كما أخبر الله تعالى عن المنافقين أنّهم : ﴿ **يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم** ﴾ (١). والرافضة تجعل هذا من أصول دينها ، وتسمّيه التقية . وتحكي هذا عن أئمة أهل البيت الذين برّأهم الله عن ذلك ، حتى يحكوا عن جعفر الصادق ، أنه قال :(التقية من ديني ودين آبائي) .(٢)

وقد نزّه الله المؤمنين من أهل البيت وغيرهم عن ذلك ، بل كانوا من أعظم الناس صدقا وتحقيقا للإيمان ، وكان دينهم التقوى لا التقية ، وقوله تعالى : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاّ**

---

١ – الآية (١١) من سورة الفتح .

٢ – الأصول من الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب التقية ، وتمامه : (ولا إيمان لمن لا تقية له) ٢/٢١٩.

أن تتقوا منهم تقاة﴾ (١)، إنّما هو الأمر بالإتقاء من الكفار، لا الأمر بالنفاق والكـذب)(٢) انتهى .

ولعلماء الدين وأئمة الدعوة السلفية ،بجهود كبير في ردّ هذه الفرية ، وبيان بطلانها ، وتوضيح معنى التقية الصحيحة ، والمراد من الآية عند أهل السنة . وفي هذا المطلب ، نستعرض ما ذكره الشيخ الألوسي حول هذا الموضوع .

تعريف التقية :

أولا : التقية في اللغة :

من وقي وقاية ،أي صيانة، تقول: وقيت الشيئ أقيه : إذا صنته وسترته عن الأذى .

وقد يراد بها الحذر . تقول : وقيت واتقيت الشيئ أ تّقيه تقيّة : أي حذرته .(٣)

و لم أجد عن العلاّ مة الأ لوسي إشارة إلى هذا المعنى ا للغوي .

ثانيا : التقية في الاصطلاح :

أ– التقية في الاصطلاح الشيعي : أن يظهر الشخص خلاف ما يبطن .(٤)

أي أن معناها : النفاق والكذب . (٥)

ب– التقية في اصطلاح أهل السنة : المحافظة على النفس أو العرض أو المال من شر الأعداء . (٦)

وقد قسم الألوسي التقية إلى قسمين ، فقال : (والعدو قسمان : الأول : من كانت عداوته مبنية على اختلاف الدين ، كالكافر والمسلم . والثاني : من كانت عداوته مبنية على أغراض دنيوية ، كالمال والمتاع والملك والإمارة . ومن هنا صارت" التقية "

---

١ – الآية (٢٨) من سورة آل عمران .

٢ – منهاج ا لسنة النبوية ٢/٤٦– ٤٧ .

٣ انظر : القاموس المحيط ٤/٤٠٣ ، ومختار الصحاح ص٣٠٥ ، ولسان العرب ١٥/٤٠١–٤٠٢ . مادة " وقي".

٤ – منهاج ا لسنة النبوية ٦/٤٢١ .

٥ – صب العذاب ص ٣٨١ .

٦ – مختصر التحفة ص ٢٨٧ .

قسمين : **أما القسم الأول** : في العداوة المبنية على اختلاف الدين ، فالحكم الشرعي فيه ، أن كل مؤمن وقع في محل لا يمكن له أن يظهر دينه لتعرض المخالفين ، وجب عليه الهجرة إلى محل يقدر فيه على إظهار دينه ، ولا يجوز له أصلا ، أن يبقى هناك ، ويخفي دينه ، ويتشبث بعذر الاستضعاف . فإنّ أرض الله واسعة . نعم إن كان ممن له عذر شرعي في ترك الهجرة ، كالصبيان والنساء والعميان والمحبوسين ... فإنه يجوز له المكث مع المخالف ، والموافقة بقدر الضرورة ، (١) ويجب عليه أن يسعى في الحيلة للخروج والفرار بدينه ... الخ .

وأما القسم الثاني : في العداوة المبنية على الأعراض الدنيوية : فقد اختلف العلماء في وجوب الهجرة وعدمه ، فقال بعضهم : تجب لقوله تعالى : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ (٢) ، وبدليل النهي عن إضاعة المال .

وقال قوم : لا تجب ، إذ الهجرة عن ذلك المقام مصلحة من المصالح الدنيوية ، ولا يعود من تركها نقصان في الدين لاتحاد الملة ، وعدوه القوي المؤمن لا يتعرض له بالسوء من حيث هو مؤمن .

وقال بعضهم : الهجرة هنا قد تجب أيضا ، إذا خاف هلاك نفسه أو أقاربه أو هتك حرمته بالإفراط ، ولكن ليست عبادة وقربة حتى يترتب عليها الثواب ... الخ .

ثم ذكر -رحمه الله- من استدلالهم على وجوب التقية (٣): قوله تعالى : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاّ أن تتقوا منهم تقاة** ﴾ (٤) .

---

١ - وليكن في حسبانه أن الضرورة تقدر بقدرها .

٢ - الآية (١٩٥) من سورة البقرة .

٣ - وللتقية عند الرافضة ، منزلة عظيمة ومكانة مرموقة ، يتضح ذلك من خلال الروايات التي وضعوها في شأنها ومن ذلك :

أ - **أنهم** جعلوها تسعة أعشار الدين ، روى الكليني في الأصول من الكافي ٢/٢١٧ ، باب التقية ، عن ابن عمير الأعجمي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا عمر (إنّ تسعة أعشار الدين في التقية ، ولا دين لمن لا تقية له ، والتقية في كل شيء إلاّ في النبيذ والمسح على الخفين) .

ب - جعلوها أساس الدين ، ونفوا الدين عمن لا يقول بها : =

ومعنى الآ ية كما ذكره المفسرون ، هو ما روي عن ابن عباس والضحاك : أن التقية باللسان ، من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله ، فيتكلم به مخافة الناس ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، فإنّ ذ لك لايضره ، إ نّما التقية باللسان ، ولا يقتل ولا يأتي مأثما .(١)

وقال القرطبي : (والتقية لا تحل إلاّ مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم) (٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :(والتقية ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي ، فإ نّ هذا نفاق ، ولكن أفعل ما أقدر عليه) .(٣)

فالتقية في الإسلام رخصة عند الضرورة العارضة ، وهو ما يدل عليه هذه الآية : ﴿ **إلاّ أن تتقوا منهم تقاة** ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلاّ من أكره وقلبه**

= روى الكليني في أصول الكافي ٢/ ٢١٩ ، عن محمد بن خلاد قال : سألت أبا الحسن عليه السلام ، عن ا لقيام للولاة فقال : قال أبو جعفر عليه السلام : (ا لتقية ديني ودين آبا ئي ،ولا إيمان لمن لا تقية له)

وروى أيضا في أصول الكافي ٢/ ٢١٨ : عن أبي عبد ا لله عليه السلام قال : (اتقوا ا لله على دينكم واحجبوه بالتقية ، فإ نّه لا إيمان لمن لا تقية له) .

ج - **ويروي** أيضا في الكافي ٢١٨/٢ : عن أبي عبد ا لله عليه السلام قول ا لله عز وجل ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة** ﴾ الآية (٣٤) من سورة فصلت ، قال : الحسنة :التقية ، وا لسيئة : الإذاعة .وقوله عز وجل ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن** ﴾ الآية (٣٤) من سورة فصلت - قال: التي هي أحسن التقية) .

د- **جعلوها** مستمرة إلى خروج المهدي المنتظر (القائم) .

قال ا لقمي : (ا لتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج ا لقائم ، فمن تركها قبل خروجه ، فقد خرج عن دين الله تعالى ، وعن دين ا لإ مامية ، وخالف ا لله ورسوله والأ ئمة . انظر : الشيعة والسنة ص ١٥٧ .

هذه بعض الروايات الموضوعة المختلقة في شأن ا لتقية وا لتي تصور لنا حقيقة هذه ا لفرية في دين الرافضة .

٤ - الآية (٢٨) من سورة آل عمرا ن .

١ - انظر : جامع ا لبيان للطبري ٢٢٩/٣ ، والجامع للأ حكام القرآن للقرطبي ٤/ ٣٨ ، وتفسير القرآن ا لعظيم لابن كثير ١/ ٣٦٥ .

٢ - الجامع لأحكام القرآن ٣٨/٤ .

٣ - منهاج ا لسنة النبوية ٤٢٣/٦ .

٤ - الآية (٢٨) من سورة آل عمران .

مطمين بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ (١)

(٢) . ثم ينقل الألوسي- رحمة الله عليه- أبياتا للأخرس(٣) في ذم التقية الشيعية . قال فيها :

كتموا نفاقا دينهم ومخافة	*	فلو أستطيع ظهوره لاستظهروا
لا خير في دين يتاقون الورى	*	عنه من الإسلام أو يتستروا
ليس التقى هذى التقية إنما	*	هذا النفاق وما سواه المنكر
هم حرفوا كلم النبي وخالفوا	*	هم بدلوا الأحكام منه وغيروا
لو لم يكن سب الصحابة دينهم	*	لتهودوا من دينهم وتنصروا(٤)

كما نقل -رحمه الله - كلام بعض أئمة الإسلام في الروافض ، بشأن تقيتهم ، قال : لما سئل الإمام مالك -رحمه الله - عنهم قال:(لا تكلمهم ولا ترو عنهم ، فإنهم يكذبون)(٥) .

وقال حرملة :(٦) سمعت الشافعي يقول: (لم أرى أحدا أشهد بالزور من الرافضة)(٧)

وبهذا أختم هذا المطلب ، لأن الكلام في التقية طويل ، يضيق به المقام ، ولا يسعه إلا مصنف مستقل .

---

١ - الآية (١٠٦) من سورة النحل .

٢ - انظر مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة . ناصر بن عبد الله الغفاري ٣٣٠/١ .

٣ - هو عبد الغفار بن عبد الوحد بن وهب ، المشهور بالأخرس الموصلي البغدادي ، تتلمذ على الألوسي المفسر (الجد) ، وكان إليه النهاية في رقة الشعر ،وحسن العقيدة (ت١٢٩١هـ) الأعلام للزركلي ٣١/٤-٣٢ .

٤ - صب العذاب ص ٢٧٤ .

٥ - المرجع السابق ص٣٨٢ ، وكلام الإمام مالك - رحمه الله - أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ٥٩/١ .

٦ - هو حرملة بن يحي بن عبد الله التجيبي الزميلي ، أبو عبد الله المصري ، صاحب الإمام الشافعي . (ت٢٤٣هـ) . انظر : سير الأعلام ٣٨٩/١١ .

٧ - صب العذاب ص ٣٨٣ ، والأثر أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٤٥٧/٨ . وابن تيمية في منهاج السنة ٦٠/١ . والذهبي في سير الأعلام ٨٩/١٠ ، والقولان (قول مالك والشافعي) نقلهما الألوسي من المنتقى للذهبي ٢٣/١ .

المطلب الثالث :

رده على عقيدتهم في المهدي .

التوطئة :

المهدية والغيبة من العقائد الأساسية عند الرافضة ، وهي عبارة عن الإيمان بالإمام الخفي الغائب المنتظر. والفرق الشيعية تختلف فيما بينها في تعيين ذلك الإمام

قال الإمام السمعاني (١) في الأنساب : (ثم إنّهم في انتظارهم الإمام الذي انتظروه ، مختلفون اختلافا يلوح عليه حمق بليغ) (٢) .

فالسبئية : تزعم غيبة عليّ -رضي الله عنه - وأنه لم يقتل ولم يمت ، ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ، ويملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا) (٣).

والكيسانية الكربية : منهم من ذهب إلى أنّ الغائب هو محمد بن الحنفية ، وهو الذي تدّعي أنه إمامها ، قالوا : إنه حي لم يمت ، وهو في جبل رضوى بين مكة والمدينة ، عن يمينه أسد ، وعن يساره نمر ، موكلان به يحفظانه إلى أوان خروجه وقيامه ، وإنه المهدي المنتظر) (٤) .

أما عند الإثني عشرية : فالإمام الغائب والمهدي المنتظر عندهم ، شخصية خيالية مزعومة ، غابت بعد ولادتها - كما يزعمون - وهو من يسمونه " محمد بن الحسن العسكري " والإيمان بغيبته ومهديته من الأصول التي تشكل القاعدة التي تقوم عليها بنية التشيع عندهم .

---

١ - أبو المظفر السمعاني : هو الإمام مفتي خراسان ، شيخ الشافعية ، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني المروزي ، ولد سنة (٤٢٦هـ) ، له عدّة مصنفات ، منها : الاصطلام ، والبرهان ، والآمالي في الحديث ، وقد تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة ، وكان شوكا في أعين المخالفين ، وحجة لأهل السنة توفي سنة (٤٨٩هـ) عاش نحو (٦٣) سنة .انظر : السير ١٩/١١٤- ١١٩ ، وطبقات الشافعية ٥/٣٣٥ -٣٤٦ ، المنتظم ٩/١٠٢ ، والعبر ٢/٣٦١ .

٢ - الأنساب للسمعاني ١/ ٣٤٥ .

٣ - المقالات والفرق للقمي ص ١٩ ، ومقالات الإسلاميين ١/٨٦ .

٤ - مقالات الإسلاميين ١/٩٢ . الفرق بين الفرق ص ٣٩ .

فبعد وفاة الحسن العسكري - إمامهم الحادي عشر- سنة (٢٦٠هـ) ، لم يرى له خلف ، ولم يعرف له ولد ظاهر ،فاقتسم ما ظهر من ميراثه ، أخوه جعفر ، وأمه وهي أم ولد كان يقال لها عسفان . (١)

وبالنظر إلى عقيدة الرافضة نجد أن هذا ينقض معتقدهم ، بل يهدمه من أساسه ، إذ يقولون بأنه يجب أن لا تخلو الأرض من إمام لحظة واحدة ، ولو بقيت الأرض بغير إمام لساخت) (٢) .

ومن هنا حدث اضطرابهم في تدارك أمرهم للحفاظ على مبدئهم ، واختلفوا اختلافا كثيرا ،قال القمي :(إنّ أصحاب الحسن اختلفوا من بعده خمس عشرة فرقة)(٣).

فمنهم من ذهب إلى أنّ الحسن بن علي لم يمت ، وإنما غاب ، وهو القائم ، ولا يجوز أن يموت ، ولا ولد له ظاهر ، لأن الأرض لا تخلو من إمام (٤) فالمهدي عند هؤلاء هو الحسن العسكري .

وذهبت فرقة أخرى إلى الإقرار بموته ، وزعمت أنه حي بعد موته ، ولكنه غائب وسيظهر .(٥)

وذهبت أخرى إلى القطع بموت الحسن ، وأنه لا خلف له ، ولكن الله سيبعث قائما من آل محمد ممن قد مضى (٦) . إلى آخر هذياناتهم .

وأما الإثنا عشرية : فقد ذهبت إلى الخيال والزعم - كما تقدم - بأنّ للحسن العسكري ولدا ، أخفى مولده ، وستر أمره لصعوبة الوقت وشدة طلب السلطان له ، وأنه مأمور بذلك الاختفاء ، حتى يأذن الله له فيظهر ويعلن أمره ، كظهور من مضى قبله من آبائه . إذ الأمر لله تبارك وتعالى ، يفعل ما يشاء، ويأمر بما يريد ، من ظهور وخفاء ،

---

١ - المقالات والفرق للقمي ص ١٠٢ .

٢ - الأصول من الكافي ١٧٩/١ ، كتاب الحجة ، باب أن الأرض لا تخلو من حجة .

٣ - المقالات والفرق للقمي ص ١٠٢ .

٤ - المصدر السابق ص ١٠٦ .

٥ - نفس المصدر ص ١٠٧ .

٦ - نفس المصدر ص ١٠٨ .

ونطق وصموت ، كما أمر رسوله ﷺ في حال نبوته ، بترك إظهار أمره والسكوت والاختفاء من أعدائه والاستتار ... إلى أن أمره بالإعلان ، فصدع بأمره .(١)

وإلى ما تقدم ، يشير العلاّمة الألوسي ، بقوله :

(وأما إمامهم في كل عصر فهو رجل كثير الخوف ، يخشى من صفير الصافر ،(٢) وبزعمهم أنّ جميع الأئمة كانوا مغلوبين (٣)، يفترون على الله الكذب ، ولا يمكنهم إظهار الحق ، ويخشون من محبيهم الذين يصلّون عليهم في صلواتهم ، وأنّ خاتمتهم - كما زعموا- أشدهم جبنا وأكثرهم خوفا (٤) ، وقد اختفى لما خوّفه في صباه بعض الناس ، وأنه لا يظهر لأحبّائه ولا لأعدائه لمزيد خوفه ، وقد طالت مدة غيبته ، فتعطل بسببه الجهاد الذي هو ذروة الإسلام ، وكذا سائر الحدود وغالب الأحكام .

ومن الروافض من يزعم أنّ إمامه لا يجب عليه شيء ، وله أن يفعل ما يشاء ، وله أيضا إسقاط التكاليف ،ومنهم من يزعم أنّ إمامه يعلم الغيب (٥)، وأنّ موته باختياره(٦)وأنه يناجي ربه .

---

١ - نفس المصدر ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

٢ - الصافر : الصوت بالفم والشفتين . انظر: اللسان ٤/ ٤٦٠ .

٣ - قال الطوسي في كتابه "الغيبة" ص٦١ : (مما يقطع أنه سبب لغيبة الإمام ، هو خوفه على نفسه بالقتل بإخافة الظالمين إيّاه) وفي ص ١٩٩ قال : (لا علة تمنع من ظهوره إلاّ خوفه على نفسه من القتل) .
فيا سبحان الله من هذا التخبط ، حيث تقدم النقل من الأصول من الكافي ، أنّ الأئمة يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلاّ باختيارهم ، فمن كان هذا شأنه ، كيف يخاف من القتل أو الموت الذي له فيه خيار .

٤ - ويؤكد الطوسي ذلك بما ملخصه : (الفرق بين صاحب الزمان وآبائه ، أنّ آباءه كان سلاطين وقتهم ، يعلمون عنهم أنهم لا يرون الخروج عليهم ، فلا يهابونهم ، أما صاحب الزمان ، فإنه يقوم بالسيف ، ويقهر كل سلطان . فلذلك تجد الملوك تخافه فيتتبعونه ، فمن أجل هذا ، كان خاتم الأئمة يخاف على نفسه أكثر من آبائه) الغيبة ص ٢٠٠ .

٥ - وقد بوب الكليني في الكافي ، كتاب الحجة ، (باب نادر فيه ذكر الغيب) روى فيه بسنده عن معمر بن خلاد قال: سأل أبا الحسن عليه السلام رجل من أهل فارس فقال : (أتعلمون الغيب ؟ فقال : قال أبو جعفر عليه السلام يبسط لنا فنعلم ، ويقبض عنا فلا نعلم ، وقال : سرّ الله عز وجل أسرّه إلى جبريل عليه السلام ، وأسرّه جبريل إلى محمد ﷺ ، وأسرّه محمد إلى من شاء الله) ٢٥٦/١ ، قال المحقق الكذاب : أراد به أمير المؤمنين . هامش(١) وانظر ص ٢٥٧ نفس الجزء .

ولا شك أ نّ مثل هؤلاء الأئمة لم يوجد في زمان قط ، بل إنه موهوم محض) .(١)

أما مكان اختفائه ، فإنه مختلف فيه إلى أقوال عدة ، من ذلك ما أشار إليه الكليني في الكافي ، قال : (لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة ، ولا بد له في غيبته من عزلة ، ونعم المنزل الطيبة) .(٢) وبهذا يشير إلى ختبائه بالمدينة المنورة .

غير أ نّ أحاديثهم في الأدعية والزيارة لمقامات الأئمة تلوح إلى أنه مقيم بسرداب سامراء ، (٣) وذهب آخرون إلى أن غيبته في مكة (٤) ، أو بجبل رضوى الذي قالوا أن فيه اختفى محمد بن الحنفية . (٥)

وغير ذلك من الاختلافات ، ولا شك أن كثرة تلك الاختلافات دليل واضح على فساد المدّعى ، وأنه لا حقيقة لتلك الغيبة المزعومة .

رد الآلوسي – رحمه الله – على فرية اختفاء الإمام واستتاره خوفا .

قال : (لتخويف الموجب للاستتار إنّما هو إذا كان بالقتل ، وهذا لا يتصور في حق الأئمة ، لأ نّهم يموتون باختيارهم ، كما أ ثبت ذلك الكليني في الكافي ، وبوبه(٦)

... و أيضا إن كان (أي الاختفاء) واجباً للتخويف ، لزم ترك الواجب ، في حق الذين لم يكونوا كذلك كزكريا ويحي والحسين ، وإن لم يكن واجبا ؛ بأن كان مندوبا ، لزم على من اختفى ترك الواجب الذي هو التبليغ ؛ لأجل مندوب ، وهو فحش ...

---

٦ - تقدم نقل رواية الكليني في ذلك ص ٢٣٧ . وانظر الأصول من الكافي ، كتاب الحجة ، باب أ نّ الأئمة يعلمون متى يموتون ... ١/ ٢٥٨ ، ٢٦٠ .

١ - صب العذاب ص ٣٥٢ .

٢ - الأصول من الكافي ١/ ٣٤٠ .

٣ - بلد على دجلة فوق بغداد ، بثلاثين فرسخا ، اسمه : " سرّ من رأى " فخففها الناس إلى سامراء ، وفيها السرداب المعروف في جامعها الذي تزعم الشيعة أ نّ مهديهم يخرج منه . معجم البلدان ٣/ ١٧٣ .

٤ - الشيعة والتشيع ص ٣٥٤ .

٥ - نفس المرجع والصفحة .

٦ - ذكر ذلك في الأصول من الكافي ، كتاب الحجة ، باب أ ن الأئمة يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلاّ باختيارهم) ١/ ٢٥٨ . وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في ص ٢٣٧ .

وأيضا نقول : الاختفاء من القتل نفسه محال ، لأن موتهم باختيارهم ! وإن كان من خوف إيذاء البدن ،

يلزم أنّ الأئمة فروا من عبادة المجاهدة ،وتحمل المشاق في سبيل الله تعالى ، وهذا بعيد عنهم ، ومع هذا لا معنى لاختفاء صاحب الزمان بخصوصه ، فإنه يعلم باليقين أنه يعيش إلى نزول عيسى ، ولا يقدر أحد على قتله ، وأنه سيملك الأرض بحذافيرها ، فبأي شيئ يتخوف ويختفي ؟ (١)).

ثم قال : (ثم ما حكى من قصة الغار ، واستتار سيد الأبرار من خوف الكفار ، فكلام واقع في غير موقعه ، لأن استتاره ﷺ لم يكن لاخفاء دعوة النبوة ، بل كان من جنس التورية في الحرب ، لأجل أن الكفار لا يطلعون على مقصده ، ولا يصدون الطريق عليه ، وهذا أيضا كان ثلاثة أيام ، فقياس ما نحن فيه عليه ، غاية الحماقة والوقاحة ، ففرق واضح لا يخفى على من له أدنى عقل ، بين الاختفاء الذي كان مقدمة لظهور الدين والغلبة على الكافرين ، وبين الاختفاء الذي لازمه الخذلان ، وترك الدعوة ، وانتشار الطغيان) . (٢)

وهكذا دحض الألوسي - رحمه الله - مزاعم الرفضة ، في اختفاء مهديهم .

---

١ - مختصر التحفة ص ١١٧ -١١٨ .

٢ - المصدر السابق ص ١١٩ .

المطلب الرابع :

ردّ الألوسي على موقفهم من القرآن الكريم .

التوطئة :

يعتقد المسلمون بأن القرآن الكريم ، كتاب الله منزل على محمد ﷺ وأنه آخر الكتب السماوية نزولا، وهو الشاهد والدليل والحجة لهم في جميع شؤونهم ، نزل بلسان عربي مبين ، لا غموض فيه ، ولا تحريف ،وأنه كلام الله تكلم به بحرف وصوت، وأنه غير مخلوق .

وهذا مجمل معتقد أهل السنة في كتاب الله العظيم .

وقد كفى الله المؤمنين القتال ، إذ تكفل سبحانه وتعالى بحفظ هذا الكتاب ، من تلاعب الأيدي الخبيثة ، بالتحريف ومن الزيادة أو النقصان : ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ (١).

وأما عند الرافضة ، فنجد الأمر مغايراً لما عليه قول أهل السنة في القرآن ، فإذا نظرنا إلى اعتقادهم في حجية القرآن . نجدهم لا يرون حجيّته إلاّ بقيّم ، كما يروي الكليني ذلك في كافيه ، إذ يقول : (... إنّ القرآن لا يكون حجة إلاّ بقيّم ... وأنّ عليا كان قيّم القرآن ، وكانت طاعته مفترضة ، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله) .(٢)

وهذا يعني أنّ النص القرآني لا يمكن أن يحتج به ، إلاّ بالرجوع لقول الإمام ، فقوله أفصح من قول الرحمن .(٣)

كما أنّ الرافضة يعتقدون بأنّ للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر(٤) ، وبهذا الاعتقاد تمكنوا من الاستدلال على مذهبهم وأقوالهم الفاسدة في شتى معتقداتهم ، فيؤوّلون الآيات حسب هواهم . وقد أوّلوا مئات الآيات على غير تأويلها ، ونسبوها

---

١ - الآية (٩) من سورة الحجر .

٢ - الأصول من الكافي ١٨٨/١ ، كتاب الحجة ، باب فرض طاعة الأئمة .

٣ - أصول مذهب الشيعة ، ناصر الغفاري ١٢٨/١ .

٤ - المصدر السابق ١٥٠/١ .

للأئمة الإثني عشر ، روى الكليني عن محمد بن منصور قال : سألت عبدا صالحا (١) عن قول الله عز وجل : ﴿ قل إنّما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ (٢) قال: فقال : إنّ القرآن له ظهر وبطن ، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر ، والباطن من ذلك : أئمة الجور ، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الحق) (٣). وهذا التأويل لا أصل له من اللغة أوالعقل ، أو الدين.

ولا شك في أنّ للقرآن العظيم أسراره وإيماءاته وبلاغته وإعجازه ، لكن كل ذلك لا يخرج اللفظ فيه عن إطار المعنى العام ، ودعوى أولئك إن هي إلاّ محاولة للحصول على مساندة لآرائهم الواهية ، فيسمون تأويلاتهم قرآنا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله -:(من ادّعى علما باطنا أوعلما بباطن ، وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطأ ، إما ملحدا زنديقا ، وإما جاهلا ضالا... وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم ، فمثل ما يدعيه الباطنية (٤) القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية(٥) وأمثالهم ... وشر هؤلاء القرامطة ، فإنّهم يدّعون أنّ للقرآن والإسلام باطنا يخالف الظاهر ، فيقولون :" الصلاة "... معرفة أسرارنا ، و" الصّيام " كتمان أسرارنا ، "والحج" السفر إلى زيارة شيوخنا المقدسين ... وهؤلاء الباطنية قد يفسرون : ﴿وكل شيئ أحصيناه في إمام مبين﴾ (٦) أنه عليّ ... وقوله :﴿ فقاتلوا أيمة الكفر﴾ (٧)

---

١ - هو موسى الكاظم ، كما هو في هامش أصول الكافي ١/ ٣٧٤ .

٢ - الآية (٣٣) من سورة الأعرف .

٣ - الأصول من الكافي ١/ ٣٧٤ ،كتاب الحجة ، باب من ادّعى الإمامة ، وليس لها باهل .

٤ - الباطنية : هي فرقة من الفرق الضالة ، تنسب نفسها إلى الإسلام ، وهو منها بريئ عرفت باسم" اسماعيلية ." وسمية بالباطنية لزعمهم أن النصوص من الكتاب والسنة لها ظاهر وباطن ، وأن الظاهر بمنزلة القشور والباطن بمنزلة اللب . انظر : الفرق بين الفرق ص ٢٨١ ، ولوامع الأنوار البهية ٨٣/١ ، وفرق معاصرة للدكتور غالب عواجى ٢٨٢/١ .

٥ - النصيرية : طائفة من طوائف الباطنية الغالية تقوم دياناتهم على خليط عجيب ، من ديانات ومذاهب مختلفة ، وثنية وغيرها ، تنتسب إلى زعيمهم محمد بن نصير النميري . انظر : طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها ، سليمان الحلبي ص ٣٣ ، ٥٦ ، وفرق معاصرة ٣٢٤/١ .

٦ - الآية (١٢) من سورة يس .

٧ - الآية (١٢) من سورة التوبة .

أنهم طلحة والزبير،و ﴿الشجرة الملعونة في القرآن ﴾(١) بأنها بنوا أميّة) .(٢)

ومن أعظم ما افترته الشيعة في القرآن- الذي تكفّل رب العزة والجلال بحفظه -(٣) ادّعاؤهم وجود نقص فيه (٤).

قال ابن الأنباري(٥) : (لم يزل أهل الفضل والعقل يعرفون من شرف القرآن ، وعلو منزلته، ما يوجب الحق والانصاف والديانة. وينفون عنه قول المبطلين ، وتمويه الملحدين ، وتحريف الزائغين ، حتى نبغ في زماننا هذا زائغ ، زاغ عن الملة وهجم على الأمة . بما يحاول به إبطال الشريعة ، ...فزعم أنّ المصحف الذي جمعه عثمان -رضي الله عنه ... لا يشتمل على جميع القرآن ، إذ كان قد سقط منه خمسمائة حرف ... فمنها : (والعصر ونوائب الدهر) . فقد سقط من القرآن على جماعة المسلمين (نوائب الدهر)...وادعى أن عثمان والصحابة -رضي الله عنهم-زادو في القرآن ما ليس فيه.

فقرأ في صلاة الفرض والناس يسمعون (الله الواحد الصمد) فأسقط " قل هو" وغيّر لفظ " أحد" ، وادّعى أنّ هذا هو الصواب ...وسمعوه يقرأ ﴿ ولقد نصركم الله ببدر ﴾ (بسيف على) وأنتم أذلة) (٦) فزاد في الآية : بسيف على .

وقال أبو الحسن الأشعري : عن طائفة من الرافضة زعموا (أنّ القرآن قد نقص منه ، وأما الزيادة ، فذلك غير جائز أن يكون قد كان ، وكذلك لا يجوز أن يكون

---

١ -الآية (٦٠) من سورة الإسراء .

٢ - مجموع فتاوى ١٣/ ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨ .

٣ - قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ الآية (٩) من سورة الحجر . وقال تعالى : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ الآية ٤٢) من سورة فصلت .

٤ - ويلاحظ أن من فرق الشيعة من لا تقول بهذه الفرية . كالزيدية ، ومتقدمي الشيعة . انظر : أصول مذهب الشيعة ١/ ٢٠٠ .

٥ - هو محمد بن القاسم بن محمد أبو بكر الأنباري ، صدوق فاضل ، من أهل السنة ، له تصانيف في علوم القرآن (ت ٣٢٨) . تاريخ بغداد ٣/ ١٨١ - ١٨٦ .

٦ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٥٨-٥٩ .

قد غيّر منه شيء عما كان عليه ، فأما ذهاب كثير منه فقد ذهب كثير منه ، والإمام يحيط به علما) . (١)

هذا بعض ما ذكرته مصادر أهل السنة في نقص القرآن – المزعوم لدى الرافضة .

أما ما أوردته كتب الشيعة في نقص القرآن ، والتحريف فيه ، فكثير جدا ،بحيث لا تسع له هذه الرسالة فأكتفي بذكر بعض من ذلك (٢) :

أ – ما روا ه الكليني بسنده إلى سالم بن سلمة قال : (قرأ رجل على أبي عبد ا لله عليه السلام وأنا أسمع حروفا من القرآن ، ليس على ما يقرؤها الناس ، فقال ابو عبد ا لله عليه السلام : كفّ عن هذه القرآء ة ، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم ، (٣) فإذا قام القائم عليه السلام ، قرأ كتاب ا لله عز وجل على حده ، وأخرج المصحف الذي كتبه عليّ عليه السلام ، وقال: أخرجه عليّ عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه ، فقال لهم : هذا كتاب ا لله عزوجل كما أنزله ا لله على محمد ﷺ ، وقد جمعته من لوحين ، فقالوا : هو ذا عندنا مصحف جامع ، فيه القرآن لا حاجة لنا فيه ، فقال: أما وا لله ما ترونه بعد يومكم هذا أبدا ، إ نّما كان عليّ أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه) (٤) .

ب – وروى أيضا بسنده إلى أبي نصر قال: دفع إلي أبو الحسن عليه السلام مصحفا ، وقال: لا تنظر فيه ، ففتحته ، وقرأت فيه : ﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ فوجدت فيها اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم.قال: فبعث إليّ : ابعث إليّ المصحف)(٥).

إلى غير ذلك من الروايات .

---

١ – مقالات الإسلاميين ١/١١٩ – ١٢٠ .

٢ – انظر الأصول من الكافي ، كتاب الحجة ، با ب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ١/٤١٤ ، وما بعدها ، أرقام الروايات : ٨ ،٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ . و ٢/ ٦١٩ ، كتاب فضل ا لقرآن يرفع كما أنزل ، وبا ب ا لنوادر ٢/ ٦٢٧ وما بعدها برقم : ٢، ٤ ، ٣ ، ٢٣ ، ٢٨ . فكل هذه الروايا ت صريحة في ا لقول بهذه ا لفرية .

٣ – قال القمي : (إ نما سمي ا لقائم قائما : لأنه يقوم بعد ما يموت) المقالات والفرق ص ١٠٧ .

٤ – الأصول من الكافي ، كتاب فضل القرآن ، باب النوادر ٢/٦٣٣ .

٥ – المرجع السابق ٢/٦٣١ ، والروايات عنهم في وجود النقص في القرآن عديدة ، يراجع فيها الأرقام المذكورة في هامش (٢) من هذه الصفحة .وقد أشار الإمام الألوسي إلى هذه الروايات في صب العذاب ص٣٥٦ – ٣٥٨ .

ومما يدل على ثبوت قولهم ، ما تسرب منهم ، مما يسمونه سورة الولاية ، التي نشرها الشيخ محب الدين الخطيب ، في مختصر التحفة (١) .

ولا شك أن هذه السورة المختلقة ، تصل بنا إلى أهم الأسباب والدوافع التي جعلت الرافضة تقول بمقولة النقصان في القرآن الكريم ، ألا وهو : خلو كتاب الله تعالى مما يثبت بدعتهم في الإمامة والصحابة ، وغيرهما (٢).

تلك نبذة يسيرة عما تزعمه الشيعة في كتاب الله ، ﴿ يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (٣) .

فهذا كتاب الله ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (٤) بل قد تكفل الله بحفظه أن قيّض له من عباده من يذبون عنه ، ويدفعون تحريف الملحدين ، ويكشفون لعباده المؤمنين ، مفتريات الكفرة الأشرار ، الذين يحاولون النيل من شرف هذا الكتاب العظيم . لتكون في ذلك بداية نهاية هذه الأمة ، كما حدث للأمم قبلها .

فقد قام علماء أهل السنة - كما هو شأنهم - بالتصدّي لجميع مفتريات الرافضة . ولم يدعوا شبهة ، إلاّ كشفوها لأولي الأبصار من المؤمنين .

وكان العلاّمة الألوسي - رحمه الله - كغيره من العلماء إذ قام بإيضاح الكثير حول هذا المعتقد الشيعي ، والرّد على مطاعنهم في كتاب الله العزيز .

---

١ - انظر : مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٣١ ، قال الشيخ محب الدين الخطيب ، في تعليقه على سورة الولاية : سورة الولاية واردة في كتاب الطبرسي (فصل الخطاب) ص ١٨٠ ، وهو يقول :إنها ثابتة في كتابهم الفارسي (دبستان المذاهب) لمؤلفه حسين فاني الكشمير ، وهو مطبوع في إيران طبعات متعددة ، وقد نقل عنه هذه السورة ، العلاّمة نولد كه ، في كتاب : تاريخ المصاحف (١٠٢/٢) ، والجريدة الأسيوية الفرنسية سنة (١٨٤٢) ص ٤٣١- ٤٣٩) مختصر التحفة ص ٣٢ ، هامش (١) . وانظر صورة سورة الولاية ص٣١ مختصر التحفة .

٢ - انظر : أصول مذهب الشيعة ١/ ٢٩٩ .

٣ الآية (٨) من سورة الصف .

٤ - الآية (٤٢) من سورة فصلت .

ردّ الألوسي على هذه الفرية :

قال الألوسي -رحمه الله - (ومن مكايدهم أنهم يقولون : إنّ كبار أهل السنة وأئمتهم ، كأبي بكر وعمر وعثمان ، حرفوا القرآن ، وأسقطوا كثيرا من الآيات والسور التي نزلت في فضائل أهل البيت ، والأمر باتباعهم ، والنهي عن مخالفتهم ، وإيجاب محبتهم ، وأسماء أعدائهم ، والطعن فيهم واللعن عليهم ، فشق عليهم ذلك ، ونبض عرق الحسد منهم ، فتجاسروا على ذلك . ومن جملة ما أسقطوه : من سورة " **ألم نشرح** ": (وجعلنا عليا صهرك) ، وهو يدل على تخصيص علي بكونه صهراً دون عثمان. ومنها : (سورة الولاية) (١)، ويزعمون أنها سورة طويلة ، وقد ذكر فيها فضائل أهل البيت .

والجواب : (أنّ الله تعالى قد قال: ﴿ **إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون** ﴾(٢)، فما كان في حماية الباري ، عز اسمه ، كيف يمكن للبشر تنقيصه وتحريفه ، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم ، ونعوذ بالله من الشيطان الرجيم) (٣) .

ثم ذكر -رحمه الله - معتقد الرافضة في حجية القرآن الكريم فقال : (أما الكتاب فهو القرآن الكريم المنزل الذي لم يبق حقيقا بأن يستدل به - بزعمهم الفاسد - لأنه لا اعتماد على كونه قرآنا ، إلاّ إذا وجد بواسطة الإمام المعصوم ، وليس القرآن المأخوذ من الأئمة موجودا في أيديهم ، والقرآن المعروف غير معتدّ به عند أئمتهم بزعمهم ، وأنه لا يليق الاستدلال به لوجهين :

الأول : لما روى جماعة من الإمامية عن أئمتهم ، أنّ القرآن المنزل وقع فيه تحريف في كلماته عن مواضعها ، بل قد سقط منه بعض السور ، وترتيبه أيضا غير معتدّ به ،

---

١ - تقدم نقل ما جاء عنها ، عن محب الدين الخطيب ، قريبا .

٢ الآية (٩) من سورة الحجر .

٣ - مختصر التحفة ص ٣٠ - ٣٢ .

لكونه متغيرا عن أصله ، وما هو موجود الآن في أيدي المؤمنين ، هو مصحف عثمان الذي كتبه وأرسل منه سبع نسخ إلى أطراف العالم ، وألجأ الناس على قبوله وقراءته على ما رتبه ، وآذى من خالف ذ لك ، فلا يصح التمسك به ، ولا يعتمد على نظمه من العام والخاص والظاهر والنص ونحوها ...

والثاني : أنّ نقلة هذا القرآن، مثل ناقلي التوراة والإنجيل ، لأن بعضهم كانوا منافقين ، كالصحابة العظام –و العياذ با لله تعالى – وبعضهم كانوا مداهنين في الدين ، كعوام الصحابة ، فإنهم تبعوا رؤساءهم– أي بزعمهم في زخارف الدنيا، فارتدوا عن الدين كلهم إلاّ أربعة أو ستة (١)، فغيّروا كتاب ا لله تعالى ، فجعلوا مثلا مكان (من المرافق) ، ﴿إلى المراقف﴾ (٢) ومكان (أئمة هي أزكى) : ﴿أمة هى أربى من أمة﴾ (٣) . فكما أ نّ التوراة والإنجيل لا يعمل بهما أصلا ، فكذ لك القرآن ، وكما أ نّ التوراة والإنجيل نسخا بالقرآن المجيد ، فكذلك القرآن نسخت أشياء كثيرة منه ، ولا يعلم نواسخها إلا الأ ئمة الثلا ثة) (٤) .

وبعد ذكره – رحمه ا لله – لمعتقد الشيعة في القرآن الكريم ، أجاب بجواب مختصر فاصل ، قال : (إ نّ رسول ا لله ﷺ قال : ((إنّي تارك فيكم الثقلين ، فإن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب ا لله وعترتي أهل بيتي)) (٥).

وهذا الحديث ثابت عند الفريقين ، أهل السنة و الشيعة ، وقد علم منه أنّ رسول ا لله ﷺ أمرنا في مقدّما ت دينية ، والأحكام الشرعية ، بالتمسك بهذين الأمرين العظيمي القدر ، والرجوع إليهما في كل أمر ، فمن كان مذهبه مخالفا لهما في ا لأمور الشرعية ، اعتقادا وعملا، فهو ضال ، ومذهبه باطل وفاسد لا يعبأ به ، ومن جحد بهما فقد غوى ،

---

١ – تقدم بيان ذلك في موقف الرافضة من الصحابة .

٢ – الآية (٦) من سورة المائدة .

٣ – الآية (٩٢) من سورة النحل .

٤ – مختصر التحفة ص ٥٠ .

٥ – أخرجه الإمام احمد في مسنده ٣/ ١٤ ، ١٧ . وذكره الأ لباني في السلسلة الصحيحة ٣٥٥/٢ ، ح(١٧٦١) .

ووقع في مهاوى الرّدى ، وليس التمسك بهذين الحبلين المتينين إلاّ لأهل السنة ، لأن كتاب الله ساقط عند الشيعة عن درجة الاعتبار) (١) .

ثم سرد بعد ذلك روايات عن الكليني في نقصان القرآن (٢) .

وقال في محل آخر من التحفة ، عند ذكره للمطالب الإلهية ، قال : (منها : أنّ القرآن المجيد هو كلام الله ولم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا زيادة ولا نقصان قط ، ولم يكن لهذه الأمور إليه من سبيل أبدا ، وقالت الإثنا عشرية : ما هو موجود اليوم في أيدي المسلمين ، محرف مبدّل ومزاد فيه ومحذوف منه ، قال : وقد خالفوا في عقيدتهم هذه قول الله تعالى : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾(٤) وكل ما يكون الله حافظا له ، كيف يمكن تبديله وتغييره) (٥).

وبهذا القدر أختم هذا المطلب وهو كافي إن شاء الله لبيان فرية القوم في كتاب الله وردّ الشيخ الألوسي عليها .

---

١ - مختصر التحفة ص ٥٢ .

٢ - وقد تقدمت ذكر بعض هذه الروايات .

٣ - الآية (٤٢) من سورة فصلت .

٤ - الآية (٩) من سورة الحجر .

٥ - مختصر التحفة ص ٨٢ - ٨٣ .

الباب الرابع

جهود الألوسي في توضيح بعض مباحث توحيد العبادة :

وفيه فصلان :

الفصل الأول : تعريف العبادة ، وشروط صحتها ، مع ذكر الأدلة على استحقاق الله تعالى للعبادة بجميع أنواعها .

الفصل الثاني : ذكر بعض أنواع العبادة ، ورد شبه المبتدعة فيها .

الفصل الأول :

تعريف العبادة ، وشروط صحتها ، مع ذكر الأدلة التي تدل على استحقاق الله تعالى للعبادة بجميع أنواعها .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف العبادة وشروطها .

المبحث الثاني : تعريف توحيد العبادة ، مع بيان تضمنه لجميع أنواع التوحيد .

المبحث الثالث : ذكر بعض الأدلة التي تدل على استحقاق الله تعالى للعبادة بجميع أنواعها .

المبحث الأول :

تعريف العبادة وشروطها .

وتحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف العبادة في اللغة .

المطلب الثاني : تعريف العبادة في الإصطلاح .

المطلب الثالث : شروط صحة العبادة .

المطلب الأول :

تعريف العبادة في ا للغة :

العبادة في اللغة :مصدر مشتق من "عبد" ، تقول:عبد ا لله يعبده عبادة وعبوديّة ، تألّه له ...(١).

ومعنى العبادة والعبودية : الطاعة وغاية التذلل و لخضوع والانقياد ... (٢)

قال أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا :(٣)

(عبد يعبد عبادة ،لا يقال إلاّ لمن يعبد الله...ومنه تعبّد يتعبّد تعبّدا، فالمتعبّد: المتفرد بالعبادة...) (٤).

وقال الزبيدى (٥) : (العبادة : بكسر العين : الطاعة ...) (٦) .

وقال الجوهري : (العبادة : الطاعة ، و لتعبد : أي التنسك ...) .(٧)

قال الزجاج (٨) : (معنى العبادة في ا للغة : الطاعة مع الخضوع ... وقال في

---

١ - المحكم والمحيط الأعظم في ا للغة ، لعلي بن اسماعيل بن سيدة (ت ٤٥٨) ، بتحقيق : عبد الستار أحمد فراج ٢٠/٢ ، واللسان ٢٧٢/٣ ، مادة " عبد " .

٢ - تهذيب ا للغة للأزهري ٢٣٤/٢ ، واللسان ٢٧١/٣ ومفردات ألفاظ القرآن للراغب ٥٤٢ .

٣ - هو أحمد بن فارس بن زكريا ، أبو الحسين ا للغوي ، المحدث ، كان رأسا في الأدب ، بصيرا بفقه مالك ، مناظرا متكلما على طريقة الحق (أي على مذهب أهل الحديث) توفي - رحمه ا لله - (٣٩٥) . انظر : السير ١٠٤/١٧-١٠٥ ، والمنتظم ١٠٣/٧ ، وبغية الوعاة ٣٥٢/١ .

٤ - معجم مقاييس ا للغة ٢٠٥/٤-٢٠٦ .

٥ - هو محمد بن محمد بن عبد الرزاق ، الحسيني الزبيدي ، الملقب "بمرتضى" أبو الفيض ، لغوي ، نحوي ، محدث أصولي ، أديب ، ناظم ، ناثر ، مؤرخ ، نسابة ، مشارك في عدة علوم . أصله من واسط في العراق ... توفي بالطاعون في مصر في شعبان سنة (١٢٠٥) . من تصانيفه الكثيرة : تاج ا لعروس في شرح ا لقاموس ، روضة العطار ، في نسب السادة آل جعفر الطيار ، وإتحاف السادة المتقين ، في شرح إحياء علوم الدين ، وغيرها .انظر : معجم المؤلفين ٢٨٢/١١ ، والأعلام للزركلي ٢٩٧/٧-٢٩٨ ، وهدية العارفين ٣٤٧/٢ .

٦ - تاج ا لعروس ٣٣٠/٨ . وانظر القاموس المحيط للفيروز أبادي ٣٢٢/١ .

٧ - الصحاح ٥٠٣/٢ .

٨ - الزجاج : هو ابراهيم بن محمد بن السري ، أبو اسحاق البغدادي ، نحوي زمانه ، لزم المبرد . له تصانيف كثيرة ، منها : معاني القرآن ، الإنسان وأعضائه ، وغيرهما ، (ت ٣١١) . سير الأعلام ٣٦٠/١٤ ، وتهذيب الأسماء و للغات ١٧٠/٢ ، وتاريخ بغداد ٧٩/٦ ، ومعجم الأدباء ١٣٠/١ ، والنجوم الزاهرة ٢٠٨/٣ ، وبغية ا لوعاة ٤١١/١ ، ووفيات الأعيان ٤٩/١ .

شرح قوله تعالى : ﴿ إيّاك نعبد ﴾ (١) نطيع الطاعة التي نخضع معها ...(٢) .

وقال النحاس (٣) : (العبادة في ا للغة : الطاعة مع تذ لل وخضوع ...) (٤) .

وقيل : أصل العبودية : الخضوع والتذ لل ...) (٥فيقال : عبد ا لله يعبده عبادة ، إذا أطاعه وتأله له ، وذ لّ له أشد الذل) (٦). وفلان عابد : هو الخاضع لربّه المستسلم لقضائه ، المنقاد لأمره) (٧). ومنه سمي العبد عبدا ، لذ لته لمولاه ...) (٨).

ومنه قيل للطريق " معبد " أي مذلل بكثرة وطء الأقدام ، وللبعير " معبد" أي مذلل ، بالركوب عليه في الحوائج ...) (٩) .

تعريف العبادة في اللغة عند الإمام الآ لوسي - رحمه الله .

هذا المعنى الذي ذكرته علماء اللغة ، هو نفس المعنى الذي ذهب إليه أبو المعالى الألوسي في تعريفه للعبادة في اللغة ، حيث قال : (أما العبادة ، فهي في ا للغة : الذل والانقياد ...) (١٠) .

---

١ - الآية (٥) من سورة الفاتحة .

٢ - معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٨ .

٣ - النحاس : هو أحمد بن محمد بن اسماعيل أبو جعفر ا لنحا س المصري النحوي ، أخذ عن الزجاج . من تصا نيفه : إعراب ا لقرآن ، وكتاب المعاني ، والكافي ، وغيرها ، من التصا نيف (ت ٣٣٨) . معجم الأدباء ٤/٢٢٤ ، وإنباء الرواة ١/١٠١ ، ووفيات الأعيان ١/٩٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٥/٤٠١ ، والنجوم الزاهرة ٣/٣٣٠ ، وبغية الوعاة ١/١٥٧ .

٤ - معاني ا لقرآن ١/٦٤ .

٥ - لسان ا لعرب٣/٢٧١،وانظر:أسا س البلاغة،لجار ا لله الزمخشري ٢/٩٥ ، وشرح كتاب التوحيد ١/٤٥.

٦ - ا نظر : لسان ا لعرب ٣/٢٧٢ ، وكتاب الأفعال لابن ا لقطاع ٢/٣٣٧ .

٧ - تهذيب ا للغة للأزهري ٢/٢٣٦ ، وا للسان ٣/٢٧٣ -٢٧٤ .

٨ - تفسير ا لبغوي ١/٤١ ، وجامع ا لبيان للطبري ١/٥٣ ، والتفسير الكبير للرازي ١/ ٢٤٢ .

٩ - مختار الصحاح للرازي ص ١٧٢ ، وكتاب الأفعال لابن القطاع ٢/٣٣٧ ، والإشتقاق لابن دريد ١/١٠-١١ ، وجمهرة ا للغة ١/٢٤٥-٢٤٦ ، ومجموع فتاوى لابن تيمية ١٠/١٥٣ ، ومفردات ألفاظ ا لقرآن ص ٥٤٣ ، وترتيب القاموس المحيط ٣/١٣٧ ، والجواب الكافي لمن سأ ل عن الدواء الشافي ص٢٢٢- ٢٢٣ .

١٠ - غاية الأماني ١/٢٥٦ .

المطلب الثاني : تعريف العبادة في الاصطلاح :

لقد عرف في المطلب السابق أنّ معنى العبادة في اللغة : الطاعة مع غاية الحب وغاية الذل والخضوع . وفي هذا المطلب ، ألقي الضوء على معنى العبادة شرعا ، فأقول وبالله التوفيق : اختلفت عبارات العلماء - رحمهم الله تعالى - في تحديد المعنى الاصطلاحي للعبادة ، والمعنى واحد (١)، فتقيد بعضهم بالمعنى اللغوي المتقدم . فمن الذين تقيدوا بهذا المعنى :

١- الزمخشري (٢) ، حيث قال : (العبادة : أقصى غاية الخضوع والتذلل ...) (٣)

٢- الإمام القرطبي - رحمه الله - قال : (العبادة : الطاعة والتذلل ...) (٤) .

---

١ - انظر : مجموعة التوحيد النجدية ، للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ص ٢١٢ .

٢ - هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، أبو القاسم ، جار الله ، مفسر محدث ، متكلم ، نحوي ، لغوي ، بياني ، أديب ، ناظم ، ناثر ، مشارك في عدة علوم . ولد في زمخشر من قرى خوارزمي ، في رجب ... توفي بجرجانية خوارزمي ليلة عرفة ... سنة (٥٣٨) من تصانيفه الكثيرة : ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، ونمائق في غريب الحديث ، والمفصل في صنعة الإعراب ، والكشاف عن حقائق التنزيل ... وغيرها . انظر : تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٤٧-٤٩ ، ومعجم الأدباء ١٩/١٢٦ -١٣٥ ، والنجوم الزاهرة ٥/٢٨٤ ، وشذرات الذهب ٢/١١٨ -١١٩ ، ووفيات الأعيان ٥/١٦٨ -١٧٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/١٥١- ١٥٧ .

٣ - الكشاف عن حقائق التنزيل ، للزمخشري ١/ ١٠ -١١ .

٤ - الجامع لأحكام القرآن ١/١٠١ .

٣- وعرّفها الإمام البغوي (١) - رحمه الله - ، قال :

(العبادة : الطاعة مع التذلل والخضوع ... (٢)) .

٤- وقال الإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله : (العبادة ... في الشرع ، عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف...)(٣).

٥- وعرّفها بعض العلماء - رحمة الله عليهم : قالوا بأنّها :

(كمال الحب ، مع كمال الخضوع) .(٤)

٦- وقال بعضهم : (العبادة : هي الطاعة والانقياد والاعتراف بما للخالق على عبده من حقوق) (٥) .

أما العلماء الذين لم يتقيدوا بألفاظ أهل اللغة في تحديد معنى العبادة :

٧- فمنهم من عرف العبادة بأنها : (ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي ، ولا اقتضاء عقلي من أفعال العباد ، وأقوالهم المختصة بجلال الله وعظمته) .(٦)

٨- وعرّفها الإمام أبو المعالى الألوسي -رحمه الله - بقوله : (أما العبادة ... اصطلاحا : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ... -

ثم أخذ رحمه الله ، يسرد بعض أنواع العبادات القلبية والقولية والعملية والمالية (٧)- حيث قال : ... كالتوحيد ، فإنه عبادة في نفسه ، والصلاة والزكاة ، والحج ، وصيام رمضان ، والوضوء ، وصلة الأرحام ، وبر الوالدين ، والدعاء ، والذكر

---

١ - الإمام البغوي : هو الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء ، محي السنة ، أبو محمد البغوي الشافعي المفسر تفقه على شيخ الشافعية القاضي حسين بن محمد المروزي . من تصانيفه : شرح السنة ، ومعالم التنزيل ، والمصابيح ، وغيرها من المصنفات القيمة .انظر : وفيات الأعيان ١٣٦/٢ - ١٣٧، وسير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩ ، وطبقات السبكي ٧٥/٧ ، والنجوم الزاهرة ٢٢٣/٥ ، وشذرات الذهب ٤٨/٤ .

٢ - تفسير البغوي ١/ ٤١ .

٣ - تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٠ .

٤ - مجموعة التوحيد ، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ص ٢١٣ .

٥ - كيف السبيل إلى الله خير الدين الطلفاح ٥/٤ .

٦ - مجموعة التوحيد النجدية ص ٢١٣ ، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٥٠١/٥ .

٧ - انظر أنواع العبادات : دعوة التوحيد ، لمحمد خليل هراس ص ٤٠ .

والقراة ، وحب الله ، وخشية الله ، والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه ، وغير ذلك مما رضيه وأحبه ، فأمر به وتعبّد الناس فيه) (١).

والذي يظهر – والعلم عند الله – أ نّ هذا التعريف هو عين تعريف شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في كتبه لمعنى العبادة في الشرع ، حيث قال : (العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ...) (٢).

فمجموع هذه التعريفات ، يدور لفظ لعبادة فيها ، حول معنى الذل التام ، والخشوع والخضوع والانكسار الكامل لله عز وجل ، والالتزام بما شرعه سبحانه وتعالى ، والانتهاء عما نهى عنه تبارك وتعالى ، والتمسك بكل ما يرضي الله تعالى ، قولا وعملا وتركا .

وبالنظر في جميع هذه التعريفات ، نجد أ نّ التعريف الذي وافق فيه العلاّمة الألوسي -رحمه الله – شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – هو أولاها ، وأشملها ، إذ يدخل تحته جميع الأعمال التعبديّة ، الظاهرة منها ، كالصلاة والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ونحوها ، والباطنة : كالخوف والتوكل والرجاء والإنابة وغير ذلك من العبادات .

وقد اهتم أبو المعالي الألوسي – رحمه الله – بتعريف العبادة ، واعتنى بذاتها اعتناء فائقا ، إذ هي المقصود من خلق الجن والإنس ، قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون** ﴾ (٣) . (٤)

وتظهر أهمية معرفة معنى العبادة ، إذا عرفنا أ نّ جميع من عبد غير الله تعالى ، أو جلّهم ، إنّما عبدوهم لعدم فهمهم لمعنى العبادة ، وفق فهم أهل السنة والجماعة ، وأنّها حق الله تبارك وتعالى ، لا يجوز صرفها لغير الله تعالى ، بل يحرم ، كما وضح ذلك رسوله ﷺ في حديث معاذ بن جبل – رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

---

١ – غاية الأماني ١/٢٥٦ .

٢ – العبودية ص ٤ ، ومجموع فتاوى ١٠/ ١٤٩-١٥٠ .

٣ – الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

٤ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٧/ ١٨١ .

((يا معاذ بن جبل ، قلت : لبّيك وسعديك يا رسول الله ، قال : هل تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال: حق الله على عباده ، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، ثم سار ساعة ، ثم قال: يا معاذ بن جبل ، قلت : لبّيك يا رسول الله وسعديك ، قال: هل تدري ما حق العباد على الله ، إذا فعلوه ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : حق العباد على الله ، ألاّ يعذبهم)) (١).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : (والمراد هنا ، ما يستحقه الله تعالى على عباده ، مما جعله متحتما عليهم ، وألزمهم إيّاه بخطابه ...) (٢) .

فإذا كانت العبودية بهذه المثابة ، فهي جديرة بالاعتناء والتوضيح والبيان ، حتى يتجلى معناها على مراد رب العباد .

---

١ - تقدم تخريجه ص ١٨٥

٢ - فتح البارى شرح صحيح البخارى ٣٣٩/١١ .

المطلب الثالث :

شروط صحة العبادة :

تبين لنا في المطلب السابق ، أنّ لفظ العبادة ، يدور حول معنى الذل التام والخشوع والخضوع الكامل لله تعالى ، وفي هذا المطلب سوف نتعرّف على ما لا يتم هذه العبادة إلاّ به ، وأنّها لا تقبل من فاعلها مهما كان نوعها ، ومهما كانت صفتها ، حتى يتوفر فيها شرطان أو أصلان هامان ، فإن عدما أو أحدهما ، فلن تقبل من صاحبها ، بل يعتبر من الخاسرين ، الذين قال الحق تبارك وتعالى عنهم : ﴿ **قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا** ﴾ (١).

ولأهميّة هذين الأصلين ، وتحتم معرفتهما على كل مسلم ، فقد اهتمّ بهما علماء السلف قديما وحديثا .

والإمام الألوسي – رحمه الله – ممن اعتنى بهما ، حيث جاء عنه حول هذين الأمرين وأهميتهما ، في معرض رده على المبتدعة القبورية الذين زعموا أنّهم مخلصون في العبادة بدعوى المحبّة والتعظيم ، ومتبعون لسنة المصطفى ﷺ في طاعتهم لله تعالى ، ومحبّتهم له ، وتعظيمهم إيّاه ، قال – رحمه الله – : (إنّ هذا الذي يفعله عبّاد القبور من المقاصد والوسائل ، ليس بتعظيم ولا محبّة ، فإنّ التعظيم والمحبة ، محلّهما القلب واللسان والجوارح ، وهم أبعد الناس منه ، فالتعظيم والمحبة بالقلب : ما يتبع اعتقاد كونه رسولا من تقديم محبّته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين ، لحديث أنس بن مالك – رضي الله تعالى عنه– قال: قال رسول الله ﷺ :((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين)) (٢) . ويصدق هذه المحبة أمران :

(أحدهما : **تجريد التوحيد** ، فإنّه ﷺ ، كان أحرص الخلق على تجريده ، حتى قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات ... ونهى أن يقال : ما شاء الله وشاء

---

١ – الآية (١٠٣، ١٠٤) من سورة الكهف .

٢ – أخرجه البخاري ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ، ح (١٥) ١/ ٥٨ . صحيح البخاري مع الفتح .

فلان (١)، وعن الحلف بغير الله ، وأخبر أنّ ذلك شرك (٢) .

والثاني : **تجريد متابعته ﷺ** ، وتحكيمه وحده في الدقيق والجليل ، من أصول الدين وفروعه ، والرضا بحكمه ، والانقياد له والتسليم (٣) والاعراض عمن خالفه ، وعدم الالتفات إليه ، حتى يكون وحده الحاكم المتبع المقبول قوله ، كما كان ربّه تعالى وحده المعبود المألوه المخوف المرجى ، المستغاث به ، المتوكل عليه ...) (٤).

وقال-رحمه الله تعالى-أيضا: (من جمع أقوال مالك-رحمه الله -وأجوبته ، وضمّ بعضها إلى بعض ،ثم جمعها إلى أقوال السلف وأجوبتهم ، قطع بمرادهم ، وعلم نصيحتهم للأمة ، وتعظيمهم للرسول ﷺ ، وحرصهم على اتباعه ، وموافقتهم في تجريد التوحيد وقطع أسباب الشرك ،وبهذا جعلهم الله أئمة،وجعل لهم لسان صدق في الأمة ..) (٥).

وقد تضافرت الأدلة في الكتاب والسنة ، على هذين الشرطين ، فوردت نصوص كثيرة في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ ، تدل دلالة واضحة ، على وجوب إفراد الله وحده بالعبادة ، ونبذ الشرك ، وجاءت نصوص كثيرة تدل على وجوب متابعة رسول الله ﷺ ، والتمسك بسننه التي ليلها كنهارها ، لايزيغ عنها إلاّ هالك ، والسير على نهجه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

---

١ - ونص الحديث :((لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان)) . أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٨٤/٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ . ,أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الأدب ، باب لا يقال خبثت نفسي برقم (٤٩٨٠) ، وقال الإمام النووي : رواه أبو داود بإسناد صحيح - رياض الصالحين ص ٥٥٣ ح(١٧٥٤) ، باب كراهية قول : ما شاء الله وشاء فلان . والنسائي في عمل اليوم والليلة ، باب النهي أن يقال : ما شاء الله وشاء فلان ص ٥٤٤ ، ح (٩٨٥) .

٢ - يشير إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما ((من حلف بغير الله فقد أشرك))رواه أبو داود في سننه كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء ، برقم (٣٢٤٨) ٥٧٠/٣ ، والترمذي في سننه ،كتاب النذور والأيمان ، باب في كراهية الحلف بغير الله ، برقم (١٥٣٥) ١١٠/٤ ، وقال : هذا حديث حسن والإمام أحمد في المسند ٤٧/١ ، و٣٤/٢ ، ١٢٥ ، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٩٧ .

٣ - لعل الشيخ الألوسي - رحمه الله - يشير إلى قوله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلّموا تسليما ﴾ الآية (٦٥) من سورة النساء .

٤ - غاية الأماني ٢١٩/١ -٢٢٠ .

٥ - المصدر السابق ٢١٩/١ . وأصل الكلام للشيخ ابن عبد الهادي ، في الصارم المنكي ٣٤١- ٣٤٢ .

فمن أدلة الإخلاص من الكتاب :

١- قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾ (١) . قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : (أي فاعبد الله وحده لا شريك له ، وادع الخلق إلى ذلك . واعلمهم أنه لا تصلح العبادة ، إلاّ له وحده ، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد ...) (٢) .

٢- قال تعالى : ﴿ قل إنّي أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ﴾ (٣) .

وقال الحافظ أبو الفداء ابن كثير : (أي إنّما أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له) (٤).

٣- وقال جل ذكره : ﴿ قل الله أعبد مخلصا له ديني ﴾ (٥) .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : (طاعتي وعبادتي ...) (٦).

٤- قال تعالى : ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ﴾ (٧)

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - (أي فاخلصوا لله وحده العبادة والدعاء ، وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم ...) (٨).

وقال السعدي - عليه رحمة الله - : (أي اخلصوا لله تعالي ، في كل ما تدينونه به ، وتتقربون به ، (ولو كره الكافرون) لذلك ، فلا تبالوا بهم ، ولا يثنكم ذلك عن

---

١ - الآية (٢) من سورة الزمر .

٢ - تفسير ابن كثير ٤/٤٩ .

٣ - الآية (١١) من سورة الزمر .

٤ - تفسير ابن كثير ٤/٥٢ .

٥ - الآية (١٤) من سورة الزمر .

٦ - الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٥٨

٧ - الآية (١٤) من سورة غافر .

٨ - تفسير ابن كثير ٤/٨٠ .

دينكم ، ولا تأخذكم با لله لومة لائم ، فإنّ الكافرين يكرهون الإخلاص لله وحده ، غاية الكراهة ...) (١) .

٥- وقال جل ثناؤه : ﴿ إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ (٢) .

قال العلاّمة السعدي – رحمه ا لله -:(يخبر تعالى : أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدا من المخلوقين ، ويغفر ما دون ذ لك من الذنوب ، صغائرها وكبائرها ، وذ لك عند مشيئته مغفرة ذلك ، إذا اقتضت حكمته مغفرته ...) (٣).

٦ – وقال جل ذكره :﴿ لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرايل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ (٤).

قال السعدي : (إنّه من يشرك با لله) أحدا من المخلوقين ، لا عيسى ولا غيره(فقد حرم ا لله عليه الجنة ومأواه النار) وذ لك لأنه سوى الخلق بالخالق ، وصرف ما خلقه ا لله له – وهو العبادة– لغير من هي له ، فاستحق أن يخلد في النار ...) (٥).

ومن أدلة الإخلاص من السنة :

١– عن أبي هريرة –رضي ا لله عنه– قال: قال ﷺ : قال ا لله تبارك وتعالى : ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيرى تركته وشركه)) (٦).

---

١ – تيسير الكريم الرحمن ، في تفسير كلام المنان ٥١٤/٦ –٥١٥ .

٢ – الآية (٤٨) من سورة ا لنساء .

٣ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٨٠/٢ .

٤ – الآية (٧٢) من سورة المائدة .

٥ – تفسير ا لسعدي ٣٢٤/٢ .

٦ – رواه مسلم في صحيحه ٢٢٨٩/٤ باب من أشرك في عمله غير ا لله ، واللفظ له ، وأخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الزهد ، باب الرياء وا لسمعة ١٤٠٥/٢ ، ح(٤٢٠٢) ، وأخرجه المنذري في ا لترغيب وا لترهيب ٦٩/١ ، وا لبيهقي في الأسماء والصفات ص ٢١٣ ، وعند ابن ماجة (فأنا منه بريئ وهو للذي أشرك) .

٢- حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : من سمّع سمّع الله به ، ومن راءى راءى الله به)) (١). وغيرها من النصوص الدالة على وجوب إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له .

ومن أدلة المتابعة من الكتاب العزيز :

١- قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ٣١ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولّوا فإنّ الله لا يحب الكافرين ٣٢ ﴾(٢).

قال الحافظ ابن كثير : (هذه الآية - أي (٣١)- حاكمة على كل من ادّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمديّة . فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر ، حتى يتبع الشرع المحمدي ، والدين النبوي ، في جميع أقواله وأفعاله ...) وقال أيضا في الآية (٣٢) : (أي تخالفوا عن أمره ، ﴿ فإنّ الله لا يحب الكافرين ﴾ ، فدل على أنّ مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك ، وإن ادّعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه ،حتى يتابع الرسول النبي الأميّ ، خاتم الرسل ، ورسول الله إلى جميع الثقلين ، الجن والإنس ، الذي لو كان الأنبياء ، بل المرسلون بل أولوا العزم منهم في زمانه ، ما وسعهم إلاّ اتباعه ، والدخول في طاعته ، واتباع شريعته ...) (٣) .

٢- وقال تعالى : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب ﴾ (٤) .

قال العلاّمة السعدي . عن قوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ قال : وهذا شامل لأصول الدين وفروعه ، وظاهره وباطنه ، وأنّ ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد ، الأخذ به واتباعه ، ولا تحل مخالفته ...) (٥).

---

١ - صحيح مسلم ٢٢٨٩/٤ باب من أشرك في عمله غير الله .

٢ - الآية(٣١- ٣٢) من سورة آل عمران .

٣ - تفسير ابن كثير ٣٦٦/١ .

٤ - الآية (٧) من سورة الحشر .

٥ - تفسير السعدي ٣٣٢/٧-٣٣٣ .

٣- وقال تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (١) .

قال الإمام ابن كثير : (أي عن أمر رسول الله ﷺ ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسننه وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قبل ، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان ، كما ثبت في الصحيحين ، عن رسول الله ﷺ ...) (٢).

وأدلة المتابعة من السنة :

١- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)) (٣) واللفظ للإمام أحمد ، وعنها أيضا : أن رسول الله ﷺ قال: ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ)) (٤)، وهذا اللفظ لمسلم .

٢- حديث العرباض بن سارية -رضي الله تعالى عنه -قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، قلنا : يا رسول الله ، إنّ هذه لموعظة مودّع ، فماذا تعهد إلينا ؟ قال: قد تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلاّ هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بما عرفتم

---

١ - الآية (٦٣) من سورة النور .

٢ - تفسير ابن كثير ٣/ ٣١٨ -٣١٩ ، وسوف أذكر الحديث الذي استدل به الإمام ابن كثير - رحمه الله - في إثبات ذلك من الصحيحين ، وذلك عند إيراد أدلة السنة على وجوب متابعته صلوات الله وسلامه عليه .

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٣٠١/٥ ح (٢٦٩٧) . ومسلم ، باب نقض الأحكام الباطلة ، وردّ محدثات الأمور ٣/ ١٣٤٣ وأخرجه الإمام أحمد ٢٧٠/٦ وانظر : التمهيد لابن عبد البر ٦٦/٢ ، والسنن الكبرى للبيهقي ١١٩/١٠ وبالحديث الأول استدل الأمام ابن كثير على ثبوت وجوب المتابعة في السنة ، عند تفسيره لآية سورة النور السابقة .

٤ - أخرجه مسلم في صحيحه ، باب نقض الأحكام الباطلة ١٣٤٤/٣ ، والإمام أحمد في مسنده ١٤٦/٦ .

من سنّتي ، وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين ، وعليكم بالطاعة ، وإن عبدا حبشيا، عضوا عليها بالنواجذ ، فإنّما المؤمن كالجمل الأنف حيثما انقيد انقاد) (١).

وغير ذلك من النصوص الدالة على هذا الأصل العظيم . والمقصود أن إخلاص العمل لله تعالى ، ومتابعة رسوله ﷺ ، من أوجب الواجبات على العبد . ولا يستقيم دينه ولا يصلح حاله ، ولا يطيب مآله ، إلاّ إذا عض عليهما بنواجذه ، كما أخبرنا ﷺ .

وجاء عن الفضيل بن عياض - رحمه الله - بيان هذين الشرطين من خلال تفسيره لقول الله عز وجل : ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ (٢) قال -رحمه الله - (أخلصه وأصوبه ، قيل : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال: إنّ العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا ، لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص : أن يكون لله ، والصواب : أن يكون على سنة رسول الله ﷺ) . (٣)

وقال عبد العزيز الرشيد في قوله تبارك وتعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن﴾(٤) قال : (فقوله : ﴿ومن أسلم وجهه لله ﴾ ، إشارة إلى الإخلاص ، وقوله :﴿وهو محسن﴾ ، إشارة إلى المتابعة) (٥).

---

١ - أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب لزوم السنة ، ح(٤٦٠٩) ، ٥/١٣ -١٥ . والترمذي كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، ح (٢٦٧٦) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٥/٤٥ ، وابن ماجة في سننه ، المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، ح(٤٣)١/١٦ وفي رواية أبي داود : ((وإياكم ومحدثات الأمور ، فإنّ كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)) ٥/٥١. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/١٢٦ -١٢٧ ، والدارمي ١/٤٤ .

٢ - الآية (٢) من سورة الملك .

٣ - انظر : شعب الإيمان ١٢/٢٣٦ ، مجموع فتاوى ١٠/١٧٣- ١٧٤ ، والتنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص ١٠٩ ، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ٣/٤٠٤ .

٤ - الآية (١١٢) من سورة البقرة .

٥ - التنبيهات السنيّة ص ١٠٩ .

المبحث الثاني :

تعريف توحيد العبادة ، وبيا ن تضمنه لجميع أنوا ع التوحيد

وفيه ثلا ثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف توحيد العبادة في ا للغة .

المطلب الثاني : تعريف توحيد العبادة في ا لشرع .

المطلب الثالث : بيان تضمنه لجميع أنوا ع التوحيد .

المطلب الأول :

تعريف توحيد العبادة في اللغة :

وقبل ذكر تعريف توحيد العبادة ، يجدر بي بيان معنى " التوحيد " قبل إضافة " العبادة " إليه ، فأقول - مستمداً العون من الله تعالى ، إنه خير مستعان - :

كلمة التوحيد في اللغة : مصدر: وحد يوحد توحيدا ، ومادة وحّد تدور في اللغة حول انفراد الشيء بذاته وبصفاته وبأفعاله ، وعدم وجود نظير له ، فيما هو واحد فيه...)(١).

المطلب الثاني : تعريف التوحيد في الشرع :

بعد أن علمنا أنّ معنى التوحيد في اللغة يدور حول انفراد الشيء بما هو واحد فيه ، فهو في الشرع : إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ، ذاتا وصفات وأفعالا ...) . (٢)

فتوحيد الله معناه : اعتقاد أنه إله واحد ، لا شريك له ، ونفي المثل والنظير عنه والتوجه إليه وحده بالعبادة ...) (٣).

وأما معناه عند الإضافة : فيقول العلامة أبو المعالي- رحمه الله-:(أما توحيد الإلهية : فهو إفراد العبادة لله الواحد الصمد ...) (٤).

وقال - رحمه الله - في معرض بيانه لعقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله -: (وأما توحيد العبادة و الإلهية : فلا خلاف بين أهل الإسلام فيما قاله الشيخ ، وثبت عنه من المعتقد الذي دعا إليه . ويوضح ذلك أن أصل الإسلام " شهادة أن لا إله إلاّ الله " وهي أصل الإيمان بالله وحده ...ومدلوله : وجوب عبادة الله وحده لا شريك له ، والبراءة من عبادة سواه كائنا من كان ...) (٥) .

وقيل هو إفراد الله سبحانه وتعالى ، بجميع أنواع العبادة ...)(٦) .

---

١ - انظر : معجم مقاييس اللغة ٦/٩٠ ، والمفردات للراغب ص ٨٥٧ ، والصحاح ٢/٥٤٧ ، والقاموس المحيط ١/٣٥٦ ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٥/١٦٩ .

٢ - انظر لوامع الأنوار - للسفاريني ١/٥٧ ، والتنبيهات السنية ص ٩ .

٣ - دعوة التوحيد ، محمد خليل هراس ص ٧ .

٤ - فتح المنان تتمة منهاج التأسيس والتقديس ، رد صلح الإخوان ص ٤٥١ .

٥ - تاريخ نجد ، للآلوسي ٧٧ -٧٨ .

٦ - مجموعة التوحيد النجدية ص ٢١٤ .

وبهذا يتضح أنّ الإمام الألوسي - رحمه الله - قد وافق أئمة الدعوة ، في تعريفهم لهذا النوع من التوحيد ، الذي يقال له :" توحيد الإلهية " لأ نّ الإلهية وصفه تعالى الذي ينبغي أن يؤمن به كل بني آدم ، ويوقنوا أنه الوصف الملازم له سبحانه ، الدال عليه الاسم العظيم ، وهو " الله " وهو مستلزم جميع صفات الكمال . كما يقال له : " توحيد العبادة " ، باعتبار وجوب ملازمة وصف العبودية بكل معانيها للعبد بصفة الملازمة له من مقتضيات العبودية للربوبية ؛ بإخلاص العبادة لله تعالى ، وتحقيقها في العبد : أن يكون عارفا بربه ، مخلصا له جميع عباداته ، محققا ذلك بترك الشرك ، صغيره وكبيره ، وباتباع النبيﷺ ظاهرا وباطنا ، والبراء من كل بدعة وضلالة ، ، والحب في الله والبغض في الله ...) (١) . قال تعالى على لسان خليله عليه السلام : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾(٢).

قال الإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - :(يعني قد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ، ما دمتم على كفركم ، فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له ، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد)(٣).

فإذا آمنتم بالله وحده ، وأفردتم جميع أنواع العبادات له وحده لا شريك له ، زالت العداوة والبغضاء ، وانقلبت مودة وولاية ...) (٤) .

---

١ - القواعد الحسان لتفسير القرآن ، عبد الرحمن السعدي ص ١٩٢ -١٩٣ .

٢ - الآية (٤) من سورة الممتحنة .

٣ - تفسير القرآن العظيم ٤/٣٧٢ .

٤ - انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٧/٣٥٢ .

المطلب الثالث :

بيان تضمنه لجميع أنواع التوحيد :

تقدم أن ذكرت معنى توحيد العبادة ، في اللغة والشرع ، وأنه يسمّى أيضا "توحيد الألوهية" . ففي هذا المطلب ، أوضح تضمنه لبقية أنواع التوحيد .

قال الشيخ عبد اللطيف ، في كتابه "*منهاج التأسيس والتقديس*" نقلا عن شيخ الإسلام -رحمة الله تعالى عليهم - : (التوحيد الذي جاءت به الرسل إنّما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده ، بأن يشهد أن لاإله إلاّ الله ، ولا يتوكل إلاّ عليه ، ولا يوالي إلاّ هو ، ولا يعادي إلاّ فيه ، ولا يعمل إلاّ لأجله . وذلك يتضمن ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات . قال تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنّما هو إله واحد فإيّاي فارهبون ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنّما حسابه عند ربه إنّه لا يفلح الكافرون ﴾ (٣) .

وأخبر عن كل نبي من الأنبياء أنّهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له . وقال: ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا براءؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ (٤). وقال عن المشركين : ﴿ إنّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلاّ الله يستكبرون ٣٥ ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ٣٦ ﴾ (٥). وهذا في القرآن كثير .

---

١ - الآية (١٦٣) من سورة البقرة .

٢ - الآية (٥١) من سورة النحل .

٣ الآية (١١٧) من سورة المؤمنون .

٤ - الآية (٤) من سورة الممتحنة .

٥ - الآية (٣٥، ٣٦) من سورة الصافات .

وليس المراد بالتوحيد ، مجرد توحيد الربوبية ، وهو اعتقاد أن ا لله وحده خالق العالم ، كما يظن ذ لك من يظنه من أهل الكلام والتصوف . ويظن هؤلاء أنّهم إذا أثبتو ا ذلك بالدليل ، فقد أثبتوا غاية التوحيد ، وأنّهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه ، فقد فنوا في غاية التوحيد ، فإنّ الرجل لو أقرّ بما يستحقه الرب من الصفات ، ونزّهه عن كل ما يتنزه عنه ،وأقر بأنه وحده خالق كل شيئ ، لم يكن موحدا حتى يشهد أن لا إله إلاّ ا لله ، فيقر بأ نّ ا لله وحده هو الإله المستحق للعبادة ، ويلتزم بعبادة ا لله وحده لا شريك له . والإله : هو المألوه المعبود الذي يستحق جميع العبادة ...) (١)، إذ هذا التوحيد (أي توحيد العبادة والإلهية) هو الفارق بين الموحدين والمشركين ، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة ، فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين ، فإنّ ا لله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذ لك لمن يشاء ...) (٢).

---

١ - انظر : منهاج التأسيس وا لتقديس ص ٣٦٤ ، ومنهاج السنة ٨٩/٣ ، ٢٩٢ ، ونحوه في مجموع فتاوى ٢٨٣/١٠- ٢٨٤ ، وإغاثة ا للهفان ١/ ٣٠ .

٢ - مجموع فتاوى ٣٧٠/١٤ - ٣٧١ .

المبحث الثالث :

ذكر الأدلة التي تدل على استحقاق الله تعالى للعبادة بجميع أنواعها :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة من الآيات القرآنية .

المطلب الثاني : الأدلة من السنة النبوية المطهرة .

التوطئة :

إنّ استحقاق الله سبحانه وتعالى لجميع أنواع العبادات ، أمر لا يحتاج إلى حشد كثير من الأدلة والبراهين والحجج ، إذ ما من مخلوق من مخلوقات الله تعالى ، إلاّ ويدل دلالة واضحة وقاطعة على أنّ الله سبحانه وتعالى ، هو المتفرد بخلقه وإيجاده ، بأن أسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة ، ابتداء من خلقه وإيجاده .

فالمتفرد بذلك ، المتصف بصفات الكمال، هو المستحق لأن يعبد ، دون من سواه . ولكن لما فسدت فطرة بعض الناس ، وخرجت عن فطريّتها وجبلّتها - وذلك بصرف هذه العبادات لغيره سبحانه وتعالى - احتجنا إلى ذكر شيء منها .

المطلب الأول : الأدلة من الآيات القرآنية :

وفي ذكر تلك الأدلة من الآيات القرآنيّة على استحقاق رب العباد لجميع أنواع العبادات ، يقول الألوسي - رحمه الله- بعد أن ذكر بعض الآيات الآتية ، نقلا عن الحافظ ابن كثير - رحمه الله- قال : (الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة)(١) (٢).

منها :

١- قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربّكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتقون ۝ الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلون ۝ ﴾ (٣) .

وجاء نص كلام ابن كثير بعد هاتين الآيتين ، وآية سورة غافر (٤)، حيث قال : (ومضمونه أنه الخالق الرازق ، مالك الدار وساكنيها ، ورازقهم ، فبهذا استحق أن يعبد وحده ،ولا يشرك به غيره ، ولهذا قال :﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون (٥)﴾ (٦) .

٢- قال الله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ۝ فذلكم الله ربّكم الحقّ فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال فأنّى تصرفون ۝ ﴾ (٧)

---

١ - انظر : غاية الأماني ٢/٧١ .

٢ - سيأتي نقل نص كلام ابن كثير إن شاء الله .

٣ - الآيتان (٢١ ، ٢٢) من سورة البقرة .

٤ - وهي قوله عز من قائل : ﴿ الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العلمين ﴾ الآية (٦٤) من سورة غافر .

٥ - الآية (٢٢) من سورة البقرة .

٦ - انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٦٠ .

٧ - الآيتان (٣١،٣٢) من سورة يونس .

قال الحافظ ابن كثير :(يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيّته ، على وحدانية إلهيّته ، فقال : ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾ أي من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر ، فيشق الأرض شقا بقدرته ومشيئته ، فيخرج منها ﴿حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا وفاكهة وأبّا﴾ (١) . وقوله : ﴿أمن يملك السمع والأبصار﴾ أي الذي وهبكم هذه القوة السّامعة ، والقوة الباصرة ، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إيّاها . وقوله : ﴿ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى﴾ أي بقدرته العظيمة ، ومنته العميمة . وقوله : ﴿ومن يدبر الأمر﴾ أي من بيده ملكوت كل شيئ وهو يجير ولا يجار عليه ، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، ولا يسئل عما يفعل وهم يسألون ، فالملك كله العلوي والسفلي ، وما فيهما من ملائكة وإنس وجان ، فقيرون إليه ، عبيد له ، خاضعون لديه . وقوله :﴿ فسيقولون الله﴾ أي وهم يعلمون ذ لك ويعترفون به . ﴿فقل أفلا تتقون﴾ أي أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم ، وقوله :﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ أي فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذ لك كله هو ربّكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة . ﴿ فماذا بعد الحق إلاّ الضلال﴾ أي فكل معبود سواه باطل ، لا إله إلاّ هو واحد لا شريك له ، ﴿ فأنّى تصرفون ﴾أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه ، وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيئ، والمتصرف في كل شيئ) (٢).

٣- قال تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم ﴾ (٣)

قال السعدي-رحمه ا لله -:(يخبرتعالى -وهو أصدق القائلين - أ نّه إله واحد أي: متوحد متفرد في ذاته ، وأسمائه وصفاته ، وأفعاله .

---

١ - الآيات (٢٧- ٣١) من سورة عبس .

٢ - تفسير ا لقرآن العظيم ٢/٤٣١-٤٣٢ .

٣ - الآية (١٦٣) من سورة البقرة .

فليس له شريك في ذاته ، ولا سمي له ولا كفو له ، ولا مثل ، ولا نظير ولا خالق ولا مدبر غيره . فإذا كان كذلك ، فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة ، ولا يشرك به أحد من خلقه ، لأنه -الرحمن الرحيم - المتصف بالرحمة العظيمة ، التي لا يماثلها رحمة أحد ، فقد وسعت كل شيئ ، وعمّت كل حيّ ...- إلى أن قال -: فإذا علم أنّ ما بالعباد من نعمة ، فمن الله ، وأنّ أحدا من المخلوقين ، لا ينفع أحدا ، علم أنّ الله هو المستحق لجميع أنواع العبادة ، وأن يفرد بالمحبة والخوف ، والرجاء والتعظيم ، والتوكل ، وغير ذلك من أنواع الطاعات .

وأنّ من أظلم الظلم ، وأقبح القبيح ، أن يعدل عن عبادته إلى عبادة العبيد ، وأن يشرك المخلوقين من تراب ، برب الأرباب ، أو يعبد المخلوق المدبر العاجز من جميع الوجوه ، مع الخالق المدبر القادر ، الذي قهر كل شيئ ، ودان له كل شيئ) (١).

إلى غير ذلك من الآيات الدالة دلالة جليّة وواضحة ، على استحقاق الله سبحانه وتعالى ، لجميع ما يقع عليه اسم العبادة ، من الأقوال والأفعال ، الظاهرة والباطنة .

المطلب الثاني : الأدلة من السنة المطهرة :

فكما أثبت الكتاب العزيز ، استحقاق الله سبحانه وتعالى للعبادة ، كذلك السنة المطهرة . ومما جاء فيها :

١- حديث معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال:بينا أنا رديف النبيﷺ ليس بيني وبينه إلاّ آخرة الرحل، فقال: ((يا معاذ، قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ثم قال : يامعاذ ، قلت : لبّيك يا رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ، ثم قال: يا معاذ بن جبل ، قلت : لبّيك يا رسول الله وسعديك ، قال : هل تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : حق الله على عباده ، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، ثم سار ساعة ، ثم قال: يا معاذ بن جبل ، قلت : لبّيك يا رسول الله وسعديك ،

---

١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/١٨٨-١٨٩ .

قال: أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال حق العباد على الله ، أن لا يعذبهم)) (١) .

والحقُّ : كل موجود متحقق ، أو ما سيوجد لا محالة ، ويقال للكلام الصدق : حق، لأنّ وقوعه متحقق ،لا تردد فيه ، وكذا الحق المستحق على الغير، إذا كان لا تردد فيه ، أي الثابت الذي لا يسوغ إنكاره .

والمراد هنا ما يستحقه الله على عباده ، مماجعله متحتما عليهم،وألزمهم إيّاه بخطابه).(٢)

٢- حديث ابن عباس -رضي الله عنهما قال : لما بعث النبي ﷺ معاذا إلى أهل اليمن قال له : ((إنّك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم ، إلى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك ، فأخبرهم أنّ الله فرض عليهم خمس صلوات ، في يومهم وليلتهم ، فإذا صلّوا فأخبرهم ، أنّ الله افترض عليهم زكاة أموالهم ، تؤخذ من غنيّهم ، فتردّ على فقيرهم ، فإذا أقروا بذلك ، فخذ منهم ، وتوقّ كرائم أموال الناس)) (٣) . وفي رواية لمسلم : ((فليكن أول ما تدعوهم إليه ، عبادة الله عز وجل ، فإذا عرفوا فأخبرهم)) (٤) الخ .

فالحديث يدل على أنّ عبادة الله ، وحده لا شريك له ، واخلاصها له ، هي غاية ما يطلب من العبد ، وعليها يدور رحى جميع أعماله ، دنيويا وأخرويا .

٣- وقوله ﷺ : ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيرى تركته وشركه)) (٥) .

---

١ - تقدم تخريجه ص ١٨٨ .

٢ - انظر : فتح الباري١١/٣٣٩ ، ونحوه في شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٣٤٥ ، والتعريفات ، للجرجاني ص ١٢٠ .

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، واللفظ له ، ح (٧٣٧٢) انظر صحيح البخارى مع الفتح ١٣/٣٤٧ . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، ح (١٩) ، صحيح مسلم بشرح النووى ١/٣١٣ .

٤ - صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، ح(١٩) ، صحيح مسلم بشرح النووى ١/٣١٣ .

٥ - تقدم تخريجه ص ٢٧٧ .

بين المصطفى ﷺ في هذا الحديث ، أن الله تعالى ، أحق بجميع أعمال العبد ، ما لم يشوبها شرك ، فكلما أشرك العبد غير الله في عمل ، فالله سبحانه غني عن قبول ما كان كذلك .

وبهذا أكتفي ، وبه أنهي هذا المبحث ، لأن الأمر - كما تقدمت الاشارة - لا يفتقر إلى سرد كثير من الأدلة ، خاصة أنّ النفوس فطرت على ذلك ، ولأجله خلقت ، ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون ﴾ (١).

---

١ - الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

الفصل الثاني :

ذكر بعض أنواع العبادة ، ورد شبه المبتدعة فيها :

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : الاستغاثة ، وردّ الشبه فيها .

المبحث الثاني : الدعاء ، وردّ الشبه فيه .

المبحث الثالث : التوسل ، ورد الشبه فيه .

المبحث الرابع : الردّ على ادّعاء مشروعية السفر إلى زيارة القبور .

المبحث الخامس : بيان وجوب مراعاة حقوق النبي ﷺ ، فيما يجوز له وما لا يجوز في حقه ، من المسائل المتقدمة في هذا الفصل .

المبحث الأول :

الاستغاثة ، وردّ الشبه فيها .

وفيه ثلا ثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الاستغاثة لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : مشروعية الاستغاثة .

المطلب الثالث : رد بعض الشبه فيها .

التمهيد :

أنواع العبادة التي دعا الله سبحانه وتعالى عباده إلى توحيده بها ، واخلاصها له وحده لا شريك له ، كثيرة جدا ، ويصعب حصرها ، وتتعسر الإحاطة بها . ولهذا سوف أقتصر على ذكر جملة من هذه الأنواع ، مع الردّ على بعض شبه المبتدعين ، من خلال كلام الألوسي وأئمة الدعوة - عليهم رحمة الله- وسأبدأ بذكر الاستغاثة لكثرة الشبه الواردة فيها ، وبالله التوفيق :

المطلب الأول : تعريف الاستغاثة لغة واصطلاحا :

أ - معنى الاستغاثة في اللغة :

الاستغاثة في اللغة : طلب الغوث ، وهو من الإغاثة ، وقيل : الإغاثة الإعانة (١).
فعلى هذا المعنى ، تكون الاستغاثة هي الاستعانة ، أي طلب العون ، إلاّ أنّ الاستغاثة تختص بطلب العون في حالة الشدة ، بخلاف الاستعانة .(٢)

ب - معنى الاستغاثة في الاصطلاح :

ليس هناك فرق بين المعنيين - اللغوي والاصطلاحي - لأنّ كليهما يجتمعان في أنّ الاستغاثة : طلب الغوث والعون في حالة الشدة .
قال الألوسي : (اعلم أنّ الاستغاثة بالشيء : طلب الإغاثة به ، والغوث منه ...) (٣).
وعرّفها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - بقوله : (والاستغاثة : طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة ، كالاستنصار طلب النصر ...) (٤).

---

١ - انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣/ ٣٩٢ ، ولسان العرب ٢/١٧٥ ، ومفردات الراغب ص ٦١٧ .

٢ - تيسير العزيز الحميد ، في شرح كتاب التوحيد ، للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٢١٧ .

٣ - فتح المنان تتمة منهاج التأسيس والتقديس للألوسي ص٤٧٠ ، وغاية الأماني ١/٢٥١ .

٤ - مجموع الفتاوى ١/١٠٣ . ونحوه في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ١٢٨ .

فلما كانت الاستغاثة بهذا المعنى - إزالة الشدة ودفعها ، وجلب الخير والنفع -- لزم أن يكون الله سبحانه وتعالى هو المدعو وحده . والمستغاث به ، المعبود وحده ، فإنّ العبادة لا تصلح إلاّ لما لك الضر والنفع ، ولا يملك من ذلك شيئا غيره سبحانه وتعالى ، فهو المستحق للعبادة وحده ، دون من لا يضر ولا ينفع (١).وفي ذلك قال تعالى :﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فإنك إذا من الظالمين (١) وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلاّ هو وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرّحيم﴾ (٢).

ولكن المبتدعة وأتباع الهوى ، أبوا إلاّ أن يصرفوها لغيره تعالى ، حيث رأوا جواز الاستغاثة بغيره سبحانه ، حيا كان ذلك المستغاث به ، أو ميتا ، والله تعالى المستعان .

المطلب الثاني : مشروعية الاستغاثة :

قال العلاّمة الألوسي : (...أما مشروعية الاستغاثة ، ففيها تفصيل ، إذ الاستغاثة بالشيء ، طلب الإغاثة والغوث منه ..

فإذا كانت بنداء من المستغيث للمستغاث ، كان ذلك سؤالا منه ... وليس توسلا به إلى غيره ، إذ قد جرت العادة ، أنّ من توسل بأحد عند غيره ، أن يقول لمستغاثه : أستغيثك على هذا الأمر بفلان ، فيوجه السؤال إليه ، ويقصر أمر شكواه عليه ، ولا يخاطب المستغاث به ويقول له : أرجو منك ...أو أستغيث بك... وإن كان كما يقول ، فما قدر المتوسل إليه حق قدره ، وقد رجا وتوكل والتجأ إلى غيره ، وكيف واستعمال العرب يأبى عنه ، فإنّ من يقول: صار لي ضيق فاستغثت بصاحب القبر، فحصل الفرج ، يدل دلالة جليّة ، على أنّه قد طلب الغوث منه ، ولم يفد كلامه أنه توسل به . بل إنّما يراد هذا المعنى إذا قال ... : استغثت عند الله بفلان ، أو يقول لمستغاثه :

---

١ - انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ١٣٣ -١٣٤ .

٢ - الآيتان (١٠٦، ١٠٧) من سورة يونس .

استغثت إليك بفلان ، فيكون حينئذ مدخول الباء ، متوسلا به ، ولا يصح إرادة هذا المعنى إذا قلت : استغثت بفلان ، وتريد التوسل به ، سيما إذا كنت داعيه وسائله ...

فهذه الاستغاثة ،وتوجه القلب إلى المسؤول بالسؤال والإنابة، محظورة على المسلمين ، ولم يشرعها لأحد من أمته رسولُ رب العالمين ...) (١).

وقال -رحمه الله - نقلا من جواب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - حين سئل (عن جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ في كل ما يستغاث الله فيه ...) (٢) :

(... لم يقل أحد من المسلمين أنه يستغاث بشيء من المخلوقات ، في كل ما يستغاث فيه الله تعالى ، لا بنبي ولا بملك ، ولا بصالح ولا غير ذلك ، بل هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ، أنه لايجوز إطلاقه ، ولم يقل أحد ، أنّ التوسل بالشيء هو الاستغاثة به ، بل العامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بأمور ، كقول أحدهم : نتوسل إليك ... بالكعبة ، أو غير ذلك مما يقولونه في أدعيتهم ، يعلمون أنّهم لا يستغيثون بهذه الأمور ، فإنّ المستغيث بالشيء ، طالب منه ، سائل له ، والمتوسل به لا يدعى ولا يطلب منه ، ولا يسأل ، وإنّما يطلب به ، وكل أحد يفرق بين المدعو به والمدعو ، والاستغاثة طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة ، والاستنصار طلب النصرة ، والاستعانة طلب العون ، والمخلوق يطلب منه من هذه الأمور ما يقدر عليه ، كما قال تعالى : ﴿ **وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر** ﴾ (٣) وقال تعالى :﴿ **فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوّه** ﴾ (٤) .

وأما ما لا يقدر عليه إلاّ الله تعالى ، فلا يطلب إلاّ من الله ... ولهذا كان المسلمون يستغيثون بالنبي ﷺ ، ويستسقون به ، ويتوسلون به ، كما في صحيح البخاري : ((أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه كان إذا قحطوا ، استسقى بالعباس ابن عبد المطلب ، فقال : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنّا

---

١ - انظر : غاية الأماني ٢٥١/١ .

٢ - غاية الأماني ٢٨٨/٢ ، مجموع فتاوى ١٠١/١ .

٣ - الآية (٧٢) من سورة الأنفال .

٤ - الآية (١٥) من سورة القصص .

نتوسل إليك بعم نبينا ، فأسقنا ، قال : فيسقون)) (١). وفي سنن أبي داود : أنّ رجلا قال للنبي ﷺ : إنّا نستشفع با لله عليك ، ونستشفع بك على ا لله ، فقال : ((شأن الله أعظم من ذ لك ، إ نّه لا يستشفع به على أحد من خلقه)) (٢) . فأقره على قوله : ((ونستشفع بك على ا لله)) ، وأنكر عليه قوله : ((نستشفع با لله عليك)) (٣).

وقال الإمام الشوكاني (٤): (... ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق ، فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور . ولا يحتاج مثل ذ لك إلى استدلال ، فهو في غاية الوضوح ، ... - ثم ذكر الآيتين السابقتين وزاد عليهما قوله تعالى :﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ (٥) ثم قال: - وأما ما لا يقدر عليه إلاّ ا لله فلا يستغاث فيه إلاّ ا لله ، كغفران الذنوب ، والهداية ، وإنزال المطر ، والرزق ونحو ذ لك ، كما قال تعالى : ﴿ **ومن يغفر الذنوب إلاّ الله** ﴾ (٦) وقال : ﴿ **إنّك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ (٧) (٨) .

وقال الألوسي مبيِّناً تمسكه ونصرته لمذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة ، - وذ لك في معرض إجابته على قول المعترض وهو : (... إ نّ للمستغاث بهم قدرة كسبية وتسببية ، فتنسب الإغاثة إليهم بهذا المعنى)- قال : (...إ نّ كلامنا فيمن يستغاث به عند إلمام ما لا يقدر عليه إلاّ الله ، أو لسؤال ما لايعطيه ويمنعه إلاّ ا لله . أما فيما عدا ذلك مما يجري فيه التعاون والتعاضد بين الناس واستغاثة بعضهم ببعض ،

---

١ - صحيح البخاري مع الفتح ٢/ ٤٩٤ ، ح (١٠١٠) كتاب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا .

٢ - سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في الجهمية ، ح (٤٧٢٦) ٥/٩٤ -٩٥ . أخرجه بطوله .

٣ - انظر : غاية الأماني ٢/٢٨٨ - ٢٨٩ . ومجموع فتاوى ١/١٠٣- ١٠٤ .

٤ - هو الإمام العلاّمة محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، ولد سنة (١١٧٣) وتوفي -رحمه الله - سنة (١٢٥٠) انظر ترجمته : أعلام الزركلي ٦/٢٩٨ .

٥ - الآية (٢) من سورة المائدة .

٦ - الآية (١٣٥) من سورة آل عمران .

٧ - الآية (٥٦) من سورة القصص .

٨ - الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد . للشوكاني . خرج أحاديثه أبو عبد الله الحلبي ص ٩ - ١٠ .

فهذا شيئ لا نقول به ، ونعد منعه جنونا ، كما نعد إباحة ما قبله شركا وضلالا ، وكون العبد له قدرة كسبية ، لا يخرج بها عن مشيئة رب البرية ، لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلاّ الله ...فلا يقال لأحد - حي أو ميت ، قريب أو بعيد - : ارزقني أو أمتني أو أحي ميتي أو اشف مريضي إلى غير ذلك مما هو من الأفعال الخاصة بالواحد الأحد ، الفرد الصمد ، بل يقال لمن له قدرة كسبية ، قد جرت العادة بحصولها ممن أهله الله لها : أعنّي في حمل متاعي أو غير ذلك ...) (١) .

وبذلك يتضح أنّ من استغاث بمن لا يقدر على إغاثته ، ممن لايسمع كلامه ، ولا يرى مكانه ، ولا يعرف حاله من حي غائب بعيد ، ولا يرى المستغيث ، ولا يسمع استغاثته ، أو ميت انقطع عمله من الدنيا ، سواء كان نبيا من الأنبياء ، أو صالحا من الصالحين ، فقد أشرك في عبادة الاستغاثة بالله تعالى ، غيره ،وكان بذلك مشركا كافرا.

وأما سؤال الحي من الناس واستغاثته ، إذا كان قادرا على العطاء والغوث ، وكان قريبا من المستغيث يسمع كلامه ، ويرى مكانه ،فهذا قد أذن الله فيه ، وأباحه لعباده ، وهو معلوم من الدين بالضرورة ، قال تعالى :﴿ وتعاونوا على البر والتقوى﴾(٢) (٣) .

---

١ - غاية الأماني للألوسي ٢٥٢/١ .

٢ - الآية (٢) من سورة المائدة .

٣ - انظر : كشف الشبهات في التوحيد ، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ص٣٠ ، وعقيدة المؤمن ، للشيخ أبي بكر الجزائري ص ٦١ .

المطلب الثالث : ردّ بعض الشبه فيها :

توطئة :

إ نّ الشبه التي أحدثتها المبتدعة في هذه العبادة ، كثيرة جدا ، يصعب حصرها - إلاّ أ نّ أئمة السلف - رحمهم ا لله - قد فندوها وبدّدوها ببيان الحق من الباطل ، بالأدلة الساطعة ، والبراهين القاطعة .

والألوسي - رحمه ا لله - من الذين تصدوا لتفنيد هذه الشبه ، لهذا سأقتصر على بعض استدلالاتهم السخيفة ، بالأدلة المقلوبة ، والتأويلات الكاذبة ، و الاعتماد على الأحاديث الباطلة ، الموضوعة ، والآثار الواهية المصنوعة ، وا لله تعالى المستعان .

الشبهة الأولى :

وهي ما نقله دحلان في كتابه " *الدرر السنّية* " (١) عن ابن حجر الهيتمي عن السبكي ، وكذا النبهاني والعراقي - داود بن جرجيس - عنهما ، وبذلك أكّدوا أنّ مشربهم واحد ،حيث توارثوا نقل مثل هذه الشبه كابرا عن كابر ، جاء فيه :

(... وقد يتوسل بذي الجاه ، إلى من هو أعلى جاها منه ، والاستغاثة طلب الغوث ، والمستغيث يطلب من المستغاث به أ ن يحصل له الغوث من غيره ، وإن كان ذ لك الغير أعلى ...(إلى أن قال) ... والمستغاث به في الحقيقة ، هو ا لله تعالى ، والنبي ﷺ ، واسطة بينه وبين المستغيث ...) (٢).

---

١ - قال محمد رشيد رضا عن هذا الكتاب في مقدمة كتاب : " *صيانة الإنسان عن وساوس الشيخ دحلان* " : (... وكان أشهر هؤلاء الطاعنين ، الشيخ أحمد بن زيني دحلان ، المتوفى سنة (١٣٠٤) ، ألّف رسالة في ذ لك (أي في الطعن على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، ودعوته السلفية) تدور جميع مسائلها على قطبين اثنين : قطب الكذب والإفتراء على الشيخ ، وقطب الجهل بتخطئته فيما هو مصيب فيه) ص ١٢ .

٢ - انظر : غاية الأماني في الرد على النبهاني ٢٦٢/١ ، والدرر السنيّة في الرد على الوهابية ، لأحمد دحلان ص ١٧، والجوهر المنظم لابن حجر المكي ص ٧٧ ، وشفاء السقام للسبكي ص ١٧٣ .

الرد على هذه الشبهة :

قال الألوسي – رحمه الله – فيما نقله (١) عن العلاّمة عبد اللطيف في كتابه : " *منهاج التأسيس ...*" بعد أن نقل (أي الشيخ عبد اللطيف) عن العراقي نحو هذه الشبهة – والتي نقلها الألوسي عن النبهاني – : (**الجواب** عن هذه الشبهة من وجوه (وسأقتصر على بعض الأوجه فقط) ، منها :

الأول : أنّ الله سبحانه إنّما خلق خلقه لعبادته ، الجامعة لمعرفته ومحبته والخضوع له وتعظيمه ، وخوفه ورجائه ، والتوكل عليه والإنابة إليه ، والتضرع بين يديه ، وهذه زبدة الرسالة الإلهية ، وحاصل الدعوة النبوية ، وهو الحق الذي خلقت له السموات والأرض، وأنزل به الكتاب ، وهو الغاية المطلوبة ، والحكمة المقصودة من إيجاد المخلوقات ، وخلق سائر البريات ، قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون** ﴾(٢) ودعا سبحانه عباده إلى هذا المقصود ، وافترض عليهم القيام به حسب ما أمر ، والبراءة من الشرك والتنديد المنافي لهذا الأصل ، الذي هو المراد من خلق سائر العبيد ، قال تعالى : ﴿ **إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ **إنّه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾ (٤) وقال : ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق** ﴾(٥).

فالقول بجواز الاستغاثة بغيره ودعاء الأنبياء والصالحين ، وجعلهم وسائط بين العبد وبين الله ، والتقرب إليهم بالنذر والنحر ، والتعظيم بالحلف وما أشبهه ،

---

١ – وذلك مع بعض الزيادات والإستدلالات .

٢ – الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

٣ – الآية (١١٦)من سورة النساء .

٤ – الآية (٧٢) من سورة المائدة .

٥ – الآية (٣١) من سورة الحج .

مُناقضةٌ ومنافاةٌ لهذه الحكمة التي هي المقصودة بخلق السماوات والأرض ، وإنـزال الكتب وإرسال الرسل ، وفتح لباب الشرك في المحبة والخضوع والتعظيم ،ومشاقّة ظاهرة ، لله ولرسله ، ولكل نبي كريم - عليهم الصلاة والسلام...) (١) .

الوجه الثاني :

أ نّ هذا بعينه ، قول عباد الأنبياء والصالحين من عهد قوم نوح ، إلى أن بعث إليهم خاتم النبيين - عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم - ولم يزيدوا على ما قال هؤلاء الغلاة ، فيما نتحلوه من الشرك الوخيم والقول الذميم ، ولم يفرّقوا بين توحيد الربوبية ، الذي أثبته المشركون قبلهم وأقروا به ، وبين توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله سبحانه بالدعاء والاستغاثة ...والخوف والحب والإنابة ، والذل والخضوع ، كما حكى الله تعالى عنهم ذلك في كتابه الكريم ، قال تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى** ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ **فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلّوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون** ﴾ (٤) .

فهذه النصوص المحكمة ، صريحة في أ نّ المشركين لم يقصدوا إلاّ الجاه والشفاعة والتوسل ، بمعنى جعلهم وسائط تقرّبهم إلى الله وتقضي حوائجهم منه تعالى . وقد أنكر القرآن هذا أشدّ الانكار ، وأخبر أ نّ أهله هم أصحاب النار ، وأ نّ الله تعالى حرّم عليهم الجنة ، دار أوليائه الأبرار .

---

١ - غاية الأماني ١/ ٢٦٣ .

٢ - الآية (١٨) من سورة يونس . وتمامها : ﴿ **قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ .

٣ - الآية (٣) من سورة الزمر .

٤ - الآية (٢٨) من سورة الأحقاف .

وجمهور هؤلاء المشركين لم يدّعوا الاستقلال ولا الشركة في توحيد الربوبية ، بل قد أقروا بأنّ ذلك لله وحده ، كما حكى سبحانه إقرارهم واعترافهم بذلك في غير موضع من كتابه (١) (٢).

الوجه الثالث : (٣)

وهو أنّ الله تعالى دعا عباده بربوبيته العامة الشاملة ، لكلّيات الممكنات وجزئيّاتها في الدنيا والآخرة ، وانفراده بالإيجاد والتدبير ، والتأثير والتقدير ، والعطاء والمنع ، والخفض والرفع ، والعزّ والذل ، والإحياء والإماتة ، والسّعادة والشقاوة ، والهداية والمغفرة ، والتوبة على عباده ، إلى غير ذلك من أفعال الربوبية ، وآثارها المشاهدة المصنوعة ، إلى معرفته وعبادته ، الجامعة لمحبته ، والخضوع له وتعظيمه ، ودعائه وترك التعلق على غيره ، محبة وتعظيما واستغاثة ، قال الله تعالى : ﴿ أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون ٦٠ أمّن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ٦١ أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلا ما تذكّرون ٦٢ أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته أءله مع الله تعالى الله عمّا يشركون ٦٣ أمّن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم مّن السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا

---

١ - فقال تعالى : ﴿ولبن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هنّ كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هنّ ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ الآية (٣٨) من سورة الزمر . وقال أيضا : ﴿ ولبن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله فأنّى يؤفكون ﴾ الآية (٨٧) من سورة الزخرف .

وغير ذلك من الآيات التى أكّد فيها سبحانه وتعالى إقرارهم واعترافهم له بتوحيد الربوبية وحده لا شريك له .

٢ - انظر : غاية الأماني ٢٦٣/١ - ٢٦٤ . ومنهاج التأسيس والتقديس للشيخ عبد اللطيف ص ١٣٤ ، وما بعدها .

٣ - وهو الوجه الرابع عند العلاّمة الشيخ الألوسي - رحمه الله .

برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (١)، وقال تعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ٨٤ سيقولون لله قل أفلا تذكّرون ٨٥ قل من رب السموات السّبع وربّ العرش العظيم ٨٦ سيقولون لله قل أفلا تتقون ٨٧ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ٨٨ سيقولون لله قل فأنّى تسحرون ٨٩ ﴾ (٢) وقال أيضا : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ٣١ فذ لكم الله ربّكم الحق فماذا بعد الحق إلاّ الضلال فأنّى تصرفون ٣٢ ﴾ (٣) .

قال العلاّمة الأ لوسي – رحمه ا لله – : فتأمل هذه الآيات ، وما تضمّنته من تقرير أفعال الربوبية التي لا يخرج عنها فرد من أفراد الكائنات ، وأعرف ما سيقت له ودلّت عليه من وجوب محبته تعالى ، وعبادته وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما عبد من دونه من الأنداد والآ لهة ، والبرا ءة من ذلك .

وانظر هل القوم المخاطبون بهذا زعموا الاستقلال لغير الكبير المتعال ، أم أقرّوا له سبحانه بالاستقلال والتدبير والتأثير والإيجاد ، وإنّما أتَوا من جهة الواسطة والشفاعة والتوسل بدعاء غير ا لله ، وقصد سواه فيما يحتاجه العبد وما يهواه ،وهذا صريح من تلك الحجج البينات ...واحتجّ سبحانه وتعالى بما أقرّوا به من الربوبية والاستقلال على إبطال قصد غيره بالعبادة ... والاستغاثة كما يفعله أهل الجهل والضلال ، فإذا قيل : تجوز الاستغاثة بالأنبياء والصالحين ودعاؤ هم ... على أ نّهم وسائط ووسائل بين ا لله وبين عباده ، وأ نّ ا لله يفعل لأجلهم:انهدمت القاعدة الإيمانية ، وانتقضت الأصول التوحيديّة ، وفتح باب الشرك الأعظم ، وعادت الرغبات والرهبات والمقاصد والتوجهات إلى سكان القبور والأموات ،ومن دعي مع ا لله من سائر المخلوقات، وهذه هي الغاية الشركية ، والعبادة الوثنيّة ، نعوذ با لله من الضلال والشقاء والانحراف عن أسباب الفلاح والهدى) (٤).

---

١ – الآيات (٦٠ –٦٤) من سورة النمل .

٢ – الآيات (٨٤ –٨٩) من سورة المؤمنون .

٣ – الايات ٣١– ٣٢) من سورة يونس .

٤ – غاية الأماني ١/ ٢٦٥ .

الوجه الرابع : (١)

أنّ من أعرض عن الله وقصد غيره، وأعدّ ذلك الغير لحاجته وفاقته، واستغاث به ونذر له ولاذ به، فقد أساء الظنّ بربّه، وأعظم الذنوب عند الله تعالى، إساءة الظنّ به، فإنّ المسيئ به الظنّ قد ظنّ خلاف كماله المقدس، وظنّ به ما يناقض أسماءه وصفاته، ولهذا توعد سبحانه وتعالى الظانين به ظنّ السوء، بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال : ﴿ ويعذّب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظنّ السوء عليهم دايرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ (٢). وقال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته : ﴿ وذلكم ظنّكم الذى ظننتم بربّكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ (٣)، وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ٨٥ أيفكا آلهة دون الله تريدون ٨٦ فما ظنّكم بربّ العالمين ٨٧ ﴾ (٤). أي : فما ظنّكم أن يجازيكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره، وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك إلى عبودية غيره : فلو ظننتم به ما هو أهله من أنه على كل شيئ قدير وانه بكل شيئ عليم ... وأنه المنفرد بتدبير خلقه، لا يشركه فيه غيره، والعالم بتفاصيل الأمور، فلا تخفى عليه خافية من خلقه، والكافي لهم وحده، لا يحتاج إلى معين، الرحمن بذاته، فلا يحتاج في رحمته إلى من يستعطفه، وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء، فإنّهم محتاجون إلى من يعرّفهم باحوال الرعية، و حوائجهم من الوسطاء الذين يعينونهم على قضاء حوائجهم، وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة، فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة، لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصورهم.

---

١ - وهو الوجه الثامن عند الشيخ الألوسي - رحمة الله تعالى عليه.

٢ - الآية (٦) من سورة الفتح.

٣ - الآية (٢٣) من سورة فصلت.

٤ - الآيات (٨٥-٨٧) من سورة الصافات.

فأما القادر على كل شيئ ، الغني بذاته عن كل شيئ ، العالم بكل شيئ ، الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيئ ، فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقص بحق ربوبيّته وإلهيّته وتوحيده ، وظنّ به ظنّ السوء ، وهذا يستحيل أ ن يشرّعه لعباده (١)، ويمتنع في العقول والفطر ، وقبحه مستقرّ في العقول السليمة فوق كل قبح ، ويوضح هذا أ نّ العابد معظم لمعبوده متأله له ، خاضع ذليل له ، والربّ تبارك وتعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والإجلال و التألّه والخضوع والذلّ وهذا في خالص حقه ، فمن أقبح الظلم أن يعطى حقه لغيره ، ويشرك (٢) بينه وبينه فيه ، ولا سيّما إذا كان الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه ، وكما قال تعالى : ﴿ **ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم** ﴾ (٣) أي : إذا كان أحدكم يأنف أ نّ مملوكه شريكه في رزقه ، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به :وهي الإلهية التي لا تنبغي لغيري ، ولا تصلح لسواي ، فمن زعم ذ لك فما قدّرني حق قدري ، ولا عظّمني حق تعظيمي ، ولا أفردني بما أنا منفرد به وحدي دون خلقي .

فما قدّر ا لله حق قدره من عبد معه غيره ، كما قال تعالى : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ (٤) .

---

١ - حيث يقول جل ثنا ؤه : ﴿ **إن تكفروا فإنّ الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربّكم مرجعكم فينبّئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور** ﴾ الآية(٧) من سورة الزمر

٢ -لأن ا لله يقول على لسان لقمان الحكيم : ﴿ **وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم** ﴾ الآية (١٣) من سورة لقمان .

٣ - الآية (٢٨) من سورة الروم .

٤ - الآ ية (٦٧) من سورة الزمر .

فما قدر من هذا شأنه وعظمته حق قدره ، من أشرك معه في عبادته ، من ليس لـه شيئ من ذ لك البتّة ، بل هو أعجز شيئ وأضعفه ، فما قدّر القوي العزيـز ، حـق قـدره من أشرك معه الضعيف الذليل ...) (١) .

الشبهة الثانية : (٢)

هي (... ما أورده ابن حجرالهيتمي في "*الجوهر المنظم*" (٣) والسبكي في كتابـه (٤)، عن النبي ﷺ قال : ((لمـا اقـترف آدم الخطيئـة قـال : يـا ربّ أسـألك بمحمـد ﷺ إلاّ مـا غفرت لي ، قال الله : يا آدم ، كيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال يا ربّ لمّا خلقتـني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك ، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبـا : لا إلـه إلاّ الله محمد رسول الله ، فعلمت أنّك لم تضف إلى اسمك إلاّ أحبّ الخلق إليك ، فقـال له الله : صدقت يا آدم ، إنّه لأحبّ الخلق إليّ ، وإذ سألتني بحقه ، فقـد غفـرت لـك ، ولولا محمد ما خلقتك)) (٥). قال ابن حجـر : والمـراد بحقـه ﷺ ، رتبتـه ومنزلتـه لديـه تعالى ، أو الحق الذي جعله الله سبحانه وتعالى له على الخلـق ، أو الحـق الـذي جعلـه الله تعالى بفضله له عليه) (٦) الخ .

---

١ - غاية الأماني ١/٢٦٩ - ٢٧١ .

٢ - وهي الشبهة الأولى عند الألوسي رحمه الله .

٣ - الجوهر المنظم ص ٧٦ .

٤ - شفاء السقام ص ١٦١ - ١٦٢ ، وعنه ابن حجر الهيتمي .

٥ - أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٦١٥ ، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/٤٨٨ ، باب ما جاء فيما تحدث به ﷺ بنعمة ربه .

قال الشيخ الألباني - حفظه الله تعالى - عن هذا الحديث ، بعد أن سرد أقوال أهل الحديث فيه : (... وجملة القول : أنّ الحديث لا أصل له عنه ﷺ ، فلا جرم أن حكم عليه بالبطلان ، الحافظان الجليلان : الذهبي- (انظر : ميزان الإعتدال ٢/٥٠٤) - والعسقلاني - (انظر : لسان الميزان ٣/٣٥٩- ٣٦٠) - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وأثرها السيئ على الأمة ١/٨٨- ٩١ .

وقبلهما شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما سيأتي إن شاء الله تعالى في ص ٣٠٩ - ٣١١ .

٦ - غاية الأماني ١/٢٨٥ ، والجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم ، لابن حجر الهيتمي ص٧٦ .

قال الألوسي - رحمه الله - : (والجواب : أن يقال : هذا الحديث لا أصل له ، بل الثابت عند أهل العلم والمفسرين ، أنّ قوله تعالى : ﴿ فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه إنّه هو التواب الرحيم ﴾ (١)، نزلت في توبة آدم ، وهذه الكلمات هي المفسّرة بقوله تعالى : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴾ (٢). وهذا مروي عن سعيد بن جبير ، ومجاهد وأبي العالية ، والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي ، وخالد بن معدان ، وعطاء الخرساني ، وعبد الرحمن بن يزيد ، ...وعن عبيد بن عمير أنّه قال : قال آدم : يا ربّ ، خطيئتي التي أخطأت شيء كتبته عليّ قبل أن تخلقني ، أو شيء ابتدعته من قبل نفسي ؟ قال: بل كتبته عليك قبل أن أخلقك ، قال : فكما كتبته عليّ فاغفره لي ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ (٣) . وعن ابن عباس :(قال آدم عليه السلام : ألم تخلقني بيدك ؟ قيل له : بلى ، ونفخت فيّ من روحك ؟ قيل له : بلى ، وعطّست فقلت يرحمك الله ، وسبقت رحمتك غضبك ؟ قيل له : بلى ، وكتبت عليّ أن أعمل هذا ؟ قيل له : بلى ، قال : أفرأيت إن تبت ، هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قال: نعم) ، وكذا رواه العوفي ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن معبد ، ورواه الحاكم في مستدركه(٤) إلى ابن عباس عن مجاهد قال:(الكلمات : اللهم لا إله إلاّ أنت ، سبحانك وبحمدك ربي إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي إنّك خير الغافرين ، اللهم لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك ، إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي إنّك خير الراحمين ، اللهم لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك ربي إنّي ظلمت نفسي فتب علي إنّك أنت التواب الرحيم) ، هذا ماعليه المفسرون (٥)، لا ما قاله الغلاة ، فإن كان بعض من لابصيرة له قد ذكره ،

---

١ - الآية (٣٧) من سورة البقرة .

٢ - الآية (٢٣) من سورة الأعراف .

٣ - الآية (٣٧) من سورة البقرة .

٤ - المستدرك ٢/٦١٥ .

٥ - انظر تفسير الطبري ١/٢٤٥ ، وابن كثير ١/ ٨٥ ، وزاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج ابن الجوزي=

فاحجّة فيما ثبت عن الصحابة ، وعن سلف الأمة وأئمتها ، ولايجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة ، أو موضوعة ، لا تثبت عن أهل العلم والحديث ، وأئمة التصحيح والترجيح ...) (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن هذا الحديث الذي تمسك به هؤلاء المبتدعة : (... ومثل هذا لا يجوز أن يبنى عليه الشريعة ، ولا يحتج به في الدين ، باتفاق المسلمين ، فإنّ هذا من جنس الإسرائيليات ونحوها ، التي لا يعلم صحتها إلا بنقل ثابت عن النبي ﷺ ، وهذه لو نقلها مثل كعب الأحبار (٢) ، ووهب بن منبه (٣).

= ٦٩/٢ ، وروح المعاني ، للألوسي - المفسر- ٢٣٧/١ ، وأضواء البيان لمحمد أمين ٧٣/١ .

قال الإمام الطبري بعد ذكر هذه الأقوال، في المراد بالكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه تعالى : (وهذه الأقوال التي حكيناها عمن حكيناها عنه ، وإن كانت مختلفة الألفاظ ، فإنّ معانيها متفقة في أنّ الله جل ثناؤه ، لقى آدم كلمات ، فتلقاهنّ آدم من ربه ، فقبلهنّ وعمل بهنّ ، وتاب بقيله إيّاهنّ ، وعمله بهنّ إلى الله من خطيئته ، معترفا بذنبه ، متنصلا إلى ربه من خطيئته ، نادما على ما سلف منه ، من خلاف أمره ، فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاها منه ، وندمه على سلف الذنب منه .

والذي يدل عليه كتاب الله أنّ الكلمات التي تلقاها آدم - عليه السلام - من ربه ، هنّ الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصلا ، بقيلها إلى ربه معترفا بذنبه ، وهو قوله : ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ الآية (٢٣) من سورة الأعراف .

وليس ما قاله من خالف قولنا هذا من الأقوال التي حكيناها ، بمدفوع قوله ، ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها ، فيجوز لنا إضافته إلى آدم ، عليه السلام وأنه مما تلقاها من ربه عند إنابته من ذنبه ...) . انظر : تفسير الطبري ٢٤٥/١ .

ومما يعضد هذا القول ويقوّيه ، ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (ومن ذكر أنّ الكلمات التي تلقاها (أي آدم عليه السلام) من ربه غير هذه (أي قوله تعالى : ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين** ﴾ الآية(٢٣) من سورة الأعراف) لم يكن معه حجة ، في خلاف ظاهر القرآن) .

انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة ، المعروف بالرد على البكري - لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١١ .

١ - غاية الأماني ٢٨٥/١- ٢٨٦ .

٢ - كعب الأحبار : هو ابن ماتع الحميري اليماني ، العلاّمة الحبر، الذي كان يهوديا فأسلم بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وقدم المدينة من اليمن ، في أيام عمر - رضي الله عنه- فجالس أصحاب محمد ﷺ ، فكان يحدّثهم عن الكتب الإسرائيلية ، ويأخذ السنن عن الصحابة ، وكان حسن الإسلام ، متين الديانة ، من النبلاء العلماء ، توفي بحمص ذاهبا للغزو في أواخر خلافة عثمان - رضي الله عنه - وكان - أي كعب - من أوعية العلم . انظر : سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٨ - ٤٩١ .

٣ - هو ابن كامل بن سيج بن ذي كبار ، قيل : هو من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن ، يكنى : أبا عبد الله ، الأخباري القصصي ، قال الذهبي : مولده في زمن عثمان - رضي الله عنه - سنة =

وأمثالهما ممن ينقل أخبار المتبدأ وقصص المتقدمين عن أهل الكتاب ، لم يجز أن يحتج بها في دين المسلمين ، باتفاق المسلمين ، فكيف إذا نقلها من لاينقلها عن أهل الكتاب، ولا عن ثقات المسلمين ، بل إنّما ينقلها عمن هو عند المسلمين مجروح ضعيف ، لا يحتج بحديثه ، واضطرب عليه فيها اضطرابا يعرف به من لم يحفظ ذ لك ، و لم ينقل ذلك ولا ما يشبهه أحد من ثقات علماء المسلمين الذين يعتمد على نقلهم ...) (١) بل نقله أجهل الناس بطرق الأحكام الشرعية ، وأضلُّهم في أصل المسلك الدينيّة ...) (٢).

وقال - رحمه الله - أيضا ، في الرد على البكرى : (فإ نّ هذا الحديث لم ينقله أحد عن النبيﷺ ، لا بإسناد حسن ، ولا صحيح ، بل ولا ضعيف يستأنس به ، ويعتضد به ، وإنّما نقل هذا وأمثاله كما تنقل الإسرائيليات ... (إلى أن قال) ويكفيك أ نّ هذا الحديث ليس في شيئ من دواوين الحديث التي يعتمد عليها ، لا في الصحاح كالبخاري ومسلم وصحيح ابن حزيمة وأبي حاتم وابن حبان وابن مندة والحاكم ، ولا في المستخرجة على الصحيح ، لأبي عوانة ، وأبي نعيم ، ومستخرج البرقاني والإسماعيلي . ولا في السنن ، كسنن أبي داود والنسائي وابن ماجة ، ولا في الجوامع ، كجامع الترمذي وغيره ، ولا في المسانيد ، كمسند أحمد ونحوه ، ولا في المصنفات ، كموطأ مالك ومصنف عبد الرزاق ...) (٣) .

وقال أيضا : (فلو كان آدم -عليه السلام- قد قال هذا ، لكانت أمة محمد ﷺ أحق به منه ، بل كان الأنبياء من ذريته أحق به ، وقد علم كل عالم بالآثار ، أ نّ النبي ﷺ لم يأمر

= أربع وثلاثين . سير أعلام النبلاء ٤/٥٤٥ ، وروى عنه أنه قال : قرأ ت من كتب ا لله اثنين وسبعين كتابا ، توفي بصنعاء سنة عشر، وقيل سنة أربع عشرة ومائة . في المحرم . وقيل سنة ثلاث عشرة في ذي الحجة . انظر : المعارف ، لابن قتيبة ص ٤٥٩ ، وسير الأعلام ٤/ ٥٥٧ .

١ - قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة تحقيق د. ربيع المدخلي ص ١٧٥ .

٢ - تلخيص كتاب الإستغاثة المعروف بالرد على البكري ، لابن تيمية ص ٦ .

٣ - تلخيص كتاب الاستغاثة ص ٦-٧ .

أمته به ، ولا نقل عن أحد من الصحابة الأخيار ، ولا نقله أحد من العلماء الأبرار ، فعلم أنه من أكاذيب أهل الوضع والاختلاق ، الذين وضعوا من الكذب ، أكثر مما بأيدي المسلمين من الصحيح ، لكن الله تعالى فرق بين الحق والباطل ، بأهل النقد العارفين بالنقل ، علماء التعديل والتجريح .) (١)

الشبهة الثالثة :

وهي ما نقله الألوسي من كتاب " *كشف الشبهات في التوحيد* " لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمة الله عليه – وهي :

(أنّ النبي ﷺ ذكر أنّ الناس يوم القيامة يستشفعون بآدم ، ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى – عليهم السلام – فكلهم يعتذر حتى ينتهون إلى رسول الله ﷺ (٢).

قالوا : وهذا يدل على أنّ الاستغاثة بغير الله ليست شركا) .

قال الشيخ الألوسي عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – :

(**فالجواب** أن نقول : سبحان الله . من طبع على قلوب أعدائه فإنّ الاستغاثة بالمخلوق ، على ما يقدر عليه ، لا ننكرها ، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام :

---

١ – المصدر السابق ص ١١ .

٢ – ونص الحديث أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال : كنا مع النبي ﷺ في دعوة ، فرفعت إليه الذراع ، – وكانت تعجبه – فنهس منها نهسة وقال : ((أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس ، فيقول بعض الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ، إلى ما بلغكم ؟ ألاَ تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول الناس : أبوكم آدم ، فيأتونه ويقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ،وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ، ألاَ تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فيقول : ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، ونهاني عن الشجرة ، فعصيت ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري . اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحا فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبدا شكورا ، أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ الا ترى إلى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول : ربي غضب اليوم غضبا ، لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، نفسي نفسي ، ائتوا النبي ﷺ ، فيأتوني ، فأسجد تحت العرش ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، واشفع تشفع ، وسل تعطه)) قال البخاري : قال محمد بن عبيد :(لا أحفظ سائره) . صحيح البخاري مع فتح الباري ٣٧١/٦ ، كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ﴾ الآية (٢٥) من سورة هود ، ح (٣٣٤٠) .

﴿فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه﴾ (١) . وكما يستغيث الإنسان بصاحبه في الحرب وغيرها من الأشياء التي يقدر عليه المخلوق ، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة ،التي يفعلونها عند قبور الأولياء ،أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدرعليها إلاّ ا لله

إذا ثبت ذلك ، فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة ، يريدون منهم ، أن يدعوا ا لله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف ، وهذا جائز في الدنيا والآخرة ، أن تأتي عند رجل صالح ، حي يجالسك ويسمع كلامك ، وتقول له : ادع ا لله لي ، كما كان أصحاب رسول ا لله ﷺ يسألونه في حياته ، وأما بعد موته ، فحاشا وكلاّ أنّهم سألوه ذ لك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء ا لله عند قبره ، فكيف دعاؤه بنفسه ؟ (٢)ﷺ .

وقال الألوسي: (إنّ استغاثة الناس بالنبي ﷺ ، وقبله بآدم ، ثم نوح ... إلى آخر حديث الشفاعة ، فهذه شفاعة بالدعاء ، والاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث به مستحسنة عقلا وشرعا ، ومن ذ لك الرفقة ، يستغيث بعضهم بعضا ، أي في مهماتهم التي يقدرون عليها ، وكذ لك ما طلب الناس منه ، وهي الشفاعة التي هي الدعاء . ولذ لك يقول سيد الشفعاء ﷺ في آخر الحديث : ((... فأجيئ فأسجد تحت العرش)) و أنه يلهمه من الثناء والدعاء شيئا لم يفتحه لغيره ﷺ ، فعند ذ لك يأذن ا لله له في الشفاعة ، فيقال : ((يا محمد ، ارفع رأسك ، واشفع تشفع ، وسل تعطه))(٣)، وهذا ظاهر جدا) (٤).

وبهذا يتضح أن القول بجواز الاستغاثة بغير ا لله ، وجعل الوسائط بين العباد وبين رب العباد ، على مذهب الغلاة المبتدعة ، هو عين دعوى المشركين ، وتعليلهم وشبههم ، لم يزيدوا عليه حرفاً واحداً ، إلاّ أنّهم قالوا : قربانا ، والغلاة المبتدعة سموا ذلك توسلا

---

١ - الآية (١٥) من سورة القصص .

٢ - غاية الأماني ٢٩٩/١-٣٠٠، وكشف الشبهات في التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ص٢٩-٣٠.

٣- تقدم ذكر الحديث بنصه وعزوه بهامش الصفحة السابقة .

٤- فتح المنان تتمة منهاج التأسيس للألوسي ص ٣٤٦ -٣٤٧ .

واستغاثة، فالعلة واحدة ، والحقيقة متحدة ،وهذا يهدم أصل الدين الذي هو توحيد الألوهية والعبودية ، وقد أمر تعالى عباده بإخلاصه له وحده لا شريك له ، بجميع أفراده من حبّ وتعظيم وذلّ واستغاثة ، قال تعالى : ﴿ وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ (١).

فكما أنّ الاستغاثة بغير الله تسد باب هذا التوحيد ، يفتح باب الاستغاثة بالأنبياء والصالحين والأولياء على مذهب الغلاة ، والرغبة إليهم في حاجات الطالبين والسائلين ، وضرورات المضطرين من الخلق ،(٢) وقد قال تعالى : ﴿ أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلا ما تذكرون ﴾ (٣) .

وبذلك يتوصل إلى أنّ الاستغاثة بغير الله من المخلوقات على نوعين :

الأول : الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه .

الثاني : الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلاّ الله سبحانه وتعالى .

أما النوع الأول :فهو كالاستغاثة بمخلوق في الأسباب الظاهرة من الأمور الحسيّة كالحرب أو إدراك عدو أو سبع أو نحو ذلك . فهو جائز كما ثبت عن أهل العلم فيما تقدم ، (٤) وذلك بشروطها . وهي :

١- أن يكون المستغاث به حيا .

٢- أن يكون حاضرا يسمع كلام المستغيث .

٣- أن يكون قادرا على إزالة ما استغيث من أجله .

قالْ الإمام الصنعاني (٥) (الاستغاثة بالمخلوق من الأحياء فيما يقدرون عليه ، لا ينكرها أحد ، وقد قال تعالى في قصة موسى مع الإسرائيلي والقبطي : ﴿ فاستغاثه الذى من شيعته على الذى

---

١ - الآية (٥) من سورة البينة .

٢ - انظر : غاية الأماني ٢٦٤/١ ، ومنهاج التأسيس والتقديس للشيخ عبد اللطيف ص ١٣٥ .

٣ - الآية (٦٢) من سورة النمل .

٤ - انظر ص٢٩٦ - ٢٩٩ .

٥ - الإمام الصنعاني : هو العالم الفاضل ، محدث وقته وفقيه زمانه ، الشيخ محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الكحلاني ، ثم الصنعاني ، ولد بكحلان سنة (١٠٩٩) ألّف كتبا كثيرة ، منها :سبل السلام ، شرح بلوغ المرام " و العدة " و " تطهير الاعتقاد " وغيرها من المصنفات القيمة . توفي سنة (١١٨٢) . انظر : أعلام

من عدوه ﴾ (١) (٢).

وأما النوع الثاني : الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلاّ الله :

فهو محرم لا يجوز طلبه من أحد من المخلوقات لا من نبي ، ولا من ملك ، ولا من صالح من الصالحين ، ولا غيرهم ، ولذلك نجد أنّ النبي ﷺ لما أراد أن يستغيث به الصحابة على المنافق الذي كان يؤذيهم ، نهاهم عن ذلك وقال ﷺ : ((إنّه لا يستغاث بي إنّما يستغاث بالله)) (٣) . فإنّه ﷺ قد كره أن يستعمل هذا اللفظ في حقه ، وإن كان مما يقدر عليه في حياته ، حماية لجناب التوحيد ، وسداً لذرائع الشرك ، وأدبا وتواضعا لربّه ، وتحذيرا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال ، فإذا كان هذا فيما يقدر عليه النبي ﷺ في حياته ، فكيف يجوز أن يستغاث به بعد موته ، ويطلب منه أمور لا يقدر عليها إلاّ الله عز وجلّ ؟ (٤) .

وعن هذا النوع ، قال أبو يزيد البسطامي (٥): (استغاثة المخلوق بالمخلوق ، كاستغاثة الغريق بالغريق) وقال غيره : استغاثة المخلوق بالمخلوق ، كاستغاثة المسجون بالمسجون) (٦) .

الزركلي ٣٨/٦ ، وعنوان المجد في تاريخ نجد ٥٣/١ ، والبدر الطالع ١٣٣/٢ .

١ - الآية (١٥) من سورة القصص .

٢ - تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ، ضمن الجامع الفريد ص ٥٠٤ ، فإذا اختل شرط من هذه الشروط ، انقلب حكمه إلى حكم النوع الثاني .

٣ - رواه الطبراني في الكبير ، كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٩/١٠ ، وقال : رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة ، وهو حسن الحديث .

٤ - انظر : فتح المجيد ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ١٣٩ .

٥ - البسطامي : هو طيفور بن عيسى بن سرشان ، كان جده مجوسيا فأسلم ، وكان زاهدا ، من أهل بسطام توفي سنة (٢٦١) وقد حكى عنه شطحات ناقصات تأولها كثير من فقهاء الصوفية ، وحملوها على محامل بعيدة ، وقال بعضهم : إنه قال ذلك : في حال الاصطدام (أي الموت) ، ومن العلماء من بدّعه وخطّأه ، وجعل ذلك أكبر البدع وأنها تدل على اعتقاد فاسد ، كامن في القلب ، انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٣٨/١١، وسير أعلام النبلاء ٨٦/١٣ -٨٩ ، وحلية الأولياء ٣٣/١٠-٤٢ ، ووفيات الأعيان ٥٤٣/٢.

٦ - انظر : غاية الأماني ٢٨٨/٢ . ومجموع الفتاوى ١٠٦/١ .

المبحث الثاني :

الدعاء ، وردّ الشبه فيه .

وتحته خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الدعاء لغة .

المطلب الثاني : في المعنى الشرعي للدعاء .

المطلب الثالث : ذكر نوعي الدعاء

المطلب الرابع : مشروعية الدعاء

المطلب الخامس : بعض شبه المبتدعين من القبوريّة ، والردّ عليها

المطلب الأول : تعريف الدعاء لغة :

الدعاء في اللغة : مصدر من دعا ، يدعو ، دعوة ، ودعاء ، وهو واحد الأدعية ، وأصله " دعاو" (١) ، فهي واوية الأصل ، بدليل قولك : دعوت ، أدعو ، فهذا يدل على أنّ أصل الهمزة في " دعاء " واو ، وإنّما أبدلت همزة لتطرفها إثر ألف زائدة .(٢)

وقال أهل اللغة : معناه الرغبة إلى الله فيما عنده من الخير ،و الابتهال إليه بالسؤال)(٣) .

والخير المرغوب من الله تعالى ، يكون إما بطلب ما ينفع أو دفع ما يضر ، أو إزالته ، فكل ذلك خير ، يتناوله الدعاء .

وهذه المادة - دعو- جاء إطلاقها في الكتاب العزيز ، والسنة المطهرة ، وكلام العرب ، وأهل العلم ، على معاني شتى ، فمن هذه المعاني ما استعملت فيه كثيرا ، وهو الذي يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق ، ومنها ما استعملت فيه نادرا .

معاني الدعاء المشتهرة في الاستعمال :

ذكر الإمام الألوسي - رحمه الله - للفظ الدعاء معنيين ، فقد قال بعد كلامه عن التوسل وتقسيمه له إلى نوعين - التوسل على وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر ، وعلى وجه السؤال له والرغبة إليه في جلب المنافع ودفع المضار قال-رحمه الله -(ولفظ الدعاء في القرآن ، يتناول هذا وهذا ، الدعاء بمعنى العبادة ، والدعاء بمعنى المسألة ...) (٤) . وقوله هذا موافق لكلام السلف في استعمال لفظ الدعاء في هذين المعنيين .

---

١ - انظر : تاج العروس للزبيدي ١٠/١٢٦ ، والصحاح للجوهري ٦/٢٣٣٧ ، ولسان العرب ١٤ /٢٥٨ ، وترتيب القاموس المحيط ٢/١٨٧ .

٢ - انظر : جمهرة اللغة لابن دريد ٢/٦٦٦ ، وتهذيب اللغة ٣/١٢٠ ، وتاج العروس ١٠/١٢٦ ، ولسان العرب ١٤/٢٥٨ ، وضياء السالك إلى أوضح المسالك ٤/٣٥٢ .

٣ - انظر : المحكم ٢/٢٣٤ ، ولسان العرب ١٤/٢٥٧ ، وترتيب القاموس المحيط ٢/ ١٨٧ ، وتاج العروس ١٠/١٢٦ ، وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ٢/ ٦٠٠ .

٤ - غاية الأماني٢/ ٣٣٢ . وللوقوف على بقية استعمالات للفظ الدعاء ، انظر : معاني القرآن للفراء ١/١٩ ، وما بعدها . وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٢٥٥ ، و ما بعدها ، ومفردات القرآن للأصفهاني ص ٣١٥ ، ولسان العرب ١٤/٢٥٧ ، وتهذيب اللغة للأزهري ٣/١١٩ ونزهة النواظر لابن الجوزي ص ٢٩٤ ، والكليات ٢/ ٣٣٤ .

فأول هذه المعاني : الطلب (١) والسؤال :

قال ابن سيده (٢) : (الدعاء طلب الطالب للفعل من غيره) (٣).

وقال الحافظ ابن العربي المالكي (٤) - رحمه الله - :

(الدعاء في اللغة و الحقيقة هو الطلب) (٥) .

وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله -:(معنى الدعاء حقيقة وشرعا : هو الطلب).(٦)

وقد جاء هذا المعنى للدعاء عن كثير من العلماء .(٧)

ثم إنّ هذا المعنى هو أكثر استعمالا من المعاني الأخرى ، في الكتاب والسنة ، ولسان الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم من العلماء .(٨)

ومما ورد من استعماله في هذا المعنى في الكتاب العزيز : (٩)

---

١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩٤/١١ .

٢ - ابن سيدة : هو علي بن أحمد ، وقيل : ابن إسماعيل ، المعروف بابن سيده ، أبو الحسن ، إمام في اللغة وفي العربية ، حافظهما ، على أنه كان ضريرا ، ولد بمرسية (في شرق أندلس) وانتقل إلى دانية ، فتوفي سنة (٤٥٨) . من آثاره : " المخصص" وهو من أثمن كنوز العربية ، و " المحكم والمحيط الأعظم " وغيرهما من المؤلفات . انظر ترجمته : بغية الملتمس للضبي (ت ٥٩٩) ، والأعلام للزركلي ٦٩/٥ .

٣ - المخصص ٧٨/١٣ .

٤ - هو الإمام العلاّمة الحافظ القاضي ، أبو بكر ، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي الأندلسي الإشبيلي المعافري ، المالكي ، صاحب التصانيف .

قال ابن بشكوال : (سألته عن مولده فقال لي : ولدت ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان ، لآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، ومن تصانيفه : " عارضة الأحوذي في شرح الترمذي " و " أحكام القرآن " و " ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك " و " القبس في شرح موطأ مالك بن أنس " . انظر : الصلة ، لابن بشكوال ٥٥٨/٢ -٥٥٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠ - ١٩٨ ، ونفح الطيب للمقري التلمساني ٣٥/٢ - ٣٦ ، وبغية الملتمس للضبي ص٩٢-٩٣ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٩٦/٤- ٢٩٧ .

٥ - أحكام القرآن لابن العربي ٨١٥/٢ .

٦ - فتح القدير للشوكاني ٤٩٨/٤ .

٧ - منهم القرافي في الفروق ٢٥٩/٤ ، والزبيدي في اتحاف السادة المتقين ٢٧/٥ ، وابن منظور في اللسان ٢٥٧/١٤ ، والبلخي في الأشباه والنظائر في القرآن ص ٢٨٥ ، وغيرهم .

٨ - انظر : فتح المجيد ص ٣٦ .

٩ - وسأكتفي بذكر أمثلة من القرآن الكريم .

١- قوله تعالى : ﴿ ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرايل ﴾ (١) .

٢- قوله جل ثناؤه : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك ﴾(٢) .

٣- قوله تبارك وتعالى :﴿ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إيّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ﴾ (٣) .

٤- قوله تعالى : ﴿ أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ (٤) .

وقد تبين من خلال هذه الأمثلة القرآنية ، أنّ الدعاء معناه الطلب ، وليس مطلق الطلب ، بل طلب خاص ، وهو طلب الأدنى من الأعلى تحصيل الشيئ بلا غضاضة من الأعلى ، لأنّ صيغة الطلب والاستدعاء تختلف بحسب الطالب والمطلوب منه ، فإذا كانت ممن يقدر على قهر المطلوب منه ، فإنّها تقال على وجه الأمر ، وإذا كانت من الفقير من كل وجه للغني من كل وجه ، فإنّها تقال على وجه السؤال بتذلل وانكسار وافتقار . (٥)

فيسمى ما كان من الأدنى إلى الأعلى ، دعاء ، وما كان من الأعلى إلى الأدنى ، أمرا ، وما كان من الأقران بعضهم من بعض ، التماسا .(٦) لذا قيل :

أمرٌ مع استعلا وعَكْسُهُ دُعا * وفي التساوى فالتماسٌ وقَعا(٧)

---

١ - الآية (١٣٤) من سورة الأعراف .

٢ - الآية (٦١) من سورة البقرة .

٣ - الآيتان (٤٠، ٤١) من سورة الأنعام .

٤ - الآية (٦٢) من سورة النمل .

٥ - انظر : نزهة النواظر في علم الوجوه والنظائر ، لابن الجوزي ص ٢٩٤ ، ومجموع فتاوى ٢٤٦/١٠ ومفتاح العلوم للسكاكي ص ٥٤٣ .

٦ - انظر : فتح المنان تتمة منهاج التأسيس والتقديس ، للألوسي ص ٤٤٣ -٤٤٤ .

الاستعمال الثاني : العبادة .

ورد استعماله بهذا المعنى في القرآن الكريم والسنة المطهرة وكلام أهل العلم ، بكثرة، وممن صرح بهذا المعنى : أبو اسحاق الزجاج في كتابه : معانى القرآن وإعرابه ، حيث قال في تفسير قوله تعالى :﴿ أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ (١) : (معنى الدعاء لله عز وجل على ثلاثة أوجه . ومنها : توحيده والثناء عليه ، كقولك : يا الله لا إله إلاّ أنت ، وكقولك : ربّنا لك الحمد ...) (٢).

وقال أيضا عند قوله تعالى:﴿ادعوا ربّكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾(٣) في تفسير خيفة :(أي اعتقدوا عبادته في أنفسكم ، لأنّ الدعاء معناه العبادة) (٤).

ومنهم ابن جرير الطبري ، فإنّه فسر قوله تعالى :﴿ وإذا سألك عبادى عنّى فإنّى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾ (٥): بوجهين ، أحدهما : العبادة ...(٦) .

ومن السنة المطهرة :

وفوق تلك الأقوال المتقدمة ، بيان من لا ينطق عن الهوى ، المصطفى ﷺ ، لمعنى الدعاء بالعبادة ، في حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال : سمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول : ((الدعاء هو العبادة)) ثم قرأ : ﴿ وقال ربّكم ادعونى أستجب لكم إنّ الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنّم داخرين ﴾ (٧)(٨).

---

٧ - السلّم المنورق في علم المنطق ، ضمن مجموع المتون ص ٣٦٤ .

١ - الآية (١٨٦) من سورة البقرة .

٢ - لمعرفة بقية الأوجه ، راجع معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٢٥٥ ، وانظر لسان العرب ١٤/ ٢٥٧ .

٣ - الآية (٥٥) من سورة الأعراف .

٤ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٢٥٥ .

٥ - الآية (١٨٦) من سورة البقرة .

٦ - انظر : جامع البيان للطبري ٢/ ١٦٠ .

٧ - الآية (٦٠) من سورة غافر .

٨ - أخرجه أبو داود في سننه ٢/ ١٦١ ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء ، ح(١٤٧٩) والترمذي في سننه .

فلا حا جة بعد هذا إلى بيان أحد من البشر ، وإ نّما ذكرنا تلـك الأقـوال للاسـتئناس وللوقوف على أقوال بعض العلماء في استعمال الدعاء بهذا المعنى .

فنكتفي بهذا القدر لبيان المعنى اللغوي للدعـاء ، وبعـض اسـتعمالاته ، لأ نّ الغـرض مـن نقل هذين الاستعمالين للفظ الدعاء ، هو التمثيل لا الحصر .

كتاب الدعوا ت باب ما جاء في فضل الدعاء ، ح (٣٣٧٢) وقا ل : هذا حديث حسن صحيح ٤٥٦/٥ ، وا بن ماجه في سننه ،كتاب الدعاء ، با ب فضل الدعاء ،ح (٣٨٢٨) ١٢٥٨/٢، وأحمد في مسنده ٢٧١/٤ .

المطلب الثاني : في المعنى الشرعي للدعاء :

لقد تنوعت ألفاظ أهل العلم في تعريف الدعاء ، وتعددت كلماتهم ، وكلّها تهدف إلى الكشف عن حقيقة معناه الشرعي . والذي يكاد ينحصر في الرغبة والابتهال والافتقار إلى الله سبحانه وتعالى ، والتذلل بين يديه ، والاعتصام به ، واللجوء إليه في جلب المنافع ودفع المضار .(١)

قال أبو سليمان الخطابي (٢): (ومعنى الدعاء استدعاء العبد ربه عز وجل العناية ، واستمداده إيّاه المعونة .

وحقيقته : إظهار الافتقار إليه ، والتبرؤ من الحول والقوة ، وهو سمة العبودية ، واستشعار الذلة البشرية ، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل ، وإضافة الجود والكرم إليه) (٣).

وقال الحليمي (٤)- رحمه الله : (الدعاء : قول القائل : يا الله يا رحمن يا رحيم ، وما أشبه ذلك) (٥).

وقال أبو بكر بن العربي المالكي الأندلسي: (وحقيقة الدعاء مناداة الله تعالى لما يريد من جلب منفعة ، أو دفع مضرة من المضار والبلاء بالدعاء ، فهو سبب لذلك ،

---

١ - انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/٢٤٥-٢٤٦ ، وبدائع الفوائد لابن القيم ٣/٢٠٠ ، ولسان العرب ١١/٧٢ .

٢ - الخطابي : هو حمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب ، أبو سليمان البستي ، كان إماما في اللغة والفقه والحديث ، من مصنفاته : معالم السنن ، وأعلام الحديث ، وغريب الحديث ، وشأن الدعاء وغيرها من المؤلفات القيمة . توفي -رحمه الله - (٣٨٨) . انظر : معجم الأدباء ١٠/٢٨٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٧/٢٣ وطبقات السبكي ٣/٢٨٢ .

٣ - شأن الدعاء للخطابي ص ٣-٤ ، وانظر : اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٢/٢٧-٢٨ .

٤ - هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم أبو عبد الله البخاري مولدا ونشأة ، محدث فقيه ، من تصانيفه منهاج الدين في شعب الإيمان ، وأحوال الساعة ، توفي (٤٠٣) . انظر : طبقات السبكي ٤/٣٣٣ ، تذكرة الحفاظ ٣/١٠٣٠ ، وشذرات الذهب ٣/١٦٧ ، ومعجم المؤلفين ٤/٣ .

٥ - المنهاج في شعب الإيمان ١/٥٢٢ .

واستجلاب لرحمة المولى) (١).

وعرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله : (إنّ دعاء المسألة ، هو طلب ما ينفع الداعي ، وطلب كشف ما يضره ودفعه) (٢).

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -: (وهو الطلب بياء النداء ، لأنه ينادى به القريب والبعيد ، وقد يستعمل في الاستغاثة ، أو بأحد أخواتها) (٣) .

وهناك تعريفات أخرى للعلماء (٤)، كلها تدور حول معاني التعريفات السابقة ، والتي قطب رحاها وحقيقتها ، إظهار الافتقار إلى المولى القدير ، والتذلل له والخضوع ، والانطراح بين يدي الرب ، والالتجاء إليه ، والاعتصام به ، والرغبة إليه ، وتلك هي الغاية من أنواع العبادة ، والتي تجعل الدعاء من أعظم أنواعها ، بل هو العبادة ، كما ثبت ذلك عن المصطفى ﷺ ، حيث قال : ((الدعاء هو العبادة)) (٥).

---

١ - مراقي الزلفي لابن العربي ، بواسطة : نبذة الدعاء وآدابه وأسبابه لليافعي ص ٢٢ . ولم أقف على كتاب ابن العربي .

٢ - مجموع فتاوي ١٥/ ١٠ .

٣ - الرسائل الشخصية من مؤلفات الشيخ ص٤ .

٤ - انظر : معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ، لحسين النعمي اليمني (ت١١٨٧) . ذكر فيه للدعاء عدة تعريفات ، منها قوله : (إنّ الدعاء عند المتشرعة والإسلاميين طبع وهيئة لازمة ، طلب العاجز للقادر وسؤاله منه) كما بين رحمه الله شروط إطلاق الدعاء : منها : كون المدعو قادرا بالذات كونه متمكنا من المطلوب منه ، كون حصول المطلوب يتوقف على إرادته فقط ، عجز المخلوق عن تحصيله ، صلاحية المحل للقيام بالسؤال ، والعلم بما فيه الخير ...) ص٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٤٢ ، والقول الفصل النفيس للشيخ عبد الرحمن ، ص ٤٧ .

٥ - تقدم تخريجه ٣١٩ .

المطلب الثالث : ذكر نوعي الدعاء :

توطئة :

عرف فيما تقدم المعنى اللغوي والشرعي للدعاء ، والعلاقة بينهما واضحة جدا ، إذ الدعاء في اللغة -كما تقدم - يطلق على الطلب والعبادة والرغبة ، فهذه المعاني موجودة في المعنى الشرعي ، إذ الداعي سواء كان دعاء مسألة ، أو عبادة ، فإنه طالب للأجر والثواب ، أو طالب لحاجته من نيل مرغوب أو دفع مرهوب ، كما أنه راغب إلى الله تعالى في تحقيق ذلك . فبهذا ثبت أن المعاني اللغوية التي للدعاء ، لها علاقة جليّة بالمعنى الشرعي . (١)

بيان العلاّمة الألوسي - رحمه الله - لنوعي الدعاء :

قال أبو المعالي الألوسي : (إنّ دعاء الله قد يكون دعاء عبادة لله ، يثاب العبد عليه في الآخرة ، مع ما يحصل له في الدنيا ، وقد يكون دعاء مسألة ، يقضي به حاجته ، ثم يثاب عليه ، إذا كان مما يحبه الله) (٢).

وقال أيضا : (الدعاء يرد في الكتاب والسنة بمعنى الطلب والمسألة بامتثال الأمر واجتناب النهي ، ويرد بمعنى المسألة والطلب ، بالصيغة القولية ، وقد فسّر قوله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ (٣)بدعاء العبادة ، وبدعاء المسألة ، والقولان معروفان ، والآية تشمل النوعين) (٤).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن نوعي الدعاء ، بعد ذكر قوله تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ٥٥ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها

---

١ - انظر ، الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ، للجيلاني ص ٣١ .

٢ - غاية الأماني ٢/٣٣٥ .

٣ الآية (٦٠) من سورة غافر .

٤ - فتح المنان تتمة منهاج التأسيس والتقديس ، للألوسي ص٤٤٣ ، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/١٢، وروح المعاني للألوسي ١٢/٨١ . وبدائع الفوائد لابن القيم ٣/٤ .

وادعوه خوفا وطمعا إنّ رحمت الله قريب من المحسنين ١٠ ﴾ (١) : (هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء : دعاء العبادة ، ودعاء المسألة ، فإنّ الدعاء في القرآن ، يراد به هذا تارة ، وهذا تارة ، ويراد به مجموعهما ، وهما متلازمان) (٢) .
وقد قرر غير واحد من السلف الصالح أنّ الدعاء نوعان ، وأنّ النوعين متلازمان . (٣)

ويفهم من هذه النقول ، أنّ الدعاء الذي أمر الله تعالى به عباده في كتابه العزيز ، وسنة نبيه ﷺ ، نوعان ، وكل أمر فيهما بالدعاء لا يخرج عن هذين النوعين وهما :

الأول : **دعاء العبادة** : وهو التقرب إلى الله تعالى بأنواع العبادات ، من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، ونذر ، وحج ، وغيرها من أنواع العبادات ، وذلك طمعا في رحمته ، وخوفا من عقابه عز وجل . كما قال تعالى : ﴿ **وادعوه خوفا وطمعا** ﴾ (٤).

قال ابن القيم (٥)-رحمه الله- نقلا عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (وذكر الطمع ، الذي هو الرجاء ، في آية الدعاء ، لأنّ الدعاء مبني عليه ، فإنّ الداعي ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه ، لم تتحرك نفسه لطلبه ،إذ طلب ما لاطمع فيه ممتنع).(٦)
وقال العلاّمة الألوسي - المفسر- عن آخر هذه الاية ﴿ إنّ رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ (٧): (ومن الإحسان في الدعاء ، أن يكون مقرونا بالخوف والطمع) (٨) .

---

١ - الآيتان (٥٥،٥٦) من سورة الأعراف .

٢ - مجموع فتاوى ١٥ /١٠ .

٣ - انظر : بدائع الفوائد ٣/٣ ، و المنهاج في شعب الإيمان ، للحليمي ٥٣٧/١ .

٤ - الآية (٥٦) من سورة الأعراف .

٥ - هو محمد بن أبي بكر بن أيوب ، أبو عبد الله الزرعي ، الدمشقي ، شمس الدين ، كان من أركان الإصلاح الإسلامي . ولد بدمشق سنة (٦٩١) ، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية ، من تصانيفه : إعلام الموقعين ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، بدائع الفوائد ، زاد المعاد في هدي خير العباد وغيرها . انظر : الدرر الكامنة ٤٠٠/٣ ، وذيل طبقات الحنابلة ٤٤٧/٢ ، ومعجم المؤلفين ١٠٩/٩ ، والأعلام للزركلي ٥٦/٦ ، وجلاء العينين ص ٤٤ .

٦ - بدائع الفوائد ، لابن القيم الجوزية ، تحقيق معروف مصطفى زرين، ومحمد وهبي سليمان ، وعلى عبد الحميد ، ١٢/٣ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/ ٢١ .

٧ - الآية (٥٦) من سورة الأعراف .

٨ - روح المعاني ، ١٤١/٤ .

الثاني : دعاء المسألة :

فهو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (هو طلب ما ينفع الداعي ، وطلب كشف ما يضره ودفعه) (١) .

ويقول - رحمه الله - عن الذي يجب أن يخص له جميع أنواع العبادات ، وأن يفرد بها ، والتي مخها ومرتكز رحاها الدعاء . والذي هو أعظمها وأجلّها ، وأنه أقوى وسائل التقرب إلى المولى القدير . وأنه أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله ، فلا يجوز صرفه لغيره تعالى : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴾ (٢) قال : (وكل من يملك الضر والنفع ، فإنّه هو المعبود . لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر، ولهذا أنكر تعالى على من عبد من دونه، ما لا يملك ضرا ولا نفعا . وذلك كثير في القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ﴾ (٤) وقوله عز وجل : ﴿ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله ﴾ (٦) وقوله تعالى : ﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ﴾ (٧) ، فنفى سبحانه

١ - مجموع فتاوى ١٥/ ١٠ .

٢ - الآية (١٠٦) من سورة يونس .

٣ - الآية (١٠٦) من سورة يونس .

٤ - الآية (١٨) من سورة يونس .

٥ - الآية (٧٦) من سورة المائدة .

٦ - الآية (٦٦، ٦٧) من سورة الأنبياء .

٧ - الآية (٣) من سورة الفرقان .

وتعالى عن هؤلاء المعبودين ، الضر والنفع ، القاصر والمتعدي ، فلا يملكونه لأنفسهم ولا لعابديهم .

وهذا كثير في القرآن ، يبين تعالى أنّ المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر ، فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسألة ، ويدعى خوفا ورجاء دعاء العبادة ، فعلم أنّ النوعين متلازمان ، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ،وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة . وعلى هذا فقوله : ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنّى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ (١)، يتناول نوعي الدعاء ، وبكل منهما فسّرت الآية ، قيل : أعطيه إذا سألني ، وقيل : أثيبه إذا عبدني ، والقولان متلازمان ، وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما ، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ، بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعا) (٢).

ونقل الألوسي نحوه عن شيخ الإسلام - رحمه الله - في كتابه " فتح المنان تتمة منهاج التأسيس والتقديس " (٣).

---

١ - الآية (١٨٦) من سورة البقرة .

٢ - مجموع فتاوى ١٥/١٠-١١ .

٣ - فتح المنان ص ٤٤٣ .

المطلب الرابع : مشروعية الدعاء :

توطئة :

سبق أن ذكرت فيما تقدم ، أنّ الدعاء هو العبادة ، حيث إنّه افتقار إلى من بيده ملكوت كل شيئ ، ومالك الضر والنفع ، وتذلل بين يديه ، ولجوء إليه تعالى في جلب المنافع ، ودفع المضار . وكل ذلك من أصول العبادة الصحيحة .

وقد خلق الله تعالى الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له ، قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون ﴾ (١). والدعاء نوع من أنواع العبادة ، إذ فيه يظهر العبد طاعته وخضوعه وتذلّله لله سبحانه وتعالى ، طلبا وطمعا ورغبة إليه تعالى . لذلك كان مما اختص به الله عز وجل ، فلا يصرف إلى غيره في حال من الأحوال ، ولا يدعى سواه .

فلما كان الدعاء بهذه المنزلة ، تضافرت نصوص كثيرة في الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، تحث عليه ، وتأمر به ، وترغب فيه .

ومما جاء في أمره تعالى بالدعاء في كتابه العزيز :

١- قوله تعالى : ﴿ وقال ربّكم ادعوني أستجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين ﴾ (٢)

ففي هذه الآية الكريمة ، يأمر سبحانه وتعالى عباده بدعائه ، ويعدهم بالاستجابة ، ثم يشير إلى أنّ ذلك الدعاء هو عبادته. ولذلك توعّد تاركيه بالعذاب ،لأنّ ذلك عادة المترفين المسرفين ، وأمّا المؤمن فشأنه التضرع إلى الله تعالى ، والتذلل بين يديه في كل التقلبات (٣) .

---

١ - الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

٢ - الآية (٦٠) من سورة غافر .

٣ - انظر : روح المعاني للألوسي ١٢/٨١ .

قال الإمام ابن جرير الطبري : (يقول تعالى ذكره : ويقول ربّكم أ يّها الناس ا دعوني ، يقول : اعبدوني وأخلصوا لي العبادة ، دون من تعبدون من دوني ، من الأوثان والأصنام وغير ذ لك) (١).

وحكى الإمام القرطبي عن أكثر المفسرين قولهم : إنّ المعنى : أي وحّدوني واعبدوني أتقبّل عبادتكم وأغفر لكم .(٢)

٢- قوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٣) .

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : (يعني تعالى ذكره بذ لك :إذا سألك يا محمد عبادي عني أين أنا ؟ فإ نّي قريب منهم ، أسمع دعاء هم،وأجيب دعوة الداعي منهم (٤).

وقال الإمام القرطبي : (المعنى : وإذا سألوك عن المعبود ، فأخبرهم أنه قريب يثيب على الطاعة ويجيب الداعي ، ويعلم ما يفعله العبد من صوم وصلاة وغير ذ لك) (٥).

٣- وقوله جلّ ثناؤه : ﴿ا دعوا ربّكم تضرعا وخفية إنّه لا يحب المعتدين ﴾ (٦).

قال القرطبي – رحمه الله – : (هذا أمر بالدعاء والتعبّد به) (٧).

وقال الحافظ ابن كثير –رحمه الله –: (أرشد تبارك وتعالى عباده إلى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم) (٨).

إلى غير ذ لك من الآيات التي تدل على أهمية الدعاء والترغيب فيه ،، وتجعله من أعظم أنواع العبادة ، بل كلها .

---

١ – جامع ا لبيان للطبري ٧٨/٢٤ .

٢ – الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢١٣ .

٣ الآية (١٨٦) من سورة البقرة .

٤ – جامع البيان للطبري ١٥٨/٢ .

٥ – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٦/١ .

٦ الآية (٥٥) من سورة الأعراف .

٧ – الجامع لأحكام القرآن ١٤٣/٧ .

٨ – تفسير ابن كثير ٢٣٠/٢ .

كما حذّر سبحانه وتعالى ، من صرف هذا النوع من العبادة – الذي اختص به تعالى – لغيره تعالى ، فقال عز وجل : ﴿ومن أضلّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ (١) .

قال الألوسي الجد بعد أن ذكر المراد بالنفي من الآية الكريمة : (أي هو أضل من كل ضال حيث ترك دعاء المجيب القادر المستجمع لجميع صفات الكمال كما يشعر بذلك الإسم الجليل . ودعا من ليس شأنه الاستجابة له ، وإسعافه بمطلوبه) (٢).

وقال تعالى : ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبّئك مثل خبير ﴾ (٣).

قال الإمام الطبري –رحمه الله - : (يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان : فكيف تعبدون من دون الله من هذ صفته . وهو لا نفع لكم عنده ، ولا قدرة له على ضرّكم ،وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضركم ،وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم)(٤).

كما حكى إطباق المفسرين على ذلك بقوله : (وبنحو الذي قلنا في ذلك . قال أهل التأويل) (٥).

وغيرها من الآيات التي حذّر فيها الرب تبارك وتعالى عباده ، من صرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره جل شأنه .

أما من السنة المطهرة التي تحث على الدعاء ، وترغّب فيه ، وتكاد تحصر العبادة فيه

---

١ - الآيتان (٥، ٦) من سورة الأحقاف .

٢ - روح المعاني للألوسي ١٣/٦ .

٣ - الآيتان (١٣-١٤) من سورة فاطر .

٤ - جامع البيان للطبري ١٢/١٢٥ -١٢٦ .

٥ - المصدر السابق ، نفس الصفحة .

لقوله ﷺ : ((الدعاء هو العبادة)) (١) :

١- حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أنّ النبي ﷺ قال: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فأستجب له ،من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) (٢)، رواه الستة إلاّ النسائي.

٢- وعنه أيضا : عن النبي ﷺ قال: (ليس شيئ أكرم على الله من الدعاء)) (٣) .

---

١ - تقدم تخريجه ٣١٩ .

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل ، ح (١١٤٥) صحيح البخاري مع فتح الباري ٢٩/٣ .

ومسلم في صحيحه ، كتاب المسافر ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ٢/ ١٧٥ .

٣ - اخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، باب ما جاء في فضل الدعاء ، ٤٥٥/٥ ، ح (٣٣٧٠) وقال هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه مرفوعا إلاّ من حديث عمران القطان .

وابن ماجة في سننه ، كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء ، ح (٣٨٢٩) ١٢٥٨/٢ .

والإمام أحمد في المسند ٣٦٢/٢ ، والبخاري في الأدب المفرد ح (٧١٢) . والحاكم في المستدرك ٤٩٠/١ ، وابن حبان في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب الأدعية ذكر البيان أنّ دعاء المرء لله جل وعلى من أكرم الأشياء عليه ح (٨٦٠٧)١١٥/٢ .

والإمام البغوي في شرح السنة ٨٨/٥ ، وابن عدي في الكامل ١٧٤٢/٥ . والطبراني في الكبير ٧٩٨/٢ ، وفي الأوسط ٢٥٢/٢ ح (٢٥٤٤) ، والعقيلي في الضعفاء ٣٠١/٣ ، كلهم من طريق عمران بن داود القطان عن قتادة عن سعيد بن أبي الحسن عن أبي هريرة ، وقال الحافظ في عمران : صدوق يهم ، ورمى برأي الخوارج . وقد صحح الحاكم الحديث ووافقه الذهبي ، ثم قال بعد تصحيحه له : بأحاديث الدعوات يتساهل فيها ، لأنها من فضائل الأعمال ، وروى ذلك باسناده عن ابن مهدي ، وقال ابن القطان : رواته كلهم ثقات وما موضع في اسناده ينظر فيه إلاّ عمران .

انظر : اتحاف السادة المتقين للزبيدي ٢٩/٥-٣٠ ، وفيض القدير للمناوي ٣٦٦/٥ ، وقد حسن الحديث الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجة ٣٢٤/٢ ، (٣٠٨٧) ، وفي صحيح الأدب المفرد ٧١٢/٥٤٩ ، ص ٢٦٥ .

٣- حديث سلمان -رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا يرد القضاء إلاّ الدعاء ولا يزيد في العمر إلاّ البر)) (١) .

---

١ - أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب القدر ، باب ما جاء لا يرد القدر إلاّ الدعاء ، ح (٢١٣٩) ، وقال : حديث حسن غريب من حديث سلمان ٤٤٨/٤ .

وابن ماجة في سننه ، كتاب الفتن ، باب العقوبات ، ح (٤٠٢٣) ، ١٣٣٤/٢ .

والإمام أحمد في مسنده ٢٧٧/٥ ، والحاكم في المستدرك ٤٩٣/١ ، وصححه ، ووافقه الذهبي على تصحيحه ، وابن حبان في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب الأدعية ١٥٣/٣ ، والطحاوي في مشكل الآثار باب بيان مشكل ماروي عن قوله : " لا يرد القضاء إلاّ الدعاء ... ١٩٩/٤ .

وابن أبي شيبة في مصنفه ، كتاب الدعاء ، باب من قال : الدعاء يرد القدر ، ح (٩٩١٦) ٤٤١/١٠. والطبراني في المعجم الكبير ، ح (١٤٤٢) ٩٧/٢ ، والبغوي في شرح السنة ، باب بر الوالدين ١٣/ ٦ ، والسيوطي في الحاوي للفتاوى ، كتاب الآداب والرقاق ، باب إعمال الفكر وفضل الذكر ٢٠/٢ ، وانظر جامع مسانيد أبي حنيفة . ١١٣/١ .

وقد حسنه الألباني حيث قال حفظه الله : (إنّ الحديث حسن كما قال الترمذي ، بالشاهد من حديث ثوبان دون الزيادة فيه ، فإني لم أجد لها شاهدا ،) السلسلة الصحيحة ٢٣٨/١ .

والزيادة التي في حديث ثوبان هي : (وإنّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) انظر : سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٣٤ ، وشرح السنة للبغوي ٦/١٣ ، ومشكل الآثار للطحاوي ١٦٩/٤ .

المطلب الخامس :

بعض شبه المبتدعين من القبوريّة والرد عليها .

تقدم أنّ الدعاء نوع من أنواع العبادة ، وأنه مخها وخالصها ، وأنّ الله تعالى أمر عباده به ، وحذّرهم في الوقت نفسه من صرفه لغيره تعالى ، مهما كان ذلك الغير .

إلاّ أنّ المبتدعة القبوريّة ، أبوا إلاّ أن يصرفوه لغير الله تعالى ، متمسكين في ذلك بشبه مفتريات ، وحكايات مخترعات باطلة . فقيّض الله سبحانه وتعالى لهم علماء ، من أئمة السلف الصالح ، الذين وقفوا لهم بالمرصاد ، فأزاحوا هذه الشبه والحكايات الباطلة ، وردّوا عليها ردودا حاسمة ومستأصلة .

فمن أولئك الأعلام ، الإمام الألوسي ، الذي كان له وقفات مع المبتدعين القبوريين ، تتمثل في ردوده الآتية ، على شبههم وحكاياتهم التي طفح بها ابن جرجيس العراقي كتابه "*صلح الإخوان* " . وكذلك النبهاني في" *شواهد الحق*" (١).

---

١ - قال الألوسي عن هذا الكتاب :(... فقد وصل إليّ - في أواخر رجب الفرد ، سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف ، من هجرة ، من تقصر دون كعب علاه بردة المدح والوصف- كتاب قد اشتمل على بهتان عظيم ، وعدول عن الصراط المستقيم ، ألّفه بعض الجهلة ، لمصادمة الحق ، ومعارضة الصواب ، بالخط المضلّ ، ومناقضة ما جاءت به رسل الله ، وصرحت به الكتب المنزلة ، ودلّت عليه الدلائل القطعية ، وهو توحيد الله وإفراده بخصائص الربوبية ، وتخصيصه بالالتجاء إليه ، والتوكل عليه ، والاستعانة به في كل كلية وجزئية . فجاء هذا الغبي الجاهل المكابر ، وأعرض عن الحق الصريح الظاهر ، وجمع كتاب أسماه" شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق " ، وحشاه من الكذب والافتراء والظلم والعدوان ، وشتم أهل الحق ، ونصرة التوحيد والحكايات الكاذبة . وكان حري به أن يسمي كتابه هذا : "شبه الباطل والضلال " .

ولما تصفحته وجدته كتابا لا يروج ما فيه حتى على ضعفاء العقول ، فضلا عمن تضلّع من فنون المنقول والمعقول ، لما اشتمل عليه من وهي الأسانيد ، وأكاذيب النقول ، مباحثه متناقضة ، ومطالبه متعارضة ، جهل بها مؤلفه ، وغفل عنها مصنفه ..) .

- غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/١٤ ، وانظر : الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى مخطوط برقم ميكروفيلم (١٤٠٠/أ) مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ص ١٠ -١١ .

وقال في صفحة (١) من نفس المخطوط : (إنّ الشيخ يوسف النبهاني لم يزل بالخرافات مضاد للهدي الرباني ، كم ألف من الرسائل المشحونة بالسخف والضلال ... ومن تلك الكتب ، كتابه " شواهد الحق " المشحون بالباطل الذي لا يتفوه بمثله إلا الضليل أو الجاهل الأحمق) .

حيث قال العراقي في خاتمة كتابه : (في بيان بعض شبه المانعين - لدعاء غير الله - التي هي من أقوى ما استدلوا بها ، وكفّروا الناس بسببها ، أو حرموا عليهم ذلك :

فأعظمها : أنّ النداء لأهل القبور والطلب منهم على نية التوسل إلى الله بنوع دعائهم أو كراماتهم عليه يسمونه دعاء غير الله تعالى . وقد قال تعالى عن الكفار ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم** ﴾ (١)قال تعالى ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر**﴾(٢). وما أشبه ذلك من الآيات (٣) .

قال العلاّمة الألوسي - رحمه الله - : ثم أجاب عن هذه الشبهة - بزعمه - (أي العراقي) بما يطول ذكره ، وحاصل ما أجاب به : أنّ الدعاء في مثل هذه الآيات ، هو العبادة التي هي الركوع والسجود والذبح والتقرب إلى ذوات المدعوين على أنهم أرباب ، وأن نداء الصالحين ليس بعبادة ...) (٤) .

قال الألوسي -رحمه الله - في رده على هذه الفرية : (إنّ كلامه هذا نشأ عن جهله باللغة والشرع ، وما جاءت به الأنبياء والرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين ، فإنّ العبادة تتضمن غاية الخضوع وغاية الذلّ ، ومنه طريق معبّد ، إذا كان مذللا قد وطأته الأقدام ، هذا أصلها في اللغة .

وأما في الشرع : فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، قاله شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية (٥)- قدّس الله روحه - ، وقال بعضهم : هي ما أمر به شرعا من غير اقتضاء عقلي ولا اطراد عرفي ، وقال بعضهم : هي

---

١ - الآية (١٨) من سورة يونس .

٢ - الآية (٦٨) من سورة الفرقان .

٣ - فتح المنان ص ٤٤٠ -٤٤١ . صلح الإخوان ص ١١٨ -١١٩ .

٤ - فتح المنان ص٤٤١ ، نقله بالمعنى من صلح الإخوان ص ١١٩ . و انظر نحوه في دلائل الرسوخ ص ٥٨ ، والرد على شبهات المستغيثين بغير الله ضمن الجامع الفريد ص ٥٤٠ .

٥ - انظر العبودية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤ .

فعل ما أمــر الله به رســـوله ﷺ وتــرك ما نهـــى الله عنه ورسوله ﷺ ، ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، فدخل في هذه التعاريف والحدود جميع أنواع العبادات ، فلا يقصد بها غير الله، ولا تصرف لسواه .

وهذا الغبي لم يعرف من أفراد ها غير الركوع والسجود ، والذبح والتقـرب . مع أن دعاء المسألة من أفضل أنواعها وأجلّها ، كما في حديث النعمان بـن بشـير - رضـي الله عنهما- أن الرسول ﷺ قال : ((الدعاء هو العبادة)) (١)، والحصر يقتضي الاختصـاص الادعائي ، والتمييز على سائر العبـادات ، - قـال بعـض الشـراح : هـو كقولـه ﷺ :((الحج عرفة)) (٢). - أي : ركن العبادة الأعظم ، هوالدعاء . وفي حديث أنـس بـن مالك -رضي الله عنه - ((الدعاء مخ العبادة)) (٣)، ومخ الشيئ خالصه ولبّه ، وكـذ لك قوله ﷺ :((الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين)) (٤)، والعماد والعمود : ما يقوم به الشيئ ويعتمد عليه ، جعله عماد . لأ نّ الدين لايقوم إلاّ به ، وأنت ترى كلّ العبـادات

---

١ - تقدم تخريجه ٣١٩ .

٢ - أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب المناسك ، باب من لم يدرك عرفة ، صحيح سنن أبي داود ٣٦٧/١ . والترمذي في سننه كتاب التفسير ، با ب سورة البقرة ٥/٢١٤ . وانظر : صحيح سنن الترمذي ٢٦/٣ ح (٢٣٧٦) . وابن ماجة في سننه ، كتاب المناسك ، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع ح(٣٠١٥) ١٠٠٣/٢ . والدارمي كتاب مناسك ، ح (١٨٢٧) ٤٨٨/١ . والحديث صححه الألباني في إرواء الغليل ح (١٠٦٤) ٢٥٦/٤ .

٣ - أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، با ب ما جاء في فضل الدعاء . ح(٣٣٧١) وقال هذا حديث غريب لا نعرفه من هذاالوجه ، إلاّ من حديث بن لهيعة .قال الألباني : اسناده ضعيف ، وفيه ابن لهيعة ، وهو سيئ الحفظ . والصحيح في لفظ الحديث هو ((الدعاء هو العبادة)) . انظر : مشكاة المصابيح بتحقيقه ٦٩٣/٢ ح (٢٢٣١) .

٤ - رواه أبو يعلى في مسنده بلفظين . هذا أحدهما عن علي -رضي الله عنه- في ٣٤٤/١ ، ح(٤٣٩) ، قال المحقق : إسناده ضعيف ، لضعف محمد بن حسن بن أبي يزيد . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٧/١٠، وقال: رواه أبو يعلى ، وفيه محمد بن حسن بن أبي يزيد وهو متروك . واللفظ الثاني ، من حديث جابر رضي الله عنه ولفظه : ((ألا أدلكم على ما ينجيكم من عدوكم ويدر لكم ارزاقكم ، تدعون في ليلكم ونهاركم ، فإ ن الدعاء سلاح المؤمن)) حديث رقم (٤٣٩) ٣٤٦/٣ . قال المحقق اسناده ضعيف ، لضعف محمد بن أبي حميد. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٧/١٠ ، وقال : رواه أبو يعلى ، وفيه محمد بن أبي حميد وهو ضعيف . والحديث صححه الحاكم في مستدركه ٤٩٢/١ ، ووافقه الذهبي .

الباطنة والظاهرة دالة على الطلب والمسألة على اختلاف المطلوب والمسؤول ، وكان هذا هو وجه التعبير بالدعاء ، دون العبادة في أكثر موارد القرآن والسنة ، ويشهد لهذا قوله ﷺ :((أفضل الدعاء يوم عرفة : لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيئ قدير)) (١) . وقد سئل سفيان بن عيينة عن معناه ، فأنشد قول أميّة بن أبي الصلت (٢)، في عبد الله بن جدعان (٣) :

أ أذكر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك ؟ إنّ شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء (٤)

وقال في القاموس المحيط : (الدعاء هو الرغبة إلى الله) (٥).

وقال حسين بن محمد النعمي اليمني : الدعاء في الأصل ، موضوع لأن يكون من فقير عاجز ، خاضع لغني قادر عزيز قاهر .

والدعاء يرد في الكتاب والسنة ، بمعنى الطلب والمسألة ، بامتثال الأمر واجتناب النهي ، ويرد بمعنى المسألة والطلب ، بالصيغة القولية ، وقد فسر قوله تعالى : ﴿ وقال ربّكم

---

١ - أخرجه الإمام مالك في الموطأ ١/٢٤٥ ، ح(٦٢١) عن طلحة ، مرسلا . قال ابن عبد البر : لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث ، ولا أحفظ بهذا الإسناد مسندا من وجه يحتج بمثله ، وقد جاء مسندا من حديث علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو . التمهيد ٦/٣٩ ، ٤٤ . وقد ذكر الألباني لهذا الحديث شواهد ، في سلسلته الصحيحة ٤/٦ ، ح(١٥٠٣) ثم قال : وجملة القول ، أنّ الحديث ثابت بمجموع هذه الشواهد الصحيحة . وقال في صحيح الجامع الصغير وزيادته ١/ ٣٦٢ ، ح (١١١٣) : حسن .

٢ - هو أميّة بن أبي الصلت ، عبد الله بن أبي ربيعة ، ابو عثمان وأبو الحكم الثقفي ، شاعر جاهلي أدرك الإسلام ، وكاد أن يسلم ، وكان مطلعا على الكتب القديمة ، لم يشرب الخمر ولم يعبد الأصنام ، قيل : كان في أول أمره على الإيمان ثم زاغ عنه . انظر ترجمته : الأغاني ٤/ ١٢٠ -١٢٩ ، والبداية والنهاية ٢/ ٢٠٥ -٢١٣ .

٣ - هو عبد الله بن جدعان ، أحد الكرماء الأجواد الممدوحين المشهورين ، وهو جاهلي أيضا ، وكانت جفنته يأكل الراكب منها ، وهو على بعيره ، من عرض حافتها ، وكثرة طعامها . انظر : البداية والنهاية ٢/٢١٣ .

٤ - انظر ديوان أميّة بن أبي الصلت ص ٣٣٣ - ٣٣٤ . الأغاني ٤/١٢٠ -١٢٩ .

٥ - القاموس المحيط ٤/٣٢٩ .

ادعوني أستجب لكم ﴾ (١)، بدعاء العبادة ، وبدعاء المسألة ، والقولان معروفان ، والاية تشمل النوعين . قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره ، وذكر أنّهما متلازمان .(٢) فكل عابد سائل ، وكل سائل عابد (٣) . وقال -رحمه الله تعالى - : (والدعاء والدعوة في القرآن ، يتناول معنيين : دعاء العبادة ودعاء المسألة - وساق جملة من الآيات (٤).ثم قال : ولفظ الصلاة في اللغة بمعنى الدعاء ، وسمّيت به لتضمّنها معنى الدعاء ، دعاء العبادة والمسألة) (٥) . ثم قال : فأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ، ولكن إذا جمع بينهما يراد بالسائل من يطلب بصيغة السؤال ، ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر ، وإن لم يكن في ذلك صيغة السؤال (٦) . وسمي الذكر دعاءً لما فيه من التعريض بالمسألة . قال : وهذه الصيغة صيغة الطلب والاستدعاء ، إذا كانت ممن لا يحتاج إليه الطالب ، أو ممن يقدر على قهر المطلوب منه ، ونحو ذلك فإنّها تقال على صيغة الأمر ، إما لما في ذلك من حاجة الطالب ، وإما لما فيه من نفع المطلوب منه . وأما إذا كانت من الفقير من كل وجه للغني من كل وجه ، فإنها سؤال محض بتذلل وافتقار . (٧)

وقال صاحب دلائل الرسوخ : - روّح الله روحه - : (وقد نص على ما ذكره الشيخ من الفرق ، علماء المعاني : صاحب المفتاح (٨) وغيره . وفرّقو في الصيغة الواحدة

---

١ الآية (٦٠) من سورة غافر .

٢ - مجموع فتاوى ١٥/ ١١ - ١٢ .

٣ - المصدر السابق ١٠/ ٢٤٠ .

٤ - منها : قوله تعالى :﴿ فلا تدع مع الله إلهاً آخر أ فتكون من المعذبين ﴾ الآية (٢١٣) من سورة الشعراء .
وقوله تعالى : ﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخراً لا برهان له به فإنّما حسابه عند ربّه إنّه لا يفلح الكافرون ﴾ الآية (١١٧) من سورة المؤمنون .

٥ - مجموع فتاوى ١٠/ ٢٣٧ - ٢٣٨ .

٦ - مجموع فتاوى ١٠/٢٤٠ .

٧ - المصدر السابق ١٠/٢٤٦ .

٨ - انظر : مفتاح العلوم للسكاكي ص ٥٤٣ .

نظرا للمخاطَب والمخاطِب ، فقالوا : هي من الأعلى أمر ، ومن المساوي ، إلتماس ، ومن دونه،مسألة وطلب)(١).وقد فسّرقوله تعالى:﴿ ادعوا ربّكم تضرّعا وخفية﴾ (٢): بدعاء المسألة ، وقال العلاّمة ابن القيم – رحمه الله –: وقوله : إنه في هذه الآية أظهر، وذكر أنّ استعمال الدعاء في العبادة والمسألة ، من استعمال اللفظ في حقيقته الواحدة ، ليس من المشترك ولا المتواطئ ولا المجاز . (٣) وقوله تعالى : ﴿ وإذا مسّكم الضرّ في البحر ضلّ من تدعون إلاّ إيّاه ﴾ (٤)، ظاهر في دعاء المسألة ، لمناسبة الحال والواقع . وفي حديث عكرمة بن أبي جهل– رضي الله عنه–(لما فرّ يوم الفتح إلى سيف البحر ، وركب البحر ، " جاءتهم ريح عاصف ، وظنوا الهلكة أخلصوا الدعاء لله ، وصاروا يتوصّون بذلك ، ويقول بعضهم لبعض : لا ينجي في مثل هذه إلاّ الله . فقال عكرمة : إن كان لا ينجي في الشدّة إلاّ هو تعالى ، فكذلك لا ينجي في الرخاء إلاّ هو ، وقال : لئن أنجاني الله ، لأرجعنّ إلى محمد ﷺ ، ولأضعنّ يدي في يده ، فكان ذلك وأسلم ، وأحسن إسلامه – رحمه الله تعالى ورضي عنه) (٥) . والقصة معروفة عند أهل العلم . وفي الحديث : ((دعوة أخي ذي النون ما دعا به مكروب إلاّ فرّج الله عنه))(٦) سمّاها دعوة ، وهي سؤال وطلب ، وتوسل بالتوحيد . والعراقي يقول : لا يسمى دعاء ، وإنّما هي نداء ، وهذا ردّ على رسول الله ﷺ ، وتكذيبٌ بآيات الله ، وقول على الله بغير علم . وفي السنن من حديث حصين بن عبد الرحمن الخزاعي : أنّ النبي ﷺ قال له

---

١ – دلائل الرسوخ ، للشيخ عبد اللطيف ص ٧٠ .

٢ – الاية (٥٥) من سورة الأعراف .

٣ – بدائع الفوائد ٧/٣ .

٤ – الاية (٦٧) من سورة الإسراء .

٥ – ذكره ابن كثير ، عند تفسيره لهذه الآية . انظر تفسير القرآن العظيم ٥٤/٣ .

٦ – أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، باب (٨٢) بلفظ : ((دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت : لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين ، فإنّه لم يدع بها رجل مسلم في شيئ قط ، إلاّ استجاب الله له)) . ح(٣٥٠٥) ، ٥٢٩/٥ . والحاكم في المستدرك ٥٠٥/١ ، وصححه ، وأقره الذهبي ، وابن حجر في الفتح ٢٢٥/١١ . والنووي في الأذكار ص١٧١ ، ح (٣١٦) بلفظ الترمذي .

حين أسلم : ((كم كنت تعبد ؟ قال سبعة ، واحد في السماء وستة في الأرض ، قال فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك ؟ قال : الذي في السماء)) . (١)

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ﴾ (٢) وهذا دعاء ظاهر في دعاء المسألة، حال الشدة والضرورة . و قال تعالى : ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ (٣). وما زال أهل العلم يستدلون بالآيات التي فيها الأمر بدعاء الله ، والنهي عن دعاء غيره . على المنع من مسألة المخلوق ودعائه بما لا يقدر عليه إلاّ الله . وكتبهم مشحونة بذلك ، لا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله - اللّذين يزعم العراقي أنه على طريقتهما .

ويوضح هذا : أنّ ما لايقدر عليه العبد من الأمور العامة الكليّة ، كهداية القلوب ، ومغفرة الذنوب ، والنصر على الأعداء . وطلب الرزق من غير جهة معيّنة ، والفوز بالجنة ، والانقاذ من النار ، ونحو ذلك : غاية في القصد والإرادة ، فسؤاله وطلبه غاية في السؤال والطلب ، وفي ذلك من الذل وإظهار الفاقة والعبودية ما لاينبغي أن يكون لمخلوق ، أو يقصد به غير الله تعالى ، وهذا أحد الوجوه في الفرق بين دعاء المخلوق فيما يقدر عليه من الأسباب العادية الجزئية ، وبين ما تقدم ، مع أنّ سؤال المخلوق قد يحرم مطلقا ، ومسألة المخلوق في الأصل محرمة ، وإنّما أبيحت للضرورة . قال تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب وإلى ربّك فارغب ﴾ (٤). وثبت عنه ﷺ ، (أنه بايع نفرا من أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئا ، فكان أحدهم يسقط السوط من يده . فلا يقول

---

١ - أخرجه الترمذي في السنن ، كتاب الدعوات ، باب (٧٠) ح (٣٤٨٣) ٥١٩/٥- ٥٢٠ ، وأخرج الجزء الأخير من الحديث وهو : (قال يا حصين : أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعك ...١٧١/٥. وابن عبد البر في الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٥٧/٢- ٢٥٨ ، عند ترجمة حصين . والتبريزي في المشكاة ح (٢٤٧٩) .

٢ - الآية (٤٠) من سورة الأنعام .

٣ - الآية (٦٥) من سورة العنكبوت .

٤ - الآية (٧ ، ٨) من سورة الشرح .

لأحد ناولنيه) .وقد اشتهر عنه ﷺ ، (أنه منع تعليق الأوتار والتمائم ، وأمر بقطعها ، وبعث رسوله بذلك (١) كما في السنن وغيرها ، وقال : ((من تعلق شيئا وكل إليه))(٢) بل نهى عن قول الرجل : ما شاء الله وشئت ، وقال لمن قال له ذلك : ((أجعلتني لله ندا)) (٣)، ومنع من التبرك بالأشجار والأحجار ، وقال لأبي واقد الليثي وأصحابه من مسلمة الفتح ، لما قالوا له : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط : ((قلتم والذي نفسي بيده ، كما قال بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة)) (٤) . ونهى عن الصلاة عند القبور ، وإن لم يقصدها المصلي (٥)، ولعن من

---

١ - يشير العلامة الألوسي إلى ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما من حديث عباد بن تميم ، أن أبا بشير الأنصاري أخبره أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، قال عبد الله : حسبت أنه قال : والناس في مبيتهم ، فأرسل رسول الله ﷺ رسولا :((لاتبقينّ في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلاّ قطعت)) واللفظ للبخاري مع الفتح ١٤١/٦ ، كتاب الجهاد ، باب ما قيل في الجرس ونحوه ، في أعناق الإبل ، ح (٣٠٠٥) ، ومسلم في صحيحه كتاب اللباس ، باب كراهية قلادة الوتر في رقبة البعير ، برقم (١٠٥) ٢١١٥ ، ١٦٧/٣ .

٢ - أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الطب ، باب ما جاء في كراهية التعليق ، ح(٢٠٧٢) ٤٠٣/٤ . وانظر صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٠٨/٢ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣١٠/٤ .

٣ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، باب قول الرجل : ما شاء الله وشئت ، ح (٧٨٣) والإمام أحمد في مسنده ٢١٤/١ و ٢٢٤ ، ٢٨٣ ، والطحاوي في مشكل الآثار ، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله عليه السلام من نهيه أمته أن يقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ... ح (٢٣٥) ٢١٨/١ ، والبيهقي ٢١٧/٣ ، كتاب الجمعة باب ما يكره من الكلام والخطبة . وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ٢١٦/١ (١٣٩) .

٤ - يشير - رحمه الله - إلى ما أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الفتن ، باب ما جاء : لتركبن سنن من كان قبلكم ،٤٧٥/٤ ، وتمام الحديث ((لتركبن سنن من قبلكم)) . قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح . واخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢١٨/٥ .

٥ - يشير إلى حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه : ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) قالت : ولولا ذلك ، لأبرزوا قبره ، غير أنّي أخشى أن يتخذ مسجدا)) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز ، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ح (١٣٣٠) ٢٠٠/٣ . وفي كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ح (٣٤٥٣، ٣٤٥٤) ٤٩٤/٦ - ٤٩٥ ، واللفظ له . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ح (١٩) -(٥٢٩) ٣٧٦/١ .

فعل ذلك ، وأخبر أنّهم شرار خلق عند الله (١) ، ونهى عن الذبح لله في مكان كان يذبح فيه لغير الله (٢)، حسما لمادة الشرك ، وقطعا لوسائله ، وسداً لذرائعه ، وحماية للتوحيد ، وصيانة لجنابه ، فمن المستحيل شرعا ، وفطرة وعقلا : أن تأتي هذه الشريعة الطاهرة الكاملة وغيرها ، بإباحة دعاء الموتى ، والغائبين ، والاستغاثة بهم في الملمّات والمهمات ، كقول النصراني : يا والدة المسيح ، اشفعي لنا إلى الإله ، أو يا عيسى أعطني كذا ، وافعل بي كذا ، وكذلك قول القائل : يا علي ، يا حسين ، أو يا عباس ، أو يا عبد القادر ، أو يا عيدروس ، أو يا بدوي ، أو يا فلان ويا فلان أعطني كذا ، أو أجرني من كذا ، أو أنا في حسبك ، ونحو ذلك من الألفاظ الشركية ، التي تتضمن العدل بالله ، والتسوية به تعالى وتقدس ، فهذا لا يأتي شريعة ولا رسالة بإباحته قط ، بل هو من شعب الشرك الظاهرة ، الموجبة للخلود في النار ، ومقت العزيز الغفار . وقد نص على ذلك مشايخ الإسلام ، حتى ذكره بن حجر في الإعلام (٣) مقررا له .

وتأويل الجاهلين ، والميل إلى شبه المبطلين ، هو الذي أوقع هؤلاء وأسلافهم الماضين من أهل الكتاب والأميّين ، في الشرك بالله ربّ العالمين . فبعضهم يستدل على

---

١ - أشار بذلك إلى حديث أم سلمة - أم المؤمنين ، الذي روته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنهما - أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة ، وما فيها من الصور ، فقال : ((أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح ، أو العبد الصالح ، بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله)) . رواه البخاري في صحيحه مع الفتح ، كتاب الجنائز ، باب بناء المسجد على القبر ، ح (١٣٤١) ، ٢٠٨/٣ ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ... ح (١٦) ٣٧٥/١- ٣٧٦ .

٢ - يشير إلى ما أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأيمان والنذور ، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذور ، عن ثابت بن الضحاك قال : نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلا ببوانة ، فقال النبي ﷺ : ((هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا : لا ، قال : هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قالوا : لا ، قال رسول الله ﷺ : أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم)) . سنن أبي داود ٦٠٧/٣ ، ح (٣٣١٣) .

*(وبوانة) الوارد في الحديث : هضبة من وراء ينبع ، قريبة من ساحل البحر . انظر : معجم البلدان ٥٠٥/١ .

٣ - انظر : كتاب الإعلام بقواطع الإسلام ، بذيل الزواجر عن ارتكاب الكبائر ، لابن حجر الهيتمي ، ٣٦٦/٢ ، ٣٦٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

شركه بالخوارق والكرامات ، وبعضهم بروايات المنامات ، وبعضهم بالقياس على السوالف والعادات ، وبعضهم بقول من يحسن به الظن .

وكل هذه الأشياء ليست من الشرع في شيء . وعند رهبان النصارى وعباد الصليب و الكواكب ، من هذا الضرب ، شيء كثير ، وبعضهم أحذق من هذا العراقي وامثاله الذين لم يفهموا من العبادة ، سوى الركوع والسجود ، ولم يجدوا في معلومهم سواه ، فأين الحب والخضوع ، والتوكل والإنابة ، والخوف والرجاء ، والرغب والرهب ، والطاعة والتقوى ، ونحو ذلك من أنواع العبادة الباطنة والظاهرة ؟ فكل هذا عند العراقي ، يصرف لغير الله ، ولا يكون عبادة ، لأنّ العبادة ما فسّرها هو به فقط ، بل عبارته في عدّة مواضع تفهم أنّ السجود لا يحرم إلاّ على من زعم الاستقلال ، وقد رأينا كثيرا من المشركين ، ولم نر مثل هذا الرجل ، في جهله ومجازفته وبلادته ، ولولا ما نقصده من انتفاع من اطلع على هذا الكتاب ، لم نتعرض لردّ شيئ من كلامه ، لظهور بطلانه . ويزيد هذا ظهورا ، ما جاء في الحديث من قوله ﷺ : ((من يسأل الناس ، وله ما يغنيه ، جاءت مسألته خدوشا (١) أو خموشا (٢) في وجهه يوم القيامة)) (٣).

وقوله : ((لا تزال المسألة بأحدكم ، حتى يلقى الله وليس على وجهه مزعة (٤) لحم)) (٥).

---

١ - خدوشا : من خدش جلده ووجهه : مزّقه . والخدوش : الآثار والكدوح . اللسان ٢٩٢/٦ ، ومختار الصحاح ص٧٢ . مادة (خد ش) .

٢ - خموشا : الخمش : الخدش في الوجه . اللسان ٢٩٩/٦ . مختار الصحاح ص ٨٠ . مادة (خد ش) .

٣ - أخرجه الإمام الترمذي ، كتاب الزكاة ، باب من تحل له الزكاة (٦٥٠) ٣١/٣ . وقال : حديث حسن .

وانظر : شرح السنة للبغوي ٨٣/٦-٨٤ ، ومشكاة المصابيح (١٨٤٧) وأخرجه النسائي في سننه ، كتاب الزكاة ، باب حد الغني ٥/ ٧٢ .

٤ - مزعة : من مزع اللحم فتمزّع : فرّقه فتفرّق. والتمزيع : التفريق ، والمُزعة ،بضم الميم : قطعة لحم . اللسان ٣٣٦/٨ . ومختار الصحاح ص ٢١٠ . مادة (مزع) .

وقيل معناه : يأتي يوم القيامة ذليلا ساقطا ، لا وجه له عند الله ، وقيل هو على ظاهره ، فيحشر ووجهه عظم ، لا لحم فيه ، عقوبة له ، وعلامة له بذنبه ، حين طلب وسأل بوجهه . صحيح مسلم ٧٢٠/٣ ،

٥ - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٧٢٠/٣ ، كتاب الزكاة باب كراهية المسالة للناس . ح(١٠٣) .

وقوله : ((من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس ، لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله ، أوشك له بالغنى ، أو يموت عاجل أو غني عاجل)) (١). وقوله : ((لا تحل المسألة إلاّ لثلاثة : لذي عزم مفظع ، أو فقير مدقع (٢) أو دم موجع)) (٣) هذا في سؤال الخلق ما يقدر عليه من الأسباب العادية الجزئيّة ، فكيف ترى بما لا يقدر عليه إلاّ الله من الأمور العامة الكليّة ؟ وعلى زعم هذا العراقي ، لا يكره شيئ في ذلك ، ولا يمنع منه لمن قصد الصالحين ودعاهم .

(**وأما** قول العراقي): (على أنّهم أرباب) قال العلاّمة الألوسي – رحمه الله – : يريد به أنّ دعاءهم ومسألتهم بطريق التسبب والشفاعة لا يضر ، ومن بلغت به الجهالة والعماية إلى هذه الغاية ، فقد استحكم على قلبه الضلال والفساد ، ولم يعرف ما دعت إليه الرسل سائر الأمم والعباد ، ومن له أدنى نهمة (٤) في العلم ، والتفات إلى ما جاءت به الرسل ، يعرف أنّ المشركين من كل أمة في كل قرن ، ما قصدوا من معبوداتهم وآلهتهم التي عبدوها مع الله تعالى ، إلاّ لتسبّب والتوسل والتشفع ، ليس إلاّ ، ولم يدّعوا الاستقلال والتصرف لأحد من دون الله ، ولا قاله أحدهم ، سوى فرعون (٥)، والذي حاج إبراهيم في ربّه (٦)، وقد قال تعالى : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها**

---

١ – أخرجه الشجري في كتابه الأمالي الخميسية ٢/١٩٣ . وانظر : كتاب الكنى والأسماء للدولابي ١/٩٦ .

٢ – المدقع :الفقير الذي قد لصق بالتراب من الفقر .وفقر مدقع :أي ملصق بالدقعاء .اللسان ٨/٨٩ مادة :(دقع).

٣ – أخرج نحوه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة باب من تحل له المسألة ، ح (١٠٩) ٣/٧٢٢ . وانظر : شرح النووي ٧/١٣٩–١٤٠ ؛ وابن خزيمة في صحيحه ، ح (٢٣٦٠) والترمذي في سننه ، كتاب الزكاة ، باب ما جاء : من لا تحل له الصدقة ، ح (٦٥٣) ٣/٣٤ .

٤ – نهمة : أي نصيب وحظ ، أو بلوغ الهمة . القاموس المحيط ٤/١٨٦ .

٥ – يشير الألوسي–رحمه الله– إلى قوله تعالى :﴿ **فقال أنا ربكم الأعلى** ﴾ الآية (٢٤) من سورة النازعات .

٦ – هو ملك بابل ، نمرود بن كنعان . قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربى الذى يحى ويميت قال أنا أحى وأميت قال إبراهيم فإنّ الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ الآية (٢٥٨) من سورة البقرة .

أنفسهم ظلما وعلوًّا ﴾ (١). فهم في الباطن يعلمون أنّ ذلك لله وحده . قال تعالى في بيان قصدهم ومرادهم بدعاء غيره : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى إنّ الله يحكم بينهم في ماهم فيه يختلفون ﴾(٣) ، وقال تعالى : ﴿ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء ﴾ (٥)وقال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحبّ الله ﴾ (٦) ، فأخبر تعالى أنّهم تعلّقوا على آلهتهم ، ودعوهم مع الله للشفاعة والتقريب إلى الله بالجاه والمنزلة ، وأحبّوهم مع الله محبة تأله وتعبد ، لنيل أغراضهم الفاسدة ، ولم يريدوا منهم تدبيرا ، ولا تأثيرا ، ولا شركة ، ولا استقلالا ، يوضحه قوله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميّت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ۝ فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلاّ الضلال فأنّى تصرفون ۝ ﴾، (٧) وقوله تعالى : ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ۝ سيقولون لله قل أفلا تذكّرون ۝ قل من ربّ السّموٰات السبع وربّ العرش

---

١ - الآية (١٤) من سورة النمل .

٢ - الآية (١٨) من سورة يونس .

٣ - الآية (٣) من سورة الزمر .

٤ الآية (٢٨) من سورة الأحقاف .

٥ - الآية (٤٣) من سورة الزمر .

٦ - الآية (١٦٥) من سورة البقرة .

٧ - الآية (٣١ ، ٣٢) من سورة يونس .

العظيم ٨٦ سيقولون لله قل أفلا تتقون ٨٧ قل من بيده ملكوت كل شيئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ٨٨ سيقولون لله قل فأنّى تسحرون ٨٩ ﴾ (١) وقوله : ﴿ أمّن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أءلهٌ مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ٦١ أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السّوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءلهٌ مع الله قليلا ما تذكرون ٦٢ أمّن يهديكم في ظلمات البرّ والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أءلهٌ مع الله تعالى الله عمّا يشركون ٦٣ ﴾ (٢).

فتأمل هذه الآيات وما فيها من الحجج البينات ، تطلعك على جهل هذا العراقي وأمثاله ، وأنّهم ما عرفوا شرك المشركين . وما كانوا عليه من القصد والدين ، ولم يعرفوا ما كان عليه أنبياء الله وأتباعهم من توحيد ربّ العالمين ، وتأمل كيف استدلّ سبحانه وتعالى على توحيد إلهيته ، ووجوب عبادته وحده لا شريك له ، بما اقرّ به الخصم واعترف به ، من توحيد ربوبيّته ، واستقلاله بالملك والخلق والتأثير والتدبير ، وهذه عادة القرآن دائما ، يعرج على هذه الحجة ، لأنها من أكبر الحجج وأوضحها ، وأدلّها على المقصود ، فسبحان من جعل كلامه في أعلى طبقات البلاغة والفصاحة والجلالة والفخامة . والدلالة والظهور ، فأي شبهة بعد هذا تبقى للمماحل (٣) المغرور ...

(**وأما** قول العراقي) : (وأنّ نداء الصالحين ليس بعبادة ...) .

يقول الألوسي - رحمه الله - : (فهو ممن دلّ الأشياء على جهله ، وعدم ممارسته لشيئ من العلم وإن قلّ . فإنّ النداء هو رفع الصوت بالدعاء أو الأمر أو النهي ، ويقابله النجى ، الذي هو المسارة وخفض الصوت . هذا بإجماع أهل اللغة (٤)، كما حكاه

---

١ - الآيات (٨٤- ٨٩) من سورة المؤمنون .

٢ - الآيات (٦١-٦٣) من سورة النمل .

٣ - المماحل : الماكر . القاموس المحيط ٤/٥٠ .

٤ - انظر : مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٩٢ ، ٧٩٦ ، ولسان العرب ١٥/٣٠٨، ٣١٥ ، مختار الصحاح ص ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، القاموس المحيط ٤/٣٩٦ .

ابن القيم في نونيته (١)،وشيخ الإسلام في التسعينية ، وليس قسيما (٢) للدعاء كما ظنه الغبي، قال تعالى: ﴿ ويوم يقول نادوا شركايى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ﴾(٣) ، فما فعلوه هو عين ما أمروا به ، وكفى بهذه الآية حجة على إبطال قوله .

وقال تعالى : ﴿ وأيوب إذ نادى ربه ﴾ (٤) وقال: ﴿ ونوحا إذ نادى من قبل ﴾(٥) وقال: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ﴾ (٦)،وقال: ﴿ذكر رحمت ربّك عبده زكرياً ،إذ نادى ربّه﴾ (٧).

وسمّى هذا النداء دعاء في كتابه العزيز .

قال عن نوح عليه السلام : ﴿فدعا ربه أني مغلوب فانتصر﴾(٨) ، وقال : ﴿ هنالك دعا زكريا ربّه ﴾ (٩). وفي الحديث ((دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلاّ فرّج الله عنه)) (١٠) ، وفيه أيضا : ((لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا)) (١١)،

---

١ - انظر : شرح النونية لهراس ١/١٢٢ .

٢ - قسيم الشيئ : ما يكون مندرجا تحته ، وأخص منه كالاسم ، فإنه أخص من الكلمة ، ومندرج تحتها .
وقسيم الشيئ : هو ما يكون مقابلا للشيئ ومندرجا معه تحت شيئ آخر كالإسم . فإنه مقابل للفعل ، وهما مندرجان تحت شيئ آخر وهي الكلمة التي هي أعم منهما . التعريفات للجرجاني ص ٢٢٤ .

٣ - الآية (٥٢) من سورة الكهف .

٤ الآية (٨٣) من سورة الأنبياء .

٥ - الآية (٧٦)من سورة الأنبياء .

٦ - الآية (٨٧) من سورة الأنبياء .

٧ - الآية (٢، ٣) من سورة مريم .

٨ - ألاية (١٠) من سورة القمر .

٩ - الآية (٣٨) من سورة آل عمران .

١٠ - تقدم تخريجه ص ٣٣٧ .

١١ - ذكر الألوسي هذا الحديث بالمعنى ، وهو حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - الذي رواه البخاري في صحيحه مع الفتح ، كتاب الأنبياء ، ح (٣٤٢٣) ٦/ ٤٥٧ . ونصه : ((إنّ عفريتا من الجن تفلّت البارحة ليقطع علي صلاتي ، فأمكنني الله منه ، فأخذته ، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلّكم ، فذكرت دعوة أخي سليمان : ﴿ قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى ﴾ الآية (٣٥) من سورة ص .

يعني الشيطان الذي تفلت عليه ﷺ في صلاته من الليل ، وفيه ((ألا أنبّئكم بأول أمري وآخره ؟ دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى)) (١) . يشير بدعوة سليمان إلى قوله تعالى : ﴿ رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ (٢) وبدعوة إبراهيم إلى قوله: ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ﴾ (٣)، فسمّى هذه المسألة دعوة ، والتاء فيها للوحدة .

وقال معاذ – رضي الله عنه – في الطاعون : (إنّه ليس برجز، إنّه دعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم ،ورحمة ربكم) (٤). يشير إلى قوله ﷺ : ((اللهم اجعل فناء أمتي بالطعن والطاعون)) (٥) . فانظر إلى هذه النصوص ، وما أفادت من إطلاق اسم الدعاء على المسألة والطلب .

والحاصل : أنّ المؤمن يكفيه أن دعاء الموتى والغائبين ، لا يعرف عن أحد من أهل العلم والإيمان ، الذين هم لسان صدق في الأمة ، ولم تأت به شريعة من الشرائع ، بل المنقول عن جميع الأنبياء ، يردّه ويبطله ، فإنّ الله تعالى حكى أدعيتهم وتوجهاتهم ، وما قالوه وأمروا به ، وندب عباده إلى الاقتداء بهم . قال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (٦) .

---

١ – أخرجه أحمد في مسنده ٤/١٢٧ ، ١٢٨ ، وهو جزء من حديث العرباض بن سارية ، وتمامه : ((إني عبد الله ، لخاتم النبيين ، وإنّ آدم عليه السلام لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بأول أمري ، ذلك دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات النبيين ترين)) .

٢ – الآية (٣٥) من سورة ص .

٣ – الآية (١٢٩) من سورة البقرة .

٤ – بذل الماعون في فضل الطاعون ، لابن حجر ص ٢٦٠ .

٥ – أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/٤١٧ ، ٣/٤٣٧ . وابن حجر في الفتح ١٠/ ١٨٢ ، من حديث أبي بردة بن قيس .

٦ – الآية (٩٠) من سورة الأنعام .

وقد أجمع المسلمون على ذم البدع وعيبها ، قال تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شِركٌ في السّموات ا يتوني بكتاب قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ﴾ (٢). وفي حديث العرباض بن سارية : ((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإنّ كل بدعة ضلالة)) (٣). وهذا وجه كاف في الجواب ، للإتفاق على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة ...) (٤) .

ومن تلك الشبه والحكايات : (ما حكيت عن أهل القبور أن فلانا استغاث بالقبر الفلاني في شدّة ، فخلص منها ، وفلان نزل به ضر فاستدعى صاحب ذلك القبر، فكشف ضرّه ، وفلان دعاه في حاجة فقضيت حاجته ... والمعلوم أن النفوس مولعة بقضاء حوائجها وإزالة ضراوتها ، لا سيما من كان مضطرا يتشبث بكل سبب ، وإن كان فيه كراهة ، فإذا سمع أحدا أن قبر فلان ترياق (٥)مجرب ، يميل إليه ، فيذهب

---

١ - الآية (٢١) من سورة الشورى .

٢ - الآية (٤) من سورة الأحقاف .

٣ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/١٢٦ ، وأبو داود في السنن ٥/١٣-١٥ ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ح (٤٦٠٧) وابن ماجة في السنن ، المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١/١٥- ١٦ ، ح(٤٢) والترمذي في السنن ٥/٤٤، كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، ح(٢٦٧٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن أبي عاصم في السنة ١/١٧ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩، ٣٠ ، وابن حبان رقم (٥) والحاكم في المستدرك ١/٩٧ وصححه .

٤ - فتح المنان ص ٤٤١ - ٤٥٠ .

٥ - الترياق : دواء السموم ، فارسي معرب ، فهو يستعمل في دفع السم من الأدويه والمعاجين . انظر : اللسان ١٠/٣٢ ، ومختار الصحاح ص٣٢ ، و معالم السنن للخطابي على سنن أبي داود ٤/ ٢٠٢ .

* ليس الترياق المجرب في القبور والعكوف عندها و دعاء أصحابها ، وإنما الترياق المجرب : إخلاص العبادة لله وحده ، والإيمان بأنّ صاحب القبر مهما بلغ من العظمة ، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، وقد جاء النبي ﷺ ، بكتاب الله وهداه ، لتطهير القلوب من وثنية تعظيم القبور ، واعتقاد الترياق فيها ، والدعوة إلى عبادتها . انظر : طبقات الحنابلة ١/ ٣٨٢ .

ويدعو عنده بحرقة ، وذلّة وانكسار ، فيجيب الله تعالى دعوته ، لما قام بقلبه من الذلة والانكسار ، لا لأجل القبر ، فإنه لو دعا كذلك في الجبانة والحمامة و السوق ، لأجابه ، فيظن الجاهل أن للقبر تأثيرا في إجابة تلك الدعوة ، ولا يعلم أنّ الله تعالى يجيب دعوة المضطر ولو كان كافرا ، فليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضيا عنه ، ولا محبا له ولا راضيا بفعله ، فإنه يجيب دعاء البرّ والفاجر والمؤمن والكافر ، فإنه سبحانه هو القائل: ﴿ **وإذا مس الإنسان الضرّ دعانا لجنبه أو قاعدا أو قايما فلمّا كشفنا عنه ضرّه مرّ كأن لم يدعنا إلى ضرّ مسّه** ﴾ (١)، وهو سبحانه القائل : ﴿ **وإذا مسّكم الضرّ في البحر ضلّ من تدعون إلاّ إيّاه فلمّا نجاّكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا** ﴾ (٢). إلى غير ذلك من الآيات ، التي تدل دلالة واضحة على أنّ من دعاه موقنا أنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه أجاب ، وقد يكون مشركا فاسقا) (٣).

فهذه بعض تلك الشبه المروية عن السدنة ، الذين هم أكذب خلق الله على الأحياء والأموات .

أما ما ورد من الحكايات : فمنها :

(الحكاية الأولى) (٤): ما يرويه العراقي - في ترويج أباطيله لدى ضعاف النفوس والجهلة من المسلمين - عن ابن الجوزي في كتابه : "*صفة الصفوة*" عن أبي أيوب - رجل من قريش- أن امرأة من أهله كانت تجتهد في العبادة ، وتديم الصيام ، وتطيل القيام ، فأتاها الملعون وقال : إلى كم تعذبين هذا الجسد وهذه الروح ؟ لو أفطرت وقصّرت عن القيام ، كان أدوم لك وأقوى ، قالت : فلم يزل يوسوس لي حتى هممت بالتقصير، قالت : ثم دخلت مسجد النبي ﷺ ، معتصمة بقبره ، وذلك بين المغرب والعشاء ، فذكرت الله تعالى ، وصلّيت على رسوله ﷺ ، ثم ذكرت ما نزل بي من

---

١ - الآية (١٢) من سورة يونس .

٢ - الآية (٦٧) من سورة الإسراء .

٣ - انظر : غاية الأماني ٢/٣٢٨ ، ٣٣٣ - ٣٣٥ ، والرد على المستغيثين بغير الله ، ضمن الجامع الفريد ص ٥٥٩ .

٤ - وهي الدليل العشرون عند العراقي في صلح الإخوان ص ٥٧ -٥٨ .

وسوسة الشيطان واستغفرت وجعلت أدعو الله أن يصرف عني كيده ووساوسه ، فسمعت صوتا من ناحية القبر يقول : ﴿ إنّ الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنّما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ (١)، قالت : فرجعت مذعورة وجلة القلب ، فوالله ما عاودني تلك الوسوسة بعد تلك الليلة ...) (٢). قال العراقي : فدلّ على أنّ الاعتصام بقبره ﷺ ، كان أمرا معلوما للسلف الصالحين ، وأنها لما اعتصمت حصل لها الفرج بسببه ، أو أكرمها الله بسماع الصوت من القبر بالموعظة والزجر ، عن مطاوعة الشيطان ، فحصل لها زوال الوسوسة ، ببركة هذا الاعتصام) (٣).

قال العلاّمة الألوسي- رحمه الله تعالى - في رده على هذه الحكاية : (والجواب : أنّ هذه الحكاية لو سلمت صحتها ، ليس فيها دلالة على المقصود من جواز نداء غير الله فيما هو من الخصائص الإلهية ، ولو دلّت ، فلا يسوغ الاحتجاج بها ، كيف و هي لم تكن مما يقتدى بها ، ولو سلّم أنها كانت من أهل الاجتهاد ، فخطؤها واضح ، من النصوص الدالة على بطلان ذلك ، فإنّ الفقهاء كلّهم ،صرّحوا بكراهة مسّ القبور وتقبيله والصلاة عنده والجلوس حوله (٤)، ولم ينقل عن أحد من أصحاب النبي ﷺ ، لا من الخلفاء الراشدين ، ولا من غيرهم ، مثل هذا الذي روي عن هذه المرأة ، ولا مثل الذي روي عن بلال (٥) ، وقد قال تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيئ فردوه إلى الله

---

١ - الآية (٦) من سورة فاطر .

٢ - صفة الصفوة ٢/٢٠٥ ، وفتح المنان ص ٣٧٠ ، وصلح الإخوان ص ٥٧- ٥٨ .

٣ - صلح الإخوان ص ٥٨ . وقد نقله الشيخ الألوسي نصا في فتح المنان ص ٣٧٠ .

٤ - ومما جاء عنهم ، قال النووي في المجموع عن أبي حسن : (واستلام القبور وتقبيلها الذي يفعله العوام الآن من المبتدعات المنكرة شرعا ، ينبغي تجنب فعله ، وينهى فاعله ، وقال الفقهاء المتبحرون الخراسانيون : المستحب في زيارة القبور ... أن لا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه ، فإنّ ذلك عادة النصارى . قال : وما ذكروه صحيح ، لأنه قد صح النهي عن تعظيم القبور ، ولأنه إذا لم يستحب استلام الركنين الشاميين ، من أركان الكعبة ، لكونه لم يسن ، مع استحباب استلام الركنين الاخرين ، فلأن لا يستحب مس القبور أولى) ٥/ ٢٨٦ - ٢٨٧ .

٥ - وهو ما ذكره الألوسي مما يستدل به العراقي على أباطيله ، وهو ما رواه أبو درداء في قصة نزول بلال بدارهم بعد فتح بيت المقدس ، قال : إنّ بلالا رأى النبي ﷺ ، وهو يقول له : ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن =

والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (١)، وقد ثبت عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ ، فقال: السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه) ، ومع هذا فقد قال ابن ابن ابن أخيه الإمام الحافظ الفقيه أحد الأعلام ، أبو عثمان عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري المدني - رضي الله عنهم-: (ما نعلم أحدا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلاّ ابن عمر) (٢) . فإذا كان هذا قول عبيد الله بن عمر ، فيما روي عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - في ذلك مع أنه أقرب بكثير مما روى عن بلال وهذه المرأة ، فكيف يقال فيما روي عنهما من الفعل المناقض لما نقل بالتواتر عن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم ، والتابعين لهم بإحسان ، والله تعالى أعلم) (٣).

الحكاية الثانية : (٤)

قال العراقي : (... وفي صفة الصفوة بسنده إلى أحمد بن الفتح (٥)، أنه رأى بشر بن الحارث - يعني المشهور بالحافي (٦) - وهو من أجلّ التابعين ، حتى إن الإمام أحمد - رضي الله تعالى عنه كان يقول لمن يسأله عن الورع : سل بشر بن الحارث ، لا تسألني ،

=لك أن تزورنا ؟ فانتبه حزينا خائفا ، وركب راحلته وقصد المدينة ، فأتى قبر النبي ﷺ ، فجعل يبكي ويمرغ وجهه على القبر ،... إلخ . قال العراقي : وكان ذلك بحضر الصحابة ، فلم ينكر أحد عليه . قال الألوسي : والجواب : ما ذكره ابن عبد الهادي في الصارم المنكي : من أنّ هذا الأثر المذكور عن بلال ليس بصحيح عنه ، ولو كان صحيحا ، لم يكن فيه دليل على محل النزاع .) انظر : فتح المنان ص٣٦٨ ، وصلح الإخوان ص٥٧ . والصارم المنكي ص ٢٢٨ .

١ - الآية (٥٩) من سورة النساء .

٢ - أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ، باب السلام على قبر النبي ﷺ ، ح (٦٧٢٤) ٣/ ٥٧٦ .

٣ - فتح المنان ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

٤ - وهي الدليل الحادي والعشرون عند العراقي في صلح الإخوان ص ٥٨ .

٥ - هو أحمد بن الفتح بن موسى الوراق ، صاحب بشر بن الحارث . انظر : تاريخ بغداد ٤/٣٤٤ - ٣٤٥ .

٦ - هو بشر بن الحارث الحافي أبو نصر ، ولد سنة (١٥٠) وتوفي عشية الأربعاء العشر بقين من ربيع الأول وقيل : من محرم سنة (٢٢٧) وقد بلغ من العمر (٧٥) وقيل : (٧٧) . انظر : صفة الصفوة ٢/٣٢٥-٣٣٥.

فإنّي آكل من غلّة بغداد ، وكان علي بن المديني إ مام المحدثين ، ينادي في جنازة بشر : هذا شرف الدنيا والآخرة . قال أحمد بن الفتح : سألت بشرا عن معروف الكرخي فقال : هيهات حالت بيننا وبينه الحجب ، إ نّ معروفاً لم يعبد ا لله شوقا إلى جنته ، ولا خوفا من ناره ، وإ نّما عبده شوقا إليه ، فرفعه ا لله إلى الرفيق الأعلى ، فمن كانت له حاجة فليأتي قبره ، وليدعو فإنه يستجاب له ، إن شاء ا لله تعالى . قال الحافظ ابن الجوزي : وقبره ظاهر يتبرك به في بغداد ، وكان إبراهيم الحربي - يعني صاحب إمام أحمد بن حنبل - يقول : قبر معروف الترياق المجرّب) (١) . قال العراقي : ويكفي إثبات الحافظ ابن الجوزي له بالسند الصحيح ، والنقل الصريح ، فإ نه معلوم عند المحدثين ، وأهل العلم كيف تشديده في التضعيف ، ووضع صحيح ، فضلا عن الموضوع والضعيف). (٢)

وقال العلاّمة الأ لوسي - رحمه ا لله - في ردّه على هذه الشبهة :

(**والجواب** أن يقال لهذا العراقي البليد : كيف يثبت دين ا لله تعالى بمثل هذه الأقوال المظلمة الكاسدة ، والشبه المعتلة الفاسدة ، أيظن أن كل أحد يروج عليه الباطل ، ويشتبه عليه العاطل ؟ كلا ، فإن لله تعالى رجالاينفون عن دينه زيغ المبطلين وتحريف الملحدين. ثم إنّ الذي ذكرنا كراهته لا ينقل في استحبابه - فيما علمناه - شيئ ثابت عن القرون الثلا ثة ، التي أثنى عليه النبي ﷺ حيث قال : ((خير أمتي القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)) (٣) ، مع شدّة المقتضى فيهم لذ لك ، ولو كان فيه فضيلة ، فعدم أ مرهم وفعلهم لذ لك ، مع قوة المقتضى لو كان فيه فضل ، فهو يوجب القطع بأن لا فضل فيه . وأما من بعد هؤلاء ، فأكثر ما يفرض أ نّ الأمة اختلفت فصار

---

١ - صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ٣٢٣ - ٣٢٤ . وصلح الإخوان ص٥٨ ، وفتح المنان ص ٣٧١ . انظر التعليق عليه ص ٢٤٧ .

٢ - صلح الإخوان ص ٥٨ ، وفتح المنان ص ٣٧٠ .

٣ - أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، با ب فضائل أصحاب النبي ﷺ ... ح (٣٦٥٠) الصحيح مع الفتح ٧/٣ . وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٤/١٩٦٢- ١٩٦٥ .

كثير من العلماء وظاهري الصلاح ، إلى فعل ذلك ، وصار بعضهم إلى النهي عن ذلك ، فإنه لا يمكن أن يقال : قد اجتمعت الأمة على استحسان ذلك لوجهين :

أحدهما : أن كثير من الأمة كره ذلك ، وأنكره قديما وحديثا .

الثاني : أنه من الممتنع أن تتفق الأمة على استحسان فعل ، لو كان حسنا لفعله المتقدمون ، ولم يفعلوه ، فإنّ هذا من باب تناقض الإجماعات ، وهي لاتتناقض ، وإذا اختلف فيه المتأخرون . فالفاصل بينهم هو الكتاب والسنة وإجماع المتقدمين ، نصا واستنباطا ، فكيف – والحمد لله – لا ينقل هذا عن معروف ، ولا عالم متبع ، بل المنقول في ذلك ، **إما** أن يكون كذبا على صاحبه ، مثل ما حكي عن الإمام الشافعي أنه قال : إذا نزل بي شدة ، أجيئ فأدعو عند قبر أبي حنيفه ، فأجاب (١)، أو كلاما هذا معناه . وهذا كذب معلوم كذبه بالاضطرار . عند من له معرفة بالنقل . فإنّ الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده ألبتة ، بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفا ، وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين ،من كان أصحابهم عنده وعند المسلمين ، أفضل من أبي حنيفه وأمثاله من العلماء ، فما باله لم يتوخ الدعاء إلاّ عنده ؟ ثم أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه ، مثل أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم ، لم يكونوا يتحرون الدعاء ، لا عند قبر أبي حنيفة ولا عند غيره

ثم إنّ الشافعي قد صرح في بعض كتبه . بكراهة تعظيم القبور ، خشية الفتنة بها ، وإنما يضع مثل هذه الحكايات ، من يقلّ علمه ودينه .

وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف ، ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكايات المسيّبة الأحاديث ، عمن لا ينطق عن هوى ، لما جاز التمسك بها .

---

١ – ذكر ذلك ابن حجر الهيتمي في كتابه : خيرات الحسان ، الفصل الخامس والثلاثون ص ٩٤ .

حتى تثبت بطرق أهل الحديث ، فكيف بالمنقول عن غيره ؟! ومنها ما قد يكون صاحبه قاله ، أو فعله باجتهاد يخطئ ويصيب ، أو قاله بقيود وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه ، فحرف النقل عنه ، كما أن النبي ﷺ لما أذن في زيارة القبور بعد النّهي (١) ، فهم المبطلون أن ذلك هو الزيارة التي يفعلونها ، من حجها للصلاة عندها، والاستغاثة بها ، ثم سائر هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به ، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله ، مع العلم بأن الرسول ﷺ لم يشرعها ، وتركه لها مع قيام المقتضي للفعل ، بمنزلة فعله ، ولا يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس ، من غير نقل عن الأنبياء ، إلاّ النصارى وأمثالهم ، وإنّما المتبع في إثبات أحكام العبادات ، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وسبيل السابقين الأولين ، ولا يجوز إثبات حكم شرعي ، بدون هذه الأصول الثلاثة ، نصا واستنباطا بحال) . (٢)

وشيخ الإسلام ابن تيمية – قدّس الله روحه – أجاب في كتابه : " اقتضاء الصراط المستقيم " عن مثل شبهة العراقي ، بوجهين : مجمل ومفصل ، وقد أجاد فيها وأفاد ، وحيث إنّ ذلك مما لا يمكننا نقل جميعه ، فلا بأس أن نذكر المجمل فقط (٣).

قال – رحمه الله – : (أما المجمل : فالنقض ، فإنّ اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذه النمط كثير ، بل المشركون الذين بعث إليهم الرسول ﷺ ، كانوا يدعون عند أوثانهم ، فيستجاب لهم أحيانا ، كما يستجاب لهؤلاء أحيانا ، وفي وقتنا هذا عند النصارى من هذه الطائفة ، فإن كان هذا وحده دليلا على أنّ الله

---

١ - يشير الشيخ إلى حديث ابن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : ((نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ، فإنّ في زيارتها تذكرة)) .

أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي ٥٠/٧ ، كتاب الجنائز ، ح (٩٧٧) ، باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه . وابو داود في كتاب الجنائز ، باب في زيارة القبور ح (٢٢٣٥) ٥٥٨/٣ ، والترمذي في كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور ح (١٠٥٤) ٣٦١/٣ ، وعنده : ((قد كنت نهيتكم ..)) ، والنسائي في كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور ٤/ ٧٣ .

٢ - فتح المنان ص ٣٧١-٣٧٣ ، ونحوه في اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٣١٠- ٣١١ ، وغاية الأماني ٢٧٤/٢ .

٣ - فتح المنان ص٣٧٣ ، والجواب المفصل يقع في ص٣١٢ وما بعدها ، وسيأتي نقله إن شاء الله ص ٥٠٣.

تعالى يرضى ذلك ويحبه، فليطرد الدليل ،وذلك كفر متناقض،ثم إنك تجد كثيرا من هؤلاء الذين يستغيثون عند قبر النبي ، أو غيره ، كل منهم قد اتخذ وثنا أحسن به الظن ، وأساء الظنّ بآخر ، وكل منهم يزعم أن قبره يستجاب عنده ، ولا يستجاب عند غيره ، فمن المحال إصابتهم جميعا ، وموافقة بعضهم دون بعض تحكم ، وترجيح بلا مرجح ، والتديّن بدينهم جميعا جمع بين الأضداد ، فإنّ أكثر هؤلاء إنما يكون تأثيرهم فيما يزعمون بقدر إقبالهم على وثنهم ، وانصرافهم عن غيره ، وموافقتهم جميعا فيما يثبتونه ، دون ما ينفونه ، يضعف التأثير على زعمهم ، فإنّ الواحد إذا أحسن الظنّ بالإجابة عند هذا وهذا ، لم يكن تأثيره مثل تأثير من حسن الظنّ بواحد دون آخر . وهذه كلها من خصائص الأوثان . ثم قد استجيب لبلعام بن باعور، من قوم موسى عليه السلام المؤمنين وسلبه الله الإيمان ، والمشركون قد يستسقون فيسقون . ويستنصرون فينصرون ...) (١). وفيه كفاية لمن كشف الله عن بصيرته حجب الغفلة،والله الهادي إلى سواء السبيل) (٢).

والذي نخلص إليه مما سبق - من استعراض الدعاء ورد الشبه فيه - أنّ دعاء الله تعالى والالتجاء إليه من أعظم أنواع العبادة ، فلا يجوز أن يصرف لغيره عز وجل ، لأنه حق من حقوق الله تبارك وتعالى على عباده ، لأنه بالدعاء يظهر ذلّ العبودية ، ويعرف العبد به ربه ، وهذا هو المقصود من جميع العبادات ، ذلك أنّ العبد حينما يدعو ربه عز وجل ، فإنه يدعوه وهو يعلم في نفسه أنه محتاج إلى ما يطلبه من ربه جلّ وعلا ، ويعلم من نفسه أنه لا يحصل على مراده إلاّ بعون الله تعالى له على ذلك ، فالله سبحانه وتعالى يسمع دعاءه ويعلم حاجته . وهو القادر على تحقيقه ، فهو الرب الرحيم الذي أمر عباده بدعائه ، ووعدهم بالإجابة . ومن هنا كان المقصود من جميع التكاليف الشرعية ، معرفة ذل العبودية وعزة الربوبية ، وفي الدعاء يتحقق الأمران ، ولهذا لا يجوز أن يدعى غيره من المخلوقين ، أو أن يصرف إليه أيا من أنواع الدعاء ، ومن فعله فهو مشرك بالله العظيم . (٣)

---

١ - اقتضاء الصراط المستقيم ص٣١١ -٣١٢ ،وفتح المنان ص٣٧٣ -٣٧٤، وغاية الأماني٢/٢٧٤ - ٢٧٥.

٢ - فتح المنان ص ٣٧٤ .

٣ - انظر : جهود ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف . للغفيلي ١/ ٣٣٥ .

المبحث الثالث :

التوسل ورد الشبه فيه :

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف التوسل لغة .

المطلب الثاني : تعريف الوسيلة شرعا .

المطلب الثالث : التوسل في القرآن والسنة .

المطلب الرابع : أقسام التوسل .

المطلب الخامس : بعض شبه المجوّزين للتوسل بذوات الأنبياء والصالحين أو بجاههم وحرمتهم ، ودحض الألوسي - رحمه الله - لهذه الشبه .

المطلب الأول : تعريف التوسل لغة :

١ - قال ابن فارس : (وسَلَ الوسيلة : الرغبة والطلب ، يقال :وسل ، إذا رغب ، والواسل : الراغب إلى الله عز وجل)(١) وهو قول لبيد (٢):

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * بلى،كل ذي دين إلى الله واسل.(٣)

٢- وقيل : وسل إليه وسيلة ووسائل ، وأنا متوسّل إليه بكذا ، وواسل ، ووسلت إليه . وتوسّلت إلى الله بالعمل : تقرّبت ...) (٤).

٣- وقيل : وسلت إلى الله بالعمل ، أسل من باب : وعد ، رغبت وتقرّبت ، ومنه اشتقاق الوسيلة : وهي ما يتقرب إلى الشيئ ، والجمع : الوسائل ، والوسيل : قيل : جمع وسيلة ، وقيل لغة فيها . وتوسّل إلى ربّه بوسيلة : تقرب إليه بعمل) (٥).

٤ - وقيل الوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير . الجمع : الوسيل والوسائل ... يقال : وسّل فلان إلى ربه وسيلة ، وتوسّل إليه بوسيلة ، أي تقرّب إليه بعمل ...والواسل : الراغب إلى الله ...) (٦) .

٥- وقال الأزهري : وسّل فلان إلى ربه وسيلة : إذا عمل عملا تقرّب به إليه ... والوسيلة الوصلة والقربى ، وجمعها وسائل . وقال تعالى : ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيّهم أقرب﴾ (٧) (٨) .

---

١ - معجم مقاييس اللغة ٦/١١٠ .

٢ - هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب ، من شعراء الجاهلية ، قدم في وفد بني كلاب على النبيﷺ وأسلم ، وقيل : لم يقل بعد الإسلام شعرا ، توفي - رضي الله عنه وهو ابن (١٥٧) سنة . انظر : المعارف ، لابن قتيبة ص ٣٣٢ .

٣ - ديوان لبيد ص ١٧٢ .

الواسل : الطالب المتخذ وسيلة : أي العاقل اللبيب من يتوسل إلى الله بالطاعة والعمل الصالح .

٤ - أساس البلاغة ٢/ ٥٠٦ .

٥ - المصباح المنير ص ٢٥٣ .

٦ - الصحاح للجوهري ٥/١٨٤١ .

٧ - الآية (٥٧) من سورة الإسراء .

٨ - تهذيب اللغة للأزهري ١٣/٦٧ -٦٨ .

٦- وقيل الوسيلة : ما تقرّبت به إلى الشيئ ، الجمع : الوسائل والوسيل ... ووسل إلى الله بالعمل، يسـل وسـلاً ، ووسّل إليه ، و توسّل إليه : عمل عملا تقرّب به إليه ...)(١).

وقال الراغب الأصفهاني : (الوسيلة : التوسل إلى الشيئ برغبة . وهي أخص من الوصيلة ، لتضمنها معنى الرغبة ، وقال تعالى : ﴿ **وابتغوا إليه الوسيلة** ﴾ (٢) وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى ، مراعاة سبيله بالعمل والعبادة ، وتحري مكارم الشريعة ، وهي كالقربى ، والواسل : الراغب إلى الله تعالى .) (٣)

وكل ما تقدم في معنى الوسيلة ، قاله سائر علماء اللغة ، وهذا ما اتفق عليه الجميع (٤).

إلاّ أني لم أجد للألوسي - رحمه الله - تعريفا لغوياً للوسيلة .

---

١ - الإفصاح في فقه اللغة ٢/ ١٢٧٩ ، و ١/٢٥٦ .

٢ - الآية (٣٥) من سورة المائدة .

٣ - مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٧١ .

٤ - هذا وإن كان للوسيلة معنى آخر ، هو " المنزلة عند الملك ، والدرجة والقربة " كما ورد في الحديث تسمية أعلى منزلة في الجنة بها [انظر تفسير ابن كثير ٢/٥٥ ، والنهاية لابن الأثير ٥/ ١٨٥ ، وتفسير القرطبي ٦/ ١٠٤ ، و نيل الأوطار ٢/ ١٠٧] .

وذلك هو قوله ﷺ ((إذا سمعتم المؤذن ، فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليّ ، فإنه من صلّى عليّ صلاة ، صلّى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنّها منزلة في الجنة ، لا تنبغي إلاّ لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة ، حلّت له شفاعته)) .

الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن ، صحيح مسلم بشرح النووي ٣٢٨/٤ (٣٨٤) .

ثم إن كان لهذين المعنيين الأخيرين للوسيلة ، وثيق الصلة بمعناها الأصلي ، إلاّ أنهما غير مرادين فيما نحن بصدده .

المطلب الثاني : تعريف الوسيلة شرعا :

علم مما تقدم ، أنّ أقوال أهل اللغة تطابقت على أنّ معنى الوسيلة في اللغة : الرغبة والقربة إلى الله تعالى بعمل . والآن نحاول التعرّف على ما قيل في معناها الشرعي . ومن الله أستمد العون .

قال العلاّمة الألوسي – رحمه الله – في معرض ردّه على شبه الخصم : (فإنّ الوسيلة في شرع الله ، الذي شرعه على ألسن جميع رسله ، هي : عبادته وحده لا شريك له ، والإيمان به وبرسله ، والأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها ، كما في البخاري وغيره من حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في غار ، (١) فتوسّلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة ، من البرّ والعفة والأمانة ، وكذلك ما شرع من واجب أو مستحب قال تعالى : ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾(٢)، وابتغاؤهم ، بالقيام بما أمر به وأحبه ورضيه من الأعمال الصالحة ...) (٣) .

٢- وقال الشيخ عبد اللطيف – رحمه الله – : (التوسل في العرف الشرعي : فعل ما يتوسل به إلى الله من الإيمان به ، والعمل الصالح الذي يشرعه ويرضاه ، كما في حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار ...) وقال أيضا : (الوسيلة : هي التقرب إلى الله بأنواع الطاعات وأصناف العبادات) (٤) .

٣- وقيل : التوسل شرعا : هو التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته واتباع أنبيائه ورسله – صلوات الله وسلامه عليهم – ، وبكل عمل يحبه الله ويرضاه ، قال ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – : (إنّ الوسيلة القربة ...) (٥)، وقال قتادة في تفسير

---

١ – سيأتي ذكر نص الحديث وتخريجه ، إن شاء الله تعالى .

٢ – الآية (٥٧) من سورة الإسراء .

٣ – فتح المنان ص ٤٠٠ -٤٠١ .

٤ – منهاج التأسيس والتقديس ص ٣٥٠ – ٣٥٢ .

٥ – فتح القدير للشوكاني ٣٨/٢ .

القربة : (أي : تقربوا إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه ...) (١). فإنّ كل ما أمر به الشرع من الواجبات والمستحبات ، فهو توسل شرعي ، ووسيلة شرعية ...) (٢) .

المطلب الثالث : التوسل في القرآن والسنة :

تقدم البيان أنّ التوسل في اللغة : التقرب ، والوسيلة : القربة ، وأنّها ما يتقرب بها إلى الشيئ ، وأنّها في الشرع ما يتقرب بها إلى الله تعالى ، من الطاعات والأعمال الصالحة ، من الواجبات والمستحبات ، مما أمر به الله عباده ، في كتابه العزيز ، وسنة نبيه ﷺ ، لأنه لايعلم كون الشيئ وسيلة شرعية ، أو غير شرعية ، إلاّ من طريق الشرع ، لذا لزم إيراد ما جاء في الكتاب والسنة من لفظ " الوسيلة " ، مع ذكر ما ثبت عن أئمة المفسرين في معناها .

فمن الآيات التي وردت فيها لفظ " الوسيلة " :

١ - قال تعالى : ﴿ ياأيّها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلّكم تفلحون ﴾ (٣) .

٢- وقال الله تعالى : ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إنّ عذاب ربّك كان محذورا ﴾ (٤) .

قال الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله- : (وابتغوا إليه الوسيلة) يقول : واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه ...) (٥).

---

١ - جامع البيان للطبري ٥٦٧/٤ .

٢ - التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع و الممنوع ص ١٢ .

٣ - الآية (٣٥) من سورة المائدة .

٤ - الآية (٥٧) من سورة الإسراء

٥ - جامع البيان ٥٦٦/٤- ٥٦٧ .

ونقل ابن كثير - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنّ معنى الوسيلة فيها : " القربة " ، ونقل مثل ذلك عن كل من مجاهد وأبي وائل والحسن وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد . وعن قتادة قوله فيها : " أي تقربوا إليه بطاعته ، والعمل بما يرضيه " . ثم قال : " وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة ، لا خلاف بين المفسرين فيه ... والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود ...) (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بعد ذكر الآيتين : (فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه ، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه ، أنّهم يبتغونها إليه ، هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات ، فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها ، تتناول كل واجب ومستحب ، وما ليس بواجب ولا مستحب ، لا يدخل في ذلك ، سواء محرما أو مكروها أو مباحا . فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول ، فأمر به أمر إيجاب أو استحباب ، وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول ، فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها ، هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول ﷺ ، لا وسيلة لأحد إلى الله إلاّ ذلك ...) (٢) .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمة الله تعالى عليه - عند تفسيره لآية المائدة : (اعلم أن جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هنا ، هو القربة إلى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، على وفق ما جاء به محمد ﷺ ، بإخلاص في ذلك لله تعالى ،لأنّ هذا وحده هو الطريق الموصلة إلى رضا الله تعالى ، ونيل ماعنده من خير الدنيا والآخرة ...

وأصل الوسيلة : طريق تقرّب إلى الشيء ، وتوصل إليه ، وهي العمل الصالح بإجماع العلماء ، لأنه لا وسيلة إلى الله إلاّ باتباع رسوله ﷺ ... وأنّ مايزعمه كثير من ملاحدة ، أتباع الجهال المدعين للتصوف ، من أنّ المراد بالوسيلة في الآية : " الشيخ " الذي يكون واسطة بينه وبين ربه ، إنّه تخبط في الجهل والعمى ، وضلال مبين ، وتلاعب بكتاب الله تعالى ، واتّخاذ الوسائط من دون الله ، من أصول كفر الكفار ،

---

١ - تفسير ابن كثير ٢/٥٥ .

٢ - مجموع فتاوى ١/ ١٩٩- ٢٠٠ . قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٧٩ - ٨٠ .

كما صرح به تعالى في قوله عنهم : ﴿ ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى ﴾ (١) وقوله : ﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبيون الله بما لا يعلم في السّموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (٢) .

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الطريق الموصلة إلى رضا الله وجنته ورحمته هي ، اتباع رسوله ﷺ ، ومن حاد عن ذلك فقد ضل سواء السبيل ، ﴿ ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ﴾ (٣) (٤) .

وبكل ما تقدم ذكره عن أولئك الأعلام . وأئمة المفسرين -رحمة الله تعالى عليهم - يقول الألوسي . حيث قال بعد ذكر تلك الآيات : (فإنّ ابتغاء الوسيلة إليه هو طلب ما يتوسل ، أي : يتوصل ويتقرب به إليه سبحانه وتعالى ، سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر ، أو كان على وجه السؤال له والاستغاثة به ، رغبة إليه في جلب المنافع ودفع المضار ...) (٥) .

لفظ الوسيلة في السنة المطهرة :

لقد ثبت ورود لفظ الوسيلة في السنة النبوية ، فمن ذلك :

١- ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث جابر- رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله ﷺ :((من قال حين يسمع النداء :اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصّلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ، إلاّ حلت له شفاعتي يوم القيامة)) (٦) .

٢- وجاء في صحيح مسلم بلفظ : (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلّوا عليّ ، فإنّه من صلّى عليّ صلاة ، صلّى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ،

---

١ الآية (٣) من سورة الزمر .

٢ - الآية (١٨) من سورة يونس .

٣ - الآية (١٢٣) من سورة النساء .

٤ - أضواء البيان ٢/ ٨٦- ٨٧ .

٥ - غاية الأماني ٢/ ٣٣٢ .

٦ - صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب الدعاء عند النداء ، ح (٦١٤) الصحيح مع الفتح ٢ /٩٤ .

فإنّها منزلة في الجنة ، لا تنبغي إلاّ لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو . فمن سأل الله لي الوسيلة ، حلّت له الشفاعة)) (١) .

٣- ما أخرجه البخاري في صحيحه ، من حديث أنس -رضي الله عنه- : ((أنّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، فاسقنا . قال : فيسقون)) (٢).

وبهذا يتضح لنا ثبوت ورود لفظ الوسيلة والتوسل ، في الكتاب والسنة (٣). وأننا مأمورون بالتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، بما يحبه ويرضاه ، من الواجبات والمستحبات، التي شرعها لعباده .

ومع ما تقدم من بيان العلماء لمعنى هذا اللفظ ، إلاّ أنه قد صار مشتركا في عرف كثير من المتأخرين ، الذين غلطوا وانحرفوا عن فهم مقصود الصحابة - رضي الله عنهم- بالوسيلة ، فأخذوا يطلقونها على المشروع وغيره ، لذا كان لزاما بيان أقسامها وإعطاء كل ذي حق حقه ، وذلك ببيان ما هو مشروع وغير المشروع . (٤)

---

١ - تقدم تخريجه ٣٥٧ .

٢ - تقدم تخريجه ٢٩٧ .

٣ - وقد جاء لفظ الوسيلة فيهما بمعنى القربة والتقرب ، بيد أنّ في السنة معنى آخر زائد على ذلك ، وهو ما جاء بيانه في الحديث الثاني بلفظ مسلم ، أنها منزلة في الجنة .

٤ - انظر : غاية الأماني ٢/٣٣٦ ، وفتح المنان ص٤٠١ ، ومنهاج التأسيس والتقديس ص٣٣٩ ، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٩٧ ، وصيانة الإنسان عن وسوسة دحلان ص ٤٦٥ -٤٦٧.

المطلب الرابع : أقسام التوسل :

ينقسم التوسل إلى قسمين : مشروع ، وممنوع . وكلاهما ينقسم إلى أنواع .

القسم الأول : التوسل المشروع وأنواعه :

وهو ما كان بوسيلة جاءت بها الشريعة . وقد أوصل العلاّمة السهسواني - رحمه الله - أنواع هذا القسم إلى ستة أنواع(١).وعند التأمل ، نجد أنّ تلك الأنواع المشروعة ترجع إلى ثلاثة أنواع .

النوع الأول :

التوسل إلى الله تعالى ، بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، فيتوسل العبد المؤمن إلى ربه سبحانه وتعالى بذكر اسم من أسمائه المقتضية لمطلوبه ، أو صفة من صفاته المقتضية له ، كأن يقول : اللهم باسمك الرزاق ارزقني ، وباسمك الناصر انصرني ، وهكذا (٢).

ويتضمن هذا النوع ، التوسل بإضافة اسم الرب جلّ وعلا إلى عباده الصالحين ، كما في حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان إذا قام من الليل ، افتتح صلاته ((اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق،

---

(١) - فقد ذكر - رحمه الله تعالى - للتوسل المشروع ، ستة أنواع ، هي :

١. التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا .

٢. التوسل بالأعمال الصالحة .

٣. التوسل بتصديق النبي ﷺ والإيمان به .

٤. التوسل بإضافة الرب إلى عباده الصالحين ، كما جاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : ((اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ...)) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في الليل وقيامه (٢٦) ٥٣٤/١ ، ح (٧٧٠) .

٥. التوسل بدعاء النبي ﷺ في حال حياته .

التوسل بالصلاة على النبي ﷺ ...) . صيانة الإنسان ص ٢٠٣ - ٢٠٦ .

(٢) انظر تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان ١٢١/٣ .

بإذنك ، إنّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)) (١)، فإنّ هذا توسل إلى الله تعالى بربوبيّته لهؤلاء العباد المكرمين . فالربوبية صفة من صفاته العليا ، فهذا قسم داخل تحت التوسل بالأسماء الحسنى ، والصفات العليا ، وليس قسيما له . فلا حاجة لعدّه قسما آخر . (٢)

ومن الأدلة على مشروعية هذا النوع من الكتاب :

قوله جلّ ثناؤه :﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمايه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ (٣).

ولا شك أن صفاته العليا داخلة في هذا الأمر ، لأنّ أسماءه الحسنى ، متضمنة لمعاني صفاته العليا ، ولأنّ كل اسم دال على صفة كمال عظمته ، وبذلك كانت حسنى . فإنّها لو دلّت على غير صفة . بل كانت علما محضا ، لم تكن حسنى ، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال ، بل إما صفة نقص ، أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح ، لم تكن حسنى ، فكل اسم من أسمائه ، دال على جميع الصفة التي اشتق منها ، مستغرق لجميع معناها . (٤)

أما دليل مشروعية هذا النوع من السنة المطهرة :

١- قول النبي ﷺ، في أحد أدعيته الثابتة عنه : ((اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق ، احيني ما علمت الحياة خيرا لي ، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيرا لي ...) (٥).

٢- منها أنه ﷺ سمع رجلا يقول في تشهده : ((اللهم إنّي أسألك يا الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، أن تغفرلي ذنوبي ، إنّك أنت الغفور الرحيم ، فقال : ((قد غفر له قد غفر له)) .(٦) .

---

١ - أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي ٣٠٣/٦ كتاب صلاة المسافرين ، باب الدعاء في صلاة الليل .

٢ - انظر : الدعاء ومنزلته في العقيدة ، للجيلاني ص ٥١٩ .

٣ - الآية (١٨٠) من سورة الأعراف .

٤ - انظر : تيسير الكريم الرحمن ١٢٠/٣ .

٥ - أخرجه النسائي في كتاب السهو ، باب الدعاء بعد الذكر ٤٦/٣ ، والحاكم في المستدرك ٥٢٤/١ ، وصححه ، ووافقه الذهبي . قال الألباني : وإسناده جيد . انظر : مشكاة المصابيح ٧٧٠/٢ ، ح (٢٤٩٧) .

قال أبو المعالي الألوسي - رحمه الله - ، بعد استشهاده بهذا الحديث وغيره ، على هذا النوع قال : (التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا وكونه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، يقتضي توحده في صمديّته ، فيكون هو السيد المقصود الذي يصمد الناس إليه في حوائجهم المستغني عما سواه ، وكل ما سواه مفتقرون إليه لا غنى بهم عنه ...) (١).

النوع الثاني : توسل المؤمن إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة ،

ويندرج تحت هذا النوع ، التوسل بالإيمان بالنبي ﷺ ، وتصديقه وطاعته واتباعه ، والتوسل بمحبة الصالحين في الله و لله ، لأن هذا توسل بعمل الداعي وليس قسما له ، فلا حاجة لعده قسما آخر . كما يدخل تحته التوسل بالصلاة على النبي ﷺ ، فهذا أيضا توسل بعمل الداعي ، وليس قسيما له ، كما هو بيّن (٢) .

ومن الأدلة على مشروعية هذا النوع ، **من الكتاب** :

١- قوله تعالى : ﴿ **الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار** ﴾ (٣)، قال السعدي : (هؤلاء الراسخون في العلم ، أهل العلم والإيمان ، يتوسلون إلى ربهم بإيمانهم ، لمغفرة ذنوبهم ووقايتهم عذاب النار ، وهذا من الوسائل التي يحبها الله أن يتوسل العبد إلى ربه بما منّ به عليه من الإيمان والأعمال الصالحة) (٤)

---

٦ - أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب ما يقول بعد التشهد ، ح (٩٨٥) ٦٠٢/١ ، والترمذي ٥١٥/٥ ، كتاب الدعوات ، باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ ح (٣٤٧٥) ، والنسائي ، كتاب السهو ، = =باب الدعاء بعد الذكر ، ٤٥/٣ ، وابن ماجة ١٢٦٧/٢ ، كتاب الدعاء ، باب اسم الله الأعظم ، ح (٣٨٥٧) ، وأحمد في مسنده ٣٤٩/٥ . بأسانيدهم إلى مالك بن مِغْوَل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه بلفظ : ((اللهم إني أشهد بأنك أنت الله ....)) الخ ، وعند ابن ماجة ((بأنّك أنت الله)) ، وهو اسناد صحيح ...) إلاّ النسائي ، فإنّه أخرجه عن عمرو بن يزيد ، وقد تكلم فيه العلماء ، ذكر ذلك الدكتور ربيع المدخلي . انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة بتحقيقه ص ٩١ -٩٢ .

١ - غاية الأماني ٢/ ٣٣٧ ، وفتح المنان ص٤٠٦ .

٢ - الدعاء ومنزلته في العقيدة ص ٥٢٠ .

٣ - الآية (١٦) من سورة آل عمران .

٤ - تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٣٦٣/١ .

٢- قوله تعالى :﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربّكم فآمنا ربنا فا غفر لنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيّئاتنا وتوفّنا مع الأبرار﴾ (١).

٣- قوله عز وجل : ﴿ إنّه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فا غفرلنا وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾ (٢) . فهؤلاء جمعوا بين الإيمان المقتضي لأعماله الصالحة ، والدعاء لربهم بالمغفرة والرحمة ،والتوسل إليه بربوبيته ، ومنّته عليهم با لإيمان .(٣)

و الأد لة من **السنة المطهرة** :

١- حديث البراء بن عازب -رضي ا لله عنه - قال : قال رسول ا لله ﷺ : ((يا فلان ، إذا آويت إلى فراشك فقل : اللهم أسممت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوّضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا إلاّ إليك ،آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ، فأنك إن متّ في ليلتك ، متّ على الفطرة ، فإن أصبحت أصبت أجرا)) (٤) .

٢- حديث ابن عمر - رضي ا لله تعالى عنهما - قال : سمعت رسول ا لله ﷺ يقول : ((انطلق ثلا ثة رهط ممن كان قبلكم ، حتى آووا المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل ، فسدّت عليهم الغار ، فقالوا إنّه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلاّ أن تدعوا ا لله بصالح أعمالكم . فقال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيرا ن ، وكنت لا أُغبق (٥) قبلهما أهلا ولا مالا ، فنأى (٦) بي في طلب شيئ قوما ، فلم

---

١ - الآية (١٩٣) من سورة آل عمران .

٢ - الآية (١٠٩) من سورة المؤمنون .

٣ - انظر : تيسير الكريم الرحمن لسعدي ٥/٣٨٣ .

٤ - أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ﴾ الآية (١٦٦) من سورة النساء ، ح (٧٤٨٨) ٤٦٢/١٣ . ومسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ... ، با ب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، ح (٢٧١٠) ٢٠٨١/٤ - ٢٠٨٢ .

٥ - أغبق : من الغبق ، والتغبّق والاغتباق ، شرب العشي ، والغبوق : شرب با لعشي . اللسان ٢٨١/١٠ مادة " غبق" . وقال ابن الأثير ، أي ما كنت أقدم عليهما أحدا في شرب نصيبهما من اللبن الذي يشربانه ، والغبق : شرب آخر ا لنهار ، مقابل الصبوح ... النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٤١ .

٦ - نأى : أي بعد . اللسان ٣٠٠/٥ ، مادة " نأى" .

أرح(١) عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما ، فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا ، فلبثت والقدح على يدي ، انتظر استيقاظهما ، حتى برق الفجر ، فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذ لك ابتغاء وجهك ، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج ، قال النبي ﷺ : وقال الآخر : اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي ، فأردتها عن نفسها ، فامتنعت مني ، حتى ألّمت بها سنة من السنين ، فجاءتني فأتيتها عشرين ومائة دينار ، على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها ، قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلاّ بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها ، وهي احب الناس إليّ ، وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ذ لك ابتغاء وجهك ، ففرّج عنّا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، غير أ نّهم لا يستطيعون الخروج منها. قال النبي ﷺ : وقال الثالث : اللهم إنّي استأجرت أجراء ، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ، ترك الذي له وذهب ، فثمّرت أجره ، حتى كثرت منه الأموال ، فجاءني بعد حين فقال : يا عبد ا لله ، أدّ إليّ أجري ، فقلت له : كل ما ترى من أجرك ، من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد ا لله ، لا تستهزئ بي ، فقلت : لا أستهزئ بك ، فأخذه كلّه ، فاستاقه فلم يترك منه شيئا ، اللهم إن كنت فعلت ذ لك ابتغاء وجهك ففرّج عنّا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون)) (٢).

قال الألوسي – رحمه ا لله – بعد ذكره هذا الحديث ، مستدلاّ به على هذا النوع : (فهؤلاء دعوا ا لله سبحانه وتعالى بصالح الأعمال ، لأ نّ الأعمال الصالحة ، هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى ا لله تعالى ، ويتوجه به إليه ، ويسأله به ، لأنه وعد أ ن يستجيب

---

١ – من راح فلان يروح ، رواحا ، أي : ذهابه ، أو سيره با لعشي . والإراحة ، أي رد ا لإبل وا لغنم إلى مراحها ، حيث تأوى إ ليه . اللسان ٢/ ٤٦٤ ، والنهاية في غريب الحديث ٢/٢٧٣ . مادة " روح" .

٢ – أخرجه ا لبخاري في صحيحه ، كتاب الإجارة ، باب من استأجر أجيرا فترك أجره ، فعمل فيه المستأجر فزاد ... ح (٢٢٧٢) الصحيح مع ا لفتح ٤/٤٤٩ – ٤٥٠ . وا للفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والتوبة ... با ب قصة أصحاب ا لغار الثلا ثة ، وا لتوسل بصالح الأعمال ح (٢٧٤٣) ٤/٢٠٩٩ .

للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ، قال تعالى : ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله﴾ (١) (٢).

النوع الثالث : توسل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن ، الحي الحاضر له والذي يرجى إجابته من أهل الفضل والعلم :

فهذا النوع من التوسل جائز أيضا لثبوته بالكتاب والسنة المطهرة :

فمن الكتاب :

قوله تعالى عن قوم موسى عليه السلام : ﴿ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ (٣)

والأدلة من السنة المطهرة :

فيها كثير من النماذج ، نشير إلى بعضها ، فمن ذلك :

١ - حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - ذكر أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما فقال : يا رسول الله ، هلكت المواشي وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا ، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ، فقال : ((اللهم اسقنا اللهم اسقنا . اللهم اسقنا)) قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة (٤) ، ولا شيئا ، وما بيننا وبين سلع (٥) من بيت ولا دار ، قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس (٦)، فلما توسطت السماء .

---

١ - الآية (٢٦) من سورة الشورى .

٢ - غاية الأماني ٢/ ٣٣٧ .

٣ - الآية (١٣٤) من سورة الأعراف .

٤ - القزعة : من القزع ، قطع من السحاب الرقاق ،كأنها الظل ، إذا مرّت من تحت السحابة الكبيرة ."وقزعة"أي قطعة من الغيم . انظر : اللسان ٨/ ٢٧١ ، ومختار الصحاح ص٢٢٣ ، والنهاية في غريب الحديث ٤ /٥٩ ، مادة " قزع " .

٥ - سلع : جبل معروف بقرب المدينة . انظر : معجم البلدان ٣/ ٢٣٦ .

٦ - الترس : من السلاح المتوقى بها ، وجمعها : أتراس وتراس . والتترس : التستّر بالترس . انظر : اللسان ٦/ ٣٢ ، ومختار الصحاح ص٣٢ .

انتشرت ، ثم أمطرت ، قال: والله ما رأينا الشمس ستا ، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائما ، فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها ، قال فرفع رسول الله ﷺ يديه ، ثم قال : ((اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام (١) ، والجبال والآجام (٢) والظراب (٣) والأودية ومنابت الشجر)) قال : فانقطعت ، فخرجنا نمشي في الشمس . قال شريك : فسألت أنسا : أهو الرجل الأول ؟ قال : لا أدري) (٤) .

٢- حديث أنس -رضي الله عنه - أيضا : ((أنّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - كان إذا قحطوا ، استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، قال : فيسقون) (٥) .

وقال الشيخ الألوسي -ورحمه الله - في معنى الحديث : (معناه : نتوسل بدعائه وشفاعته ، ليس المراد به ، أنا نستقسم عليك به ، أو ما يجري هذا المجرى ، مما يفعل بعد موته ، أو في مغيبه ...) (٦) صلى الله عليه وسلم .

---

١ - الآكام : جمع الأكمة : وهي تل من القفّ : وهو حجر واحد ، وقيل : من حجارة واحدة ، وقيل : هو الموضع أشد ارتفاعا مما حوله . انظر : اللسان ١٢/ ٢٠ -٢١ . مادة " أكم" . وانظر : مادة "قفف" من اللسان ٩/٢٨٩ .

وقيل هي الرابية : أي ما ارتفع من الأرض ، وتجمع الإكام : على أكم ، والأكم على آكام . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٥٩ ، مادة " أكم " .

٢ - الآجام : جمع الأجمة ، الحصن ، وقيل كل بيت مربع مسطح ،وقيل الأجمة : الشجر الكثير الملتف ، و الجمع : أُجْم ، وأُجُم ، و آجام . اللسان ١٢/ ٨ ، والنهاية لابن الأثير ١/٢٦ . مادة " أجم " .

٣ - الظراب : جمع الظرِب ، بكسر الراء ، وهو كل ما نتأ من الحجارة ، وحُدّ طرفه ، وقيل هو الجبل المنبسط ، وقيل : الروابي الصغار . اللسان ١ /٥٦٩ ، والنهاية في غريب الحديث ٣/١٥٦ . مادة " ظرب".

٤ - أخرجه البخاري بهذا اللفظ ، كتاب الاستسقاء ،باب الاستسقاء في المسجد الجامع . ح (١٠١٣) ، الصحيح مع الفتح ٢/٥٠١ . وفي باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ٢/٥٠٧ ، ح(١٠١٤) . ومسلم في صحيحه ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء . صحيح مسلم بشرح النووي ٦/٤٤٣ ، ح (٨٩٧) .

٥ - تقدم تخريجه ٢٩٨ .

٦ - غاية الأماني ٢/٣٣٥ .

وقد أورد الحافظ ابن حجر ، صيغة الدعاء الذي دعا بـه العبـاس- رضـي الله عنـه - قال: (وقد بين زبير بن بكار (١) في الأنساب ، صيغة ما دعا به العباس في هذه الواقعة ، والوقت الذي وقع فيه ذلك ، فأخرج بإسناده له ، أن العباس لمّا استسقى به عمر ، قـال : (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلاّ بذنب . ولم يكشف إلاّ بتوبة ، وقد توجّه القـوم بـي إليـك . لمكاني من نبيك ،وهذه أيدينا إليك بالذنوب . ونواصينـا إليـك بالتوبـة ، فاسـقنا الغيـث) فأرخت السماء مثل الجبال ، حتى أخصبت الأرض ، وعاش الناس) (٢) .

وقد تبين من خلال هذه النماذج ، أنّ الصحابة - رضـوان الله عليهـم - كـانوا يتوسلون بالنبيﷺ ، ويستسقون به في حال حياته ، فلما توفي ﷺ ، وانتقل إلى رحمة رب العالمين ، عدلوا عنه، وتوسّلوا بغيره . كما توسّل عمر - رضي الله عنه - بعمه العباس .

وهذا دليل واضح على أن توسلهم بالنبي ﷺ ، إنّما هو بدعائه ، وشفاعته ، ولم يكن بذاته ولا بجاهه ، إذ لو كان هذا مشروعا ، لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصـار- رضـي الله عنهم - عنه ﷺ ، إلى السؤال بعمه - رضي الله عنه - لأنه أولى وأفضل من العبـاس وغيره من الصحابة ، بل أفضل الخلق أجمعين ، وهذا لا يخفى على أحد منا ، فضلا عن الصحابة الكرام ، المربّين في مدرسة النبوة - رضي الله عنهم (٣).

وقال شيخ الإسـلام بـن تيميـة - رحمـة الله عليـه - (وأمـا التوسـل بدعائـه ﷺ ، وشفاعته كما قال عمر رضي الله عنه ، فإنه توسل بدعائه ، لا بذاتـه ، ولهـذا عدلـوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس . ولو كان التوسل هو بذاته ، لكان هـذا أولى مـن التوسل بالعباس . فلما عدلوا عن التوسل بـه إلى التوسـل بالعبـاس ، علـم أن مـا يفعـل في حياته ، قد تعذر بموته ، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة لـه ، فإنـه مشـروع دائماً .

فلفظ التوسل به ، يراد به ثلاثة معان :

---

١ - هو ابن عبد الله بن مصعب ، أبو عبد الله ، قاضي المدينة ، ثقة من صغار العاشرة .(ت٢٥٦) روى له ابن ماجة . التقريب ص ٢١٤ . لسان الميزان ٢/٢٥٦ ، وتقريب التهذيب ١/٢٥٧ .

٢ - فتح الباري ٢/٤٩٧ .

٣ انظر : غاية الأماني ٢/٢٩٠ . وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١١٥ .

أحدها : التوسل بطاعته : فهذا فرض ، لا يتم الإيمان إلاّ به (١) .

الثاني : التوسل بدعائه وشفاعته:وهذا كان في حياته ،ويكون يوم القيامة بشفاعته (٢).

الثالث : التوسل به بمعنى الاقسام على الله بذاته ، والسؤال بذاته ، فهذاهو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه ، في الاستسقاء ونحوه ، لا في حياته ولا بعد مماته ، لا عند قبره ولا عند غير قبره ، ولا يعرف هذا في شيئ من الأدعية المشهورة بينهم ، وإنّما ينقل شيئٌ من ذلك في أحاديث ضعيفة ، مرفوعة ، وموقوفة ، أو عمن ليس قوله حجة ...).(٣)

فالثالث والأخير داخل في القسم الثاني من أقسام التوسل ، وهو القسم الممنوع ، وهو نوعان :

النوع الأول : أن يكون بوسيلة أبطلها الشرع ، كتوسل المشركين بآلهتهم بالدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والطمع ، ونحو ذلك من أنواع العبادة ، كما قال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى ﴾ (٤) ، فهذا النوع واضح البطلان .

النوع الثاني : أن يكون بوسيلة لم يرد فيها دليل من الشرع ، وهذا توسل بدعي محرم ، ووسيلة إلى الشرك بالله ، كالتوسل إلى الله بذوات الملائكة والنبيين والصالحين ، وسؤال الله بحقهم أو جاههم أو حرمتهم أو مقامهم أو نحو ذلك ، فيقول مثلا : اللهم إني أسألك بحق نبيك ، أو أنبيائك ، أو بجاه فلان ، أو حرمته ، أن تقضي حاجتي ، أو نحو هذا ، فهذا لا يجوز ، لأنه لم يرد عن الصحابة ، ولا عن أحد من سلف الأمة (٥) .

وسوف يتضح لنا موقف الإمام الألوسي – رحمه الله تعالى – من هذا النوع ، إن شاء الله تعالى .

---

١ – ويرجع هذا المعنى ، إلى النوع الثاني (من أنواع التوسل المشروع) .

٢ – وهذا يرجع إلى النوع الثالث (من أنواع التوسل المشروع) أي توسل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن .

٣ – قاعدة جليلة في التوسل ص ٨٢ ، ومجموع فتاوى ١٥٣/١ .

٤ الآية (٣) من سورة الزمر .

٥ – انظر : منهج الإمام الشوكاني في العقيدة ص ٣٢٢ .

المطلب الخامس :

بعض شبه المجيزين للتوسل بذوات الأنبياء والصالحين أو بجاههم وحرمتهم . ودحض الألوسي -رحمه الله- لهذه الشبه :

الشبهة الأولى :

قال العراقي : (ثم إنّ المجوّزين لذلك ، ذكروا أن المراد ، التوسل بهم إلى الله تعالى ، فقالوا : قد ورد التوسل بالأعمال الفاضلة ، بحديث أهل الغار الثلاثة ، كما في البخاري (١).

فالتوسل بالذوات الفاضلة أولى ، بل بالجمادات ، وقع كثيراً من الصحابة ، في حضرة النبي ﷺ ، وبعد وفاته ، ومن الصحابة والتابعين ، قال: فلنذكر منها ما اطلعت عليه ، وهي قطرة من بحر ، منها :

قوله تعالى : ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ (٢) . فإن المراد عام بالذوات والأعمال . **أولا** : إنه إذا أريد بالوسيلة الأعمال، لزم التكرار والتأكيد ، وذلك لأن الله تعالى قال : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ (٣) ، فإنّ الخطاب للذين آمنوا ، فقوله (اتقوا الله) افعلوا أوامره واجتنبوا نواهيه ، كما جاء في تفسير البغوي (٤). فيكون ابتغاء الوسيلة أمراً آخر، غير فعل الأوامر،فلم يبق إلاّ التوسل بالذوات...) (٥).

---

١ - تقدم تخريجه ص٣٦٦-٣٦٧ .

٢ - الآية (٣٥) من سورة المائدة .

٣ - الآية (٣٥) من سورة المائدة .

٤ - وإليك نص كلام البغوي عن الآية . قال -رحمه الله تعالى - بعد ذكر الآية : (أي : القربة ، فعيله من توسل إلى فلان بكذا ، أي تقرب إليه ، وجمعها وسائل) ٣٤/٢ . وبالوقوف على هذا الكلام ، يتضح أن همّ هذا الخرف ، تحريف كلام علماء أهل السنة ، وتلويته لترويج بضاعته الكاسدة ، وإلاّ فأين ما يتشبث به من هذا الكلام في جواز التوسل بالذات والجمادات ؟ .

٥ - صلح الإخوان ، لابن جرجيس ص ٧٧ .

قال الألوسي -رحمه الله - : (ومراده : أنّ الآية أصل في دعاء الصالحين ، والتوجه بهم إلى الله ، وجعلهم وسائط بين العباد وبين الله ، ووسائل إليه في قضاء حاجاتهم ، وتفريج كرباتهم .

قال -رحمه الله - : (**والجواب** : أنّ هذا القول صدر عن جهل بمسمى الوسيلة شرعا ، فإنّ الوسيلة في شرع الله الذي شرعه على ألسن جميع رسله ، هي : عبادته وحده لا شريك له ، والإيمان به وبرسله ، والأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها ، كما في البخاري وغيره من حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في غار ، (١)فتوسلوا إلى الله تعالى بأعمالهم الصالحة ، من البر والعفة والأمانة ، وكذلك ما شرع من واجب أو مستحب ، قال تعالى : ﴿ **أوليك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيّهم أقرب** ﴾ (٢). وابتغاؤها بالقيام بما أمر به وأحبه ورضيه من الأعمال الصالحة ، وأما دعاء غير الله تعالى ، فليس وسيلة شرعية ، بل هو وسيلة أهل الشرك والجاهلية ، من أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، والله لا يأمر بالشرك ولا يرضاه : ﴿ **قل أمر ربّي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين** ﴾ (٣)، فكيف يتوسل إليه بالشرك به الذي هو أعظم الظلم ، وضد القسط ؟ والذي يمنع من إقامة الوجوه له عند المساجد ، وهو -أي الشرك - حقيقة التوسل الذي قصده المشركون . قال الله تعالى : ﴿ **فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة** ﴾(٤)، وقال تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ (٥)

فهذا قد سمى عند المشركين توسلا ، فإنّ لفظ التوسل صار مشتركا ، فيطلق شرعا على ما يقرب إلى الله من الأعمال الصالحة ، التي يحبها الرب ويرضاها ، ويطلق على التوسل بذوات الصالحين ودعائهم واستغفارهم ،ويطلق في عرف عباد القبور ، على التوجه إلى

---

١ - تقدم تخريجه ٣٦٦ .

٢ - الآية (٥٧) من سورة الإسراء .

٣ - الآية (٢٩) من سورة الأعراف .

٤ - الآية (٢٨) من سورة الأحقاف .

٥ - الآية (٣) من سورة الزمر .

الصالحين ، ودعائهم مع الله في الحاجات والملمّات ، والمراد بالآية هو الأول(١) ، عند أهل العلم . و أما التوسل بذوات الأنبياء والصالحين بدون طاعتهم ، وبدون استغفارهم ، فهذا لم يشرع ، ولا أصل له ، فإ نّ التوسل بالأنبياء مع معصيتهم ، ومخالفتهم في الدين والملة ، قد دلّت آية سورة التحريم ، على المنع منه ،وعدم الإنتفاع بالتعلق بالقرابة والنسب (٢). والتوسل بذ لك لمن لم يؤمن بما جاؤ به من الهدي ودين الحق .

وكذ لك في الحديث ، لما أنزل عليه قوله تعالى:﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾(٣) قال : ((يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغني عنكم من الله شيئا)) (٤). وأكبر من هذا ، من يدعوهم ويستغيث بهم ، ويتقرب إليهم ، بعبادتهم على أنّهم وسيلة له وشفعاء ، فإ نّ هذا هو عين الشرك الذي ذمه القرآن وعابه ، وإن سماه القبوريون توسلا .

وقول العراقي : (أ ن التوسل بالذوات بل بالجمادات(٥) ، وقع كثيرا من الصحابة ،

---

١ - يشير الألوسي - رحمه الله - إلى آية الإسراء (٥٧) في التوسل بالأعمال الصالحة .

٢ - يشير الألوسي إلى قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ الآية (١٠) من سورة التحريم . قال ابن كثير عن قوله تعالى (فخانتاهما) : (أي في الإيمان ، لم يوافقاهما على الإيمان ، ولا صدقاهما في الرسالة ،فلم يجد ذلك كله شيئا ، ولا دفع عنهما محذورا ...) تفسير ابن كثير ٤/٤١٩.

٣ - الآية (٢١٤)من سورة الشعراء .

٤ - أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح (٢٧٥٣) ٥/٣٨٢ ، كتاب الوصايا ، باب : هل يدخل النساء والولد في الأقارب ؟ ومسلم في صحيحه ١/١٩٢-١٩٣ح (٣٥١) ،كتاب الإيمان،باب قوله تعالى :﴿ وأنذرعشيرتك الأقربين ﴾ .

٥ - على زعمه أ ن عمر - رضي الله عنه -توسل بشيبة العباس ، - حاشاه - وهي جماد . ذكر ذلك العلامة عبد اللطيف - رحمه الله - في معرض رده على هذه الشبهة ، انظر : منهاج التأسيس والتقديس ص ٣٤٨ . فإ نّ مثل ذلك لا يتصور وقوعها ممن هو دون عمر - رضي الله عنه - فضلا عنه ، إلاّ أنّ هذا العراقي - عليه من الله ما يستحقه -كالغريق الذي يمسك بكل شيء طلبا للنجاة ، وذ لك في ترويج بدعته ، إذ فعل عمر -رضي الله عنه - وتوسله بعم نبينا ﷺ ، ثابت في صحيح البخاري ، أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى ، لدى الأمة الإسلامية ، حيث تلقوه بالقبول . فأراد العراقي أ ن يستغل ورود هذا الحديث فيه ، لترويج شبهه .

قال الشيخ عبد اللطيف - طيّب الله ثراه - : (وقول العراقي في شيبة العباس ، وهي جماد : تضحك منه العواتق ، وربّات الخدور ، فالحمد لله على خذلان هذا الضال ، وكلامه أظهر شيئ في الدلالات على بطلان دعواه ...) منهاج التأسيس ص ٣٥٣ .

بحضرة النبي ﷺ ، وبعد وفاته) .(١)

قال الألوسي : (فيه افتراء وكذب وتزوير على خلّص عباد الله ، وخير أمة أخرجت للناس ، وما استند إليه كله ، دليل على سوء فهمه (٢)... وأما قوله : (إن أريد

---

١ - صلح الإخوان ص ٧٧ .

٢ - ومما استند عليه هذا الضال المضل ، كما ذكره العلاّمة عبد اللطيف - رحمه الله - في منهاجه ، حديث الأعمى ، حيث قال : قال العراقي : (... وقد نقل ابن تيمية في الفتاوى وغيرها ، كما نقلنا سابقا في حديث الأعمى ، في قوله : ((اللهم إني أتوسل إليك بنبيك)) إنّ للناس فيه قولين ، منهم من قال : هو طلب دعائه في حال حياته ، ومنهم من قال بالعموم في حياته وبعد مماته ، في حضوره ومغيبه ، وقد ورد توسل عمر بالعباس ، كما في صحيح البخاري واللفظ عام ...) منهاج التأسيس ، ص ٣٤٨ . وقد تقدم تخريجه ٢٩٨.

ومما جاء عن شيخ الإسلام من أقوال الناس في الحديث :

أولاً : عن القول الثاني الذي تشبث به العراقي ، واستدل له بتوسل عمر بالعباس - رضي الله عنهما - قال - رحمه الله -: (فمن الناس من يقول : هذا يقتضي جواز التوسل به مطلقا ، حيا وميتا ، وهذا يحتج به من يتوسل بذاته بعد موته وفي مغيبه ، ويظن هؤلاء أنّ توسل الأعمى والصحابة به في حياته ، كان بمعنى الإقسام به على الله ، أو بمعنى أنهم يسألون الله بذاته أن يقضي حوائجهم ، ويظنون أن التوسل به لا يحتاج إلى أن يدعو هو لهم ، ولا إلى أن يطيعوه ، فسواء عند هؤلاء دعا الرسول له ، أو لم يدع ، الجميع عندهم توسل به ، وسواء أطاعوه أو لم يطيعوه ، ويظنون أن الله يقضي حاجة هذا الذي توسل به - بزعمهم - ولم يدع له الرسول ، كما يقضي حاجة هذا الذي توسل بدعائه ، ودعا له الرسول ﷺ ، إذ كلاهما توسل به عندهم ، ويظنون أن كل من يسأل الله تعالى بالنبي ﷺ ، فقد توسل به كما توسل به ذلك الأعمى ، وأن ما أمر به الأعمى مشروع له ، وقول هؤلاء باطل شرعا وقدرا ، فلا هم موافقون شرع الله ، ولا ما يقولونه مطابق لخلق الله .

ثانيا : ومن الناس من يقول : هذه قضيةُ عين يثبت الحكم في نظائرها التي تشبهها في مناط الحكم ، لا يثبت الحكم بها فيما هو مخالف لها ، لا مماثل لها ، والفرق ثابت شرعا وقدرا ، بين من دعا له النبي ﷺ ، وكمن لم يدع له ، ولا يجوز أن يجعل أحدهما كالآخر). [انظر : مجموع فتاوى ٣٢٤/١ - ٣٢٥] . وقال عن الحديثين : (... إنّ معنى قوله :(أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد)، أي بدعائه وشفاعته ، كما قال عمر - رضي الله عنه - : (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبيك فتسقينا) ، فالحديثان معناهما واحد ، علّم رجلاً أن يتوسل به في حياته ، كما ذكر عمر أنهم كانوا يتوسلون به إذا أجدبوا ، ثم إنّهم بعد موته ، يتوسلون بغيره ، بدلا عنه ، فلو كان التوسل به حيا وميتا سواءً ، والمتوسل به الذي دعا له الرسول ، كمن لم يدع له الرسول ، لم يعدلوا عن التوسل به ، وهو أفضل الخلق وأكرمهم على ربه ، وأقربهم إليه وسيلة ، إلى أن يتوسلوا بغيره ، ممن ليس مثله ، وكذلك لو كان أعمى توسل به ولم يدع له الرسول ، بمنزلة ذلك الأعمى ، لكان عميان الصحابة ، أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمى ، فعدولهم عن هذا إلى هذا - مع أنّهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ... دليل على أن المشروع ما سألوه دون ما تركوه) . انظر : قاعدة جليلة في التوسل ص٢٥٩- ٢٦٠ ، ومجموع فتاوى ١/ ٣٢٥ - ٣٢٦ .

بالوسيلة الأعمال : لزم التكرار والتأكيد ... لخ) (١) فهو مما يوجب العجب ، ويدل على أنّ قائله لم يعرف لسان العرب ، فإنّ (اتقوا) أمر من الوقاية ، وهي لغة : فرط الصيانة ، والمتقي في عرف الشرع : اسم لمن يقي نفسه عما يضرها في الآخرة ، وله ثلاث مراتب :

الأولى :

التقوى عن العذاب الخالد ، بالتبرئ عن الشرك ، وعليه قوله تعالى : ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى** ﴾ (٢)

والثانية :

التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك ، حتى الصغائر عند قوم ، وهذا المتعارف باسم التقوى في الشرع،وهو المعني بقوله تعالى:﴿**ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا** ﴾.(٣)

والثالثة :

أن يتنزه عما يشغل سرّه عن الحق ، ويتبتل إليه بشراشره (٤)، وهو التقوى الحقيقية المطلوبة ، بقوله : ﴿ **اتقوا الله حق تقاته** ﴾(٥) . ذكر ذلك القاضي البيضاوي (٦) .

وبهذا ينكشف القناع عن شبه وترهات هذا الغوي المضل المبين .

١ - صلح الإخوان ص ٧٧ .

٢ - الآية (٢٦) من سورة الفتح .

٣ الآية (٩٦) من سورة الأعراف .

٤ - الشراشر : النفس والمحبة جميعا . وقيل : هو جميع الجسد . يقال : ألقى عليه شراشره : وهو أن تحبه حتى يستهلك في حبه . اللسان ٤٠٢/٤ . مادة " شرر " .

٥ - الآية (١٠٢) من سورة آل عمران .

٦ - انظر : تفسير البيضاوي ١٧٤/١- ١٧٥ . عند تفسير هذه الآية .

وأنت تعلم أنّ التقوى بأي معنى كان ،من هذه الثلا ثة ، غير مساوي لابتغاء الوسيلة ، حتى يلزم من حملها على الأعمال التكرار ، سيما المعنى الثاني ، إذ يكون معنى الآية حينئذ : يا أيها الذين آمنوا ، تجنبوا عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك ، (وابتغوا إليه الوسيلة) قال البيضاوي : أي ما يتوسلون به إلى ثوابه ، والزلفى منه ، من فعل الطاعات وترك المعاصي ، من وسل إلى كذا ، إذا تقرب إليه ... (١) انتهى .

والأمر بالتقوى يراد به التخلية ،و الأمر بابتغاء الوسيلة ، يراد به التحلية ، كما أريد بذلك بقوله تعالى : ﴿فإذا فرغت فانصب ٧ وإلى ربك فارغب ٨﴾ (٢)، ولم أر أحداً من المفسرين ، خالف البيضاوي في تفسير الوسيلة (٣)، نعم ، ذكروا وجوها أخرى ، غير أنه لم يذكر أحد أن من جملة الوجوه كون المراد بالوسيلة ، الذوات (٤).

الشبهة الثانية :

قال العراقي :(فصل : والتوسل بالنبي ﷺ ، أو غيره من الأنبياء والصالحين ، سواء كان بلفظ (ذات) ، أو بلفظ (حق) أو بلفظ (جاه) ، جائز ، والوارد من ذ لك آيات وأحاديث كثيرة) (٥) .

قال الألوسي - رحمه الله - بعد نقله لكلام العراقي المتقدم : (ثم ساق بعض الآيات التي سبق الجواب على الاستدلال بها (٦) ، وعدّ ة أحاديث ، منها ما لا يصح ، ومنها ما لا دلالة فيه ، ونقلها يطول) (٧) .

قال أبو المعالي الألوسي - رحمه الله - : (**والجواب** أن يقال : إ نّ لفظ التوسل بالشخص ، والتوجه به ، والسؤال به ، فيه إجمال واشتراك ، غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة . فيراد به التسبّب به ، لكونه داعيا ، وشافعا مثلا ، أو لكون الداعي

---

١ - انظر تفسير البيضاوي ٢٧٣/١ .

٢ - الآيتان (٧ ،٨) من سورة الشرح .

٣ - انظر ما قاله ابن كثير في ذ لك فيما تقدم ص ٣٦٠ .ذ

٤ - فتح المنان ص ٤٠٢ .

٥ - صلح الإخوان ص ٨٥ ، نقله الألوسي بنصه في فتح المنان ص ٤٠٤ .

٦ - هي الآيا ت ا لتي ورد فيها لفظ الوسيلة ، حيث استدل بها ا لعراقي على جواز ا لتوسل بذوات الأنبياء والصالحين في الملمات ، وفي قضاء حوائجهم . ا نظر : صلح الإخوان ص ٨٥- ٨٩ .

٧ - فتح المنان ص ٤٠٤ .

محبا له ، مطيعا لأمره ، مقتديا به ، فيكون السبب إما بمحبة السائل له واتباعه له ، وإما بدعاء الوسيلة وشفاعته ، ويراد به الاقسام به على الله ، والتوسل بذاته ، فلا يكون التوسل بشيئ منه ، ولا بشيئ من السائل . بل بذاته وبمجرّد الإقسام به على الله ، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ، ونهوا عنه ، وكذلك لفظ السؤال بشيئ ، قد يراد به المعنى الأول ، وهو : التسبّب به ، لكونه سببا في حصول المطلوب ، وقد يراد به الإقسام .

ومن الأول : حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار ، وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما ، فإنّ الصخرة انطبقت عليهم ...(١) ، فهؤلاء دعوا الله سبحانه وتعالى بصالح الأعمال ، لأنّ الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله تعالى ، ويتوجه به إليه ، لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ويزيدهم من فضله ، ﴿ وقال ربّكم ادعوني أستجب لكم ﴾ (٢)، وهؤلاء دعوه بعبادته وفعل ما أمر به من العمل الصالح ، وسؤاله والتضرع إليه ، ومن هذا ما يذكر عن الفضيل بن عيّاض ، أنه أصابه عسر البول فقال : (بحبّي إيّاك إلاّ فرّجت عنّي)(٣) .

وكذلك دعت المرأة المهاجرة التي أحيى الله ابنها ، لما قالت : (اللهم إنّي آمنت بك وبرسولك ، وهاجرت في سبيلك) (٤) وسألت الله أن يحيي ولدها ،وأمثال ذلك .

وهذا كما قال المؤمنون : ﴿ ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربّكم فآمنّا ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيّئاتنا وتوفّنا مع الأبرار ١٩٣ ربّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنّك لا تخلف الميعاد ١٩٤ ﴾ (٥) .

فسؤال الله والتوسل إليه ، بامتثال أمره ،واجتناب نهيه ، وفعل ما يحبه من العبودية والطاعة ، من فعل ذلك رجاء لرحمة الله ، وخوفاً من عذابه ، وسؤال الله تعالى بأسمائه

---

١ - ذكر الألوسي هنا الحديث بكامله ، وقد تقدم ذكره بطوله وتخريجه في ص ٣٦٧ .

٢ - الآية (٦٠) من سورة غافر .

٣ - انظر : حلية الأولياء لأبي نعيم ١٠٩/٨ .

٤ - ذكرها القاضي عياض في الشفاء ٣٢٠/١ ، عن أنس -رضي الله عنه - غير أنّي لم أقف على من تحدث عن سندها .

٥ - الآيتان (١٩٣ - ١٩٤) من سورة آل عمران .

وصفاته ، كقوله ((أ سـألك بـأ نّ لـك الحمـد أنـت ا لله الحنـان المنـان ،بديـع السـموات والأرض)) (١). ((وبأنك أنت ا لله الأحد الصمـد الـذي لم يلـد و لم يولـد و لم يكـن لـه كفوا أحد)) (٢) . ونحو ذلك يكون من بـاب التسـبب ، فـإ نّ كونـه المحمـود المنـان ، يقتضي منه على عباده ، وإحسانه الذي يحمد عليه ، وكونه الأحـد الصمـد الـذي لم يلـد و لم يولد يقتضي توحده في صمديّته ، فيكون هو السيد المقصود الذي يصمد الناس كلّهـم إليه ، في حوائجهم ، المستغني عما سواه ، وكل من سوا ه مفتقر إليـه ، و لا غنـى بهـم عنه ، وهذا سبب لقضـاء المطلوبـات ، وقـد يتضمـن معنـى ذ لـك الإقسـام عليـه بأسمائـه وصفاته .

وأما قوله (٣): في حديث أبي سعيد : ((أسألك بحق السائلين عليك ، وبحـق ممشـاي هذا)) فهذا الحديث رواه عطية العوفي ، وفيه ضعف شديد (٤)، ولكن بتقدير ثبوتـه ، هو من هذا البا ب ، فإن حـق السـائلين عليـه سـبحانه ، أن يجيبهـم ، وحـق المطيعـين أن يثيبهم ، فالسؤال لـه ، والطاعـة سـبب لحصـول إجابتـه وإثابتـه ، فهـو مـن التوسـل بـه ، والتوجه به ، والتسبب به ، ولو قدّر أنه قسم لكان قسما بما هو من صفاته ، وأن إجابته وإثابتـه ، من أفعالـه وأقوالـه سبحانه ، فصار هذا كقوله ﷺ في الحديـث الصحيـح : ((أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثنـاء

---

١ - أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، با ب الدعاء ، ح(١٤٩٥) ٢/ ١٦٧ ، و ا لترمذي في سننه كتاب الدعوات ، با ب خلق ا لله مائة رحمة ، ح (٣٥٤٤) ٥/٥٥٠ . والنسائي في سننه ، كتاب السهو ، با ب الدعاء بعد الذكر ، ٣/٤٤ ، وابن ماجة في سننه ، كتاب الدعاء ، با ب اسم الله الأعظم . ح(٣٨٥٨) ١٢٦٨/٢ .

٢ - تقدم تخريجه ص ٣٦٥ .

٣ - أي ابن جرجيس العراقي . وهذا الحديث من الأحاديث ا لتي اعتمد عليها في الاستدلال علىمزاعمه .

٤ - روا ه ابن ماجة في سننه ، كتاب المساجد والجماعات ، ح(٧٧٨) ٢٥٦/١ ، من طريق ا لفضل بن الموفق أبو جهم عن فضيل بن مرزوق ، وأحمد في مسنده ٢١/٣ ، من طريق فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري . وأورده ا لبوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ٩٨/١ ، وقال : (وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء ، عطية هو العوفي وفضيل بن مرزوق والفضل بن الموفق كلهم ضعفاء).

عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك)) (١)، والاستعاذة لا تصح بمخلوق ، كما نص عليه الإمام أحمد وغيره من الأئمة ... والمقصود : أن ستعاذة النبي ﷺ بعفوه ومعافاته من عقوبته ، مع أنه لايستعاذ بمخلوق ، كسؤاله الله بإجابته وإثابته ، وإن كان لا يسأل بمخلوق ، ومن قال من العلماء لا يسأل إلاّ به ، لا ينافي السؤال بصفاته . وهذا كله ذكره الحافظ ابن تيمية -قدس الله روحه - في كتابه *"اقتضاء الصراط المستقيم"*(٢) وبه اندفعت شبه العراقي ، وبطل ما موّه به . (٣)

وفي كتاب *"العقد الثمين"* للعلاّمة المحدث المتقن ، الشيخ علي السويدي (٤) - عليه الرحمة - نقل فقهاء الحنفية عن بشر بن وليد (٥) أنه قال : سمعت أبا يوسف يقول : قال أبو حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلاّ به ، وفي جميع متونهم ، أن قول الداعي المتوسل:بحق الأنبياء والرسل ، وبحق البيت والمشعر الحرام،مكروه كراهة التحريم .(٦)

وقال القدوري (٧) : المسألة بخلقه ، لا تجوز ، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق . وأما حديث ((أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا ، وبحق نبيك والأنبياء من قبلي)) (٨) ، ففيه وهنٌ ، وعلى تسليمه ، فالمراد بهذا الحق ، ما أوجبه الله على نفسه ،

---

١ - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، ح (٢٢٢) (٣٥٢/١) .

٢ - انظر : الاقتضاء ص ٣٧٤ - ٣٨٠ .

٣ - غاية الأماني ٣٣٦/٢ - ٣٣٩ ، و ٢٥٤/١ - ٢٥٦ ، وفتح المنان ص ٤٠٤ - ٤٠٩ .

٤ - هو الشيخ علي أفندي بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن حسين السويدي البغدادي ، محدث مؤرخ ، كان له مشاركة تامة في سائر العلوم ، كان حسن السيرة طاهر السريرة ، هينا تقيا دينا نقيا ، ولد ببغداد وتوفي بدمشق سنة (١٢٣٧) من تصانيفه : العقد الثمين في بيان مسائل الدين ، وسبائك الذهب في معرفة أنساب العرب ، وغيرهما . انظر : المسك الأذفر للألوسي ص١٤٠ - ١٤٧ ، والدر المنتثر ص١٧٨ ، ومعجم المؤلفين ٢٠٠/٧ .

٥ - هو بشر بن وليد بن خالد الكندي القاضي الحنفي ، من أصحاب أبي يوسف ، كان صالحا عابدا ،واسع الفقه، ثقة ، توفي سنة (٢٣٨) انظر : الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ٥٤ - ٥٥ ، ولسان الميزان ٣٥/٢ .

٦ - انظر : الفتاوى الهندية ٣١٨/٥ ، وإتحاف السادة المتقين ٢٨٥/٢ .

٧ - هو أحمد بن محمد بن أحمد القدوري ، من كبار فقهاء الحنفية ،ولد سنة (٣٦٢) وكان ثقة صدوقا ، انتهت إليه رئاسة الحنفية في زمنه ، توفي سنة (٤٢٨) . انظر : الفوائد البهية ص ٣٠ - ٣١ ، وتاج التراجم في طبقات الحنفية ص ٧ .

٨ - تقدم تخريجه والكلام عليه قريبا ص ٣٧٩ .

وذلك من أفعاله ، لأن حق السائلين الإجابة ، وحق المطيعين الإثابة ، وحق الأنبياء ، التقرب والتفضيل بما يخص أولئك العصابة - صلى الله تعالى عليهم وسلم ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ﴾ (٢) وقوله : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ (٣) وقوله ﷺ :((حق الله على العباد ، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله ألاّ يعذبهم))(٤) .

أو السؤال بالأعمال ، لأن الممشى إلى الطاعة ، امتثالاً لأمره ، عمل طاعة ، وذلك من أعظم الوسائل المأمور بها . وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ (٥).ومن نظر إلى الأدعية الواردة في الكتاب والسنة ، لم يجدها خارجة عما ذكرناه ، قال تعالى في دعاء المؤمنين : ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ﴾ (٦). وقال تعالى : ﴿ إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴾ (٧) . وقال عن الحواريين : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (٨) . وكان ابن مسعود - رضي الله عنه - يقول : (اللهم إنك أمرتني فأطعتك ، ودعوتني فأجبتك ، فاغفر لي) (٩).

---

١ - الآية (٤٧) من سورة الروم .

٢ الآية (١١١) من سورة التوبة .

٣ - الآية (٥٤) من سورة الأنعام .

٤ - تقدم تخريجه ص ١٨٨ .

٥ - الآية (٣٥) من سورة المائدة .

٦ - الآية (١٩٣) من سورة آل عمران .

٧ - الآية (١٠٩) من سورة المؤمنين .

٨ - الآية (٥٣) من سورة آل عمران .

٩ - مختصر قيام الليل ، باب الاستغفار بالأسحار ،والصلاة فيها . ص ٤١ .

ودعاء النبي ﷺ الـذي جمعه العلماء ، لا يخرج عن هذا النمط ، فاتبع أيّها المسلم نبيك المصطفى ، تسلم من اللغط والغلط) (١) انتهى .

بقي أن الداعي إذا قال : بجاه فلان عندك ، أو بحرمته ، ونحو ذلك ، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية : إنّ أبا محمد بن عبد السلام (٢) أفتى بأنه لا يجوز في غير النبي ﷺ (٣)، وأفتى أبو حنيفة وأبو يوسف ، أنه لا يجوز في حق أحد من الأنبياء ، فكيف بغيرهم إلى آخر ما قال (٤). فلا تغتر أيها الطالب للحق بما هذي به العراقي .(٥)

---

١ - كتاب العقد الثمين للسويدي ص١١٢ . وفتح المنان ص٤١٠ .

٢ - هو العلاّمة عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الدمشقي عز الدين الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ، من مصنفاته : قواعد الأحكام ، وبداية السول في تفضيل الرسول . توفي - رحمه الله - سنة (٦٦٠) طبقات الشافعية الكبرى ٢٠٩/٨ ، البداية والنهاية ١٣/ ٣٣٥ .

٣ - راجعت كتاب الفتاوى للإمام العز بن عبد السلام ، تعليق عبد الرحمن بن عبد الفتاح ، وتوزيع مكتبة المعارف بالرياض ، فلم أجد ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ، ووجدت في ص (١٢٦-١٢٧) منه ، إجابة عمن سؤال عن الإقسام على الله بعظيم من خلقه في دعائه ، كالنبي ﷺ ، والولي والملك ، هل يكره ذلك أو لا ؟ فأجاب بقوله : (فأما مسألة الدعاء فقد جاء في بعض الأحاديث أن رسول الله علم بعض الناس الدعاء ، فقال : في أقواله : ((اللهم إني أقسم عليك بنبيك محمد ﷺ ، نبي الرحمة)) . وهذا الحديث إن صح فينبغي أن يكون مقصورا على رسول الله ﷺ ، لأنه سيد ولد آدم ، وأن لا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة ، لأنهم ليسوا في درجته ، وأن يكون هذا مما خص به تنبيها على علو درجته ومرتبته) .

والذي يجب أن ينبه عليه ، هو بطلان حديث السؤال بجاهه ﷺ ، حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - طيّب الله ثراه -: (روى بعض جهال عن النبي ﷺ أنه قال : (إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي ، فإن جاهي عند الله عظيم) وهذا الحديث كذب ، ليس في شيء من كتب المسلمين ، التي يعتمد عليها أهل الحديث . ولا ذكره أحد من أهل العلم ، مع أن جاهه عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين ، وقد أخبرنا سبحانه عن موسى وعيسى - عليهما السلام - أنهما وجيهان عند الله فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ﴾ الآية (٦٩) من سورة الأحزاب . وقال تعالى : ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ الآية (٤٥) من سورة آل عمران . فإذا كان موسى وعيسى وجيهين عند الله ، فكيف بسيد ولد آدم ، صاحب المقام المحمود ، الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، وصاحب الكوثر والحوض المورود ، الذي آنيته عدد نجوم السماء ، وماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل من شرب منه شربة لن يظمأ بعدها أبدا ؟

مجموع فتاوى ٣١٩/١ - ٣٢٠ . وبهذا يتضح بطلان هذا الحديث ، والله تعالى أعلم .

٤ - انظر : الفتاوى الهندية ٣١٨/٥ . وإتحاف السادة ٢ /٢٨٥ .

٥ - فتح المنان ص٤٠٤ - ٤١١ . وغاية الأماني ٢٥٤/١ - ٢٥٦ .

المبحث الرابع :

الرد على ادعاء مشروعية السفر إلى زيارة القبور :

التوطئة : في بيان أنواع الزيارة :

لما كان مبنى العبادات على السنة والاتباع ، لا على الأهواء والابتداع ، وأن الله تعالى يعبد بما شرع ، لا بالأهواء والبدع ، قال تعالى : ﴿ أم لهم شركاؤ شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ (١)، وثبت أن الخير كله في الإتباع ، والشر كله في الابتداع ، ومع ذلك فقد وجد من المتأخرين قوم ابتدعوا وشرعوا لأنفسهم ما لم ينزل الله تعالى به من سلطان ، فشرعوا إعمال المطايا لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، والحج إلى المشاهد ، وخلطوا بين ما شرعه المصطفى ﷺ من الزيارة ، بما حذر أمته منه ، حماية لجناب التوحيد ، وسدا للذريعة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (إن جماع دين الإسلام : أن يعبد الله وحده لا شريك له ، ويعبد بما شرعه سبحانه وتعالى ،على لسان نبيه محمد ﷺ ، من الواجبات والمستحبات والمندوبات ، فمن تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة فهو ضال ...) (٢). كالنبهاني وأسلافه الذين ادعوا مشروعية شدّ الرحال إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين والمشاهد ، تأييدا للروافض الذين يعظمون المشاهد ، ويعطلون المساجد ؛ فلما كان الأمر كذلك لزم بيان الزيارة الشرعية التى سنّها الرسول ﷺ لأصحابه ، والزيارة البدعية التي لم يشرعها لأمته ، خشية الوقوع في الشرك (٣). وقد كان ﷺ يخاف على أمته من الشرك الخفي ، فما بالك بالأكبر !

فأقول - ومن الله تعالى التوفيق :

تنقسم زيارة القبور إلى قسمين : زيارة مشروعة ، وزيارة بدعية .

---

١ - الآية (٢١) من سورة الشورى .

٢ مجموع فتاوى ٢٧/ ٢٤ .

٣ - غاية الأماني ١/١٧٣ .

القسم الأول : الزيارة الشرعية :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - عليه الرحمة - : (وأما زيارة القبور الشرعية : فهي أن يسلّم على الميت ، ويدعو له ، بمنزلة الصلاة على جنازته ، كما كان النبي ﷺ يُعلّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا : ((السلام عليكم أهل ديار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم .)) (١)، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : ((ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا ، فيسلم عليه إلاّ ردّ الله عليه روحه ، حتى يردّ عليه السلام)) (٢)، والله تعالى يثيب الحي إذا دعا للميت المؤمن ، كما يثيبه إذا صلى على جنازته ، ولهذا نُهي النبي ﷺ أن يفعل ذلك بالمنافقين ، فقال عز من قائل : ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾ (٣) فليس في الزيارة الشرعية حاجة الحي إلى الميت ، ولا مسألته ولا توسله به ، بل فيها منفعة الحي للميت ، كالصلاة عليه ، والله يرحم هذا بدعاء هذا وإحسانه إليه ، ويثيب هذا على عمله ، فإنه ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال :((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث:صدقة جارية ، أوعلم ينتفع به من بعده ، أو ولد صالح يدعو له)).(٤) (٥)

والذي يدل على ترخيص هذا النوع ، ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ((زار النبي ﷺ قبر أمه ،فبكى وأبكى من حوله ، فقال : استأذنت ربي أن أستغفر لها ، فلم يأذن لي

---

١ - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ح (٣٩) ٣/٢٤٠ صحيح مسلم مع شرح النووي .

٢ - لم أقف على تخريج هذا الحديث فيما اطلعت عليه . وقد أشار صاحب موسوعة أطراف الحديث ، إلى وجوده في : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/ ٢ ٩٢ .

٣ - الآية (٨٤) من سورة التوبة .

٤ - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الوصية ح (١٦٣١) ١١/٩٤ .

٥ - مجموع فتاوى ٢٧/٧٠ - ٧١ ، ونحوه في ٢٧/ ١٦٤- ١٦٥ ، واقتضاء الصراط المستقيم ص٢٩٦ .

واستأذنته في أن أزور قبرها ، فأذن لي . فزوروا القبور ، فإنها تذكر الموت)) (١) ، وفي رواية لأحمد والنسائي : ((فمن أراد أن يزور فليزر ، ولا تقولوا هجرا)) (٢)، ولحديث ابن بريدة - أيضا - عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ، فإنّها تذكركم الآخرة)) (٣) .

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على مشروعية هذا النوع .

---

١ - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بشرح النووي ٧/٥١ -٥٢ ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه .

فقيام النبي ﷺ بزيارة القبور ، وترخيصه لأمته بذلك - من أجل العبرة والاتعاظ - لدليل على مشروعيّتها .

٢ - مسند الإمام أحمد ٥ / ٢٦١ ، و أخرجه النسائي في سننه ، كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور ٣/٧٣ .

٣ - أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي ٧/٥٠ . ح (٩٧٧) ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه . بدون قوله : (إني كنت) و (فإنها تذكركم الآخرة) .

وأخرجه الترمذي في سننه ٣/٣٦١ ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور ، واللفظ له .

القسم الثاني : الزيارة الشركية والبدعية :

[وهي أن يكون مقصود الزائر ، أن يطلب حوائجه من ذلك الميت ، أو يقصد الدعاء عند قبره ، أو يقصد الدعاء به ؛ فهذا ليس من سنة النبي ﷺ ، ولا استحبه أحد من سلف الأمة ، بل هو من البدع المنهي عنها باتفاق علماء سلف الأمة وأئمتها . وقد كره الإمام مالك وغيره ، أن يقول القائل : زرت قبر النبي ﷺ ، وهذا اللفظ لم ينقل عن النبي ﷺ ، بل الأحاديث المذكورة في هذا الباب مثل قوله :((من زرني بعد مماتي ، فكأنما زارني في حياتي ، ومن زارني بعد مماتي حلت له شفاعتي)) (١) ، ونحو ذلك ، كلّها أحاديث ضعيفة ، ليست في شيء من دواوين المسلمين ، التي يعتمد عليها ، ولا نقلها إمام من أئمة المسلمين ، لا الأئمة الأربعة ، ولا نحوهم .

ولكن روي بعضها البزار (٢) والدارقطني (٣) ونحوهما ، باسناد ضعيف ، لأن من عادة الدارقطني وأمثاله أن يذكروا هذا في السنن ليعرف ، وهو وغيره يبينون ضعف الضعيف من ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم] (٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن هذه الزيارة البدعية :

(وأما من يأتي قبر نبي أو صالح، أو من يعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح ، وليس كذلك ويسأله ويستنجده ، فهذا على ثلاث درجات :

(إحداها) : أن يسأله حاجته ، مثل أن يسأله أن يزيل مرضه ، أو مرض دوابه ، أو يقضي دينه ، أو ينتقم له من عدوه ، أو يعافي نفسه وأهله ، ودوابه ، ونحو ذلك مما لايقدر عليه إلاّ الله عز وجل . فهذا شرك صريح ، يجب أن يستتاب صاحبه ، فإن تاب وإلاّ قتل .

وإن قال : أنا أسأله لكونه أقرب إلى الله مني ، ليشفع لي في هذه الأمور ، لأنّي أتوسل إلى الله به ، كما يتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه ؛ فهذا من أفعال

---

١ - سيأتي نقل كلام العلماء عليها ، إن شاء الله تعالى ص ٣٩٤ - ٣٩٩ .

٢ - في مسنده : كشف الأستار عن زوائد البزار ، ح (٣٨٦٢) ، ٢/٥٧ .

٣ - سنن الدار قطني ، باب المواقيت ، ح (١٩٢) (١٩٣) ٢/٢٧٨ .

٤ - انظر : الصارم المنكي في الرد على السبكي ، لابن عبد الهادي الحنبلي ص ٤٠ .

المشركين والنصارى ، فإنّهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء ، يستشفعون بهم في مطالبهم ، وكذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا : ﴿ ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى ﴾ (١). وقال سبحانه : ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ۝ قل لله الشفاعة جميعا له ملك السمٰوات والأرض ثم إليه ترجعون ۝ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه ﴾ (٤) فبيّن الفرق بينه وبين خلقه ، فإنّ من عادة الناس أن يستشفعوا إلى الكبير من كبرائهم ، بمن يكرم عليه ، فيسأله ذلك الشفيع ، فيقضي حاجته : إما رغبة ، وإما رهبة ، وإما حياء وإما مودة ، وإما غير ذلك ، والله سبحانه لا يشفع عنده أحد ، حتى يأذن هو للشافع ، فلا يفعل إلاّ ما شاء ، وشفاعة الشافع من إذنه ، فالأمر كله له ...

القسم الثاني (٥) : وهو أن لا يطلب منه الفعل ولا يدعوه ، ولكن يطلب أن يدعو له ، كما يقول للحي : ادع لي . وكما كان الصحابة – رضوان الله عليهم – يطلبون من النبي ﷺ ، فهذا مشروع في الحي ، كما تقدم ، (٦) وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم ، فلم يشرع لنا أن نقول : ادع لنا ، ولا اسأل لنا ربك ، ولا يجوز ذلك ، ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين ، ولا أمر به أحد من الأئمة ، ولا ورد فيه شيء ، بل الذي ثبت في الصحيح ، أنّهم لما أجدبوا زمن عمر – رضي الله عنه- استسقى بالعباس ، وقال :(اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون) (٧) ولم يجيئوا إلى قبر النبي ﷺ قائلين : يا

---

١ الآية (٣) من سورة الزمر .

٢ – الآيتان (٤٣، ٤٤) من سورة الزمر .

٣ الآية (٤) من سورة السجدة .

٤ – الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

٥ – يعني – رحمه الله – بذالك الدرجة الثانية من درجات الزيارة البدعية .

٦ في التوسل بدعاء المؤمن الصالح .

٧ – تقدم تخريجه ٢٩٨.

رسول الله ، ادع الله لنا ، واستسق لنا ، ونحن نشكو إليك مما أصابنا ، ونحو ذلك ، لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط ، بل هذ بدعة ، ما أنزل الله بها من سلطان بل كانوا إذا جاءوا عند قبر النبي ﷺ ، يسلمون عليه ، فإذا أرادوا الدعاء ، لم يدعوا الله مستقبلي القبر الشريف ، بل ينحرفون ويستقبلون القبلة ، ويدعون الله وحده لا شريك له ، كما يدعونه في سائر البقاع .

وذلك أن في " الموطأ " وغيره عنه ﷺ ، قال: ((اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) (١) .

وفي السنن عنه أنه قال : ((لا تتخذوا قبري عيدا ، وصلّوا عليّ حيثما كنتم ، فإنّ صلاتكم تبلغني)) (٢). وفي الصحيح عنه أنه قال في مرضه الذي لم يقم منه : ((لعن الله اليهود والنصارى اتخذو قبور أنبيائهم مساجد)) (٣) يحذر ما فعلوا ، قالت عائشة - رضي الله عنها وعن أبويها-:ولولاذلك لأبرز قبره،ولكن كره أن يتخذ مسجدا . (٤) وفي صحيح مسلم عنه ﷺ ، أنه قال قبل أن يموت بخمس:((إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد - فإني أنهاكم عن ذلك))(٥) وفي سنن أبي داود عنه قال : ((لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)) (٦)

---

١ - أخرجه الإمام مالك - رحمه الله - في الموطأ ، كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب جامع الصلاة . ح (٨٥) ١/١٧٢ ، وأحمد في المسند ٢/٢٤٦ .

٢ - أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب المناسك ، باب زيارة القبور . ح (٢٠٤٢) ٢/٥٣٤ .

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، ح (١٣٩٠) ٣/٢٥٥ . وكتاب الصلاة ، باب هل ينبش قبور مشركي الجاهلية ، ويتخذ مكانه مساجد ، ... الصحيح مع الفتح ١/٥٢٣ .

٤ - ولفظ قول أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - : (غير أنه خشي - أو خشي) فتح الباري ٣/٢٥٥.

٥ - صحيح مسلم مع شرح النووي ،كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، ٥/١٦-١٧ ، ح (٥٣٢) .

٦ - سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب في زيارة القبور ح (٣٢٣٦) ٣/ ٥٥٨ .

وأما القسم الثالث (١):

وهو أن يقول : اللهم بجاه فلان عندك ، أو ببركة فلان ،أو بحرمة فلان عندك ؛ افعل بي كذا وكذا ، فهذا يفعله كثير من الناس ، لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة ، أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء ، ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه ، إلاّ ما رأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد بن عبد السلام فإنه أفتى بأنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك إلاّ بالنبي ﷺ ، إن صح الحديث في النبي ﷺ . ومعنى الا ستثناء : أنه قد روى النسائي والترمذي وغيرهما ، أن النبي ﷺ علّم بعض أصحابه أن يدعو فيقول : ((اللهم إنّي أسألك وأتوسل إليك بنبيك ، نبي الرحمة ، يا محمد ، يا رسول الله ، إنّي أتوسل بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها لي ، اللهم : فشفعه فيّ ...)(٢) (٣) .

وهكذا يتجلى لنا الفرق بين الزيارتين : الشرعية التي سنّها النبي ﷺ ، وبين البدعية التي لم يشرعها عليه السلام ، بل نهى عنها وحذر أمته منها (٤)، كما تقدم ذكره من خلال استعراض شيخ الإسلام لدرجات الزيارة البدعية ، ووضح بطلانها على ضوء سنة الحبيب المصطفى ، صلوات الله وسلامه وبركاته .

فعلم مما تقدم أن السنة النبوية في الزيارة : هي ما تضمنت السلام على الميت ، والدعاء له ، بمنزلة الصلاة على جنازته ، والله تعالى يرحم الميت بدعائه ، ويثيبه هو على صلاته،وأن كل ما خالف ذلك من الزيارات (٥) ، فهي بدعية شركية ، منهي عنها ، كما

---

١ - يعني - رحمه الله - الدرجة الثالثة من درجات الزيارة البدعية .

٢ -أخرجه الترمذي في سننه ٥/٥٦٩،ح (٣٥٧٨) ،وانظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٨٥-١٨٦ .

٣ - انظر مجموع فتاوى ٢٧/٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ومنهاج التأسيس والتقديس ص ١٧٨،١٨٠ ، ١٨٥ .

٤ - انظر : الجواب الباهر ص ٢٧ .

٥ - ويخرج من ذلك زيارة قبور الكفار لتذكُّر الآخرة والاعتبار ، فإنها وإن كان ليس فيها الدعاء للميت ، إلاَّ أن فيها تذكر الآخرة والاتعاظ . فهي مرخص فيها على أقل الأحوال .

نهى النبي ﷺ ، أمته عن اتخاذ القبور مساجد (١)، واتخاذ قبره عيدا (٢)، ونهاهم عن السفر إلى غير المساجد الثلاثة (٣). وذلك كله لتحقيق إخلاص الدين لله ، وعبادته وحده لا شريك له ، ومحافظة على توحيده عزوجل ، مع العلم بأن لسائر المساجد فضيلتها من أنها مساجد الله ، وبيوت يصلى فيها ويذكر فيها اسمه (٤)، وهذا قدر مشترك بين المساجد ، وإن كان بعضها تكثر العبادة فيه ، أو لكونه أعتق من غيره ، ونحو ذلك . فهذه المزية موجودة في عامة المساجد...(٥) ، لكن لما قيد النبي ﷺ ، السفر إلى هذه المساجد الثلاثة ، علم أن إعمال المطي إلى غيرها – مع كونها من بيوت الله تعالى – محظور ومنهي عنه ، وما دام السفر إلى غير المساجد الثلاثة منهي عنه ، فغيرها من بيوت الموتى أولى بالنهي والمنع (٦)، ولكن مع هذا النهي النبوي الشريف ، وجد من ادّعى مشروعية السفر إلى زيارة القبور والمشاهد . واستدلوا على جواز ذلك بأحاديث واهية وموضوعة . وتولّى كبرذلك النبهاني ، حيث شحن كتابه" *شواهد الحق*" بهذه

---

١ – ذلك في حديث جندب بن عبد الله البجلي قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس ، وهو يقول : ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله قد اتخذني خليلا ، كما اتخذ ابراهيم خليلا . ولو كنت متخذا من أمتي خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا . ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك)) . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ... ح (٥٣٢) ١/٣٧٧– ٣٧٨ .

٢ – لما ثبت من حديث أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا ، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)) أخرجه أبو داود في سننه كتاب المناسك ، باب زيارة القبور ، ح (٢٠٤٢) ٢/٥٣٤ .

٣ – الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال : قال النبي ﷺ : ((لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا)) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضل الصلاة ، في مسجد مكة والمدينة ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة . ح (١١٨٩) الصحيح مع الفتح ٣/٦٣ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد ح (١٣٩٧) ٢/١٠١٤ .

٤ – لقوله تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوّ والآصال ﴾ الآية (٣٦) من سورة النور .

٥ – مجموع فتاوى ٢٧/١٤٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ .

٦ – انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٩٧ .

الأحاديث ، نقلا عن أ سلافه من كتبهم ، (كنقلـه مـن كتـاب : " *شفاء السقام* " (١) للسبكي و" *الجوهر المنظم*"(٢) للهيتمي، فعقد با با كاملا في إثبات ذ لك .

الرد على ا دعاء مشروعية السفر إلى زيارة القبور :

قال الإمام الأ لوسي – رحمه ا لله – عن هذا البـاب الـذي عقـده النبهـاني في إثبـات مشروعية ذ لك السفر : (ثم إنه –أي النبهاني – عقد بابـا في إثبـات مشـروعية السـفر إلى زيارة قبره الشريف ﷺ ، كسائر الأنبياء والصالحين ، وجعلـه البـاب الأول ، وافتتحـه بأرجوزة ، مدح (٣) بها النبي ﷺ ، ثم استدل على مشروعية هذا السـفر ،بمـا ذكـره ابـن

---

١ – قال ا لعلاّ مة عبد ا لله بن عبد الهادي عن هذا الكتاب : (فإ ني وقفـت علـى الكتـاب الـذي ألفـه بعـض قضاة الشافعية ، في الرد على شيخ الإسلام ابن تيميـة ، رحمـه ا لله ، في مسـألة شـد الرحـال ، وإعمـال المطي إلى القبور ، وذكر أنه قد سماه : (شنّ الغارة على من أنكر الزيارة) ، ثم زعم أنه اختار أن يسميه : (شفاء السـقام في زيارة خير الأنام) ووجدت كتابه مشتملا على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعـة ،وتقوية الآثـار الواهيـة المكذوبة ، وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة ا لثابتة ، والآثار ا لقوية المقبولة ، وتحريفها عن مواضعهـا وصرفهـا عن ظاهرها ، بالتأويلات المنكرة المردودة ...) . الصارم المنكي ص ٦ .

٢ – وهذا الكتاب ينطبق عليه ما قاله العلاّ مة أبو عبد ا لله بن عبد الهادى ، في كتاب " شفاء السقام " المتقـدم ذكره ، إذ هو صورة طبق الأصل منه ، كما ينطبق عليه ما قاله الألوسي في ص ٣٣٢ ، في "شواهد الحق " حيـث اعتمد النبهاني عليه أكثر من غيره ، وهو نقل من شفاء السقام .

٣ – في زعمه ، ولا يدري أ ن النبي ﷺ ، غني عن مدح ا لعباد له ، بمدح رب العباد له ، وإن كان مدحه ﷺ محمودا في الأصل ، لكن الغلو فيه محظور ، لما يؤدي إ ليه من ا لشرك ، كما لم يدرك أنه قد كشف الغطاء عن معتقده ، وما يكنه صدره . وكان مما قاله في ذ لك :

برئت من عقيدة الأشرار * من منعوا زيارة المختار
خير ا لبرايا نخبة الأخيار * و إنه وسيلـــة للبارى
نزوره با لشد للأسفار * برغم كل خـادع غرار

انظر : شواهد الحق ص ٣٦ .

قال الأ لوسي : في رده على نحو هذه الأبيات للنبهاني : (هذا أمية بن أبي الصلت ، وهو من أشهر شعراء الجاهلية وموحديهم في شعره ، روى في شأنه البخاري ومسلم ، عن الرشيد بن سويد قـال : ردفـت النـبي ﷺ ، فقال :((هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئ ؟ قلت : نعم ، قال : هيه ، فأنشـدته بيتـا ، فقـال : هيـه ، حتى أنشدته مائة بيت ، فقال : آمن شعره ، وكفر قلبه)) ، فلو سلمنا أن شعر النبهاني خال من الغلو والشرك ، لا يفيده شيئا ، كما لم يفد أميّة شعره المشحون بالتوحيد ، لعدم موافقته لما في قلبه ، فكيف إذا كان محض غلو وإ شراك ، فمتى ينفعه ذاك ، ومقصود النبهاني ، التبجح وا لافتخار بنظم الشعر ، وكأنه لم يسـمع قـول أبـي سعيد ، يهجوه وأمثاله ، – وليس بعد ذمه ذلك من مزيد – : =

حجر الهيتمي في *الجوهر المنظم* ، وقد أتى بأكثره ، والكتاب مشـهور ، وبما ذكره ابن الحاج في مدخله (١)، وهو أيضا مشهور كذ لك ثم بما ذكره السبكي في *شفاء السقام*، ثم بما ذكره الشيخ عبد القادر الكيلاني في *الغنية* (٢)، ثم أعقبه بكلام النووى ، ثم بكـلام ابن الهمام الحنفي ، في *فتح القديـر* (٣)، ثـم بمـا في *مشـارق الأنوار*(٤) ، للشيخ حسـن العدوي ... وحيث أن هذه المباحث مشهورة ، بل أنها قد ملّتها الأسماع ، لم أذكرها في هذا المقام لطولها .

أقول : كان من الحزم عدم التعرض لهذه المسائل المفـروغ عـن تحقيقهـا ، وقـد سبق بيان العذر للكلام على هذيان النبهاني ، مع العلم أنه لا يفيد في ردع مـن ختـم الله على قلبه ، وسمعه وعلى بصره غشاوة ، فإنه ألّف في هذا الباب كتب مفصّلة ومجملة ، قد حقق فيها الكلام على هذه المسائل ، أتمّ التحقيق ، ومع ذ لك لم يؤثر شيئا في فهم هذا الخصـم وأضرابه ، وعاد وأبدى واستدل بما هو مردود مرارا عديدة ، فسبحان من طبع على قلبـه ... ثم إنّ ما نقله عن ابن حجر الهيتمي والسبكي وغيرهما كلّه متحد معنى ، ومـن بعـد السبكي ، كلّهم قلّدوه في رأيه الفاسد ، واعتقاده الكاسد ، الذي ذكره في كتابه : *شـفاء السقام* . وقد علم حال هذ الكتاب وما جرى عليه من الرد والإبطال ، فقد ردّه الإمـام العالم العلاّمةالحافظ المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهـادي الحنبلي المقدسـي - قدّس الله روحه - في كتابه الذي سماه : *الصـارم المنكـي في الـرد علـى السـبكي* ، وقـد حقق فيه المسائل المتعلقة بزيارة القبور ، وبين ما كان فيها من حـق وزور ، وأظهـر جهـل السبكي بعلم الأثر والحديث . وعدم فهمه لمقاصد الشريعة ... ولهذا نرى هذا المخـذول لم يزل يتمنّى أن لم يكن ألّـف هـذ الكتـاب (أعـني : *الصارم المنكـي*) فـإذا ردّ هـذا

= الكلب وا لشاعر في حالة * سيان كلبا كنت أم شاعرا

أما تراه با سطا كفه * يستطعم الوارد والصادر !

انظر : الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى ، مخطوط ص ١٤ -١٥ .

١ - المدخل لابن الحاج ١/٢٥٤ -٢٥٥ .

٢ - الغنية ١/٣- ١٤ .

٣ - انظر : فتح القدير ٣ /١٧٩ -١٨٠ .

٤ - انظر مشارق الأنوار ص ٥٥ .

الكتاب ، رد جميع ما أُلّف في هذه المسألة من كتب الغلاة ، ولو لم يكن سوى الصارم المنكي ، لكفى في ذ لك ،مع أنّ كتب الرد عليهم لا تعد ولا تحصى ، ولا تكاد تستقصى ، ولو وقفت على ردود الجوهر المنظم ، لتبين لك أنه خزف لدى كل منصف يعلم ، وكل هذه الكتب مشهورة متداولة بين الأيدي ، فإذا تكلمنا على ما ذكر هذا المخذول ، كان عبثا وتضييعا للقرطاس(١) (٢).

ثم قال - عليه الرحمة - في بعض ردوده على مزاعم النبهاني ، في مشروعية شدّ الرحال إلى القبور والمشاهد- نقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه ا لله - في معرض رده على الإخنائي (٣) الذي زعم أنّ الشيخ منع زيارة القبورمطلقا: (... وأما السفر إلى قبورالأنبياء والصالحين ، فهذا لم يكن موجودا في الإسلام في زمن مالك -رحمه ا لله - وإنّما حدث هذا بعد القرون الثلا ثة ، قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم . فأما هذه القرون التي أ ثنى عليها النبي ﷺ ، فلم يكن هذا ظاهرا فيها ، ولكن بعدها ظهر الإفك والشرك ، ولهذا لما سأل سائل لمالك عن رجل نذر أن يأتي قبر النبي ﷺ ، فقال : إن كان أراد المسجد ، فليأتيه ، وليصلي فيه ، وإن كان أراد القبر ، فلا يفعل ، للحديث الذي جاء ((لا تعمل المطي إلاّ إلى ثلا ثة مساجد)) (٤) ،وكذ لك من يزور قبور الأنبياء والصالحين ،ليدعوهم أو يطلب منهم الدعاء ، أو يقصد الدعاء عندهم ، لكونه أقرب إجابة في ظنه ، فهذا لم يكن يعرف علىعهد مالك ، لا عند قبر النبي ﷺ ولا غيره ، وإذا كان مالك يكره أن يطيل الوقوف عنده للدعاء ، فكيف بمن لا يقصد لا السلام عليه ولا الدعاء له، وإنما يقصد دعاءه،وطلب حوائجه منه ويرفع صوته عنده فيؤذي الرسول (٥) ويشرك با لله ، ويظلم نفسه ، ولم يعتمد الأئمة الأربعة ، ولا غير

---

١ - غاية الأماني ١/١٢٤ ، ١٣٠ - ١٣١ .

٢ - ذكرت ذ لك كي أوضح موقف الأ لوسي من تلك الكتب التي أعتمد عليها النبهاني في ترويج دعواه ا لباطلة (مشروعية السفر لزيارة القبور) .

٣ - هو محمد بن أبي بكر الإخنائي المالكي ، أخو محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران لإخنائي الشا فعي ،ولد سنة (٦٦٠) تقريبا ، ولي قضاء الديار المصرية ، للمالكية ، ومات في الطاعون أول سنة (٧٥٠) . انظر ترجمته : الدرر الكامنة لابن حجر ٤/ ٢٧-٢٨ ، ومعجم المؤلفين ٩/١١٦ ، حسن المحاضرة ١/٤٦٠ ، شجرة النور الزكية ١/١٨٧ .

٤ - أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب الجمعة ، با ب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة ، ح (١٦) ١/١٠٩ .

٥ - وقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له با لقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ الآية (٢) من سورة الحجرات . وقال تعالى :
﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ﴾ الآ ية (٥٧) من سورة الأحزاب .

الأربعة على شيء من الأحاديث التي يرويها بعض الناس في ذلك ، مثل ما يروون أنه قال : (من زارني في مماتي فكأنما زارني في حياتي) (١) . ومن قوله : (من زارني وزار أبي إبراهيم ، في عام ، ضمنت له على الله الجنة) (٢)، ونحو ذلك ، فإن هذا لم يروه أحد من أئمة المسلمين ، ولم يعتمدوا عليها ، ولم يروها لا أهل الصحاح ، ولا أهل السنن ، التي يعتمد عليها ، كأبي داود والنسائي ، لأنها ضعيفة ، بل موضوعة ، كما قد بين العلماء الكلام عليها . ومن زاره في حياته ﷺ ، كان من المهاجرين إليه . والواحد بعدهم ، لو أنفق مثل أحد ذهبا ، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (٣)، وهو إذا أتى بالفرائض لا يكون مثل الصحابة ، فكيف يكون مثلهم في النوافل ، أو بما ليس بقربة ، أو بما هو منهي عنه ، وكره مالك - رحمه الله - أن يقول القائل : زرت قبر

١ - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ح (٣٨٥٨) ٩٢/٨ وفي السنن الكبرى له ٢٤٦/٥ ، وقال - رحمه الله - تفرد به حفص بن أبي داود ، وهو ضعيف في رواية الحديث .وانظر كلام العلماء على هذا الحديث : اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١٣٠/٢ ، والفوائد المجموعة للشوكاني ح (٣٢٦) ص ١١٧ ، والمشتهر من الحديث الموضوع والضعيف والدليل الصحيح ، ص ١٩٩ ، وقال الألباني في سلسلة الضعيفة ١٢٠/١ :(موضوع) . قال العلامة ابن عبد الهادي رحمه الله ، بعد ذكر عدة روايات هذا الحديث - وفي إحداها زيادة (وصحبتي) - : (واعلم أن هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به ولا يصلح الاعتماد على مثله ، فإنه حديث منكر المتن ، ساقط الإسناد ، لم يصححه أحد من الحفاظ ، ولا احتج به أحد من الأئمة ، بل ضعفوه ، وطعنوا فيه ، وذكر بعضهم أنه من الأحاديث الموضوعة ، والأخبار المكذوبة ، ولا ريب في كذب هذه الزيادة فيه . وأما الحديث بدونها منكر جدا ، ...) الصارم المنكي ص ٥٤ - ٦٠ . ثم بسط -رحمه الله - الكلام على الإسناد والرواة .

٢ - انظر : ما جاء عن علماء الحديث في : كتاب تمييز الطيب من الخبيث ص ١٦٧ ، وأسنى المطالب ح(١٤٠٤) ، وكشف الخفاء ح (٢٤٩٠) ٣٤/٢ ، وأحاديث القصاص ح (٢٠) ص٨٣ ، والفوائد المجموعة ح (٣٢٦) ص ١١٧- ١١٨ . قال النووي في المجموع ٢٧٧/٨ : (ومما شاع عند العامة في الشام ، في هذه الأزمان المتأخرة ، ما يزعمه بعضهم ، أن الرسول ﷺ قال : (من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ...) وهذا باطل ، ليس هو مرويا عن النبي ﷺ ، ولا يعرف في كتاب صحيح ولا ضعيف ، بل وضعه بعض الفجرة)

٣ - هذا اقتباس من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - الذي قال فيه : قال النبي ﷺ : ((لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ، ما بلغ مد أحدهم ، ولا نصيفه)) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : ((لو كنت متخذا خليلا ...)) ح (٣٦٧٣) انظر : الصحيح مع الفتح ٢١/٧ ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي ٣٢٧/١٦ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة ، ح(٢٥٤١) .

النبي ﷺ ، وكره هذا اللفظ ، لأن السنة لم تأت به في قبره ﷺ ، ... ورخص غيره في هذا اللفظ ، للأحاديث العامة في زيارة القبور ، ومالك – رحمه الله –، يستحب ما يستحبه سائر العلماء من السفر إلى المدينة ، والصلاة في مسجده ﷺ ، وكذلك السلام عليه ، وعلى صاحبيه ، عند قبورهم ، اتباعا لابن عمر – رضي الله عنهما – ومالك – رضي الله عنه– من أعلم الناس بهذا ، لأنه قد رأى التابعين الذين رأوا الصحابة بالمدينة ، ولهذا كان يستحب اتباع السلف في ذلك ، ويكره أن يبتدع أحد هناك بدعة ، وكره أن يطيل القيام للدعاء عند قبر النبي ﷺ ، لأن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك ،... وقال : لا يصلح آخر هذه الأمة ، إلاّ ما أصلح أولها ، بل كانوا يأتون إلى مسجده ،فيصلون خلف أبي بكر وعمر وعثمان وعلي – رضي الله عنهم أجمعين – فإنّ هؤلاء الأربعة ، صلوا أئمة في مسجده ، والمسلمون يصلون خلفهم ، وهم يقولون في الصلاة : السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته ، كما كانوا يقولون ذلك في حياته ، ثم إذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا ، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام ، لعلمهم بأن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل ، وهي مشروعة ...) (١) .

والمقصود هنا أن الصحابة – رضي الله عنه– تركوا البدع المتعلقة بقبره وقبر غيره ، لنهيه ﷺ عن ذلك ، ولئلا يتشبهوا بأهل الكتاب الذين اتخذوا قبور الأنبياء أوثانا ، وإنما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفر كما كان ابن عمر يفعل – حيث كان – يسلم عليه ثم ينصرف ، ولا يقف لا لدعاء له ولا لنفسه ، لأن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة ، فكان بدعة محضة ... مع أن فعل ابن عمر – رضي الله عنهما– إذا لم يفعل مثله سائر الصحابة ، إنما يحصل للتسويغ كأمثال ذلك فيما يفعله بعض الصحابة – رضوان الله عليهم .

---

١ – انظر : الجواب الباهر لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٦ –٦٧ ، ومجموع فتاوى ٣٨٤/٢٧ –٣٨٧ ، وغاية الأماني ١٣٩/١– ١٤١ .

وأما القول بأنّ هذا الفعل مستحب أو منهي عنه أو مباح ، فلا يثبت إلاّ بدليل شرعي ، فالواجب والندب ، والإباحة ، والاستحباب ،والكراهة ، والتحريم ، لا يثبت شيء منها إلاّ بالأدلة الشرعية . والأدلة الشرعية مرجعها كلها إليه صلوات الله وسلامه عليه ، فالقرآن هو الذي بلّغه . والسنة هو الذي علّمها ، والإجماع بقوله عرف أنه معصوم ، والقياس يكون حجة إذا علمنا أن الفرع مثل الأصل أوأن علة الأصل في الفرع ، وقد علمنا أنه ﷺ ، لا يتناقض ، فلا يحكم في المتماثلين بحكمين متناقضين ، ولا يحكم بالحكم لعلة تارة ، ويمنعه أخرى مع وجود العلة ، إلاّ لاختصاص إحدى الصورتين بما يوجب التخصيص ، فشرعه هو ما شرعه ﷺ ، وسنته ما سنها هو ، لا يضاف إليها قول غيره ولا فعله – وإن كان من أفضل الناس – إذا وردت سنته ، بل ولا يضاف إليها إلاّ بدليل يدل على الإضافة ، ولهذا كان الصحابة كأبي بكر وعمر وابن مسعود يقولون باجتهادهم ، ويكونون مصيبين موافقين لسنته ، لكن يقول أحدهم ، أقول هذا برأيي، فإن يكن صوابا ، فمن الله وإن كان خطأً فمنّي ومن الشيطان،والله ورسوله بريئان منه. فإنّ كل ما خالف سنته ، فهو شرع منسوخ أو مبدل ، لكن المجتهدون وإن قالوا بآرائهم وأخطأوا ،فلهم أجر .(١) وخطؤهم مغفور لهم ...) (٢).

وقال –رحمة الله عليه – فيما نقله عن شيخ الإسلام – رحمه الله – في ردّه على اعتراض الإخنائي المالكي ، حيث قال : وورد في زيارة قبره ﷺ أحاديث صحيحة وغيرها مما لم يبلغ درجة الصحيح ، ولكن يجوز الاستدلال بها على الأحكام الشرعية ويحصل بها الترجيح .

---

١ – ويدل على ذلك حديث عمرو بن العاص – رضي الله عنه– أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ ،فله أجر)) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ . ح(٧٣٥٢) قال ابن حجر : يشير بعنوان الباب إلى أنه لا يلزم من رد حكمه أو فتواه ، إذا اجتهد فأخطأ ، أن يأثم بذلك ، بل إذا بذل وسعه أجر ، فإن أصاب ضوعف أجره . الصحيح مع الفتح ١٣/ ٣١٨ -٣١٩ . واخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد ، ح (١٧١٦) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢٥٤ -٢٥٥ .

٢ – انظر : الجواب الباهر ص ٧٤ ، ومجموع فتاوى ٢٧ / ٣٩٥ – ٣٩٧ ، وغاية الأماني ١/ ١٤٦ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : **والجواب** من وجوه :

أحدها : أن يقال : لو ورد من ذ لك ما هـو صحيح لكـان ، إ نّما يدل على مطلق الزيارة ، وليس في جواب الاستفتاء نهي مطلق عن الزيارة ، ولا حكي في ذ لـك نـزاع في الجـواب ، وإ نّمـا فيه ذكـر النزاع فيمـن لم يكـن سفره إلاّ لمجرد زيارة قبـور الأنبيـاء والصالحين ، وحينئذ فلو كان في هذا الباب حديث صحيح ، لم يتناول محل النزاع ، ولا فيه رد على ما ذ كره المجيب من النزاع ، والإجماع .

الثاني : أنه لو قدّر أنّه ورد في زيارة قبره ﷺ ، أحاديث صحيحة ، لكان المـراد بهـا هـو المراد بقول من قال من العلماء إنّه يستحب زيارة قبره ﷺ ، ومرادهـم بذلـك ، السـفر إلى مسجده ، وفي مسجده يسلم عليه ويصلّى عليه ، ويدعى له ، يثنى عليه ، وليس المراد أنـه يدخل إلى قبره ﷺ ويصلّي عليـه ، وحينئـذ فهـذا المـراد قـد استحبه المجيـب ، وذكـر أنـه مستحب بالنص والإجماع ، فمن حكـى عـن المجيـب أنـه لا يستحب مـا استحبه علمـاء المسلمين ، من زيارة قبره ﷺ على الوجـه المشـروع ، فقـد اسـتحق مـا يسـتحقه الكـاذب المفتري، وإذا كان يستحب هذا - وهو المراد بزيـارة قـبره ﷺ - فزيـارة قـبره ﷺ بهـذا المعنى ، من مواقع الإجماع ، لا من موارد النزاع .

الثالث : أن نقـول : قـول القـائل (أي الإخنـائي) أنـه ورد في زيـارة قـبره ﷺ أحـاديث صحيحة ، قول لم يذكر عليه دليلا ، فإذا قيل لـه : لا نسـلّم أنـه ورد في ذ لـك حديـث صحيح ، احتاج إلى الجواب ، وهو لم يذكر شيئا من تلك الأحاديث ، كما ذكـر قولـه : ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)) (١)، وكما ذكرزيارته لأهل البقيـع وأحـد (٢)، فإ نّ هذا صحيح ، وهنا لم يذكر شيئا من الحديث الصحيح ، فبقي ما ذكره دعـوى مجرد تقابل بالمنع .

الرابع : أن نقـول : هـذا قـول بـاطل لم يقلـه أحـد مـن علمـاء المسـلمين ، العـارفين بالصحيح ، وليس في الأحاديث التي رويت بلفظ زيارة قـبره ﷺ ، حديـث صحيـح عنـد

---

١ - تقدم تخريجه ٣٥٣.

٢ - انظر سنن النسائي ، كتاب الجنائز ، ٤/٩١- ٩٤ .

أهل المعرفة (١)، ولم يخرج أرباب الصحيح شيئا من ذلك ، ولا أرباب السنن المعتمدة ، كسنن أبي داود والنسائي والترمذي ونحوهم ، ولا أهل المسانيد التي من هذا الجنس ، كمسند أحمد - رحمه الله - وغيره . ولا في موطأ مالك -رحمه الله - ولا في مسند الشافعي - رحمه الله - ونحوه ذلك شيئ من ذلك ، ولا احتج إمام من أئمة المسلمين كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، بحديث فيه ذكر زيارة قبره ﷺ ، فكيف يكون في ذلك أحاديث صحيحة ، ولم يعرفها أحد من أئمة الدين ، ولا علماء الحديث ؟ ومن أين لهذا وأمثاله ،أنّ تلك الأحاديث صحيحة ، وهو لا يعرف هذا الشأن ؟ .

الخامس : قوله (أي الإخنائي) وغيرها مما لم يبلغ درجة الصحيح ،لكنها يجوز الاستدلال بها على الأحكام الشرعية . ويحصل بها الترجيح .

فيقال له: اصطلاح الترمذي ومن بعده ، أن الأحاديث ثلاثة أقسام :صحيح (٢)، وحسن(٣)وضعيف (٤) ،والضعيف قد يكون موضوعا ، فعلم أنه كذب ،وقد لا يكون

---

١ - قال رحمه الله عن هذه الأحاديث التي زعم أنها عمدة دعواه ، (أي مشروعية السفر إلى زيارة القبور) :

(أول من وضع هذه الأحاديث - في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور - هم أهل البدع من الرافضة وغيرهم ، الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ، ويكذب فيها ، و يبتدع فيها دينا لم ينزل الله به سلطانا ، فإن الكتاب والسنة إنما فيه ذكر المساجد ، دون المشاهد ، كما قال تعالى : ﴿ **قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين** ﴾ الآية (٢٩) من سورة الأعراف . وقال تعالى :﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة** ﴾ الآية (١٨) من سورة التوبة ، وقال تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها** ﴾ الآية (١١٤) من سورة البقرة . وقد ثبت عنه ﷺ ، أنه كان يقول : ((إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك)) [تقدم تخريجه ص ٣٨٨] . مجموع فتاوى ٢٧/ ١٩١- ١٩٢ ، ٢٢٤ - ٢٢٥ ، والرد على الإخنائي ص ٥٢ .

٢ - الصحيح : هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط ، عن العدل الضابط إلى منتهاه ، ولا يكون شاذا ولا معللا . انظر : التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ص٨ .

٣ - والحسن : هو الحديث الذي اتصل سنده بنقل عدل خف ضبطه ، ولم يكن شاذا ولا معللا .

انظر : النكت على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ، تحقيق علي بن حسن الحلبي ص ٩١ .

٤ - الضعيف : قيل هو كل حديث لم يجتمع فيه صفات الحديث الصحيح وصفات الحديث الحسن ، فهو حديث ضعيف . المصدر نفسه ص ٤٨ .

كذ لك ، فما ليس بصحيح ، إن كان حسنا على هذا الاصطلاح ، احتـج بـه ، وهـو لم يذكر حديثا وبين أنه حسن يجوز الاستدلال به ، فنقول له : لا نسلم أنه ورد مـن ذ لـك ما يجوز الاستدلال به ، وهو لم يذكر إلاّ دعوى مجرّدة ، فتقابل بالمنع .

السادس : أن يقال : ليس في هذا الباب ما يجوز الاستدلال به ، بل كلها ضعيفـة ،بـل موضوعة ، كما بسط في مواضع ، وذكرت هذه الأحاديث ، وذكرت كلام الأئمة عليها حديثا حديثا (١)، بل ولا عرف عن أحد من الصحابة ، أنه كان تكلم بلفظ زيـارة قـبره ﷺ، ألبتّة ، فلم يكن هذا اللفظ معروفـا عنـد هـم ، ولهـذا كـره الإمام مـالك ، التكلـم بخلاف لفظ زيارة القبور مطلقا ، فإن هذا اللفظ معروف عن النـبي ﷺ ،وعـن أصحابـه ، وفي القرآن قال تعالى : ﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ (٢) ، لكـن معنـاه عنـد الأكثرين الموت . وعند طائفة ، هي زيارتها للتفاخر بالموتى والتكـاثر ، وأمـا لفـظ قـبر النبي ﷺ المخصوص ، فلا يعرف لا عن النبي ﷺ ، ولا عن أصحابه ، وكل ما روي فيه ، فهو ضعيـف ، بـل هـو كـذب ، موضـوع عنـد أهـل الحديـث ، كمـا قـد بسـط هـذا في مواضع ...) (٣) .

---

١ - انظر : مجموع فتاوى ٢٧/ ٢٤ -٢٥ ، ٣٥- ٣٦ .

٢ - الآيتان (١،٢) من سورة التكاثر .

٣ - انظر : الرد على الإخنائي، بحاشية تلخيص كتاب الاستغاثة ، المعروف بالرد على البكري ص١٣٥- ١٣٨. وغاية الأماني ١/١٦٠- ١٦٢ وما بعدها .

المبحث الخامس :

بيان وجوب مراعاة حقوق النبي ﷺ ، فيما يجوز له

وما لا يجوز في حقه من المسائل المتقدمة في هذا الفصل .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : في بيان بعض الخصائص التي خص الله بها نبيه ﷺ .

المطلب الثاني : بعض الحقوق التي يجب على الأمة مراعاتها في حقه ﷺ .

التوطئة :

إن من الأهمية بمكان - قبل الشروع في توضيح بعض حقوقه ﷺ ، الواجبة المراعاة - عقد هذه التوطئة في بيان عظم قدره ﷺ ، ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، ذلك باستعراض جملة طيبة من المكارم والخصائص التي امتن الله بها على عبده ورسوله ﷺ ، والتي تدلّل على تشريف الله تعالى وتكريمه لنبيّه ، صلواته وسلامه عليه ، وتظهر تفضيل الله له على العالمين . فلا بد لكل مسلم صادق في إسلامه ، من أن يتعرف على تلك الخصائص والفضائل ، إذ إنّ هذه المعرفة ، تنير القلوب وتبصرها ، وتزيدها إيمانا وحبا وتعظيما للنبي ﷺ ، ولهذه الزيادة- بلا شك- ثمرتها في شحذ الهمم ، ورفعها لاتباعه ،والاقتداء به ، والسير على نهجه ، والتمسك بسنته ، واقتفاء أثره ، ولزوم هديه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه . والمتأمل في الآيات ونصوص السنة النبوية الصحيحة ، يجد الكثير من الأدلة التي تبين مكانة النبي الكريم ﷺ ، وعظم قدره عند ربه عز وجل ، فقد حباه وامتنّ عليه ، وأكرمه بخصائص ، دلت على علو قدره ، ورفعة مكانته ، وسمو منزلته عند الخالق تبارك وتعالى .

قال الألوسي - رحمه الله - : (إن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ، اختص بستّين خصلة ، لم توجد في غيره من أنبياء الله تعالى ورسله ، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين ، وفي تفصيلها وذكرها طولٌ ، وقد ذكرها أبو سعيد النيسابوري (١) في كتابه : شرف *المصطفى* (٢) ، مفصّلة ، فمن أرادها فليراجع هذا الكتاب ، فإنه كتاب مشهور ، وهذه الخصال كلها خصال علية ، ومزايا مرضية ، تستوجب رجحان من قامت به على غيره) (٣). قال تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم

---

١ - هو الشيخ الثقة أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان الصيرفي النيسا بوري ، حد ث عنه الإمام البيهقي والخطيب وغيرهما ، توفي سنة (٤٢١) عن نيف وتسعين سنة . انظر : سير أعلام النبلاء ٣٥٠/١٧- ٣٥١ .

٢ - لم أقف عليه .

٣ - الدلائل العقلية على ختم الرسالة المحمدية ، للألوسي ، مخطوط ص ٢٤ .

وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ (١) ففي هذه الآية الكريمة ، يمتن الله على رسوله عليه الصلاة والسلام ، بما أسبغ عليه من الفضائل التي هي المناقب والمراتب التي أعطاه إيّاها ، وميّزه بها عن بقية أنبيائه ورسله وسائر خلقه ،فالله سبحانه وتعالى فضّل بعض الرسل على بعض ، حيث قال: ﴿ **تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات** ﴾ (٢) فكان لنبينا محمد ﷺ ، النصيب الأوفر من هذا الفضل ، فقد خصه الله وميّزه بخصائص ومناقب ، فضل بها على سائر الأنبياء ، ومن سواهم من البشر، وسوف أذكر بعض هذه الخصائص على سبيل المثال لا الحصر ، كي يتضح للقارئ الكريم عظم قدر نبينا محمد ﷺ ، عند رب العالمين .

المطلب الأول :

بيان بعض الخصائص التي خص الله تعالى بها نبيه ﷺ :

قال الألوسي – رحمه الله – : (... ثبت أنّ محمداً ﷺ ، أشرف النبيين والمرسلين قدراً ، فإنّه قد خص بمزايا ، تقف دونها الأماني حسرى ، وامتاز بخواص علمية وعملية ، لا يستطيع لسان الدهر لها حصراً ، ورقى أعلام فضل رفعت على كواهله الأعلام ، وطأطأت له شرفات الشرف ، فقبلت منه الإقدام ، فهو المبعوث رحمة للعالمين (٣)، والمنعوت بالخلق العظيم (٤) من بين المرسلين ...) (٥).

فمن تلك الخصائص والمزايا .

١- أخذ العهد له ﷺ ، على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، مما يدل على رفعة مكانته ، وسمو منزلته ، حيث أخذ له العهد على الجميع ، على أنه لو بعث ﷺ ، وهم أحياء أو أحد منهم ، فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه ، ويعزّروه . قال تعالى :

---

١ – الآية (١١٣) من سورة النساء .

٢ الآية (٢٥٣) من سورة البقرة .

٣ – قال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين** ﴾ الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء .

٤ – قال تعالى : ﴿ **وإنّك لعلى خلق عظيم** ﴾ الآية (٤) من سورة القلم .

٥ – الدلائل العقلية على ختم الرسالة المحمدية ص ٢٧ (مخطوط) .

﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ (١).

وقد روى الإمام الطبري – رحمه الله – وغيره ، في تفسير هذه الآية ، عن علي بن أبي طالب ، وابن عباس – رضي الله عنهم- قولهما :(ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلاّ أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمننّ به ، ولينصرنّه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته ، لئن بعث محمد ، وهم أحياء ليؤمننّ به ،ولينصرنّه) (٢) .

٢- إنه ﷺ ، أكثر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام تبعا ، ففي حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه - أنّ النبي ﷺ قال: ((ما من الأنبياء نبي إلاّ أعطي من الآيات ما مثله – أومن – أو آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته ، وحيا أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)) (٣).

قال الألوسي – رحمه الله – بعد ذكر هذا الحديث: (وشرّاح الحديث ، ذكروا لهذا الحديث عدة معاني ، نوردها تكميلا للفائدة ، وتوضيحا لمقصدنا ، إن شاء الله تعالى ، منها :

أ- أن المعنى : أن معجزتي التي تحديت بها ، الوحي ، الذي أنزل علي ، وهو القرآن ، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح ، وليس المراد حصر معجزاته فيه ، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه ، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره، لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به ، ولم يؤتها بعينها غيره ، تحدّى بها قومه ، وكانت معجزة كل نبي ، تقع مناسبة لحال قومه ، كما كان السحر فاشيا عند فرعون ، فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة ، لكنّها تلقفت ما صنعوا ، ولم يقع

---

١ - الآية (٨١) من سورة آل عمران .

٢ - جامع البيان للطبري ٣٣٢/٣ ، وتفسير ابن كثير ٣٨٦/١ ، وروح المعاني للألوسي ٣٠٩/٢ .

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ ((بعثت بجوامع الكلم)) الحديث . ح (٧٢٧٤) ، واللفظ له . الصحيح مع الفتح ٢٤٧/١٣ . ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ... ٩٢/١ -٩٣ .

ذ لك بعينه لغيره ، وكذ لك إحياء عيسى الموتى ، وإبراء الأكمه ، والأبرص ، لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذ لك الزمان ، في غاية الظهور ، فأتاهم من جنس عملهم ، بما لم تصل قدرتهم إليه ، ولهذا لما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في غاية من البلاغة ، جاء هم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ، فلم يقدروا على ذ لك .

ب - ومنها : أن معناه ، أن كل نبي أوتي من المعجزات ما كان مثله ، لمن كان قبله ، صورة أو حقيقة ، والقرآن لم يؤت أحد قبله مثله . فلهذا أردفه بقوله :(فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا) .

ج - ومنها : أن المراد أن معجزات الأنبياء ، انقرضت بانقراض أعصارهم ، فلم يشاهدها إلاّ من حضرها ، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة . وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات ، فلا يمر عصر من الأعصار ، إلاّ ويظهر فيه شيئ مما أخبر به أنه سيكون يدلّ على صحة دعواه ... (١) .

ويمكن نظم هذه الأقوال كلّها في كلام واحد . فإنّ محصلها لا ينافي بعضه بعضا .

وقد رتب قوله ﷺ : ((فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا)) على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة ، لكثرة فائدته ، وعموم نفعه ، لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون ، فعم نفعه من حضر ومن غاب ، ومن وُجد ومن سيوجد ، فحسن ترتيب الرجْوَى المذكورة على ذ لك . وهذه الرجوى قد تحققت، فإنه أكثر الأنبياء تبعا (٢).(٣)

٣- أنه ﷺ سيد ولد آدم عليه السلام يوم القيامة ، حيث ثبت عنه ﷺ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر .

---

١ - وللوقوف على بقية معنى الحديث . انظر : الدلائل العقلية على ختم الرسالة المحمدية ص ١٧- ١٨ ، (مخطوط) .

٢ - المصدر السابق . وأصل الكلام لابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٩/ ٦-٧ .

٣ - ذكرت هذه المعاني ضمن خصائصه ﷺ ، لكون القرآن الكريم من أخص معجزاته ﷺ التي خصه الله تعالى بها دون غيره من الرسل ، ومن أعظمها ، فناسب ذكر ذ لك هنا . والله أعلم .

وأول شافع و أول مشفع)) (١).

وقال سلطان العلماء العز بن عبد السلام :

(السيد من اتصف بالصفات العليّة ، والأخلاق السنيّة ، وهذا مشعر بأنه أفضل منهم في الدارين ، أما في الدنيا ، فلما ا تصف به من الأخلاق العظيمة ،، وأما في الآخرة ، فلأ نّ الجزاء مرتب على الأخلاق والأوصاف ، فإذا فضلهم في الدنيا في المناقب والصفات ، فضلهم في الآخرة في المراتب والدرجات . وإ نّما قال ﷺ :((أنا سيد ولد آدم ولا فخر)) (٢) ، ليعرّف أمته منزلته من ربه عز وجل) . (٣)

قال الألوسي – عليه الرحمة :

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف * وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له * حدّ فيعرب عنه ناطق بفم

وبالجملة، فقد خص نبينا ﷺ من خصائص التكريم بما لم يكن لغيره من الأنبياء والرسل ، وبمعجزات كمعجزاتهم ، وزاد عليها بما يبهر العقل حرقا وكثرة وأكبرها القرآن ...(٤) .

والمقصود من إيراد هذه الخصائص ، هو إعلام المسلم بعظم قدر نبينا محمد ﷺ ورفعة مكانته وسمو منزلته عند الباري . ومما لا يشك فيه أحد ، أن هذا العلم وهذه المعرفة ستثمر بإذن ا لله تعالى في قلب المؤمن با لله ورسوله ، فيزداد حبا وتعظيما وتوقيرا للنبي ﷺ ، وحرصا على اتباعه ، واقتفاء أثره ، والسير على سننه . إذ بالإيمان والاتباع والمحبة

---

١ – تقدم تخريجه في ص ١٥٨ .

٢ – هو من حديث عبد ا لله بن سلاّم – رضي ا لله عنه – ولفظه : ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأول من تنشقق عنه الأرض ، وأول شافع ، بيدي لواء الحمد ، تحته آدم فمن دونه)) .

أخرجه الترمذي في سننه ٤/١٤٠ ، وقال (حديث حسن) وابن ماجة في سننه ٢/٥٨١-٥٨٢ ، وأحمد في مسنده ٣/ ٢ ، ١٤٤ ، والحاكم في المستدرك ٢/٦٠٤ –٦٠٥ ، وابن حبان في صحيحه (٢١٢٧) والألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (٣٩٣) ، وفي السلسلة الصحيحة (١٥٧١) ٤/٩٩ ، ١٠١ ، وقال فيه : (قلت : إ سناده صحيح) .

٣ – بداية ا لسول ، في تفضيل الرسول ، للعز عبد السلام ، تحقيق الأ لبا ني ص ٤٣ .

٤ – كنز السعادة في شرح الشهادة ، للأ لوسي ، تحقيق علي فريد دحروج ص ٧٠ –٧٣ .

والتعظيم والتوقير والبعد عما يضاد هذه الأمور ، يستحق الإنسان أن يكون من أمته ﷺ ، الذين يقودهم إلى الجنة ، إن شاء الله تعالى – جعلنا الله تعالى منهم .

المطلب الثاني :

بعض حقوقه ﷺ التي يجب على الأمة مراعاتها .

توطئة :

تقدم أن أشرت إلى بعض خصائصه ﷺ ، والتي تعتبر قطرة من بحر ، والتي أثبتت علو منزلته ورفعة مكانته ، عند رب العالمين . ومن اللازم على الأمة الإسلامية ، القيام بمراعاة حقوقه ﷺ ، الواجبة له عليهم . فمن تلك الحقوق :

المحبة والتعظيم والاتباع والتوقير والمهابة ، إلى غير ذلك من الحقوق التي لا يتم إيمان العبد إلاّ بمراعاتها ، وإعطائها حقها ، على الوجه الذي أمرنا الله تعالى به ، وبينه المصطفى ﷺ للأمة بسنته ، إذ تعظيمه ، وإجلاله ، وتوقيره ، شعبة عظيمة من شعب الإيمان ، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة ... (١) . بل إنّ منزلتها ورتبتها ، فوق منزلة ورتبة المحبة ، ذلك لأنه ليس كل محب معظماً ، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ، ولكن حبه إيّاه يدعوه إلى تكريمه ، ولا يدعوه إلى تعظيمه ، والولد يحب والده ، فيجمع له بين التكريم والتعظيم ، ... فعلمنا أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة .(٢)

فمن حق النبي ﷺ على أمته ، أن يهاب ويعظم ويوقر ويجلّ أكثر من كل ولد لوالده ... فهذا حق من حقوقه الواجبة له ، مما يزيد على لوازم الرسالة (٣) ، وهو ما أمر الله به في كتابه العزيز ، قال تعالى : ﴿**لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه**﴾ (٤).

---

١ - انظر : المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١٢٤/٢ ، الشعبة الخامسة عشر ، والجامع في شعب الإيمان للبيهقي ٣٠٠/١ ، الشعبة الخامسة عشر .

٢ - انظر : المنهاج في شعب الإيمان ، للحليمي ١٢٤/٢ .

٣ - لعل المعنى المقصود هنا : أنه يجوز أن يبعث الله رسولا ، ولا يوجب له هذا الحق ، بخلاف الإيمان والاتباع فإنهما من لوازم الرسالة . والله أعلم .

٤ - الآية (٩) من سورة الفتح .

وقال تعالى : ﴿ فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه وا تبعوا النور الذى أنزل معه أوليك هم المفلحون ﴾ (١).

فأبان سبحانه وتعالى ، أ نّ حق الرسول ﷺ على أمته ، أن يكون معزراً موقراً مهيبا ، وأخبر سبحانه أنّ الفلاح إ نّما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره ، ولا خلاف في أن التعزير هاهنا التعظيم .(٢)

قال الإمام ابن جرير الطبري- رحمه ا لله- عن آية سورة الفتح :(فأما التوقير:فهو التعظيم والإجلال والتفخيم) (٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه ا لله – :(التوقير : اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة ، من ا لإجلال والإكرام ، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار (٤)) .

إلى غير ذ لك من الآيات ، التي نزلت لبيان شرف رسول ا لله ﷺ وعظيم منزلته عند ربه ، مما يوجب على على المؤمنين برسالته أن يكونوا في معاملتهم له ، ومخاطباتهم إيّاه على ضوء هذه الآيات وغيرها ، لا على ما ذهب إليه القبوريون ، من أ نّ زيارة قبره وشد الرحال إليه ، هو غاية تعظيمه .

فإذا كان هذا هو شأن سيد المرسلين ، وهذه مكانته التي بوّ أه ا لله إيّاها ، فحري لهذه الأمة ، أن تعرف له قدره ، وتعظم من شأنه ، وذ لك بموجب ما شرعه ا لله ، وأمر به ، فذ لك عقد من عقود الإيمان التي لا يتم إلاّ به ، وهذا التعظيم والتوقير الواجب له ﷺ ، على كل فرد من أفراد هذه الأمة ، محله القلب واللسان والجوارح ، لا شدّ الرحال إليه ، ولا الاستغاثة ولا التوسل به ، ولا دعاؤ ه صلوات ا لله وسلامه عليه .

---

١ – الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

٢ – انظر : المنها ج في شعب الإيمان للحليمي ، ٢/ ١٢٥ .

٣ – جامع البيان للطبري ٢٦/ ٧٥ .

٤ – الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٤٢٢ .

بيان الشيخ الآلوسي لحقوق المصطفى ﷺ :

قال – رحمه الله – في بيان ذلك نقلا عن العلاّمة ابن عبد الهادي – رحمه الله – في كتابه : *الصارم المنكي في الرد على السبكي* . فيما زعمه أن زيارة القبور تعظيم ، وتعظيم النبي ﷺ واجب (١) فلا يجوز إهماله .(٢)..

قال ابن عبد الهادي : (إن هذا الذي يفعله (٣) عباد القبور من المقاصد والوسائل ليس بتعظيم ، فإنّ التعظيم محله القلب ، واللسان والجوارح ، وهم أبعد الناس منه .

فالتعظيم بالقلب : ما يتبع اعتقاد كونه رسولا من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين.(٤) ويصدق هذه المحبة .أمران :تجريد لتوحيد ،وتجريد المتابعة (٥).

---

١ – وقد بين – رحمه الله – بطلان هاتين المقدمتين ، بقوله : (أن يقال : هاتان المقدمتان ، إن أخذتا على إطلاقهما أنتجتا ،أن زيارة قبره واجبة ، وهو النتج لا زم للمقدمتين ، لزوما بينا ، فإن ضرب الأول من الشكل الأول ، والحد الأوسط فيه محمول الأولى ، موضوع في الثانية ، فتكون النتيجة ، موضوع الأولى ومحمول الثانية ، وهي زيارة قبره واجبة . ثم يلزم على هذا لوازم ، منها : أن تارك زيارة قبره عاص وآثم مستحق للعقوبة ، منتفي العدالة ، لا تصح شهادته ، ولا تقبل روايته ولا فتواه ، وفي هذا تفسيق جميع الصحابة ، إلاّ من صح عنه منهم الزيارة ، ولا ريب أن هذا شر من قول الرافضة ، الذين فسقوا جمهورهم ، بترك تولية علي ، بل هو من جنس قول الخوارج الذين يكفرون بالذنب ، لأن تارك هذه الزيارة عندهم ، تارك لتعظيمه ، وترك تعظيمه كفر أو ملزم للكفر ، فإن تعظيم الرسول من لوازم الإيمان ، فعدمه مستلزم للكفر . وعلى هذا فكل من لم يزر قبره . فهو كافر ، لأنه تارك لتعظيمه ﷺ . ولا ريب أن الروافض والخوارج ، لم يصلوا إلى ما وصل إليه هؤلاء من الجهل والكذب على الله ورسوله ﷺ ، وعلى الأمة ...) الصارم المنكي ص ٣٣٥ ، ونحوه في غاية الأماني ٢١٤/١ – ٢١٥ .

٢ – شفاء السقام ، للسبكي ص ٨٣ – ٨٥ . والجوهر المنظم للهيتمي ص ٨ وما بعدها ، الدرر السنية في الرد على الوهابية ، دحلان ص ٣-٤ .

٣ – من استحباب شد الرحال إليها لأجل تعظيمها ، وتعظيم أصحابها ، وجعلها منسكا يحج إليها ، كما يحج إلى البيت العتيق والإتيان عندها بنظير ما يأتي بها الحاج من الوقوف والدعاء والتضرع وكثير منهم يطوف بالقبر ويستلمه ويقبله ويتمسح عليه ، فلم يبق عليه من أعمال المناسك إلاّ الحلق والنحر ورمي الجمار ... إلى غير ذلك من المنكرات المبتدعة عندها . انظر : غاية الأماني ٢١٨/١ .

٤ – لحديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) ، والحديث تقدم تخريجه في ص ٢٧٤ .

٥ – وقد تقدم بيان هذين الأمرين عند ذكر شروط العبادة ص ٢٧٤-٢٧٨ .

فهذا هو التعظيم الحق ، المطابق لحال المعظم ، النافع للمعظم في معايشه ومعاده ، الذي هو لازم إيمانه وملزومه .

وأما التعظيم باللسان ، فهو الثناء عليه ، بما هو أهله ، مما أثنى به على نفسه (١)، وأثنى به عليه ربه ، من غيرغلو ولا تقصير ، وكما أ ن المقصر ، تارك لتعظيمه ، فالغالي المفرط كذلك ، وكل منهما شرمن الآخرمن وجه دون وجه ، وأولياؤه سلكوا بين ذلك قواما .

وأما التعظيم بالجوارح ، فهو العمل بطاعته ، والسعي في إظهار دينه ، وإعلا ء كلماته، ونصر ما جاء به ، وجهاد ما خالفه .

وبالجملة ، فالتعظيم النافع ، هو تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، والموالاة والمعاداة والحب والبغض لأجله وفيه ، وتحكيمه وحده ، والرضا بحكمه ، وأن لا يتخذ من دونه طاغوت ، يكون التحاكم إلى أقواله ، فما وافقها من قول الرسول ﷺ ، قبله ، وما خالفها رده أو تأوّله أو أعرض عنه ، وا لله سبحانه يشهد - وكفى با لله شهيدا - وملا ئكته ورسله ، وأولياؤه أ نّ عباد القبور ، وخصوم الموحدين ليسوا كذ لك ، وهم يشهدون على أنفسهم بذ لك ، وما كان لهم أن ينصروا دينه ورسوله ﷺ ، شاهدين على أنفسهم بتقديم آراء شيوخهم ، وأقوال متبوعيهم ، على قوله ، وأنه لا يستفاد من كلامه يقين ، وأنه إذا عارضه الرجال ، قدمت عليه ، وكا ن الحكم ما تحكم به ، أفلا يستحي من ا لله - من العقلاء - من هذا حاله ،في أصول دينه وفروعه ، أن يتستر بتعظيم القبر ، ليوهم الجهال أنه معظم لرسول ا لله ﷺ ، وناصر له ومنتصر له ممن ترك تعظيمه وتنقصه ، ويأبى ا لله ذ لك ورسوله ﷺ والمؤمنون ، ﴿ **وما كانوا أولياءه إن أولياءه إلاّ المتقون**

---

١ - ومما أمر به ﷺ ، طلب الوسيلة له ، كما تقدم بيانه في ص ٣٥٧-٣٦٢ ، ونصلي ونسلم عليه عند دخول المساجد ، والخروج منها وعند الشروع في الدعاء ، وأن نكثر منهما يوم الجمعة ، لا أن نتوسل به بعد موته ﷺ ، أو نستغيث به ، أو ندعوه ، فإن ذ لك من خصائص ا لأ لوهية ، فلا يجوز صرفه لغير ا لله تعالى . ومن صرف شيئا منها لغيره تعالى ، كان مشركا . انظر : فتح المنان ص ٣٥٩ ، وجلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام لابن القيم ص ٢٢٥-٢٢٧

ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ (١) ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (٢) .(٣)

وبهذا ختمنا هذا الباب بما تيسر لنا من ذكر بيان الإمام الألوسي لما هو حق الله سبحانه وتعالى على عباده ، وما يجب مراعاته تجاه رسوله ﷺ من حقوقه على الأمة .

---

١ - الآية (٣٤) من سورة الأنفال .

٢ - الآية (١٠٥) من سورة التوبة .

٣ - انظر : الصارم المنكي في الرد على السبكي ص ٣٤١ -٣٤٣ ، وغاية الأماني في الرد على النبهاني ٢١٩/١-٢٢١ ، وفتح المنان للألوسي ص ٤٨٧ .

الباب الخامس :

جهود الألوسي في بيان توحيد الربوبية
وتوحيد الأسماء والصفات

وبعض مسائل الإيمان .

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : في توحيد الربوبية .

الفصل الثاني : في توحيد الأسماء والصفات .

الفصل الثالث : جهوده في بيان مسائل الإيمان .

الفصل الرابع : ما يتعلق بأخبار اليوم الآخر عند الألوسي .

الفصل الأول :

جهوده في بيان توحيد الربوبية :

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : بيانه –رحمه الله – لمعنى " الرّب " .

المبحث الثاني : في المعنى الاصطلاحي لتوحيد الربوبية .

المبحث الثالث : بيان الألوسي لإقرارمشركي العرب وغيرهم لتوحيد الربوبية .

المبحث الرابع : قول الألوسي – عليه الرحمة – في طريقة معرفة الباري تبارك وتعالى .

المبحث الأول :

بيان الألوسي -رحمه الله - لمعنى (الرب) .

بيان الألوسي -رحمه الله- لمعنى " الرب " .

قال الشيخ – رحمة الله عليه – في بيان ذلك : (وأما الرب : فهو دال على ربوبيته لجميع مخلوقاته ، وكمال ربوبيته هو بما اتصف به من صفات الكمال ، كقدرته وعلمه ورحمته وقيوميته ، ويربّ عباده بالخلق والتدبير والملك ...) .(١)

فرب كل شيئ مالكه ، والرب اسم من أسماء الله عز وجل ، ولا يقال في غيره إلاّ بالإضافة ، وقد قالوه في الجاهلية للملك .(٢)

وجاء في المفردات للأصفهاني ، ما يلي : (رب : الرب في الأصل ، التربية ، وهو إنشاء الشيئ حالا فحالا إلى حدّ التمام ، يقال : ربّه ورباه وربّبه ، وقيل : لأن يربني رجل من قريش ، أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن .

فالربّ مصدر مستعار للفاعل ، ولا يقال : " الربّ " مطلقا إلاّ لله تعالى ، المتكفّل بمصلحة الموجودات ، نحو قوله : ﴿بلدة طيبة وربّ غفور﴾ (٣)، وبالإضافة يقال له ولغيره ، نحو قوله : ﴿ رب العالمين ﴾ (٤)، و﴿ربكم ورب آبايكم الأولين﴾ (٥) ، و يقال ربّ الدار ، وربّ الفرس لصاحبها ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿اذكرني عند ربّك فأنساه الشيطان ذكر ربّه﴾ (٦)، وقوله تعالى : ﴿ أأرباب متفرّقون خير أم الله الواحد القهار﴾ (٧) .

---

١ – غاية الأماني ٢/٢٩٧ .

٢ – الصحاح للجوهري ١/١٣٠ ، والنهاية لابن الأثير ٢/١٧٩ ، مادة " ربب" . ونحوه في غريب القرآن لابن قتيبة ص ٩ .

٣ – الآية (١٥) من سورة سبأ .

٤ – الآية (٢) من سورة الفاتحة .

٥ –الآية (٢٦) من سورة الشعراء .

٦ – الآية (٤٢) من سورة يوسف .

٧ – الآية (٣٩) من سورة يوسف .

ولم يكن من حق " الرب " أن يجمع ، إذ كان إطلاقه لا يتناول إلاّ الله تعالى ، ولكن أتي بلفظ الجمع فيه ، على حسب اعتقادهم ، لا على ما عليه ذات الشيئ في نفسه) .(١).

ويفهم مما تقدم ، أنّ المعنى الذي ذكر الشيخ الألوسي للفظ " الرب " ، هو الثابت عن أهل اللغة ، حيث ذكروا أنّ لفظ الربّ يطلق على المالك والسيد والمربّي ، وعلى المتصرف للإصلاح والتدبير ، وكل هذه المعاني صحيح في حق الله سبحانه وتعالى ، ويطلق عليه إطلاقا حقيقيًا ، لأنه ربّ كل شيئ ومالكه وإلهه ، قال تعالى : ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾(٢)،وقد ذكر الألوسي هذا الكلام في صدد بيانه لمعنى أم الكتاب .(٣)

وثبت عن العلاّمة المقريزي(٤) أنه قال:(فمن قوله تعالى:﴿ربّ العالمين﴾(٥)(رب العالمين ، فإنّ الربّ سبحانه وتعالى هو الخالق ، الموجد لعباده ، القائم بتربيتهم وإصلاحهم ، المتكفل بصلاحهم من خلق ، ورزق ، وعافية ، وإصلاح دين ودنيا) (٦) .

وقيل : إنّ لفظ " الربّ " باعتبار معناه اللغوي ،مشعر أتم إشعار بإخلاص توحيده، هذا باعتبار معناه الافرادي دون الإضافي . ثم في معناه الإضافي دلالة أخرى ، فإن كونه ربّ العالمين ، يدل على ذلك أبلغ دلالة .(٧)

---

١ - مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٣٦ -٣٣٧ .

٢ - الآية (٢) من سورة الفاتحة .

٣ - غاية الأماني ٢/٢٩٦ ،وما بعدها ، وذلك في معرض رده على النبهاني الخرف .

٤ - هو أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العباس الحسيني العبيدي ، تقي الدين المقريزي ، مؤرّخ الديار المصرية ، ولد ونشأ ومات في القاهرة في فترة (٧٦٦-٨٤٥) . له مصنفات مفيدة ، منها : " المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار " وتجريد التوحيد المفيد " . انظر ترجمته : البدر الطالع للشوكاني ١/٧٩- ٨١ ، والأعلام للزركلي ١/١٧٦ ، وحسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٥٥٧ .

٥ - الآية (٢) من سورة الفاتحة .

٦ - تجريد التوحيد للمقريزي ص ٤-٥ .

٧ - رسالة تتعلق بوجوب توحيد الله عز وجل ، للإمام الشوكاني ص ١٢ ، الرسالة الأولى ، ضمن : العذب المميز في جواب مسائل عالم بلاد عسير ، مخطوط بمكتبة الجامعة الإسلامية ، بالمدينة المنورة ، رقم (٢٩٧) ميكروفيلم .

ويوضح الألوسي ذلك بقوله : (وهو : - أي ربوبيته لخلقه - من أكبر الأدلة وأوضحها وأجلاها على وجوب عبادته تعالى ، وأن إلهية ما سواه ، وعبادة غيره من أبطل الباطل وأضل الضلال ...) (١). (٢)

---

١ - غاية الأماني ٢/٢٩٧ .

٢ - ولهذا لا يكفي توحيد الربوبية في باب التوحيد ، ولا يكون به المرء موحدا ، حتى يأتي بلازمه ، وهو توحيد الألوهية .

المبحث الثاني :

في المعنى الاصطلاحي لتوحيد الربوبية .

في المعنى الاصطلاحي لتوحيد الربوبية :

قال الشيخ الألوسي - رحمه الله - موضحا لذلك : (والتوحيد الأول : توحيد الربوبية والقدرة والخلق والإيجاد ، وهو الذي بني عليه توحيد العمل والإرادة ، وهو دليله الأكبر وأصله الأعظم، كما قال تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلاّ هو الرَّحمن الرحيم﴾(١).

وقال ابن القيم -رحمه الله - (٢):

إن كان ربك واحدا سبحانه * فاخصصه بالتوحيد مع إحسان .

أو كان ربك واحدا أنشأك لم * يشركه إذا أنشأك رب ثان

فكذاك أيضا وحده فاعبده لا * تعبد سواه يا أخا العرفان (٣)

ويفهم مما تقدم ، أن هذا التوحيد : هو الإقرار بأن الله تعالى ، ربّ كل شيئ وما لكه وخالقه ، ورازقه وموجده ، ، وأنه المحي المميت ، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله ، وبيده الخير كله ، القادر على ما يشاء ، ليس له في ذ لك شريك ... (٤) .

ومن الأدلة التي تؤيد ما سبق ذكره من معاني الرب :

فالربّ : هو المالك ، كما قال تعالى : ﴿ هو الله الذى لا إله إلاّ هو الملك ﴾ (٥)

وقال عز من قائل : ﴿ ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ﴾ (٦) .

والربّ هو الخالق البارئ المصور ، كما أثبت ذ لك تعالى لنفسه ، فقال : ﴿ هو الله الخالق البارئ المصور ﴾ (٧) فلا خالق ولا موجد سواه ، وهو الذي برأ الخلق ،

---

١ - الآ ية (١٦٣) من سورة البقرة .

٢ - انظر توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن ا لقيم ، لأحمد بن ابراهيم بن عيسى ٢٥٨/٢ .

٣ - تاريخ نجد للأ لوسي ص ٨٣ ، وأصل الكلام للشيخ عبد ا للطيف بن عبد الرحمن ، في كتابه : منهاج التأسيس والتقديس ص ٦٣ .

٤ - تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٣ ، ونحوه في مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٤٢ .

٥ - الآ ية (٢٢) من سورة الحشر .

٦ - الآية (١٧) من سورة المائدة .

٧ الآ ية (٢٤) من سورة الحشر .

فأوجدهم بقدرته، المصور خلقه كيف يشاء (١)، قال تعالى : ﴿ هو الذى يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم ﴾ (٢).

والربّ هو المبدئ والمعيد، كما قال جل ذكره: ﴿وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ (٣)، فهو الذي ابتدأ الأشياء كلها فأوجدها إذ هو الأول الذي ليس قبله شيئ ، ثم يعيدها سبحانه ، قال تعالى : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيئ عليم﴾ (٤) .

والرب هو الخالق الرازق القوي العزيز ، كما قال جل ثناؤه : ﴿قل الله خالق كل شيئ ﴾ (٥) وقال تعالى : ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾(٦) وقال عز من قائل : ﴿ إنّ الله هو الرزاق ذو القوّة المتين﴾ (٧) ، وقال عز وجل ﴿ إنّ الله على كل شيئ قدير﴾ (٨).

والربّ : هو النافع الضار، المعطي المانع، كما قال تبارك تعالى: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا إنّ رسلنا يكتبون ما يمكرون ﴾(٩).

وعلى ضوء هذه الآيات الكريمات ، ينبني قول العلاّمة الألوسي - طيّب الله ثراه - المتقدم ، إذ تلك الأمور كلّها بيده سبحانه وتعالى ، فهو المتصرف الحقيقي والمدبر لشؤون خلقه ، دنيويا كان أو أخرويا ، فسبحان من بيده ملكوت كل شيئ ، وإليه أمر كل شيء ، وله الأمر كله ، تباركت ربنا وتعاليت ، فلك الحمد والمنّة .

---

١ - انظر : تفسير الإمام الطبري ٤ : ١٤ ، ٢٨ ، ٥٦ .

٢ الآية (٦) من سورة آل عمران .

٣- الآية (٢٧) من سورة الروم .

٤ -الآية (٣) من سورة الحديد .

٥ - الآية (١٦) من سورة الرعد .

٦ - الآية (٣) من سورة فاطر .

٧ -الآية (٥٨) من سورة الذاريات .

٨ - الآية (٢٠) من سورة البقرة . وقد وردت عدة مرات في القرآن الكريم .

٩ - الآية (٢١) من سورة يونس .

المبحث الثالث :

بيان الألوسي – رحمه الله – إقرار مشركي العرب
وغيرهم من الكفار بتوحيد الربوبية .

التوطئة :

إنّ خير شاهد على هذه الحقيقة - أي اعتراف مشركي العرب الذين بعث فيهم الرسول ﷺ ، بوجود الرب الخالق سبحانه وتعالى - هو إثبات القرآن الكريم لذلك في حقهم . وكان مما ألزموا به في كثير من الآيات ، كما سيأتي استشهاد الشيخ الألوسي بها ، من خلال رده على زعم العراقي - ابن جرجيس - في كتابه صلح الإخوان ، عند قوله : الشبهة الثانية : إنهم قالوا (١): إن المشركين الذين أرسل إليهم رسول الله ﷺ ، كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ، وإنما أشركوا في العبادة فقط . وهي أنهم كانوا ينادون الأنبياء والصالحين (٢) . ثم أجاب على هذه الشبهة - في زعمه - بمحض هذيان ، وحاصل ما أجاب به : إنكار كون المشركين الذين أرسل إليهم رسول الله ﷺ ، كانوا يقرون بتوحيد الربوبية .(٣)

---

١ - أي المانعون لدعاء الموتى من الأنبياء والصالحين ، والاستغاثة بهم .

٢ - صلح الإخوان ص ١٢٤ .

٣ - ومما يثبت ذلك ، قوله : (فمن قال : إنّ الكفار يوحّدون الله توحيد الربوبية ، أخذاً من ظواهر بعض الآيات ، فقد أخطأ وما أصاب ، ولا مارس السنة والكتاب ، وتدبر ما فيهما ، فالربوبية والألوهية متلازمان ، الرب والإله معناهما ومفادهما واحد) . صلح الإخوان ص ١٢٤ .

المقطع الأخير من كلام هذا الدجال ، حق أريد به باطل . فإنّ " الرب " و " الإله" يجتمعان ويفترقان ،على خلاف ما زعمه هذا الخرف ، فإنهما يجتمعان عند افتراقهما وانفرادهما ، ويفترقان عند اقترانهما ، فعند الافتراق يتضمن توحيد الألوهية توحيد الربوبية ، ويستلزم الربوبية الألوهية ، وعند الاقتران يختص كل منهما بمعناه الخاص ، فأحدهما إذا تضمن الآخر عند الإنفراد ، لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران ، كما قال تعالى :﴿ قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس ﴾ الآيات (١-٣) من سورة الناس ، وقال تعالى أيضا : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ الآية (٢) من سورة الفاتحة .

فجمع بين الاسمين : اسم " الإله " ، واسم "الرب" ، فإنّ الإله : هو المعبود الذي يستحق أن يعبد ، و "الرب" هو الذي يرب عبده ، فيدبره) . انظر مجموع فتاوى ١٠/٢٨٤ ، و ١/٢٢ .

فعلى العراقي - ابن جرجيس - ومن على منواله ، أن يتدبروا هذا الكلام ، فإنه نفيس جدا ، إذ عدم ممارسة الكتاب والسنة ، و الجهل بهما يتمثل فيه ، لأنه لم يفرق بين التوحيدين . فزعم أن المشركين لا يقرون بربوبية الخالق الرازق المدبر المنان ، وقد قال الباري تبارك وتعالى مخبرا عنهم : ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ الآية (٢٥) من سورة لقمان . فالذين فرقوا بين التوحيدين - على مراد رب العالمين وإلههم - هم الذين درسوا الكتاب والسنة ، وفهموا معناهما . وليس ما يرميهم به هذا الخرف .

جواب العلامة الآلوسي – طيب الله ثراه – على هذا التحريف :

قال الشيخ الألوسي : (والجواب أن يقال : أولا : لم يستدل أحد من المانعين بما ذكر ، على الوجه الذي قرره ، وعلى فرض تسليم الاستدلال به ، لا يرد ما أورده بوجه من الوجوه ، حيث إنه لم يفرق بين توحيد الربوبية والألوهية ، فلذا خبط خبط عشواء ، وإذا بسطنا ذلك تبين فساد قوله وبطلانه ، حتى لدى صغار المتعلمين ، فنقول وبالله التوفيق ، وبيده أزمة التحقيق :

توحيد الربوبية ، هو الذي أقرّت به الكفار جميعهم ، ولم يخالف أحد منهم في هذا الأصل إلاّ الثنوية (١)، وبعض المجوس (٢)، وأما غيرهما من سائر فرق الكفر والشرك ،فقد اتفقوا على أن خالق العالم ورازقهم ، ومدبّر أمرهم ، ونافعهم وضارهم ، ومجيرهم واحد ، لا رب ولا خالق ، ولا رازق ولا مدبر ، ولا نافع ولا ضار ، ولا مجير غيره ، كما قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السّموات والأرض ليقولن الله ﴾ (٣) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ٨٤ سيقولون لله ٨٥ ﴾ (٤)

---

١ – الثنوية : قال الآلوسي :(هم طائفة قالوا : الصانع اثنان ، ففاعل الخير نور ، وفاعل الشر ظلمة ، وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويّين حساسيّين مدركين ، سميعين بصيرين ،وهما مختلفان في النفس متضادان في الفعل والتدبير ...الخ) . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للآلوسي٢/٢٢٩ –٢٣٠ ، وكتاب كنز السعادة في شرح الشهادة ، بتحقيق علي فريد دحروج ، ص ٨٧ . وانظر الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٤٤–٢٤٥ ، والموسوعة العربية الميسرة ، ١/٥٨٣ .

٢ – المجوس : هم عبدة النار ، القائلين بأنّ للعالم أصلين : النور والظلمة ، وزعموا أن الخير من فعل النور ، والشر من فعل الظلمة ، قيل : الأصل أنهم : " النجوس " ، وذلك أنهم كانوا يستعملون النجاسات في تديّنهم . وهم أقدم الطوائف نشأة ، وقد نشأت المجوسية في بلاد الفرس : وهم القائلون بالهين ، و بذلك شاركوا " الثنوية " في اعتقادهم . انظر : كنز السعادة ص ٨٧ ، وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ١/ ٣٤٨ ، ومسائل الجاهلية ص٥٠ ، واعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي ص١٣٤ ، والنهاية لابن الأثير ٤/٢٩٩ ، والملل والنحل ١/٢٣٣ ، والموسوعة العربية الميسرة ٢/١٦٥٢ .

٣ – الآية (٢٥) من سورة لقمان .

٤ – الآية (٨٤ ، ٨٥) من سورة المؤمنون .

وقال جلّ ثناؤه : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله ﴾(١) .

ولا يستقيم توحيد الربوبية ، فضلا عن توحيد الألوهية ، إلاّ بتوحيد الصفات المترتب على توحيد الذات ، لأنّ صفاته تعالى ، لا تشبه صفات المخلوقين - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - ...(إلى أن قال) : إذا علمت هذا ، تبين لك أن المعركة بين أهل التوحيد والمشركين في الألوهية فقط ، وإن أهل التوحيد يفردونه سبحانه بحقوقها ، والمشركين يجعلون بعضها لمن تألّهوه من متخذاتهم ففرقوا دينهم ، وقد أمروا بجعل جميع الدين له، كما قال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدّين كلّه لله﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ (٣) أي من شوائب الشرك . وجميع الرسل من أوّلهم إلى آخرهم ، دعوا إلى توحيد الله وعبادته ، وقد ردّ الله سبحانه على من خالف هذا الأصل ، وحكم على الوصل بحكم الفصل . وهم المشركون الذين وحّدوه بالرّبوبية ، وأشركوا به في الألوهية : توحيدهم ، فأقامه حجة بالغة ، وسلطانا مبينا ، قامعا للشرك في الألوهية ،موجبا لافراده فيها أيضا ، وأنه ينبغي أن لا يعبد غيره ،كما أنه لا خالق غيره ، ولا ربّ سواه .

فقد تبين لك أن أكثر المشركين كانوا مقرّين بتوحيد الربوبية ، وإنّما أشركوا في الألوهية ، وعلى ذلك كتب العقائد السلفية ، والحديث والتفسير . والحكم باتحاد التوحيد نشأ من جهل هذا العراقي ، بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وتقليده الأعمى للذين زعموا أنفسهم علماء ومؤلفين من المقلدين أمثاله، الذين كل مؤلفاتهم أو أكثر ما فيها ، ضلال وبعد عن الهدى ، أو نشأ من حبه الضلالة واتباعه لهواه ، ومخالفته لما جاءت به الرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ولربما اعتقد أنّ أفعال إخوانه ، ومن على شاكلته ، ليست شركا في الألوهية ، ولا عبادة لغير الله ، بناء على زعمهم أنّهم مصدقون بالرسول ، وما جاء به من عند الله

---

١ - الآية (٣١) من سورة يونس .

٢ - الآية (٣٩) من سورة الأنفال .

٣ - الآية (٣) من سورة الزمر .

تعالى . فيقال له : لا يفيد ذلك الزعم الكاذب مع إظهار الأعمال الشركية ، الدالة على عقيدة الشرك ، وما يصادم ما جاء به الرسول ﷺ ، وذلك كمن يقول : إنّي مصدق بما ذكر، ثم شدّ الزنّار (١)) (٢).

وبهذا يثبت عند كل معاند مكابر، أن مشركي العرب وغيرهم ، كانوا مقرّين بتوحيد الرّبوبيّة ، إلاّ أنّ ذلك لم ينفعهم ، ولم يدخلهم في الإسلام ، وقاتلهم الرسول ﷺ ، واستحلّ دماءهم وأموالهم ، وذلك لأنّهم أنكروا توحيد الإلهية ، وأشركوا بالله في عبادته ، قال تعالى : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون** ﴾ (٣) ، أي ما يقر أكثرهم في إقراره بالله ، وبأنه خلقه ، وخلق السموات والأرض، إلاّ وهو مشرك بعبادة الأوثان .

فلم يعتدّ بإقرارهم هذا ، لأنه خالفته أفعالهم ، فمن شأن من أقر لله بالربوبية ، أن يفرده في الألوهية ، فإذا لم يفعل ذلك ، فالإقرار الأول باطل . (٤)

لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – عليه الرحمة- : (وهذا التوحيد (يعني الربوبية) هو من التوحيد الواجب ، لكن لا يحصل به الواجب ، ولا يخلص بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر ، الذي لا يغفره الله ، بل لا بدّ أن يخلص لله الدين ، فلا يعبد إلاّ إياه ، فيكون دينه لله) (٥).

---

١ – الزنّار والزنّارة : ما على وسط المجوسي والنصراني ، وقيل : ما يلبسه الذمي على وسطه . اللسان ٣٣٠/٤ والقاموس المحيط ٤٢/٢ ، مادة " زنر " .

٢ – انظر : فتح المنان ص٤٥٠ –٤٥٣ .

٣ – الآية (١٠٦) من سورة يوسف .

٤ – انظر : تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ، للصنعاني ، ضمن الجامع الفريد ص ٥٠٠– ٥٠١ .

٥ – اقتضاء الصراط المستقيم ، لابن تيمية ٨٥٥/٢ ، تحقيق د. ناصر عبد الكريم العقل .

المبحث الرابع :

قول الألوسي في طريقة معرفة الباري تبارك وتعالى .

التوطئة :

إنه مما يجب الجزم به جزما لا يعتريه شك ولا ارتياب ، هو أن الإيمان بوجوده جلّ وعلا ، وتحقيق وحدانيته ، أصل الدين وقوامه ، ولبّه وصميمه ، وهو في الواقع ، أمر لا يحتاج إلى سرد الأدلة وحشد البراهين ، لكونه معلوما في النفوس ،بحكم فطرتها وجبلّتها، قال تعالى : ﴿ فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ (١) ، وإنّما يصار إلى ذلك عند انحراف الفطرة ، وفسادها ، أو ضعف الإيمان وقلة اليقين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- : (إنّ الإقرار بالخالق و كماله ، يكون فطريا ضروريا في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة ، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه ، كثير من الناس ،عند تغيّر الفطرة ،وأحوال تعرض لها) (٢).

فهذه المسألة ، مع وضوحها وجلائها ، إلاّ أنّ الناس قد تخبّطوا فيها خبط عشواء ، فأكثروا فيها القيل والقال ، واشتد بينهم النزاع ، وطال الجدل ، فالمتكلمون (٣) من المعتزلة (٤)وجمهور الأشاعرة (٥)، أنكروا المعرفة الفطرية التي تحصل ضرورة في قلب

---

١ -الآية (٣٠) من سورة الروم .

٢ - مجموع فتاوى ٧٢/٦ .

٣ - هم المنتسبون إلى علم الكلام ، وهو عندهم : العلم بالعقائد ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الجدال بالعقل في علم العقائد يسمى كلاما ، وأهل الكلام ، صار حقيقة عرفية فيمن يتكلم في الدين بغير طريقة المرسلين . انظر : مجموع فتاوى ٤٦٠/١٢- ٤٦١ ، و ١٣٤/١٩ ، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ١ /٤-٥ ، والمواقف للإيجي ص ٧-٨ ، وكشف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي ٣٠/١- ٣١ .

٤ - المعتزلة : فرقة ظهرت في الإسلام ، أوائل القرن الثاني من الهجرة ، وسلكت منهجا عقليا في مسائل العقائد الإسلامية وغيرها . سمّوا بهذا الاسم ، لاعتزال زعيمهم (واصل بن عطاء الغزال) ، حلقة الحسن البصري – رحمه الله – ، والقصة معروفة ومشهورة .

من أصولهم : القول بالعدل ، والتوحيد (وهو عندهم ، نفي صفات الباري عز وجل) والمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد . شرح الأصول الخمسة ص ١٥١ وما بعدها ، وكتاب المعتزلة ، لجار الله ص ٢ ، ٦٠-٦٣ ، المواعظ والاعتبار للمقريزي ٣٤٥/٢ -٣٤٨ ، والملل والنحل للشهرستاني ٤٣/١ ، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ٧٦/١ ، وذكر مذاهب الفرق الإثنتين والسبعين لليافعي ص٤٩ ، وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ، ١/ ١٢٤ ، وفرق معاصرة ، د. غالب عواجي ٨٢١/٢ .

٥ - الأشاعرة : هم المنتسبون لأبي الحسن الأشعري ، – فترة انتسابه إلى ابن كلاب – يميزهم : تقسيم الصفات يثبتون منها لله سبع صفات ، يسمونها صفات المعاني ، وهي (الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، =

العبد، وأوجبوا النظر أو القصد (١) إلى لنظر المفضي (٢)- في زعمهم - إلى قيام الاستدلال ، وصحة البرهان ، ثم اختلفوا فيما بينهم في الموجب لهذا الواجب ، هل هو الشرع أم العقل ، - سيأتي بيان ذلك إن شاء الله - فتمسك الأشاعرة بالأول ، بينما ذهبت المعتزلة إلى الثاني .

وإنّ العلاّمة الألوسي -رحمه الله- ذكر كلاما يوهم أنه أيّد ما مال إليه الدهلوي (٣) في ترجيحه قول الأشاعرة في ذلك . (٤)

= وا لسمع والبصر والكلام) أما بقية لصفات ، فإنهم يوافقون المعتزلة في تأويلها ، التأويل المفضي إلى عيها. أما الإمام أبي الحسن الأشعري - الذي انتسبوا إليه - فلا يخفى على كل منصف ، أنه قد رجع إلى معتقد أهل السنة والجماعة ، في آخر حياته ، بعد أن كان على مذهب المعتزلة مدة أربعين سنة ، يدافع عنها ، ثم اختار بعض أقوال ابن كلاب في بعض المسائل العقدية ، وبقي على ذلك برهة من الزمن ، وأخيرا اعتقد مذهب السلف ونبذ كل قول خالفه ، كما صرح بهذا في كتابه : " الإبانة " "والمقالات " واعترف به جمع غفير من العلماء . والحق أن المنتسبين إليه اليوم ، تصدق عليهم تسميتهم بالأشاعرة الكلاّبية ، لكون انتسابهم إليه ، وهو في تلك الفترة الزمنية المحدودة ، التي اتبع فيها ابن كلاب ، بعد تركه للاعتزال ، وقبل انتظامه في سلك منهج أهل السنة .

وللمزيد : انظر : غاية الأماني ١/٤٨٠ ، ومجموع فتاوى ٤/٧٢ ، و ٥/ ٥٥٦ ، والخطط المقريزي ٢/٣٥٨ ، وما كتبه شيخنا حماد الأنصاري - حفظه الله تعالى ونفعنا بعلمه - في مقدمة الإبانة ٧-٣٧. فإنه قد وفّى الموضوع حقه ، برجوعه إلى كثير من المصادر والمراجع المعتمدة .

١ - انظر : المواقف للإيجي ص ٣٢ .

٢ - انظر : شرح الأصول الخمسة ، لعبد الجبار أحمد ص ٣٩ .

٣ - هو الشيخ عبد العزيز بن ولي الله أحمد بن عبد الرحيم العمري الدهلوي ، سيد علماء الهند في زمانه ، ولد سنة (١١٥٩هـ) بدهلي بالهند ، من مصنفاته - رحمه الله - تفسير القرآن المسمى "فتح العزيز" قيل : ضاع معظمها في ثورة الهند ، "والفتاوى في المسائل المشكلة " و " التحفة الاثني عشرية " و "بستان المحدثين " وغيرها . توفي - رحمه الله- سنة (١٢٣٩هـ) عن ثمانين سنة .

انظر : نزهة الخواطر : و بهجة المسامع والنواظر ، لعبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت ١٣٤١هـ) ٧/٢٦٨-٢٧٦ ، ومعجم المؤلفين ٥/٢٤٣ .

٤ - سوف يتضح ذلك في آخر هذا النقل ، إن شاء الله .

قول الآلوسي -رحمه الله- في طريقة معرفة الخالق تبارك وتعالى :

يقول الشيخ الألوسي -رحمه الله تعالى- في كتابه " *صبّ العذاب على من سبّ الأصحاب* " و " *مختصر التحفة الاثني عشرية* " : (إن النظر في معرفة الله واجب بالاتفاق(١)، لكنه قد وقع الاختلاف في أن هذا الواجب، هل هو عقلي أو شرعي ؟(٢) .

ثم اعلم أن النظر في معرفة الله تعالى ، واجب شرعا عند الأشاعرة ، لقوله تعالى : ﴿ فانظر إلى آثار رحمت الله ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ قل انظروا ماذا في السمٰوات والأرض ﴾(٤) ولقوله ﷺ : ((تفكّروا في آلاء الله ...)) (٥) . و الأمر هنا للوجوب ، لقوله ﷺ ، حين نزلت آية : ﴿ إنّ في خلق السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ١٩٠ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السمٰوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ١٩١ ﴾ (٦) ((ويل لمن لاكها بين لحييه ولم يتفكر فيها))(٧) فإنه ﷺ أوعد بترك الفكر في دلائل

---

١ - هذا الاتفاق قد تم بين الأشاعرة والمعتزلة ، وذلك أنهم اتفقوا على كون النظر لمعرفة الله واجب على كل أحد، بل من أول الواجبات ، وأنها لا تتم إلاّ به ، وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب . انظر : المواقف للإيجي ص ٢٨ - ٢٩ .

٢ - مختصر التحفة الاثني عشرية ، للألوسي ص ٧٠ .

٣ - الآية (٥٠) من سورة الروم .

٤ - الآية (١٠١) من سورة يونس .

٥ - أخرجه ابن عدي في الكامل ٢٥٥٦/٧ ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد رقم (٩٢٧) ٥٢٥/٣ ، والبيهقي في الشعب رقم (١١٩) ، ٣٥٨/١ ، وأبو القاسم الأصفهاني في الترغيب رقم (٦٤٤) ٢٨٨/١ ، من طريق الوازع بن نافع ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ ، ((تفكروا في آلاء الله ، و لا تفكروا في الله عز وجل)) والوازع بن نافع هو العقيلي الجزري ، قال فيه ابن معين : ليس بثقة وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال النسائي : متروك . انظر لسان الميزان ٢١٣/٦ ، والحديث - وإن كان إسناده ضعيف جدا - إلاّ أنّ الألباني قال : (فإن له شواهد من طرق أخرى يرتقي بمجموعها إلى درجة الحسن ، ذكره في السلسلة الصحيحة ٣٩٥/٤-٣٩٧) ثم قال حفظه الله : (وبالجملة ، فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي) .

٦ - الآيتان (١٩٠ ، ١٩١) من سورة آل عمران .

٧ - بهذا عزاه ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٣٦) لابن مردويه ، في تفسير سورة الروم ، من رواية أبي جناب الكلبي عن عطاء عن عائشة - رضي الله عنهما- قالت : لما نزلت هذه الآية ﴿ ومن آياته خلق =

معرفة الله تعالى ،ولا وعيد على ترك غير الواجب ، وأيضا : أن معرفة الله تعالى واجبة إجماعا ، وهي لا تتم إلاّ بالنظر (١) وما لا يتم الواجب المطلق إلاّ به فهو واجب أيضا كوجوبه .

وأما المعتزلة فإنّ النظر في معرفة الله تعالى عندهم ، واجب عقلا ، وذلك أنّ شكر المنعم واجب عقلا عندهم ، وهو موقوف على معرفة الله تعالى المنعم ، ومقدمة الواجب المطلق واجبة أيضا ، وهذا بناء على قولهم بكون الحسن والقبح (٢) عقليين .

= السّموات والأرض ﴾ الآية . قال رسول الله ﷺ : ((ويل من لاكها ...الخ)) وسكت عنه ، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٤/٢٠٦ أبو جناب الكلبي ضعيف ، ورواه ابن حبان في صحيحه في سياق طويل ،من طريق عبد الملك بن سليمان عن عطاء ، قال : دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة - رضي الله عنها - فقالت لعبيد بن عمير : قد آن لك أن تزورنا ، وفيه أن النبي ﷺ قال ((لقد نزلت عليّ الليلة ، آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها . ﴿ إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ﴾ الآية ، قال شعيب الأرنا ؤوط : (إسناده قوي على شرط مسلم . وأخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبوة . ص ١٨٦ ، عن الفريابي عن عثمان بن أبي شيبة . بهذا الإسناد . وله طريق آخر عن عطاء عند أبي الشيخ (١٩٠-١٩١) وفيه أبو جناب الكلبي ، ضعفوه لكثرة تدليسه ، لكنه صرح بالتحديث هنا ، فانتفت شبهة التدليس).ورواه الأصفهاني في الترغيب رقم (٦٣٩) .وذكره ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٢٩٨) .

١ - إنّ حصر معرفة الله تعالى في النظر فقط ، ليس على إطلاقه ، لأنّ الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لم يدعوا أممهم إلى النظر . انظر : مجموعة الرسائل والمسائل . لابن تيمية ٢/٣٤٦ و ٣٤٨ .

٢ - جرى بين الأشاعرة والمعتزلة معركة كلامية حول هذين اللفظين . هل هما شرعيان أو عقليان ؟ لأن كلا من الحسن والقبح مطلقان عند الأشاعرة على ثلاثة معان :

أحدها : كمال الشيء ، كالعلم ، ونقصانه كالجهل .

ثانيها : ملائمة الطبع ، كالعدل ، والعطاء ومنافرته ، كالظلم والمنع ، و يقال لهما بهذا المعنى : مصلحة ومفسدة .

ثالثها : استحقاق المدح والثواب والذم والعقاب : عاجلا أو آجلا ، ولا نزاع لأحد في كونهما عقليين بالمعنيين الأوليين ، وإنما النزاع في كونهما عقليين أو شرعيين بالمعنى الثالث فقط .

فقالت الأشاعرة : إن الحسن والقبح بهذا المعنى ، شرعيان ، لا غير ...

وقالت المعتزلة ومن تبعهم : إن الحسن والقبح عقليان ... - ولما كان المقام لا يسع لنقل الخلاف الواقع بينهم ، فيراجع للمزيد : المواقف للإيجي ص ٣١-٣٢ ، وكتاب الإرشاد للجويني ص ٨-١١ ، وشرح الأصول الخمسة لعبد الجبار ص ٤٨٣ -٤٨٤ ، والمستصفى للغزالي ١/٥٥ - ٥٦ ، ومختصر التحفة للألوسي ص٧٠ -٧٧، وصب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي ص١٩٩ ، ٣٦٥ - ٣٦٦.=

= ثم اعلم - رحمني الله وإياك - أن هذه المسألة ، وقع فيها خلاف بين المسلمين ، سواء بين أهل السنة

واحتجت المعتزلة على كونه واجبا عقلا ، بأنه لو لم يجب النظر إلاّ بالشرع يلزم منه إفحام الأنبياء ، وعجزهم عن إثبات نبوتهم ، في مقام المناظرة ، إذ يجوز للمكلف حينئذ أن يقول إذا أمره النبي بالنظر في معجزته وغيرها مما يتوقف عليه نبوته ليظهر له صدق دعواه : لا أنظر ما لم يجب النظر عليّ ، ولا يجب النظر ما لم يثبت الشرع عندي ، إذ المفروض عدم الوجوب (١) إلاّ به (٢)، و لا يثبت الشرع عندي ما لم أنظر ، لأن ثبوته نظري ، فيتوقف كل واحد من وجوب النظر وثبوت الشرع على الآخر، وهو دور (٣) محال ، ويكون كلامه هذا حقا ، لا قدرة للنبي على دفعه ، وهو معنى إفحامه .

وأجيب عنه (٤): **أولا** بالنقض (٥) ، بأن ما ذكرتم مشترك بين الوجوب الشرعي والعقلي معا ، فما هو جوابكم فهو جوابنا ، وبيان الاشتراك : أن النظر لو وجب بالعقل ،

والجماعة منهم ، أم غيرهم من الطوائف ، حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأما تحسين العقل وتقبيحه ،ففيها نزاع مشهور بين أهل السنة والجماعة ، من الطوائف الأربعة ...) [مجموع فتاوى ٤٢٨/٨] . وإن مذهب أهل السنة والجماعة وسط بين الأشاعرة والمعتزلة ومن وافقهم . فالأشاعرة نفوا التحسين والتقبيح العقليين ، وكذلك الثواب والعقاب عليهما ، والمعتزلة أثبتوا ذلك كله بالعقل كما تقدم . وأهل السنة والجماعة ، أثبتوا الحسن والقبح بالعقل ، لكن لا يترتب عليهما ثواب ولا عقاب إلاّ بالشرع .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :(... ومعرفة الغاية التي تكون عاقبة الأفعال من السعادة والشقاوة في الدار الآخرة ، لا تعرف إلاّ بالشرع ، فيما أخبرت به الرسل ، من تفصيل يوم الآخر ، وأمرت به من تفاصيل الشرائع ،لا يعلمه الناس بعقولهم ...) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، لفالح آل مهدي ١١٢/٢ .

١ – أي عدم وجوب النظر .

٢ – أي بالشرع .

٣ – الدور : هو توقف الشيئ على ما يتوقف عليه . وقيل : هو توقف الشيء على نفسه ، أي أن يكون هو نفسه ، علّة لنفسه ، وهو مستحيل بالبداهة العقلية . انظر : ضوابط المعرفة للميداني ص٣٣٣ ، والتعريفات للجرجاني ص١٤٠ .

٤ – الجواب هنا للأشاعرة على المعتزلة .

٥ – النقض في اللغة : الحل . وفي الاصطلاح : إبطال دليل المعلّل بعد تمامه ، بشاهد يدل على عدم استحقاقه للاستدلال . انظر : آداب البحث والمناظرة ، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، القسم الثاني ص ٥٥ .

لوجب بالنظر ، لأن وجوبه ليس معلوما بالضرورة بالنظر فيه ، والاستدلال عليه بمقدمات مفتقرة إلى أنظار دقيقة ، من أن المعرفة واجبة ، وأنها لا تتم إلاّ بالنظر ، وأن ما لا يتم الواجب إلاّ به ، فهو واجب ، فيصح للمكلف أن يقول حينئذ أيضا : لا أنظر أصلا ما لم يجب عليّ النظر ، ولا يجب ما لم أنظر ، فيلزم الدور المحذور ، ولا يقال قد يكون وجوب النظر فطري القياس (١)، بأن يضع النبي للمكلف مقدمات ، ينساق ذهنه إليها بلا تكلف ، وتفيد العلم بذلك ضرورة ، لأنّا نقول : كونه فطري القياس - مع توقفه على ما ذكرتموه من المقدمات الدقيقة لأنظار - باطل قطعا ، ولو سلمناه بأن يكون هناك دليل آخر ، ولكن لا يجوز للمكلف أن لا يصغي إلى كلام النبي ، الذي أراد به التنبيه ، ولا يستمع به (٢) ، ولا يأثم بترك النظر والاستماع ، إذ لم يثبت بعد وجوب شيء أصلا ، فلا يمكن الدعوة وإثبات النبوة ، وهو المراد بالإفحام .

وثانيا : بالحلّ (٣) : بأنّ قوله : لا يجب النظر عليّ ما لم يثبت الشرع عندي ، إنما يصح إذا كان الوجوب عليه - بحسب نفس الأمر - متوقفا على العلم بالوجوب ، المستفاد من العلم بثبوت الشرع ، ولكنه لا يتوقف ، كذلك العلم بالوجوب موقوف على نفس الوجوب، لأن العلم بثبوت شيئ ، فرع لثبوته في نفسه ، فإن لم يثبت في نفسه ، كان اعتقاد ثبوته جهلا مركبا ، لا علما ، فلو توقف الوجوب على العلم بالوجوب ، لزم الدور(٤) ، وأن لا يجب شيئ على الكافر أيضا : فليس الوجوب في نفس الأمر موقوفا على العلم بالوجوب ، بل يقول : الوجوب في نفس الأمر ، يتوقف على

---

١ - القياس المراد به هنا ، قياس المناطقة ، يعرفونه بأنه : قول مؤلف من قضايا ، إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر ، وينقسم إلى قسمين : استثنائي و اقتراني ، انظر التعريفات للجرجاني ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ضوابط المعرفة ص ٢٢٨ ، وآداب البحث والمناظرة ، القسم الثاني ص ٦٢ - ٦٣ .

٢ - هكذا في مختصر التحفة ، (لا يستمع به) والصواب أن يقال : (لا يستمع إليه) .

٣ - الحل : وهو ما يعرف بالسند الحلي ، وهو ما يذكره السائل (المعترض) مع المنع ، لافتاً فيه نظر المعلل (الخصم) إلى منشأ غلطه في دعواه ، فيقول مثلا : إنما يصح ما ذكرت فيما لو كان الأمر كذا . آداب البحث والمناظرة لمحمد الأمين الشنقيطي ص٤٣ . انظر ضوابط المعرفة للميداني ص٤١٩ .

٤ - من قوله - رحمه الله - فيما تقدم (النظر في معرفة الله تعالى واجب شرعا ... ص ٤٢٨) إلى هنا . أصل الكلام للإيجي في المواقف في علم الكلام ص٢٩ - ٣٢ ، وفي صب العذاب على من سب الأصحاب ، للألوسي ص ٣٦٨ - ٣٧١ ، وفي مختصر التحفة الإثني عشرية ٧٧ - ٧٩ .

ثبوت الشرع في نفس الأمر، والشرع ثابت في نفس الأمر ، علم المكلف ثبوته ، ونظر فيه أولاً ، وكذلك الوجوب ، ولا يلزم من هذا تكليف الغافل ، لأنّ الغافل إ نّما هو من لم يتصورالتكليف ، لا من لم يصدق به .

فإن قال المكلف : لا أعرف الوجوب في نفس الأمر ، وما لم أعرفه لا أنظر . قلنا : ماذا تريد بالوجوب ؟ فان قال : أريد به ما يكون ترك ما اتصف به ، إ ثما وفعله ثوابا . قلنا له : فقد أثبتّ الشرع حيث قلت بالثواب والإثم ، فبطل قولك ، لا أعرف الوجوب بقولك ! فاندفع الإفحام .

وإن قال : أردت به ما يكون ترك ما اتصف به قبيحا ، لا يستحسنه العقلاء ، وتترتب عليه المفسدة ، قلنا له : فأنت تعرف الوجوب ، إذا رجعت إلى عقلك وتأمّلت فيه به ، إذ يعرف كل عاقل قبح ترك ما اتصف به ومفسدته ، فبطل قولك : لم أنظر ما لم أعرف الواجب . واندفع التنازع فيه ، بل بالمنع المتفق عليه ، كما لا يخفى . فإذا عرفت ما حققناه ، عرفت أ نّ ما قاله الأشاعرة ، هو الحق الحقيق بالقبول (١).

والجملة الأخيرة من كلامه – رحمه ا لله – أوهمت بأنه وافق الأشاعرة في هذه المسألة ، إلاّ أنّ المتتبع لكلام الأ لوسي ، يجد أن الأ مر ليس كذلك ، والظاهر أن موافقته لهم فيها ، من وجه دون وجه ، فيوافقهم في وجوب النظر فيمن فسدت فطرته ، وانحرفت أو ضعف إيمانه وقلّ يقينه ، فالنظر في حق هذا واجب (٢) .

---

١ - انظر : مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٧٩، وصب العذاب على من سبّ الأصحاب ص ٣٦٨- ٣٧٢ .

٢ - وفي هذا الصدد ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه ا لله- : (يجب النظر في حال دون حال ، أو على شخص دون شخص ، ووجوبه من العوارض ا لتي تجب على بعض الناس في بعض الأحوال ، لا من اللوا زم العامه... فإن كل علم وجب ولم يحصل إلاّ بالنظر ، وجب النظر ، وأما إذا حصل ضرورة ، أو حصل العلم بدون النظر ، أو لم يكن العلم واجبا ، لم يكن ا لنظر واجبا) مجموعة الرسائل والمسائل ٣٤٨/٢ .

فالأ لوسي – عليه الرحمة – لم يؤكد موافقة الدهلوي – رحمه ا لله – إلاّ في حق أمثال هؤلاء الأشخاص الذين خرجت فطرتهم عن طبعها وخلقتها وجبلّتها ، ومالت إلى غير دين الإسلام . ثم إن الذي تميل إليه النفس – وا لله أعلم – أن الصواب في هذه المسألة كما حققها علماء سلف الأمة ، هو أن النظر ليس هو أول الواجبات ، ولا هو واجب على كل شخص ، ولكن قد يجب على بعض الأشخاص الذين لا يحصل لهم العلم إلاّ به – كما تقدم آنفا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية .وا لقول بكون النظر أو ل واجب ، قول مبتدع مخترع أحدثه المتكلمون ، =

أما كون النظر أول واجب في معرفة الباري ، كما ذهب إليه الأشاعرة ، فهذا ما لا يوافقهم عليه ، حيث نجده -رحمه الله- يثبت في كتابيه :"*كنز السعادة في شرح الشهادة*" ، و"*فتح المنان ، تتمة منهاج التأسيس والتقديس*" خلاف ذلك ، قال في الأول :(فأول أمر كلّف به الأنام وطلبه من خاص وعام : شهادة أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، ولعمري إنها لكلمة يثقل بها الميزان ، وتأخذ بيد قائلها إلى أعلى فراديس الجنان ويحصل لمن تمسك بها النجاة والأمن من جميع الأهوال والآفات) (١).

وقال في الثاني : (كان النبي ﷺ ، يوصي أصحابه ، إذا أصبحوا وإذا أمسوا أن يقولوا :(أصبحنا على فطرة الإسلام ، و كلمة الاخلاص ، ودين نبينا محمد ، ودين إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين)) (٢)، فتأمل هذه الألفاظ ، كيف جعل

=ولم يأت به النبي ﷺ ولم يكن عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين ، فإن أول ما دعا إليه ﷺ ، الشهادتين . وقد أثبت الألوسي ذلك في كتابه : كنز السعادة في شرح الشهادة ص ٢٤ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والقرآن العزيز ليس فيه أن النظر أول الواجبات ، ولا فيه إيجاب النظر على كل أحد ، وإنما فيه الأمر بالنظر لبعض الناس ، وهذا موافق لقول من يقول : إنه واجب على من لم يحصل له الإيمان إلاّ به ، بل هو واجب على كل من لا يؤدي واجبا إلاّ به ، وهو أصح الأقوال) درء تعارض العقل والنقل ، ٨/٨ . ونحوه . مجموع فتاوى ١/ ٣٢٨ .

والأمة المحمدية - ولله الحمد- ليست في حاجة إلى النظر على طريقة المتكلمين ، الذي يقول فيه أبو المظفر السمعاني : (وهل كانت الزندقة والإلحاد وسائر أنواع الكفر والضلالات والبدع ، منشؤها وابتداؤها إلاّ من النظر ، ولو أنهم أعرضوا عن ذلك وسلكوا طريق الإتباع ما أداهم إلى شيء منها ، فما من هالك في العالم إلاّ وبدؤ هلاكه من النظر ، وما من ناج في الدين سالك سبيل الحق ، إلاّ وبدؤ نجاته عن حسن الإتباع ...) صون المنطق ص ١٧٣ .

وللإطلاع على أقوال السلف في هذه المسألة وردودهم على خصومهم ، انظر :

١. مجموع فتاوى ١٦/ ٣٢٨ - ٣٣١ ، ٣٤٨ .
٢. درء تعارض العقل والنقل ٨/ ١ وما بعدها ، ٧/ ٣٥٢ .
٣. صون المنطق ص١٧١ - ١٧٤ .
٤. التمهيد ٧/ ١٥٢ .
٥. أول واجب على المكلف ص ٧ ، ١١ ، ٣٥ ، .
٦. والمسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين ص ٦٣ .

١ - كنز السعادة في شرح السعادة ص ٢٤ .

٢ - أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ /٤٠٦ ، ٤٠٧ ، و ١٢٣/٥ ، والدارمي في سننه ، كتاب الاستئذان ، باب ما يقول إذا أصبح ٣٧٨/٢ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ، كتاب الأدب ، باب في الرجل ما يقول إذا أصبح

الفطرة للإسلام ، فإنه فطرة الله التي فطر الناس عليها (١) ، وكلمة الاخلاص ، هي شهادة أن لا إله إلاّ الله ، والملّة لإبراهيم ، فإنه صاحب الملّة وهي التوحيد ، وعبادة الله وحده لا شريك له) (٢) .

ويفهم من هذا أن العلاّمة الألوسي -رحمه الله - قائل بما أجمع عليه أهل السنة والجماعة ، وهو ما تقدم ذكره .

وقد حكى الإجماع عنهم كل من ابن المنذر(٣) والسمعاني وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليهم - ، وإليك ما جاء عنهم :

١. قال ابن المنذر : أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم ، أن الكافر إذا قال : أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وأنّ كل ما جاء به محمد حق ، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام ، وهو بالغ صحيح يعقل ،أنه مسلم . (٤)

٢. وقال السمعاني : إن القول بأن أول الوجبات هو النظر ، قول مبتدع ، لم يكن معروفا عند الصحابة ولا التابعين ، إذ لو كان معروفا لنقلوه ، لشدة إهتمامهم بهذا

ح (٦٥٩١) ، ٩/٧٧ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، باب ما يقول إذا أصبح وأمسى ١٠/ ١١٥-١١٦، وقال : أخرجه أحمد والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح . وابن السني في عمل اليوم والليل ح (٣ص٢٢

١ - قال تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ الآية (٣٠) من سورة الروم . وروى ابن جرير الطبري عن يزيد بن أبي مريم قال : مرّ عمر بمعاذ بن جبل فقال عمر : ما قوام هذه الأمة ؟ قال معاذ : ثلاث ، وهنّ المنجيات : الاخلاص وهي الفطرة ﴿ **فطرت الله التى فطر الناس عليها** ﴾ والصلاة ، وهي : الملة ، والطاعة وهي العصمة فقال عمر : صدقت) . جامع البيان ١٠/١٨٣ ، وانظر تفسير ابن كثير ٣/ ٤٤٣ .

٢ - انظر : فتح المنان ص ٣٤٤ .

٣ - ابن المنذر : هو الإمام الحافظ العلاّمة شيخ الإسلام ، أبو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه ، نزيل مكة ، صاحب التصانيف منها : الأشراف في اختلاف العلماء ، والإجماع ، والمبسوط ، وغيرها ، توفي سنة(٣١٨) ، انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٩٠ - ٤٩٢ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/١٩٦ - ١٩٧ ، ووفيات الأعيان ٤/٢٠٧ .

٤ - انظر نص كلامه في : الإجماع ص ٧٦ . وقد نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه : درء تعارض العقل والنقل ٨/٧ ، بتصرف .

٣.الدين ، كيف والمدعى أنه أول الواجبات ! وإنّما المعروف أنهم كانوا يدعون إلى الإسلام ، وهم الذين نقلوا طريقة رسول الله ﷺ في دعوته ، مما يدل على أن المستقر عندهم هو أن أول شيء يدعى إليه الكافر هو الشهادتان ، وهما أول واجب (١).

٤.وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد ، الشهادتان ، ومتفقون على أن من قال ذلك قبل البلوغ ، لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ) (٢).

١ - انظر مختصر كتابه : الانتصار لأصحاب الحديث ، ضمن صون المنطق ، ص ١٧١- ١٧٢ .

٢ - درء تعارض العقل والنقل ولابن تيمية ٨/ ١١ .

الفصل الثاني :

توحيد الأسماء والصفات .

وفيه ثمانية مباحث :

المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفا ت وبيان موجز منهج السلف الصالح في ذ لك .

المبحث الثاني : تفسير الأ لوسي لبعض أسماء الله الحسنى

المبحث الثالث : كلامه في مقتضى بعض الأسماء ، ودلالتها على الوحدانية .

المبحث الرابع : تقسيم الأ لوسي لآيات الصفات وأحاديثها .

المبحث الخامس : في قولهم : الصفات غير الذت ،أو صفات الله غير الله .

المبحث السادس : الكلام على صفة العلو ، ولفظ الجهة .

المبحث السابع : في بيانه استواء الله على عرشه .

المبحث الثامن : الكلام على صفة النزول .

المبحث الأول :

تعريف توحيد الأسما والصفات وبيان موجز منـهج السلف الصالح في ذ لك .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات .

المطلب الثاني : بيان موجز منـهج السلف الصالح في ذلك .

التوطئة :

إن العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، وتدبر معاني هذه الأسماء والصفات ،على مراد الله تعالى ، ومراد رسوله ﷺ ، من أهم الأمور وأجلّها ، بل هو العاصم من الزلل ، والمقيل من العثرة ، والفاتح لباب الأمل ، والمعين على الطاعة والصبر ، والواقي من الخمول والكسل ، وقد تقدم أن معرفة الله تعالى واجبة ، وأن هذه المعرفة تدعو إلى تعظيمه ومحبته وخشيته وخوفه ، ورجائه وإلى التوكل عليه ، والإنابة إليه ، وإخلاص جميع أنواع العبادات له ، سبحانه وتعالى ، وهذا عين سعادة العبد المؤمن .

وإدراك حقيقة هذه العبادات ، وتحقيقها للباري عز وجل ، قولاً وعملاً ونيةً ، لا يتم إلاّ بمعرفة أسماء الباري الحسنى ، وصفاته العليا .

ومن هنا ندرك عظم جناية الذين ينفون عن الله تعالى أسماءه الحسنى وصفاته العليا ، وأفعاله ،أو شيئا منها ، لأنهم بذ لك يغلقون باب المعرفة بالله تبارك وتعالى ، فالموجود إذا جهلت صفاته وأسماؤه ، أصبح وجودا مجرّدا في الذهن (١)،كما هو مذهب الجهمية(٢) ، ومن وافقهم في نفي أسماء الباري وصفاته ،كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (معرفة ذات الله تعالى ، بدون معرفة شيء من أسمائه وصفاته الثبوتية والسلبيّة ،(٣) فهذا ممتنع

---

١ - انظر : أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ، للأشقر ص ٢٠ .

٢ - الجهمية : هي فرقة من الفرق المنحرفة عن المنهج القويم ، تنسب إلى جهم بن صفوان ، وهو تلميذ الجعد بن درهم - الذي ضحى به خالد بن عبد الله القسري سنة (١٢٤هـ) على الزندقة والإلحاد ، وهو -أي الجعد - أول من ابتدع القول بخلق القرآن ، وتعطيل الله تعالى عن صفاته - مات جهم سنة (١٢٨هـ) الذي قال بالاجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وإنكار الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ، ونفى أسماء الله تعالى وصفاته ، وقال بخلق القرآن تبعا لزعيمه ، وما قاله هو نبذة معتقد الجهمية . انظر : الملل والنحل ١/١٨٦ ، الفرق بين الفرق ص١٩٩ ، والتبصير في الدين للإسفراييني ص ١٠٧ ، وإعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٨ ، والبرهان للسكسكي ص ٣٤ .

٣ - **الصفات الثبوتية** : هي التي تدلّ على معنى ثبوتي ووجودي ، ومنها تلك الصفات السبع المعروفة عند الأشاعرة بصفات المعاني ، وهي الحياة ، العلم ، القدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والتي أثبتوها تبعا لعقولهم ، ونفوا ما عداها .

والصفات السلبية : فيراد بها عند الخلف و متكلمي الأشاعرة : الصفات التي لا تدل بدلالة المطابقة على معنى وجودي أصلا ، وإنما تدل على المعنى السلبي غير الثبوتي وهي خمس صفات ، القدم ، والبقاء ، والوحدانية ، ومخالفة الحوادث ، والغنى المطلق ، المعروف عندهم بالقيام بالنفس . فالقدم ، يدل على عدم سبق العدم ، والبقاء ، يدل على عدم لحوق الفناء ، ... **أما** المراد بها هنا عند الشيخ الإسلام ، فهي الصفات التي تدخل عليها =

، ولو قدّر إمكان ذلك ، أو فرض العبد في نفسه ذاتا مجرّدة عن جميع القيود السلبية والثبوتية ، فليس ذلك معرفته البتة) (١) .

وإليك ما جاء عن الشيخ الألوسي وغيره في تعريف هذا التوحيد ، ومن الله استمد العون .

المطلب الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات :

قال العلاّمة الألوسي – رحمه الله – في بيانه لهذا النوع من التوحيد–عند عرضه لما يعتقده أهل نجد – : (اعلم أن أهل نجد كلّهم مسلمون موحّدون ...وهم على عقائد السلف الصالح ، فهم يعتقدون أن الله قديم (٢) ، واحد لاشريك له في ملكه ، ولا نـدّ ولا ضدّ ،ولا وزير ولا مشير، ولا ظهير ولا شافع إلاّ من بعد إذنه ...وأنه لا يماثله شيئ من مخلوقاته ، بل ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، وأنه لا يحل بشيء من مخلوقاته ، ولا يحل في ذاته شيء منها ، بل هو بائن عن خلقه بذاته ، والخلق بائنون عنه ... وأنه سميع بصير ، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، ويرى النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، قد أحاط سمعه بجميع المسموعات ،وبصره بجميع المبصرات...الخ (٣)

وقال أيضا في بيان ما يعتقده ويقر به إمام الدعوة السلفية ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب – عليه الرحمة – : (إنه على ما كان عليه السلف الصالح ، وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى ، في باب معرفة الله ، وإثبات صفات كماله ، ونعوت جلاله ، التي نطق

=(أداة) النفي ، مثل : (لا) و (ما) و (ليس) كقوله تعالى : ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ وقوله ﴿ وما مسنا من لغوب ﴾ ونحو ذلك كثير في القرآن ، وهي تقع فيه لتضمنه كمال ضد الصفة المنفية .

انظر : الصفات الإلهية لمحمد أمان الجامي ص ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ؛ وأضواء البيان ٢/٣٠٦ ، والفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة ص ٢٠ .

١ – مجموع فتاوى ١٧/ ١٠٥ .

٢ – إلاّ أنه لم تثبت في الكتاب ولا في السنة ، بأن الله عز وجل وصف نفسه بهذه الصفة ، أو نبيه ﷺ . كما بين ذلك الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – عليه رحمة الله – بعد بيانه ثبوت اتصاف المخلوقات بها ، فقال :(أما الله عز وعلا فلم يصف في كتابه نفسه بالقدم ، وبعض السلف كره وصفه بالقدم ، لأنه قد يطلق مع سبق العدم، نحو :﴿ كالعرجون القديم ﴾ الآية (٣٩) من سورة يس ، و ﴿ إنك لفى ضلالك القديم ﴾ الآية(٩٥) من سورة يوسف . و ﴿ أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ الآية (٧٦) من سورة الشعراء ،وهي من الصفات السلبية الخمسة عند المتكلمين .منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص١٢.وانظر نحوه في شرح العقيدة الطحاوية ص١١٤ .

٣ – تاريخ نجد للألوسي ص ٤١– ٤٢ .

بها الكتاب العزيز ، وصحت بها الأخبار النبوية ، وتلقاها أصحاب رسول الله ﷺ ، بالقبول والتسليم : يثبتونها ويؤمنون بها ، ويمرّونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل (١)...) (٢).

ويفهم من هذين النقلين ، أن هذا التوحيد هو إفراد الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا التي وردت في الكتاب والسنة ، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه ، أو اثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات ، من غير تحريف لألفاظها ، أو معانيها ، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله عز وجل ، ولا تكييفها بتحديد كنهها ،أو إثبات كيفية معينة لها ، ولا تمثيلها ، ولا تشبيهها (٣)، بل تمريرها كما وردت ،مع اعتقاد مدلولها ومعانيها على ما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه .

كما يفهم من هذه التعاريف أن توحيد الأسماء والصفات ، يتركز على ثلاثة أسس ، من جاء بها كلها ، فقد وافق ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح ، ومن أخل بأحدها فقد ضلّ :

الأول : تنزيه الله سبحانه عن مشابهة الخلق ، ويفهم ذلك من قول الألوسي : (وأنه لا يماثله شيئ من مخلوقاته ، بل ليس كمثله شيئ ، لافي ذاته ، ولا في صفاته ، كما قال تعالى : ﴿ليس كمثله شيئ﴾ (٤).

الثاني : الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة ، وعدم التعرّض لنفيها ، ويفهم ذلك من قول الألوسي : (إنهم يقرون بالآيات والأحاديث ، ويكلون معناها إلى الله تعالى (٥)، كما قال الإمام مالك -رحمه الله - في الاستواء ...

---

١ - وقد تقدم بيان معاني كل من : التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل ، في ص ١٤٦ .

٢ - تاريخ نجد للألوسي ص ٧٧ ، وأصل الكلام للشيخ عبد اللطيف في منهاج التأسيس والتقديس ص٥٦ .

٣ - التشبيه : هو إثبات المشابه للشيئ ، فتقول هذا شبه كذا ، والفرق بينه وبين التمثيل ، هو أن التمثيل :يقتضي المماثلة والمساواة من كل وجه . أما التشبيه : فيقتضي المشابهة في أكثر الصفات .

انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص١٢٠ -١٢١ ، وعقيدة الواسطية بشرح صالح الفوزان ص١٣- ١٤ ، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص ٨٦ -٨٩ .

٤ - الآية (١١) من سورة الشورى .

٥ - أي أنّهم يكلون معرفة كيفية معانيها وحقيقتها إلى الله تعالى ، لا أنّهم لا يفهمون معناها ، فإنّها معلومة

الثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات ، لأنّ ذلك مستحيل ، كما قال تعالى : ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾ (١) (٢) .

ومما تقدم يفهم أن الألوسي وافق أئمة الدعوة والسلف الصالح في تعريفهم هذا النوع من التوحيد ، حيث عرّفه الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب(٣) بقوله : توحيد الأسماء والصفات : هو الإقرار بأن الله تعالى بكل شيئ عليم ، وعلى كل شيئ قدير وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، له المشيئة النافذة ، والحكمة البالغة ، وأنه سميع بصير ، رؤوف رحيم ، على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى و الصفات العليا) (٤).

لديهم . كما ثبت عن الإمام مالك وغيره – رحمهم الله – قولهم في معنى الاستواء : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، و الإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة . انظر : مجموع فتاوى ٥/١٤٤ وما بعدها .

١ - الآية (١١٠) من سورة طه .

٢ - تاريخ نجد ص ٤٢- ٤٥ ، ومنهج ودراسات آيات الأسماء والصفات للشنقيطي ص ٨ .

٣ - هو من آل الشيخ ، فقيه من أهل نجد ، كان آية في العلم ، بارعا في التفسير والحديث ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، من تصانيفه : تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ، قتل –رحمه الله – ظلما سنة (١٢٣٣هـ) . انظر : عنوان المجد في تاريخ نجد ٢١٢/١ و هداية العارفين ٤٠٨/١ ، والأعلام للزركلي ١٢٩/٣ .

٤ - تيسير العزيز الحميد ص ٣٤ -٣٥ .

المطلب الثاني :

بيان موجز منهج السلف الصالح في توحيد الأسماء والصفات :

إن منهج السلف الصالح في هـذا البـاب العظيـم ، يتمثـل في إقرارهـم ، واعتقـادهم ، بجميع ما ثبت في الكتاب والسنة ، من أسماء الله وصفاته وأفعاله .

فيثبتون لله تعـالى مـا أثبتـه لنفسـه ، أو أثبتـه لـه رسـوله ﷺ ، مـن صفـات الكمـال ونعوت الجلال ، وينفون عنه جميع ما نفاه سبحانه عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ مـن النقائص ، والعيوب ، من غير تحريف ولا تأويل (١)ولا تعطيل وعدم البحث عن كيفيتهـا وعن كنهها .

وفي بيان هذا المنهج القويم ، يقول العلاّمة الألوسي –رحمه الله – : (وأهل التوحيد (هم) المثبتون لله ما أثبته لنفسه ، والنافون عنه ما نفـاه عـن نفسـه ، الذيـن لا يجعلـون لله نداً من خلقه ، ولا عدلا ولا كفوا ، ولا شـبيها ، وليـس لهـم مـن دونـه ولي ولا شـفيع ، فمن تدبر هذا الكلام حق التدبر ، تبين له ... سر القرآن في الإنكار علـى هـؤلاء المشـبهة (٢) الممثلة ، ولا سيما إذا جمعوا إلى هذا التشبيه ، تعطيـل الصفـات و الأفعـال، كمـا هـو الغالب عليهم ، ، فيجمعون بين تعطيل الرب سبحانه وتعالى عن صفات كماله ، وتشـبيه خلقه به ...) (٣)

---

١ – التأويل : التفسير ، والمراد به هنا ، تفسير نصوص الصفات على غير مراد الله ورسوله ﷺ ، وبخلاف ما فسرها به الصحابة – رضوان الله علهم أجمعين – والتابعون لهم بإحسان . انظر : شرح لمعة الإعتقاد ص ١٨ ، ومختار الصحاح ١٣ مادة " أول " .

٢ – المشبهة : قال الفاروقي التهانوي : (المشبهة –على صيغة اسم الفاعل – من التشبيه ، وهو يطلق على فرقة من كبار الفرق المنحرفة ، الذين شبهوا الله بالمخلوقات ، ومثلوه بالحادثات ، وهم فرق كثيرة ، ولأجل اتفاقهم في هذا المبدأ ، جعلناهم فرقة واحدة تقول بالتشبيه ، وإن اختلفوا في الطريقة ، فمنهم مشبهة غلاة الشيعة ، كالسبئية والبيانية ، ومنهم مشبهة الكرامية ، وغيرهم . انظر : كشاف اصطلاحات الفنون ١٩٤/٤– ١٩٥ ، مادة : " تشبيه " . وانظر نحوه : الملل والنحل ١٠٣/١ –١٠٨ ، ومنهاج السنة النبوية ٥٢٢/٣ .

٣ – فتح المنان تتمة منهاج التأسيس والتقديس للألوسي ص ٤٦٢ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى - ملخصا لمنهج السلف الصالح ، في هذا الباب العظيم : (فالأصل في هذا الباب ، أن يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله ، نفيا وإثباتا ، فيثبت لله ما أثبته لنفسه ، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه ، وقد علم أن طريق سلف الأمة وأئمتها ، إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه ، مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد (١)، لا في أسمائه ولا في آياته ، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه و آياته . كما قال تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ إنّ الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم ﴾ (٣) .

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات ، إثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل ، كما قال تعالى : ﴿ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير ﴾(٤). ففي قوله (ليس كمثله شيئ) ردّ للتشبيه والتمثيل . وفي قوله : (وهو السميع البصير)، ردّ للإلحاد و التعطيل) (٥).

وهكذا يتجلّى لنا بكل وضوح ، تمسك العلاّمة الألوسي - رحمة الله تعالى عليه - بمنهج السلف الصالح السديد ، في هذا الباب ، والذي يكاد ينحصر في قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير ﴾ .(٦)

---

١ - الإلحاد :معناه لغة :الميل والعدول عن الشيء، ومنه اللحد في القبر، لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر . واصطلاحا : العدول بأسماء الله وصفاته وآياته عن الحق الثابت . انظر : تفسير ابن كثير ٢٨٠/٣ . والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، لفالح بن محمد آل مهدي ٢٧/١ ، ومختار الصحاح للرازي ص٢٤٧.

٢ - الآية (١٨٠) من سورة الأعراف .

٣ -الآية (٤٠) من سورة فصلت .

٤ - الآية (١١) من سورة الشورى .

٥ - مجموع فتاوى ٣/٣-٤ ، ومنهاج السنة النبوية ٥٢٣/٢ وما بعدها ، ونحوه في ٢٢٢/٢ .

٦ - الآية (١١) من سورة الشورى .

المبحث الثاني :

تفسير الألوسي – رحمه الله – بعض أسماء الله الحسنى .(١)

تقدم أن أشرت إلى أهمية معرفة أسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا ، وأن تدبر معانيها يورث استشعار عظمة الخالق جل وعلا ، وخشيته وخوفه ، والرغبة ، إلى غير ذلك ، مما تقدمت الإشارة إليه .

وهنا أذكر ما قاله العلاّمة الألوسي – رحمه الله – في بيانه لبعض هذه الأسماء الحسنى ، ومن الله استمد العون :

---

١ – ما يأتي بيانه –إن شاء الله تعالى – في المباحث الآتية ، هو ضمن ردود الألوسي– رحمه الله – على الأحزاب التي أوردها النبهاني في كتابه " *شواهد الحق* " حيث قال فيه : (ورد من النظم في استغاثات العلماء والفضلاء به ﷺ ، من قرأها او بعضها ، بنية قضاء حاجته ، يرجى له حصول المقصود ، ببركة الاستغاثة به ﷺ) وهو الباب الثامن ، من " *شواهد الحق* " (الباطل) ص٢٣٧ .

وما قصد النبهاني من وراء ذلك ، إلاّ ليصرف الناس عن القرآن والسنة ، وما جاء فيهما من الأدعية والأذكار الثابتة .

قال الألوسي –رحمه الله – : (نحن نورد في هذا المقام ، ما نعارض به كلام هؤلاء الذي أورده النبهاني ، بكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وكلام المتبعين له :

أما القرآن الكريم : وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فأعظم مقاصده إفراد الإله سبحانه ، وتوحيده بخصائصه ، فلا تجد سورة من السور إلاّ وهي منادية على وجوب توحيده ، وإفراده بالعبادة ، وترى الأدعية والأذكار التي اشتمل عليها القرآن كلها ، خالصة لله ، كقوله تعالى : ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ الآية (٢٨٦) من سورة البقرة .

ونحن نذكر بعض السور والآيات الناطقة بوجوب الإلتجاء إلى الله ، وعدم الميل إلى سواه ، مع بيان ما قاله المفسرون وأهل العلم في تفاسيرهم ، والقرآن كله يدل على وجوب عبادة الله والبراءة من عبادة ما سواه ، واسلام الوجوه له ، على اختلاف أنواع الدلالات ، مطابقة وتضمنا والتزاما وقياسا صحيحا ...) غاية الأماني ٢/ ٢٩٢ –٢٩٣ . ثم شرع –رحمه الله – في ذكر الأمثلة على ذلك ،بدأ بالبسملة ، ثم بأم الكتاب ، ثم بسورة الإخلاص ، فالمعوذات [انظر غاية الأماني ٢/ ٢٩٣– ٣٠٦] . وقد اقتصرت على تفسيره لبعض أسماء الله الحسنى فقط ، من خلال ما قاله هو أو نقله عن غيره من أهل العلم ، كما صرح بذلك – رحمة الله تعالى عليه .

١- لفظ الجلالة (الله) :

قال الألوسي -رحمه الله -: (إنه من أله إلهة وألوهية ، فهو إله ، فعال بمعنى مفعول ، بمعنى : عبد يعبد عبادة . فهو دال على الإلهية لمتضمنة لسائر الصفات الإلهية ، والكمال مستلزم لجميع معان الأسماء الحسنى ، دال بالوضع والمطابقة على كونه مألوها ، معبودا تأله الخلائق ، محبة وتعظيما ، وخضوعا ، ومفزعا إليه في الحوائج والنوائب) .(١)

فهو اسم علم للذات الواجب الوجود ، المستحق لجميع المحامد ، لا واجب في الوجود غيره (٢) و لم يتسمّ به أحد غيره تعالى ، وهو يقع موصوفا بسائر أسماء الله ، وكلها مضاف إليه) (٣) .

قال الخطابي - رحمه الله -: (إنه أشهر أسماء الرب تعالى ، وأعلاها محلا في الذكر والدعاء ، ولذلك جعل أمام سائر الأسماء ، وخصت به كلمة الاخلاص ، ووقعت به الشهادة فصار شعار الإيمان ، وهو اسم ممنوع ، لم يتسمّ به أحد ، قد قبض الله عنه الإنس ، فلم يدع به شيئ سواه ، وقد كان يتعاطاه المشركون أسماء لبعض أصنامهم التي كانوا يعبدونها ،فصرفهم الله تعالى ، إلى اللآت ،صيانة لهذا الاسم ، وذبا عنه) (٤).وهو الإسم الأعظم على الصحيح ، لأنه يوصف بجميع الصفات ، كما قال تعالى : ﴿ **هو الله الذى لا إله إلاّ هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** ﴾ (٥). وقد تفرد به جلّ شأنه فلم يحصل لغيره ، شركة في لفظه ، كما أنه لم يكن لأحد شركة في معناه (٦).

واختلف في اشتقاقه ، هل هو مشتق أو غير مشتق ؟ فقيل : إنه علم موضوع ليس بمشتق ، وقيل: إنه مشتق .

---

١ - غاية الأماني ٢/ ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، وانظر :فتح المنان ص ٥٠٩ .

٢ - كنز السعادة في شرح الشهادة ص ٥٢ .

٣ - تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٢٥ .

٤ - شأن الدعاء ص ٢٥ ، ٣٠ ، ٣١ .

٥ - الآية (٢٢) من سورة الحشر .

٦ - انظر : كنز السعادة ص ٥٥ .

قال العلاّمة الألوسي – رحمه الله – في ردّه على الذين قالوا بأنه غير مشتق ، واستدلوا على عدم اشتقاقه بقوله جلّ ذكره :﴿هل تعلم له سميا ﴾ (١) (قالوا) فلو كان مشتقا ، لكان له سميٌّ – حاشاه تعالى – لأن المشركين سمو أصنامهم آلهة .

قال – رحمه الله –: (وهذا غير لازم ، لأن الذي سمى به المشركون ﴿ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ إلهكم وإله موسى ﴾ (٣) .

فأما اسم :(الله) تعالى ، فلام التعريف اللازمة ، عوضا عن الهمزة (٤) ، فلم يسم به غيره تعالى ، و لم يستعمل قط منكراً ،وقوله تعالى :﴿هل تعلم له سميّا﴾ (٥) أي هل تعلم شيئا يسمى (الله) غيره ؟ أو هل تعلم له نظيرا في الخلق ووجوب الإلهية ، فإنه لا يستلزم الإتّحاد ، لاتّحاد المعنى ، فإن العرب قد تضع للمعنيين اسمين مختلفين من لفظ واحد ، وقد قالوا : للبناء حصين ، وللمرأة : حصان ... وكلاهما مشتق من الحصانة ...(٦)

وعلى هذا لا يمتنع أن يكون لفظ (الله) مشتقاً من الألوهية ،وهو المذهب الذي جرى عليه الأكثرون . وقيل : مشتق من (ألِهَ) إذا فزع ، والله تعالى مَفْزَع كل شيئ، وهو مروي عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – (٧) ، أو من (أَلَهَ) إذا تحيّر ودهش لأن العقول تحار في عظمة الله تعالى . وفي اشتقاقه أقوال أخرى تركناها لطولها) (٨) (٩) .

---

١ – الآية (٦٥) من سورة مريم .

٢ – الآية (١٣٨) من سورة الأعراف .

٣ الآية (٨٨) من سورة طه .

٤ – ذهب إلى ذلك سيبويه في *"الكتاب"* ١٩٥/٢، ١٩٦ .

٥ – الآية (٦٥) من سورة مريم .

٦ – انظر : اللسان ١١٩/١٣ – ١٢٠ ، مادة " حصن" .

٧ – انظر : تفسير ابن كثير ٢١/١ .

٨ – كنز السعادة ص ٥٦ .

٩ – للوقوف على تلك الأقوال ، انظر : بدائع الفوائد ٢٢/١ ، تفسير ابن كثير ٢٠/١ – ٢١ ، الحجة في بيان المحجة ١٢٥/١ ، نتائج الفكر في النحو ص٥١– ٥٢ .

٢- (**الرحمن**) قال الألوسي :(وأما اسم (الرحمن)، فإنه الموصوف بغاية الرحمة ومنتهاها ، وأنه وصف ذات لا ينفك عنه كسائر أوصافه المقدسة الذاتية ، لذا اختص به سبحانه وتعالى ، فلا يطلق إلاّ عليه وحده ، (١)) .

وقيل : (الرحمن) الذي رحم كافة خلقه ، بأن خلقهم وأوسع عليهم في رزقهم (٢).

٣- (**الرحيم**) قال الألوسي : (وأما اسم (الرحيم) فإنه يدل على أنه بالغ في الرحمة غايتها ، لأنّ فعيل ، من صيغ المبالغة . فسعة الرحمة وكثرتها ، وإحاطتها من أدلة عظمة الموصوف ، وكمال صفاته) (٣).

وقيل : هو خاص في رحمته لعباده المؤمنين .بأن هداهم إلى الإيمان ،وهو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع ، إذ لا يدخل أحد عمله الجنة ، وإنّما يدخلونها برحمة الله وعفوه (٤). فقد قال الرسول ﷺ : ((لا يدخل أحد عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلاّ أن يتغمدني الله برحمة من عنده)) (٥) .

وقال ابن منده (٦)- رحمه الله - : (قال أهل التأويل :هما - أي الرحمن والرحيم- اسمان رقيقان أحدهما أرقّ من الآخر ، وقوله (الرحمن) يجمع كل معاني الرحمة ، من الرأفة واللطف والعطف، قال عبد الله بن عباس : قوله تعالى : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ (٧)

---

١ - غاية الأماني ٢/ ٢٩٤ .

٢ - انظر : تفسير أسماء الله الحسنى ص ٢٨ ، وكتاب التوحيد لابن مندة ٢/ ٥٣ .

٣ - غاية الأماني ٢ / ٢٩٥ ، ٢٩٧ .

٤ - انظر : تفسير أسماء الله الحسنى ص ٢٨ -٢٩ . وكتاب التوحيد لابن مندة ٢/٥٣ .

٥ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٥٠٩ ، ٣/٣٩٤ .

٦ - هو الإمام الحافظ الجوال محدث الإسلام أبو عبد الله ، محمد بن المحدث أبي يعقوب بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحي بن مندة العبدي الأصبهاني ، صاحب التصانيف ، منها : كتاب الإيمان ، وكتاب التوحيد ، وكتاب الصفات ، وغيرها ، توفي (٣٩٥هـ) . وقيل : (٣٩٦هـ) . انظر : سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨-٤٣ والمنتظم ١٥/٥٢ ،والعبر ٢/ ١٨٧ ، والبداية والنهاية ١١/٣٥٩ طبقات الحنابلة ٢/١٦٧ .

٧ - الآية (٦٥) من سورة مريم .

قال : ليس أحد يسمى الرحمن غيره (١)). وقال الرسول ﷺ : قال الله عز وجل : ((أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمي)) (٢) (٣).

قال ابن القيم الجوزية - رحمه الله - بعد كلام ذكره في هذا الموضوع عن السهيلي (٤): (أما الجمع بين الرحمن والرحيم ، ففيه معنى هو أحسن من معنيين اللّذَين ذكرهما (٥) ، وهو أن (الرحمن): دال على الصفة القائمة به سبحانه ، و(الرحيم) : دال على تعلقها بالمرحوم ، فكان الأول للوصف ، والثاني للفعل ، فالأول دال على أن الرحمة صفة ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته . وإذا أردت فهم هذا ، فتأمّل قوله تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ (٦) و﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾ (٧) ، ولم يجئ قط : رحمان بهم ، فعلم أن الرحمن ،هو الموصوف بالرحمة ،والرحيم هو الراحم برحمته) .(٨)

(٤ ، ٥) - وعن اسمي (**الأحد (٩) والصمد**) :

---

١ - أورد ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عباس -رضي الله عنهما - في تفسير الآية ، قوله : (هل تعلم للرب مثلا أو شبيها) ١٦ /١٠٦ .

٢ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/١٩١ - ١٩٤ .

٣ - كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الإ تفاق والتفرد تحقيق د. علي ناصر الفقهي ٢/٤٧ .

٤ - هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ الخثعمي الأندلسي المالكي ، أبو القاسم ، مؤرخ محدث حافظ ، نحوي أديب ، ولد بسهل سنة (٥٠٨) وقيل: (٥٠٧) ، صاحب التصانيف ، منها : التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام ، ونتاج الفكر في النحو وغيرهما ، توفي بمراكش (٥٨١) انظر ترجمته : بغية الملتمس ص ٣٦٧ ، و إنباه الرواة على أنباء النحاة ٢/١٦٢ -١٦٤ ، الأعلام للزركلي ٣/٣١٣ ، معجم المؤلفين ٥/١٤٧ .

٥ - انظر عن المعنيين : نتائج الفكر في النحو للسهيلي ص٥٤ ، وبدائع الفوائد ١/٢٣ .

٦ - الآية (٤٣) من سورة الأحزاب .

٧ - الآية (١١٧) من سورة التوبة .

٨ - مدارج السالكين ١/٤٢ .

٩ - جاء عن النحويين : أن أصله ، الوحد ، فأبدل عن الواو الهمزة ، وهو الذي لا شبيه له ، ولا نظير ، كما أن الواحد هو الذي لا شريك له ، ولا عديل ، والفرق بين الواحد والأحد ، هو أن الواحد يفيد وحدة الذات فقط ، والأحد يفيده بالذات والمعنى ، وعلى هذا جاء التنزيل ، قال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ الآية (١) من سورة الإخلاص . أراد المنفرد بواحدانيته في ذاته وصفاته تعالى ، ومما يفترقان فيه ، أن الواحد يأتي في الإثبات ، والأحد يأتي في النفي والجحود ، تقول : لم يأتني من القوم أحد ، وجاءني منهم واحد ، ولا =

يقول العلاّمة الألوسي - رحمه الله - نقلا عن شيخ الإسلام من تفسيره لسورة الإخلاص : (إنّ لفظ الأحد لم يوصف به شيئ من الأعيان إلاّ الله وحده ، وإنما يستعمل في غير الله في النفي ، قال أهل اللغة : تقول : لا أحد في الدار ، ولا تقل: فيها أحد ، ولهذا لم يجئ في القرآن إلاّ في غير الموجب ، كقوله تعالى : ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره** ﴾ (١) ، وكقوله تعالى : ﴿ **فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ (٢)، وكقوله تعالى : ﴿ **لستن كأحد من النساء** ﴾ (٣)، وفي الإضافة : كقوله تعالى : ﴿ **فابعثوا أحدكم بورقكم** ﴾ (٤)،وقوله تعالى : ﴿ **جعلنا لأحدهما جنتين** ﴾ (٥) (٦) .

وقال السعدي : والأحد : يعني الذي تفرد بكل كمال ، ومجد وجلال ، وجمال وحمد ، وحكمة ورحمة ، وغيرها من صفات الكمال ، فليس له فيها مثيل ولا نظير ،ولا مناسب بوجه من الوجوه ،فهو الأحد في حياته وقيوميته ، وعلمه وقدرته ، وعظمته وجلاله ، وجماله وحمده ، وحكمته ورحمته، وغيرها من صفاته ، موصوف بغاية الكمال ونهايته ، من كل صفة من هذه الصفات) (٧).

= يقال : جاءني منهم أحد ، هذا في غير الله تعالى ، وليس في الموجودات ما يسمى أحدا في الإثبات مفردا ، غير مضافا ، إلاّ الله تعالى ، فلم يوصف بلفظ الأحد شيئ من الأعيان إلاّ الله وحده . انظر : تفسير أسماء الله الحسنى ص ٢٥ ، ٥٨ ، وشأن الدعاء ص ٨٢ -٨٣ ، والمنهاج في شعب الإيمان ١/ ١٩٥ ، والأسماء والصفات للبيهقي ص٤٩ ، كتاب التوحيد لابن مندة ٢/ ٦٠ ، مفردات الراغب ص ٦٦- ٦٧ ، ٨٥٧- ٨٥٨ .

١ - الآية (٦) من سورة التوبة .

٢ - الآية (٤٧) من سورة الحاقة .

٣ - الآية (٣٢) من سورة الأحزاب .

٤ - الآية (١٩) من سورة الكهف .

٥ - الآية (٣٢) من سورة الكهف .

٦ - غاية الأماني ٢/٣٠٢ -٣٠٣ ، مجموع فتاوى ١٧/ ٢٣٧ .

٧ - بهجة قلوب الأبرار ... ص ٢٣١ .

(**الصمد**) قال الألوسي -رحمه الله - : (وأما اسم (الصمد) ، فيه للسلف أقوال متعددة ، قد يظن أنّها مختلفة ، وليست كذلك ، بل كلها صواب ، والمشهور منها قولان ، أحدهما : أن (الصمد) هو الذي لا جوف له . والثاني : أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج (١)، والأول ، هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين ، وطائفة من أهل اللغة ، والثاني : قول طائفة من السلف والخلف ، وجمهور اللغويين .

وأما اسم الصمد ، فقد استعمله أهل اللغة في حق المخلوقين.(٢)فلم يقل الله "صمد" بل قال : (الله الصمد) فبين أنه المستحق لأن يكون هو الصمد ، دون ما سواه ، فإنه المستوجب لغايته على الكمال ، والمخلوق وإن كان صمدا من بعض الوجوه ، فإن حقيقة الصمدية ، منتفية عنه ، فإنه يقبل التفرق والتجزئة ، وهو أيضا محتاج إلى غيره ، فإن كل ما سوى الله محتاج إليه من كل وجه ، فليس أحد يصمد إليه كل شيء ، ولا يصمد هو إلى شيء إلاّ الله ، وليس في المخلوقات ، إلاّ ما يقبل أن يتجزأويتفرق وينقسم وينفصل بعضه عن بعض ، والله سبحانه هو الصمد الذي ، لا يجوز عليه شيء من ذلك ، بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة ، لا يمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه ، كما لا يمكن تثنية أحديّته بوجه من الوجوه ، فهو أحد لا يماثله شيء من الأشياء ، كما قال في آخر السورة ، ﴿ **ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ (٣) ، استعملها هنا في النفي، أي ليس شيء من الأشياء كفوا له في شيئ من الأشياء ، لأنه أحد. وقال رجل

---

١ - وقد رجح هذا القول ،الزجاج ، حيث قال في كتابه : تفسير أسماء الله الحسنى ، بعد ذكر تلك الأقوال : (وأصحها أنه السيد المصمود إليه في الحوائج) ص ٥٨ . وقد روى ذلك عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهم - كما أورده ابن كثير في تفسيره ٦٠٩/٤ .

٢ - انظر : مجموع فتاوى :٢٢٤/١٧ -٢٢٦ حيث سرد أقوالا كثيرة في معنى (الصمد) وأوجه استعماله وفيما يستعمل . وسيأتي ذكر بعضها قريبا ، عن الإمام الألوسي فيما نقله عن شيخ الإسلام .

٣ - الآية (٤) من سورة الإخلاص .

للنبي ﷺ ، أنت سيدنا ، فقال : ((السيد الله))(١) . ودلّ قوله (الأحد الصمد) على أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . فإنّ (الصمد) هو الذي لا جوف له ولا أحشاء ، فلا يدخل فيه شيء ، فلا يأكل ولا يشرب ، سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى :﴿ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم ﴾ (٢) وقال: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ (٣)، ومن مخلوقاته الملائكة ، وهم صمد لا يأكلون ولا يشربون، فالخالق لهم جل جلاله، أحق بكل غنى وكمال ،جعله لبعض مخلوقاته...).(٤)

قال العلاّمة السعدي - رحمه الله - :(وتحقيق أحديته وتفرده بها ، أنه الصمد ، أي الرب الكامل والسيد العظيم ، الذي لم يبق صفة كمال ، إلاّ اتصف بها ، ووصف بغايتها ، وكمالها ، بحيث لا يحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم ، ولا تعبر عنها ألسنتهم ، وهو المصمود إليه ، المقصود في جميع الحوائج ، والنوائب ﴿ يسأله من في السَّمَٰوات والأرض كل يوم هو في شأن ﴾ (٥) (٦)، فأهل العالم العلوي والسفلي، مفتقرون إليه ، غاية الافتقار ، يسألونه حوائجهم ، ويرغبون إليه في مهماتهم ، لأنه الكامل في أوصافه ، العليم الذي قد كمل في علمه ، الحليم الذي كمل حلمه ، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، وهكذا سائر أوصافه ...) (٧) .

---

١ - هذا جزء من حديث مطرف بن عبد الله بن الشخير ، ونصه : قال :(قال أبي : انطلقت في وفد بني عامر ، إلى رسول الله ﷺ ، فقلنا : أنت سيدنا ، فقال :((السيد الله تبارك وتعالى)) قلنا : وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طولا ، فقال : ((قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستجرينّكم الشيطان)) . أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في كراهية التمادح ، ح (٤٨٠٦) ٥/١٥٤ . فمن معاني **الصمد** : السيد .

٢ -الآية (١٤) من سورة الأنعام .

٣ - الآيتان (٥٦- ٥٨) من سورة الذاريات .

٤ - غاية الأماني ٢/٣٠٢-٣٠٣ . مجموع فتاوى ١٧/ ٢١٤- ٢١٥ ، ٢٣٨ - ٢٣٩ .

٥ - الآية (٢٩) من سورة الرحمن .

٦ - بهجة قلوب الأبرار ... ص ٢٣١ .

٧ - تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٧/٦٨٦ .

المبحث الثالث :

كلام الألوسي – رحمه الله – في مقتضى بعض أسماء الله الحسنى ودلالتها على الوحدانية .

تقدم في المبحث السابق ،بيان الألوسي لمعاني بعض أسماء الله الحسنى ، وهنا أورد ما جاء عنه -رحمه الله - في مقتضى هذه الأسماء ، ودلالتها على الوحدانية .

١- قال رحمه الله مبينا لما يقتضيه لفظ الجلالة (الله) بعد أن ذكر قول ابن عباس -رضي الله عنه - في تفسيره للاسم الشريف الأقدس : (بأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، قال : فإذا كان تعالى هو صاحب ذلك ومستحقه ، اقتضى ألا يصرف لغيره ؛ لأن صرفه لغيره شرك ، وصرف للحق في غير موضعه ، وهذا يدخل فيه جميع العبادات التي يصدق عليها التأله والألوهية ، والعبادة والعبودية ، لا سيما الدعاء ، لأنه من أجلّ أنواعه) (١) ، بل هو العبادة ، كما ثبت عنه ﷺ ، قوله : ((الدعاء هو العبادة)) (٢)

٢- وقال عن (الرحمن) :

وأما اسمه (الرحمن) فإنه يقتضي أن يدعى وحده ويرجى ويسأل ،ويستغاث به في الملمّات والمهمات إذ رحمته وسعت كل شيئ ، فإن الموصوف بغاية الرحمة وسعتها ، لحريّ أن يعبد وحده لا شريك له ، ويصرف جميع أنواع العبادات له ، ودعاء غير الموصوف بهذا الوصف ، وقصده من دونه ، والتعرض للوسائط والشفعاء ، سوء ظن بصفات كماله ونعوت جلاله ، وإنما دعا إلى عبادته ودعائه ، والاستعانة به بما اتصف به من الصفات المقدسة ، والنعوت الكاملة الجميلة ، واستدلوا على ذلك بقول الخليل عليه السلام لقومه :

﴿ فما ظنّكم بربّ العالمين ﴾ (٣) أي فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره . ومن الذي ظننتم به حتى جعلتم له شركاء ، أظننتم أنه محتاج إلى الشركاء والأعوان ؟ أم ظننتم أنه يخفى عليه أحوال عباده ، حتى يحتاج إلى شركاء يعرفونه بها ، كالملوك ؟ أم لا يقدر وحده على الاستقلال بتدبيرهم وقضاء حوائجهم ؟ أم هو قاسٍ فيحتاج إلى شفعاء يستعطفونه على عباده ؟ أم ذليل يحتاج إلى وليّ يتكثر به من القلة ، ويتعزز به من الذلة ؟

---

١ - انظر : غاية الأماني ٢/٢٩٤ ، ٢٩٧ .

٢ - تقدم تخريجه ص ٣١٩ .

٣ - الآية (٨٧) من سورة الصّافات .

أم محتاج إلى ولد فيتخذ صاحبة يكون الولد منه ومنها ؟ -تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيرا - ولو قدره المشركون حق قدره ، لما أشركوا به .

٣- وعن (الرحيم) قال :

(وكذلك اسمه (الرحيم) دال على أنه هو الراحم لعباده ، البالغ في إيصال الرحمة ، فسعة الرحمة وكثرتها وإحاطتها ، من أدلة عظمة الموصوف ، وكمال صفاته ،ووجوب عبادته ، وإلهيته ، وإنابة القلوب إليه ، فالمستغيث بغيره ، الراغب إلى سواه ، فيما لا يقدر عليه غيره ، من الأمور المهمة العظام ما ليس من جنس الأسباب العامة - كمن يستغيث بالأنبياء والصالحين والملائكة ، ويرجع إليهم في حاجاته وملماته - فما أعطى هذا الاسم حقه ، ولا آمن به حق الإيمان الواجب ، ولو استشعر شيئا من كمال مدلوله وسعته وإحاطته، لما عدل بربه سواه ، ولا التفت إلى غير الرحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، ومشهد الأسماء الحسنى والصفات العليا ، مشهد عظيم ، لا يعرفه ولايسير به إلاّ الصديقون العارفون با لله ومايجب له وما يستحيل عليه .

وأما من تعلق على غيره ، والتفت إلى سواه ، وصار مبلغ علمه وغاية حذقه وفهمه، تعلقه على الأولياء والصالحين ، ورجاء رحمتهم وإحسانهم وعطفهم ، فهو محجوب عن هذا غير عارف بربه جاهل بصفات كماله ، ونعوت جلاله ، حيث قال تعالى : ﴿**قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون**﴾ (١) فسجّل على من أمر بدعاء الصالحين والاستغاثة بهم بالجهالة ، سواء سُمي ذلك توسلا ، أو تشفعا ، أو استنصارا ، أو كرامة ، أو لم يسمه .

٤- وعن (المالك) :

قال - رحمه الله - :(هو وصف كمال ومجد ، يقتضي وجوب معاملته وحده لا شريك له ، وإسلام الوجه له ، لأن الاختصاص والانفراد بالملك يوجب خوفه ورجاءه وطاعته ، والتعلق على المملوك المقهور الذي لا شركة له ولا ملك بوجه من الوجوه ،

---

١ - الآية (٦٤) من سورة الزمر .

وقصده في طلب الإعطاء والمنع والخفض والرفع ، والنجاة من النار والفوز بدار الأبـرار ، سفه وضلال مبين ، قال تعالى: ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه ﴾ (١).

(٥-٦) : وقال - رحمه الله - عن اسمي (**الأحد والصمد**) والكلمات الواردة في سورة الإخلاص : (والحاصل أن كل كلمة من كلمات هـذه السـورة تقتضـي أن يعبـد الله وحده ، وألاّ يشرك به أحد . ولا يلتجأ إلى ما سواه ، فإذا كان معنـى (أحـد) أنـه ليس كمثله شيء ، فينبغي أن يستغاث به وحده ، لأنه الكامل في صفات الكمال ، والمنزه عن صفـات النقـص ، وغـيره ليـس كـذلـك ، فكيـف يسـوغ الالتجـاء إلى النـاقص ، والاعراض عـن الكـامل ؟ وإذا كـان الله أحـد ، كـان هـو الصمـد بـأي معنـى فسـر ، فالأحديّة دليل على الصمديّة ، وهو الملجأ لا غير ، والصمدية تستلزم اتصـاف الله تعـالى بأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وكل جملة من جمل هذه السورة ، فهي دليل لما بعدها ، فمن يلد ،ليس بأحد ولا صمد ، فلا يلجأ إليه ، ولا يطلب منه ما يطلـب مـن الله الأحد الصمد الذي لم يلد ، ومن يولد كذلك ، ومن كان له كفـؤ أو نظير في ذاتـه وصفاته ، فهو لا يصلح أن يسند إليه خصائص الإلهية .

فهذه السورة على اختصارها ، جمعت من دلائل الوحدانية ما لم تشتمل سورة أخرى عليه ، ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن) (٢).

---

١ - الآية (١٣٠) من سورة البقرة .

٢ - غاية الأماني ٣٠٤/٢ . ومجموع فتاوي ٢١٤/١٧ ، وما بعدها ، عند تفسير سورة الإخلاص .

المبحث الرابع :

في تقسيم الألوسي -رحمه الله- آيات الصفات وأحاديثها .

التوطئة :(١)

وقبل ذكر تقسيم الألوسي هذه الآيات والأحاديث ، أرى من المناسب أن أورد نبذة يسيرة عن اصطلاح علماء السلف في تقسيم صفات الباري ، وهو أنهم يقسمون الصفات التي وردت في الكتاب ، ونطقت بها السنة ، إلى قسمين : **صفات ذاتية ، وصفات فعلية** .

أولا : **الصفات الذاتية** : وهي الصفات المتعلقة بذاته المقدسة التي لم يزل ولا يزال متصفا بها ، وهي لا تنفك عنه سبحانه وتعالى ، بل هي لازمة لذاته ، أزلا وأبدا ، ولا تتعلق بمشيئته وقدرته ، وهي قسمان :

أ- صفات سمعية عقلية : وهي الصفات التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي ، والدليل العقلي ، والفطرة السليمة ، كصفة الحياة ، والعظمة ، والإرادة والقوة ، والمجد والجلال ، والسمع والبصر ، والعلو والفوقية ... الخ .

ب - صفات خبرية : وهي التي لا سبيل للعقل على انفراده إلى إثباتها إلاّ بطريق السمع والخبر عن الله تعالى ، أو رسوله ﷺ ، كصفة الوجه واليدين والعين والقدم ...الخ.

ثانيا : **الصفات الفعلية** : وهي الصفات المتعلقة بمشيئته وقدرته ، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها عز وجل ، فإنه تعالى فعال لما يريد ، وهي قسمان أيضا :

أ- صفات سمعية عقلية : كالخلق ، والرزق ، والإعطاء والمنع ، والإحياء والإماتة وسائر أنواع التدبير المختلفة .

ب - صفات خبرية : كالاستواء على العرش ، والمجيء والاتيان ، والنزول إلى السماء الدنيا ، والرضا والمحبة ، والغضب والضحك ... الخ .

وفيما تقدم ، يقول الألوسي -رحمه الله- نقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (أما علوه ومباينته للمخلوقات ، فيعلم بالعقل ، وأما الاستواء على العرش ، فطريق العلم به ، هو السمع .)(٢)

---

١ - وقد استقيت هذه التوطئة ، من شرح العقيدة الواسطية ، هراس ص ٨٩ -٩٩ ، وشرح لمعة الإعتقاد لابن عثيمين ، ص ١١ - ١٢ ، وشرح العقيدة الواسطية لصالح الفوزان ص ٨١ .

٢ - التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ١/ ١٦٧ ، وغاية الأماني ١/٤٩٤ .

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية ، باعتبارين ، كصفة الكلام ، فإنه باعتبار أصل الصفة ، صفة ذاتية ، لأنه تبارك وتعالى لم يزل ولا يزال متكلما ، وباعتبار آحاد وأفراد الكلام ، صفة فعلية ، لأن الكلام متعلق بمشيئته عز وجل ، يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء ، كما قال تعالى : ﴿ **إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ (١) .

علما بأنّ الألوسي - رحمه الله - قد سلك فيما سأذكره ، منهج السلف الصالح ، المنهج القويم السليم من إثبات معانيها بلا تشبيه ولا تمثيل ، وتفويض معرفة كنهها وكيفيتها إلى الباري جل وعلا ، الذي وصف نفسه بتلك الصفات .

قال - رحمة الله عليه - بعد قوله سبحانه وتعالى : ﴿ ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير﴾ (٢): (فتأمل كيف ذكر هذا النفي تقريرا للتوحيد ، وإبطالا لما عليه أهل الشرك من تشبيه آلهتهم وأوليائهم به ، حتى عبدوهم معه ، فحرفها المحرفون ، وجعلوها ترسًا لهم في نفي صفات كماله ، وحقائق أسمائه وأفعاله .

وهذا التشبيه الذي أبطله الله سبحانه وتعالى ، نفيا ونهيا ؛ هو أصل شرك العالم ، وعبادة الأصنام) (٣) .

تقسيم الألوسي آيات الصفات وأحاديثها :

يقول -رحمة الله عليه - نقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في تقسيم هذه الآيات والأحاديث ، قال : (وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ، ستة أقسام ، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة .

قسمان يقولون : تجرى على ظواهرها .

وقسمان يقولون : هي على خلاف ظاهرها .

وقسمان يسكتون .

---

١ - الآية (٨٢) من سورة يس .

٢ - الآية (١١) من سورة الشورى .

٣ - فتح المنان تتمة منهاج التأسيس والتقديس ص ٤٦١ .

أما الأولون ، فقسمان : أحدهم من يجريها على ظاهرها ، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين ، وهولاء المشبهة ، ومذهبهم باطل ، أنكره السلف ، وإليه توجه الرد بالحق .

والثاني : من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى ، كما يجرى اسم العليم والقدير والرب والإله والموجود والذات . ونحو ذلك ، على ظاهرها اللائق بجلال الله ، فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق . إما جوهر (١) ، وإما عرض (٢) .

فالعلم والقدرة والكلام ، والمشيئة والرحمة ، والرضا والغضب ، ونحو ذلك في حق العبد ، أعراض ؛ والوجه ، واليد ، والعين ، في حق العبد أجسام (أي جوهر) .

فإذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الإثبات ، بأن له علما وقدرة وكلاما ومشيئة ، - وإن لم تكن أعراضاً ، يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين .وهذا هو الثابت عن سلف الأمة .

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها ، ويقولون : هي على خلاف ظاهرها :

---

١ - الجوهر : هو كل ما هو قائم بنفسه ، أو كل ما قامت به الصفات أو حمل الأعراض . مجموع فتاوى ١٢٤/٩ .

٢ - العرض : هو كل ما لا يدوم ولا يبقى ، أو ما يقوم بمتحيز أو جسم ، وقيل : الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أو محل ، كاللون يحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به . انظر : مجموع فتاوى ٣١/١٢-٣٢ ، والتعريفات للجرجاني ص ١٩٢ . فهذان اللفظان وغيرهما ، من الألفاظ التي ابتدعها المتكلمون لإثبات وجود الخالق سبحانه وتعالى - في زعمهم - ، غير أنه لم يأت في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ولا في كلام أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسائر أئمة المسلمين ، التكلم بها في حق الله تعالى ، لا بنفي ولا إثبات . انظر : مجموع فتاوى ١٧/ ٣١٣ . والحق الحقيق بالإتباع والموصل إلى إثبات صفات الباري ، هو كلامه سبحانه وتعالى ، وما جاء عن نبيه ﷺ ، وعن السابقين الأولين من من السلف ، لا ما ابتدعه المتكلمون من المصطلحات ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (إنه لا يوجد في كلام النبي ﷺ ، ولا أحد من الصحابة والتابعين ، ولا أحد من الأئمة المتبوعين ، أنه علق بمسمى لفظ الجوهر ، والجسم والتحيز والعرض ونحو ذلك شيئا من أصول الدين ، لا الدلائل ولا المسائل ...) . مجموع فتاوى ٣٠٧/٣ .

فقسم يتأوّلونها ، ويعيّنون المراد ، مثل قولهم : استوى : بمعنى : استولى ، أو بمعنى: علوّ المكانة والقدرة ، أو بمعنى : ظهور نوره للعرش ، أو بمعنى : انتهاء الخلق إليه ، إلى غير ذلك من معاني المتكلمين .

وقسم يقولون : الله أعلم بما أراد بها ، لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمناه .

وأما القسمان الواقفان :

فقسم يقولون : يجوز أن يكون المراد بظاهرها اللآئق با لله تعالى ، ويجوز ألاّ يكون المراد صفة لله ، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم .

وقسم يمسكون عن هذا كله ، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث ، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقريرات .

فهذه الأقسام الستة ، لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها ، والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها ، القطع بالطريقة الثابتة ... وتعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله ، بدلالة الكتاب والسنة والإجماع ...) (١) .

فهذا ملخص ما ذكره الألوسي - رحمه الله - في تقسيم آيات صفات الباري وأحاديثها ، عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله تعالى عليهما - .

---

١ - غاية الأماني ١٨٦/٢ - ١٨٧ . والفتوى الحموية الكبرى ص ٦٦ - ٦٧ ، ٦٨ .

المبحث الخامس :

في قولهم : الصفات غير الذات ، أو صفات الله غير الله .

التوطئة :

قبل أن أشرع في ذكر توضيح الألوسي لهذا القول ، لا بد من بيان أن هذا القول مما ابتدعه المتكلمون ،ولم يقل به سلف الأمة ، ولا بد أيضا من بيان ما يتعلق بلفظ **الغير** ، ولفظ **الذات** ، بما ذكره كل من شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه الإمام ابن القيم الجوزي - رحمهما الله - .

أولاً: لفظ(الغير): قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله -: (واسم الغير : فيه اصطلاحان :

أحدهما : أن الغيرين ما جاز العلم بأحدهما ، مع عدم العلم بالآخر .

و الثاني : أن الغيرين : ما جاز مفارقة أحدهما للآخر .

وعرّفا أيضا ، بأنّهما الموجودان اللذان يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر ، بوجود أو مكان أو زمان . فالغيرية ، كون الموجودين يتصور انفكاك أحدهما عن الآخر ... والأول : (يعني) أن أحد الغيرين ما جاز العلم بأحدهما ، مع عدم العلم بالآخر ، اصطلاح المعتزلة والكرامية .(١)

والثاني : وهو أن الغيرين ما جاز مفارقة أحدهما للآخر - كما تقدم - اصطلاح طوائف من الكلاّبية (٢)والأشعرية ،ومن وافقهم من الفقهاء ، من أصحاب الأئمة الأربعة. (٣)

---

١ - الكرامية : هي طائفة من طوائف المرجئة أصحاب محمد بن كرّام ، المتوفّى (٢٥٥) من أهل سجستان ، وهم يثبتون صفات الله تعالى ، بيد أنهم ينتهون فيها إلى التجسيم والتشبيه . من عقيدتهم : أن الإيمان هو الإقرار باللسان ، دون تصديق القلب ، ودون العمل ، فالمنا فقون عندهم من المؤمنين ، لأنهم يقرون بألسنتهم . انظر : الملل والنحل ١/١٠٨ -١٠٩ . والمقالات ١/٢٢٣ ، والفرق بين الفرق ص ٢٥ ، ٢٠٢ ، ٢٢٥ . والتبصير في الدين ص ١١١ ، لوامع الأنوار البهية ١/٩١ .

٢ - الكلابية : هم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان ، القائل بأن كلام الله هو الله - وقد أنكر ذلك السبكي في طبقاته ٢/٢٩٩ - ٣٠٠ والحق المبين : أنه أول من عرف عنه القول بأن الكلام : معنى واحد قائم بالنفس ، وأن الله لم يتكلم بصوت ، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : (... وليس من طوائف المسلمين من أنكر أن الله تكلم بصوت ، إلاّ ابن كلاب ومن اتبعه ، كما أنه ليس في طوائف المسلمين من قال إن الكلام معنى واحد ، قائم بالمتكلم إلاّ هو ومن اتبعه) مجموع فتاوى ٦/٥٢٨ .

وانظر عن مذهب الكلابية : مجموع فتاوى ١٢/ ٣١٢ -٣١٥ ، والبرهان للسكسكي ص ٣٦ ، والمقالات ١/٢٤٩- ٢٥٠ ، ٣٥٠ ، والملل والنحل ١/٩٣ ، والفهرست لابن النديم ص ٢٥٥ .

٣ - شرح العقيدة الأصفهانية ، لشيخ الإسلام ص ٢٠ ، ومنهاج السنة النبوية ٢/١٦٦ ، وعنه السفّاريني في لوامع الأنوار ١/١١٧ ، والمواقف للإيجي ص ٨٠ -٨١ .

ثانيا : لفظ (الذات) :

قال ابن القيم في كتابه *بدائع الفوائد* نقلا عن السهيلي ، النحوي في المراد بلفظ (الذات) قال : (وأما الذات ، فقد استهوى أكثر الناس - ولا سيما المتكلمين - فيها أنها في معنى النفس والحقيقة ، ويقولون : ذات الباري هي نفسه ، ويعبّرون بها عن وجوده وحقيقته ، ويحتجون في إطلاق ذلك بقوله ﷺ في قصة إبراهيم عليه السلام : ((ثلاث كذبات كلهنّ في ذات الله)) (١) ؛ وقول خبيب - رضي الله عنه - : " وذلك في ذات الإله " (٢) . قال : وليست هذه اللفظة - إذا استقريتها في اللغة والشريعة - كما زعموا ، ولو كان كذلك ، لجاز أن يقال : عند ذات الله ، واحذر ذات الله ، كما قال تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ (٣)، وذلك غير مسموع ، ولا يقال إلاّ بحرف (في) الجارة ، وحرف (في) للوعاء ، وهي معنى مستحيل على نفس الباري تعالى . إذا قلت : جاهدت في الله تعالى ، وأحببت في الله تعالى ، محال أن يكون هذا اللفظ حقيقة لما يدل عليه هذا الحرف من معنى الوعاء ، وإنما هو على حذف المضاف ، أي في مرضاة الله وطاعته ، فيكون الحرف على بابه ، كأنك قلت ، هذا محبوب في الأعمال التي فيها مرضاة الله ، وطاعة الله ، وأما أن تدع للفظ على ظاهره ، فمحال .

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿واتخذ الله ابراهيم خليلا﴾ الآية (١٢٥) من سورة النساء . ح (٣٣٥٨) الصحيح مع الفتح ٣٨٨/٦ .

٢ - أخرج البخاري قصة خبيب مع أصحابه - رضي الله عنهم - في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب ما يذكر في الذات والنعوت . وأسامي الله عز وجل ، ح (٧٤٠٢) الصحيح مع الفتح ٣٨١/١٣- ٣٨٣ .

ومما قاله خبيب - رضي الله عنه- :

ولست أبالي حين أقتل مسلما * على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

● المصدر السابق .

٣ - الآية (٢٨) من سورة آل عمران .

وإذا ثبت هذا ، فقوله : في ذات الله ، أو في ذات الإله ، إنما يريد في الديانة والشريعة ، التي هي ذات الإله ، فذات وصف للديانة ، وكذلك هي في الأصل موضوعها نعت لمؤنث ، ألا ترى أن فيها تاء التأنيث ، وإذا كان الأمر كذلك ، فقد صارت عبارة عما تشرف بالإضافة إلى الله تعالى ، لا عن نفسه سبحانه . وهذا هو المفهوم من كلام العرب ... فقد بان غلط من جعل هذه اللفظة عبارة عن نفس ما أضيف إليه ... (١)) .

فلما اصطلح المتكلمون على إطلاق الذات على النفس والحقيقة ، ظن من ظن أنّ هذا هو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام : ((ثلاث كذبات كلهنّ في ذات الله)) (٢) ، وقول خبيب -رضي الله عنه- (وذلك في ذات الإله) (٣)، فغلط ، واستحق التغليط ، بل الذات هنا كالجنب ، في قوله تعالى: ﴿ ياحسرتى على مافرّطت في جنب الله ﴾ (٤) ألا ترى أنه لا يحسن أن يقال هاهنا : فرّطت في نفس الله وحقيقته ؟ ، ويحسن أن يقال : فرّطت في ذات الله ، كما يقال : فعل كذا في ذات الله عز وجل ، وقتل في ذات الله ، وصبر في ذات الله ، فتأمل ذلك فإنه من المباحث العزيزة الغريبة التي يثنى على مثلها الخناصر) (٥) .

كلام الآلوسي على قولهم : الصفات غير الذات ، أو صفات الله غير الله :

علمنا في التوطئة ، المراد بلفظ (الغير والذات) ، في اصطلاح المتكلمين بهما ، والآن نعرف مراد النفات بهذه العبارة :

---

١ - إلى هنا انتهى كلام السهيلي ، وقد راجعت بعض كتبه ، -كنتائج الفكر في النحو ، والتعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسامي والأعلام - فلم أعثر على هذا الكلام .

٢ - تقدم تخريجه في ٤٦٣ .

٣ - تقدم في ص٤٦٣ .

٤ - الآية (٥٦) من سورة الزمر .

٥ - بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ٧ - ٨ .

قال –رحمة الله عليه – سالكا لمنهج السلف الصالح ، في بيانه : (إن) لفظ الغير قد يراد به المباين المنفصل ، ولهذا لم يطلق السلف وسائر الأئمة ، على القرآن وسائر صفات الله ،أنها غيره ، ولا أنها ليست غيره . لأن لفظ (الغير) فيه إجمال ،قد يراد به المباين المنفصل ،فلا يكون صفة الموصوف أو بعضه داخلا في لفظ الغير ، وقد يراد به ما يمكن تصوره ، دون تصور ما هو غير له ، فيكون غيرا بهذا الاصطلاح ، ولهذا تنازع أهل النظر في مسمى (الغير) ، والنزاع في ذلك لفظي (١)، ولكن بسبب ذلك حصل في مسائل الصفات من الشبهات (٢) ، ما لا ينجلي إلاّ بمعرفة ما وقع في الألفاظ من الاشتراك والابهامات ؛ ... ولهذا يفرق بين قول القائل : لصفات غير الذات ، وبين قوله : صفات الله غير الله ، فإن الثاني باطل ، لأن مسمى اسم الله ، يدخل فيه صفاته ، بخلاف مسمّى الذات ، فإنه لا يدخل فيه الصفات ، ولهذا لا يقال : صفات الله زائدة عليه ، وإن قيل : الصفات زائدة على الذات ، لأن المراد هي زائدة على ما أثبته المثبتون من الذات (٣)، والله تعالى هو الذات الموصوف بصفاته اللآزمة ، فليس اسم الله متناولا لذات مجردة عن الصفات أصلا . ولا يمكن وجود ذلك ، ولهذا قال الإمام أحمد – رحمه الله – في مناظرته للجهمية : (لا نقول : الله وعلمه ، الله وقدرته، الله ونوره ، ولكن نقول: الله بعلمه وقدرته ونوره ، وهو إله واحد ...) (٤) (٥).

---

١ - كما تقدم في كلام شيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله تعالى ص ٤٦٢ .

٢ - قال السفاريني – رحمه الله – :(وبهذه الشبهة ، نفت المعتزلة الصفات عن الذات ، لأنهم قالوا : إما أن تكون الصفات حادثة ، فيلزم قيام الحوادث بذاته ، وخلوه تعالى في الأزل عن العلم والقدرة والإرادة والحياة ، وغيرها من الكمالات . وصدورها عنه تعالى بالقصد والاختيار ، أو بشرائط حادثة ، والجميع باطل بالإتفاق . **وإما** أن تكون قديمة. فيلزم تعدد القدماء . وهو كفر بإجماع المسلمين ،وقد كفّر النصارى (بقولهم) ثلاثة قدماء ، فكيف بالأكثر ؟ والجواب : إنما المحظور في تعدد القدماء المغايرة ، ونحن نمنع تغاير الذات مع الصفات ، والصفات بعضها مع بعض . فينتفي التعدد والتكثر ...) لوامع الأنوار ٢١٧/١ .

٣ - لعل الألوسي – رحمه الله – يعني المعتزلة ، الذين أثبتوا ذاتا مجردة عن الصفات ؛ وذلك هو التوحيد عندهم انظر : لوامع الأنوار البهية ٧٦/١ .

٤ - الرد على الجهمية والزنادقة ، للإمام أحمد ، تحقيق عبد الرحمن عميره ص ١٣٣- ١٣٤ .

٥ - غاية الأماني ٢/ ٣٣٩ .

وقال الإمام البيهقي (١)- رحمه الله - : (ونعتقد في صفات ذاته أنها لم تزل موجودة بذاته ، ولا تزال موجودة به ، ولا نقول فيها : إنها هو ، ولا غيره ، ولا هو هي ، ولا غيرها ، و لله أسماء وصفات يستحقها بذاته ...) (٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في بيان ما عليه السلف الصالح ، في هذه المسألة : (والذي عليه سلف الأمة وأئمتها ، إذا قيل لهم : علم الله ، وكلام الله ، هل هو غير الله ، أم لا ؟ لم يطلقوا النفي ولا الإثبات ، فإنه إذا قيل : هو غيره ، أوهم أنه مباين له ، وإذا قيل : ليس غيره ، أوهم أنه هو ، بل يستفصل السائل ، فإن أراد بقوله غيره ، أنه مباين له منفصل عنه ، فصفات الموصوف لا تكون مباينة له ، منفصلة عنه ، - وإن كان مخلوقا - فكيف بصفات الخالق ؟ وإن أراد بالغير أنها ليست هي هو ، فليست الصفة هي الموصوف ، فهي غيره بهذا الاعتبار ، واسم (الرب) إذا أطلق يتناول الذات المقدسة بما يستحقه من صفات الكمال ، ويمتنع وجود الذات عريّة عن صفات الكمال ، فاسم الله جل وعزّ ، يتناول الذات الموصوف بصفات الكمال ، وهذه الصفات ليست زائدة على هذا المسمى ، بل هي داخلة في المسمي ، ولكنها زائدة على الذات المجردة التي أثبتها نفاة الصفات ، فأولئك لما زعموا أنه ذاتٌ مجردة ، قال هؤلاء : الصفات زائدة على ما أثبتوه من الذات ، وأما نفس الأمر ، فليس هناك ذات مجردة ، تكون الصفات زائدة عليها ، بل الرب تعالى ، هو الذات المقدسة ، الموصوفة بصفات الكمال ، وصفاته داخلة في مسمى أسمائه سبحانه وتعالى) (٣).

---

١ - هو الشيخ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، ولد سنة (٣٨٤) صاحب التصانيف الكثيرة ، منها الأسماء والصفات ، والجامع لشعب الإيمان ، وغيرهما توفي -رحمه الله - سنة (٤٥٨) بنيسابور . انظر : الكامل لابن الأثير ١٠٤/٨ ، وشذرات الذهب ٣٠٤/٣ ، والنجوم الزاهرة ٨٧/٥ ، وتذكرة الحفاظ ١١٣٢/٣ ، وكشف الظنون ٥٣/١ .

٢ - الأسماء والصفات ص ١١٠ .

٣ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١٥٦/٢ وما بعدها ، وعنه السفاريني في لوامع الأنوار ٢١٨/١ - ٢١٩.

وعلى سبيل المثال : أن يقول قائل : أعوذ با لله ، مثلا ، فإنه قد استعاذ بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدسة ، الثابتة التي لا تقبل الانفصال بوجه من الوجوه . وإذا قال : أعوذ بعزة الله وقدرته : فقد استعاذ بصفتين من صفات الله تعالى ، ولم يستعذ بغير الله ، لأن المصطفى ﷺ ، لا ولن يستعيذ بغير الله ، وهو القائل : ((أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)) (١) .

لذلك يقول العلاّمة ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - : (وقد يقول بعضهم : الصفة لا عين الموصوف ولا غيره . هذا له معنى صحيح ، وهو : أن الصفة ليست عين ذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجرّدة ، بل هي غيرها ، وليست غير الموصوف . بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد)(٢) والله أعلم .

---

١ - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام ، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء . ح (٢٢٠٢) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٤/ ٤٣٩ - ٤٤٠ .

٢ - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣٠ .

المبحث السادس :

الكلام على صفة العلو ولفظ الجهة .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الكلام على صفة العلو والفوقية .

المطلب الثاني : الكلام على لفظ الجهة .

توطئة :

قال الألوسي – رحمه الله – (وأما إثبات صفات الكمال ، فهو أصل التوحيد)(١)
وقد تكلم –رحمه الله تعالى ، على بعض صفات الله تعالى ، الثابتة في الكتاب والسنة ، ذلك في معرض ردوده على النفاة ، كالنبهاني . الذي أنكر بعض الصفات ، وكفر من يثبتها من السلف الصالح وأتباعهم . وسأبين – إن شاء الله تعالى – الصفات التي تعرض لها الألوسي بالشرح والبيان ، والرد على النفاة فيها ، في المباحث الثلاثة الآتية (٢) .

المطلب الأول : الكلام على صفة العلو والفوقية :

وهي من الصفات الذاتية الثابتة لله سبحانه وتعالى ، على ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، قال الألوسي – رحمه الله – نقلا عن النبهاني بعد كلام له على لفظ الجهة ، وتكفير القائل بها (٣): (ولما كان كتبه – يعني ابن تيمية رحمه الله – قد طبعت

---

١ – فتح المنان ص ٤٦١ .

٢ – ابتداء من هذا المبحث (السادس) إلى الثامن .

٣ – ومما قاله في رائيته الصغرى التي رد عليها الألوسي بكتاب أسماه : *الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى*" قال :(أي النبهاني) :

وهم باعتقاد الشرك أولى بقصرهم * على جهة العلو خالقنا قصرا
هو الله رب الكل جل جلاله * فما جهة بالله من جهة أحرى

الخ ...

قال الألوسي : (يريد بهذه الأبيات الطعن على السلف ، في إثبات صفة الفوقية والعلو ، التي نطقت بها الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية) [الآية الكبرى (مخطوط) ص ٨-٩] .

ثم إننا نجد أن أمية بن أبي الصلت أعرف بالله من النبهاني ، حيث أثبت له تعالى صفة العلو والفوقية ، قال:

إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه * إله ورب يكون مدانيا
وأشهد أن لا شيئ فوقه * عليا وأمسى ذكره متعاليا

وقال :

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره * ومن هو فوق العرش فرد موحد
مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وقال في وصف الملائكة :

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه * يعظم ربا فوقه ويمجد .

أمية بن أبي الصلت ، حياته وشعره ص ٣٦٨ ، وغاية الأماني ١/ ٤٥٣ .

إن من ينظر إلى قول هذا الجاهلي – الذي لم يكن مسلما يوما واحدا – ظنه من أتقى الأتقياء وأعلمهم =

ونشرت ، وكان فيها مسائل في عقا ئد أهل السنة والجماعة ،من الأشاعرة والماتريدية(١)، كان من اللازم على أكابر العلماء في العصر ، أن يتصدوا لبيان تلك المسائل ، التي وقع فيها مخالفة أهل السنة ، والتنبيه عليها ، ليحذرها الناس خوفا عليهم من تشويش عقائدهم . ولما كان من أهم تلك المسائل ، القول باعتقاد الجهة (٢)، وهو كما ترى - وإن تستر بعض الحنابلة ، بنفيه عنه،وعدم اعتقاده إياه - فهو مصرِّح باعتقاده ...الخ (٣).

قال الشيخ الألوسي -رحمه الله - : (أقول في الجواب على كلام النبهاني هذا ، ومنه سبحانه التوفيق : إن مسألة العلو والاستواء والنزول ، من غوامض المسائل ، والنزاع (٤) فيها قديما وحديثا ، من المشهور بين العلماء . وقد ألف فيها كتب مفصلة ، وفرغ أهل العلم منها ، نفيا وإثباتا .

ومن المعلوم لدى كل منصف ، أن النبهاني ليس من رجال هذا الميدان ، ولا ممن يعد في زمرة ذوي العرفان ... إلى أن قال : ... وبناء على تعرض هؤلاء الغلاة لهذه المسألة ، وجب التصدّي لردّ إفكهم ودفع شركهم ، ببيان ما يعارضهم من النصوص ، وما يناقضهم من البناء المرصوص . فنقول : إنّ النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في هذا الباب مما لا يحصيها أولوا الألباب . منها :

= بربه سبحانه وتعالى وصفاته العليا ، كما يفيد كلامه هذا ، بعيدا عما يزعمه النبهاني - الذي يدعي الإيمان والمعرفة التامة بربه - وهو في ذلك أجهل من حمار أهله .

١ - الماتريدية : فرقة كلامية ، تنتسب في نشأتها ، إلى محمد بن محمود بن محمد المعروف بأبي منصور الماتريدي المتوفي سنة (٣٣٣هـ) ، وهي أقرب الفرق إلى أهل السنة والجماعة ، في باب الأسماء والصفات ، فهم يثبتون الاستواء على العرش ، دون تأويله . انظر : مقدمة كتابه : التوحيد ص١- ٧ ، و أهم الفرق الإسلامية لمحمد الطاهر ص ٩٥ - ١٠٠ ، و فرق معاصرة ، للشيخ غالب عواجي ٢/٨٦٩ - ٨٧١ .

٢ - يريد بهذا الكلام نفي ما يثبته شيخ الإسلام من صفة العلو والفوقية .

٣ - انظر : شواهد الحق للنبهاني ص ١٣٢ وما بعدها ، وغاية الأماني ١/ ٤٤٢ .

٤ - يشير الألوسي -رحمه الله - إلى النزاع الواقع بين أهل السنة والجماعة ، وبين النفاة من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم .

قوله تعالى: ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ (١) ،وفي تفسير روح المعاني، بعد أن ذكر كلام المؤولين : إن الداعي إلى التزام ذلك كله ، أن ظاهر الآية يقتضي القول بالجهة ، والله تعالى منزه عنها (٢)، لأنها محدثة باحداث العالم ، وإخراجه من العدم إلى الوجود .ويلزم أيضا من كونه سبحانه وتعالى في جهة ، مفاسد لا تخفى (٣)، وأنت تعلم أن مذهب السلف إثبات الفوقية لله تعالى،كما نص عليه الإمام الطحاوي(٤) (٥) وغيره . واستدلوا لذلك بنحو ألف دليل، وقد روى الإمام أحمد – رحمه الله– من حديث الأوعال (٦)، عن العباس رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: ((والعرش فوق ذلك ، والله فوق ذلك كله)) (٧).

وروى أبو داود عن جبير(٨) بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه عن جده . قوله ﷺ للرجل الذي استشفع بالله عليه : ((ويحك أتدري ما الله تعالى ؟ إن الله تعالى فوق عرشه ، وعرشه فوق سماواته)) وقال بأصبعه مثل القبة ((وإنه ليئط (٩) به أطيط

---

١ – الآية (١٨) من سورة الأنعام .

٢ – وذلك إذا قصد بها شيء موجود مخلوق ، فلا شك أن الله تعالى منزه ،عن أن يحوزه شيء من مخلوقاته .

٣ – عدا جهة العلو ، لأن الثابت في الكتاب والسنة أنه تعالى في السماء ، مستو على عرشه .

٤ – انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٥ وما بعدها .

٥ – هو عالم الديار المصرية في وقته ، الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي ، المتوفى سنة (٣٢١) من مصنفاته : أحكام القرآن ، واختلاف العلماء ، ومعاني الآثار ، ومشكل الآثار .
انظر :الفوائد البهية ص ٣١–٣٤ ، مرآة الجنان ٢ /٢٨١ ، حسن المحاضرة للسيوطي ١ /٣٥٠ ، ٥٥٣.

٦ – الأوعال : المقصود به : الملائكة . انظر النهاية ٥/٢٠٧ ، مادة " وعل" .

٧ – مسند الإمام أحمد ١/٢٠٦ – ٢٠٧ ، وأخرجه أبو داود بطوله في سننه ، كتاب السنة ، باب في الجهمية ، ح (٤٧٢٣) ٥/٩٣– ٩٤ . والترمذي في سننه ، كتاب التفسير ، باب من سورة الحاقة ، ح (٣٣٢٠) ٥/٤٢٤ . وقال : (هذا الحديث حسن غريب) وضعف الألباني إسناده في تخريج كتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٢٥٣– ٢٥٤ ، ح (٥٧٧) .

٨ – هو جبير بن محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد المناف القرشي النوفلي ، روى عن أبيه عن جده ، وعنه يعقوب بن عتبة بن المغيرة ، وحصين بن عبد الرحمن ، ذكره ابن حبان في الثقات . تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٢/٦٣ ، كتاب الثقات لابن حبان ٦/١٤٨ .

٩ – الأطيط : من أطّ الرحل ، يئط أطًا وأطيطا ، أي صوت الرحل الجديد . اللسان ٧/٢٥٦ ، مادة " أطط " والقاموس المحيط ٢/٣٦٢ ، مادة " أطّ " .

الرحل الجديد بالراكب)) (١) . ومن حديث صحيح أن النبي ﷺ قال لسعد ، يوم حكم في بني قريظة : ((لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات)) (٢). وروى ابن ماجة يرفعه قال : ((بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفعوا إليه رؤسهم ، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ، وقال : يا أهل الجنة ، سلام عليكم ، ثم قرأ ﷺ قوله تعالى : ﴿سلام قولا من ربّ رحيم﴾ (٣) فينظر إليهم ، وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه)) (٤) . وأنشد عبد الله بن رواح بين يدي رسول الله ﷺ أبياته التي عرض بها عن القراء ة لأمرأته ، حين اتهمته بجاريته ، وهي :

شهدت بأن وعد الله حق * وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد * ملائكة الإله مسوّمينا(٥)

فأقره ﷺ على ما قاله ، وضحك منه . (٦)

---

١ - سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب الجهمية ، ح (٤٧٢٦) ٥/٩٤-٩٥ . و الشريعة للأجري ص ٢٩٣ ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة ، ح (٥٧٥) باب في تعجب ربنا من بعض ما يصنع عباده ، مما تقرب به إليه ص ٢٥٢ ، قال الألباني في تحقيقه لهذا الكتاب : (اسناده ضعيف) نفس الصفحة . وقال في تحقيقه للرد على الجهمية للدارمي ص ٢٤ : (لا يصح في أطيط العرش حديث) .

٢ -أخرج الحديث البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٢٠ ، و ابن قدامة المقدسي في إثبات صفة العلو مع اختلاف يسير في اللفظ ص ١٠٨ ، والذهبي في العلو ص ٣٢ ، وقال : (هذا مرسل) .

٣ - الآية (٥٨) من سورة يس .

٤ - سنن ابن ماجة ح (١٨٤) المقدمة ١/٦٥-٦٦، وعنده : (فإذا الربّ) بدلا من (فإذا الجبار جل جلاله) قال الألباني(ضعيف) .انظر: ضعيف سنن ابن ماجة ص(١٤) ح (٣٣) ومشكاة المصابيح ح(٥٦٦٤ ٣/١٠٠بتخريج الألباني

٥ - والثابت في ديوان عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه- عن البيت الأخير هو :

وتحمله ملائكة كرام * ملائكة الإله مقربينا .

ص ٩٢ ضمن شعره في ذكر الإسلام ورسوله الكرام ﷺ .

٦ - أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٢٧ ، والذهبي في العلو ص ٤٢ ، قال : (قلت : روي من وجوه مرسلة منها : يحي بن أيوب المصري ، حدثنا عمارة بن غزية ، عن قدامة بن محمد بن ابراهيم الحاطبي فذكره ، فهو منقطع . وقد ترجم له الذهبي في الميزان ، قال : قال ابن عدي : وهو عندي صدوق ، وقال ابن معين : صالح الحديث ، وقال أحمد : سيء الحفظ ، وقال ابن القطان العا سي : هو ممن علمت حاله وأنه لا يحتج به ... ٣٦٢/٤ .

وكذا أنشد حسان بن ثابت - رضي الله تعال عنه - قوله :

شهدت بإذن الله أن محمدا * رسول الذي فوق السَّموات من عل. (١)

فقال النبي ﷺ : ((وأنا أشهد)) (٢).

وروى عكرمة عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهم - في قوله تعالى - حكاية عن إبليس -: ﴿ ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴾ (٣) أنه قال: لم يستطع أن يقول : ومن فوقهم . لأنه قد علم أن الله سبحانه وتعالى من فوقهم .

والآيات والأخبار التي فيها التصريح بما يدل على الفوقية . - كقوله تعالى :﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ (٤) وقوله : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ (٥) وقوله : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ (٦)وقوله : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ (٧) وقوله ﷺ ، فيما رواه مسلم : ((وأنت الظاهر فليس فوقك شيء)) (٨)-كثيرة جدا . وكذلك كلام السلف في ذلك ، فمنه : ما رواه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري (٩) في كتابه : *الفاروق* (١٠) ، بسنده إلى أبي مطيع البلخي (١١)، أنه سأل

---

١ - ديوان حسان بن ثابت ص ٣٠٥ . برقم (٢٠٥) ، تحقيق سيد حنفي حسنين .

٢ - أورده الذهبي في العلو ، ص ٤٠ . وقال : (هذا مرسل) . وابن قدامة في لإثبات صفة العلو ص ١٠٦. تحقيق شيخنا الدكتور ، أحمد عطية الغامدي .

٣ - الآية (١٧) من سورة الأعراف .

٤ - الآية (١) من سورة الزمر .

٥ - الآ ية (١٠) من سورة فاطر .

٦ - الآية (١٥٨) من سورة النساء .

٧ - الآية (٤) من سورة المعارج .

٨ - صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ... باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، ح (٢٧١٣) ٤/٢٠٧٤.

٩ - هو الإمام القدوة الحافظ أبو اسماعيل ، عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر الأنصاري الهروي . ولد سنة (٣٩٦هـ) ، من مصنفاته : ذم الكلام ، ومنازل السائرين ، توفي -رحمه الله- سنة (٤٨١هـ) ، وقيل : (٤٨٠هـ) عن أربع وثمانين سنة . انظر : سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٠٣ - ٥١٨ . وطبقات الحنابلة ٢/٢٤٧ -٢٤٨ . والمنتظم ٩/٤٤- ٤٥ . وتذكرة الحفاظ ٣/١١٨٣ - ١١٩١ .

١٠ - لم أعثر عليه .

١١ - أبو مطيع البلخي:هو الحكم بن عبد الله بن مسلم بن عبد الرحمن القاضي البلخي روى (الفقه الأكبر) عن أبي حنيفة رحمه الله وكان بصيرا ، علامة ، كبيرا . توفي سنة (١٩٩) . انظر العبر ١/٢٥٧ - ٢٥٨ . وميزان الاعتدال ١/٥٧٤ - ٥٧٥ . والفوائد البهية ص ٦٨ .

أبا حنيفة -رحمه الله- عمن قال : لا أعرف ربي سبحانه في السماء أو في الأرض ؟ فقال: قد كفر،لأن الله تعالى يقول:﴿الرحمن على العرش استوى﴾(١)وعرشه فوق سبع سموات ، فقال : قلت : فإن قال : إنه على العرش ، ولكن لا أ دري العرش في السماء أم في الأرض ؟ فقال-رحمه الله- : هو كافر ، لأنه أنكرآية في السماء ، ومن أنكر أنه في السماء فقد كفر . وزاد غيره : لأن الله تعالى في أعلى عليين ، وهو يدعى من أعلى ، لا من أسفل . انتهى .

وأيد قوله بالفوقية أيضا :بأن الله تعالى لما خلق الخلق ، لم يخلقهم في ذاته المقدسة - تعالى عن ذ لك- فإنه الأحد الصمد ، الذي لم يلد و لم يولد ، فتعيّن أنه خلقهم خارجا عن ذ اته ، ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات - مع أنه قائم بنفسه ،غير مخالط للعالم - لكان متصفا بضد ذ لك ، لأن القابل للشيئ لا يخلو منه ، أو من ضده ، وضد الفوقية السفول ، وهو مذموم على الإطلاق .

والقول بأنا لا نسلم أنه قابل للفوقية ، حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها ، مدفوع بأ نه سبحانه لو لم يكن قابلا للعلو والفوقية ، لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها ، فمتى سلم بأنه جل شأنه ذات قائم بنفسه ، غير مخالط للعالم ، وأنه موجود في خارج الأذهان قطعا ، وقد علم كل العقلاء بالضرورة ، أن ما كان وجوده كذ لك ، فهو إما داخل العالم ، وإما خارج عنه ، وإنكار ذ لك إنكار ما هو أجلى البديهيات ، فلا يستدل بدليل على ذ لك ، إلاّ كان العلم بالمباينة أظهر منه و أوضح .

وإذا كان صفة الفوقية صفة كمال ، لا نقص فيها ، ولا يوجب القول بها مخالفة كتاب ولا سنة ولا إجماع ، كان نفيها عين الباطل ، لا سيما الطباع مفطورة على قصد

١ - الآ ية (٥) من سورة طه .

جهة العلو عند التضرع إلى الله تعالى ...) (١) - إلى أن قال رحمه الله تعالى - مبينا لمذهب السلف الصالح ، في صفة الفوقية والعلو : (إن مذهب السلف إثبات الفوقية لله تعالى - بجميع معانيها - فالفوقية بمعنى الفوقية في الفضل ، مما يثبتها السلف لله تعالى أيضا ، وهي متحققة في ضمن الفوقية المطلقة ، وكذا يثبتون فوقية القهر والغلبة ، كما يثبتون فوقية الذات ، ويؤمنون بجميع ذلك على الوجه اللآئق بجلال ذاته ، وكمال صفاته سبحانه وتعالى ،منزهين له سبحانه وتعالى عما يلزم ذلك ، مما يستحيل عليه جل شأنه ، ولا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض . ولا يعدلون عن الألفاظ الشرعية ، نفيا ولا إثباتا ، لئلا يثبتوا معنى فاسدا ، أو ينفوا معنى صحيحا ، فهم يثبتون الفوقية كما أثبتها الله تعالى لنفسه ...) (٢) .

المطلب الثاني : كلامه عن لفظ الجهة :

يقول الألوسي - رحمه الله تعالى - عن جده المفسر: (وأمالفظ الجهة ، فقد يراد به ما هو موجود ، وقد يراد بها ما هو معدوم ، ومن المعلوم أنه لا موجود إلاّ الخالق والمخلوق ، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله ، كان مخلوقا ، والله تعالى لا يحصره شيء ، ولا يحيط به شيئ من المخلوقات - تعالى عن ذلك - وإن أريد بالجهة أمر عدمي ، وهو ما فوق العالم ، فليس هناك إلاّ الله تعالى وحده ، فإذا قيل : إنه تعالى في جهة ، بهذا الاعتبار ، فهو صحيح عندهم ،ومعنى ذلك أنه فوق العالم ، حيث انتهت المخلوقات ، ونفاة لفظ الجهة ، الذين يريدون بذلك نفي العلو ، يذكرون من أدلتهم ،أن الجهات كلّها مخلوقة(٣) وأنه سبحانه كان قبل الجهات ، وإنه من قال : أنه تعالى في جهة ، يلزمه

---

١ - غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/ ٤٤٢ - ٤٤٥ ، وروح المعاني للألوسي - الجد- ٤/١١٤-١١٥ .

٢ - غاية الأماني ٤٤٦/١،والآية الكبرى على ضلال النبهاني(مخطوط) ص٩ وروح المعاني للألوسي (الجد)٤/١١٦

٣ - كالنبهاني وأضرابه الذين ذهبوا إلى إنكار تلك الصفة وغيرها من الصفات الثابتة ، حيث قال في رائيته الصغرى :

تأمل تجد هذا العوالم كلها * بنسبة وسع لله كالذرة الصغرى .

فحينئذ أين الجهات التي بها * على الله من حمق بهم حكموا الفكرا

وإن اختلاف للجهات محقق * فكم ذا من الأقطار قصرا علا قطرا =

القول بقدم شيء من العالم ، وأنه جل شأنه كان مستغنيا عن الجهة ثم صار فيها ، وهذه الألفاظ ونحوها تنزل على أنه عز اسمه ليس في شيئ من المخلوقات ، سواء سمي جهة أم لم يسم ، وهو كلام حق ،ولكن الجهة ليست أمرا وجوديا بل هو أمر اعتباري ، ولا محذور في ذلك .(١)

ثم نقل – عليه الرحمة – عن شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – مبينا لمسلك الذي يجب أن ينتهج في مثل هذه الألفاظ ،التي ابتدعها أسلاف النبهاني ، ثم انتحلها بقصد نفي صفة العلو : (قال شيخ الإسلام – قدس الله روحه –: ... وما تنازع فيه المتأخرون نفيا وإثباتا فليس على أحد ، بل ولا له أن يوافق أحدا على إثبات لفظ أو نفيه حتى يعرف مراده ، فإن أراد حقا قبل ، وإن أراد باطلا رد ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل ، لم يقبل مطلقا ، ولم يردّ جميع معناه ، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى ، كما تنازع الناس في الجهة .

فلفظ الجهة قد يراد به شيئ موجود غير الله ، فيكون مخلوقا ، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السماوات ، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم ، ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ، ولا نفيه ، كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية ، والعروج إليه ونحو ذلك ، وقد علم أنه ما ثَمَّ موجود إلاّ الخالق والمخلوق ، والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ،ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، فيقال لمن نفى الجهة : أتريد بالجهة أنها شيئ موجود مخلوق ؟ فالله ليس داخلا في المخلوقات ، أم تريد بالجهة ما وراء العالم ، فلا ريب أن الله فوق العالم بائن من مخلوقاته ، وكذلك يقال لمن قال: الله في جهة ، أتريد

= وكل علو فهو سفل وعكسه * وقل نحو هذا في اليمين وفي اليسرى

فمن قال علو كلها فهو صادق * وذلك قد يقضي بآلهة أخرى

ومن قال سفل كلها فهو صادق * فليس لهم رب على هذه يدرى

انظر : الآية الكبرى على ضلال النبهاني ص٩ ،(مخطوط) .

١ – غاية الأماني ١/٤٤٧ ، وروح المعاني ٤/١١٦ .

بذلك أن الله فوق العالم ، أم تريد أن الله داخل في شيء من المخلوقات ؟ فإن أردت الأول فهو حق ، وإن أردت الثاني فهو باطل) .(١)

وهكذا يوضح لنا العلامة الألوسي - رحمه الله - أن النبهاني أجنبي عن هذه المطالب ، وليس من فرسان هذا الميدان ، فإنه لا يفرق بين الجهات ،(٢) ولا بين الأرض والسماوات ، ولو طالع الرد الذي عليه ، وكان له فطنة وذكاء ، ما هذى بهذا الهذيان . على أن قوله :

(تأمل تجد هذا العوالم كلها * بنسبة وسع الله كالذرة الصغرى).(٣) رد عليه ، فإن العوالم إذا كانت كالذرة الصغرى بالنسبة إلى عظمة الله ، فلا شك أن الله بائن عنها ،إذ ليست مخلوقة في ذاته المقدسة - تعالى الله عن ذلك - ، فإنه الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، فإذا بان عنها تحققت الفوقية ، فإنّ التحت مركز كرة الأرض ، فكل ما علاه فهو فوق ، فالدليل الذي أورده بزعمه ،على خصومه ، أبطل قوله ، وأصاب نحره بسهمه ، والجاهل عدو نفسه . ومن مزيد ضلاله وفاسد أقواله ، نسبة الشرك إلى من يقول بالعلو والفوقية ، وهو قول الأنبياء والأصفياء ، والزهاد والأولياء ، وجميع الكتب السماوية ناطقة بذلك ، ويكفيه ذلك خزيا وجهلا ، وغيّا وضلالا ،ونعوذ بالله من المقت والخذلان ، والكفر والطغيان ، وهكذا أعداء الحق ، لم يزالوا مخذولين - والحمد لله - بيّن الخلق) (٤).

---

١ - غاية الأماني ١/٤٩٣ - ٤٩٤ . والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ١/١٣٦ - ١٣٩ .

٢ - كما يظهر ذلك في أبياته التي تقدم ذكرها ، في هامش ص ٤٧٦ . وهي من رائيته الصغرى .

٣ - من رائيته الصغرى كما تقدم .

٤ - الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى ص ٩ - ١٠ ، (مخطوط) .

المبحث السابع :

ويتضمن بيان استواء الله تعالى على عرشه .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الألوسي - رحمه الله للاستواء .

المطلب الثاني : ما ذكره - رحمه الله- عن ابن القيم الجوزية من أقوال الأئمة الأربعة ، وأصحابهم والمحدثين والمفسرين .

المطلب الأول : تعريف الألوسي - رحمه الله - للاستواء :

قال – عليه الرحمة – : (استوى : علا إليها وارتفع من غير تكييف ، ولا تمثيل ،ولا تحديد ، أو قصد إليها بإرادته قصداً سويا بلا صارف يلويه ، ولا عاطف يثنيه ، قال: قاله ربيع (١)) (٢).

وقال -رحمه الله - في معنى قوله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ ،(٣)معناه : أنه استوى عليه استواء يليق بذاته ، لا أنّ المراد (استولى) كما ذهب إليه المعاندون ، واعتقدوا أن ليس فوق العرش إله يعبد ، مع أنّ نصوص الكتاب والسنة ، ترغم أنوفهم ، وكلام السلف في هذا الباب مشهور) (٤).

وقال – رحمه الله – عن ابن عبد البر : (...والاستواء معلوم ، وفي اللغة مفهوم ، وهو العلو والارتفاع على الشيء ، والاستقرار والتمكن فيه ... وعنه أيضا : الاستواء الاستقرار في العلو ، وبهذا خاطبنا الله في كتابه ، وقال :﴿لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ﴾(٥)وقال:﴿ واستوت على الجودى ﴾(٦)) .(٧)

---

١ – هو الربيع بن أنس بن زياد الخرسانى البكري ، بصري ، سكن " مرو " سمع أنس بن مالك – رضي الله عنه وكان راوية أبي العالية . قال الذهبي – رحمه الله – : سجنه أبو مسلم تسعة أعوام ، وتحيل ابن المبارك ، حتى دخل إليه فسمع منه . توفي –رحمه الله – سنة (١٣٩هـ) . سير أعلام النبلاء ٦/١٦٩-١٧٠ ، وكتاب مشاهير علماء الأمصار : لمحمد بن حبان البستي ص ١٢٦ ، والجرح والتعديل ٣/٤٥٤ .

٢ – انظر : ما دل عليه القرآن ، مما يعضد الهيئة الجديدة ، الألوسي ص ١٨ .

٣ – الآية (٥٤) من سورة الأعراف .

٤ – ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة ص ٤٧ . وللوقوف على كلام السلف الصالح في ذلك ، يراجع : إثبات صفة العلو لابن قدامة ، وكتاب العرش لأبي بكر بن أبي شيبة ، تحقيق محمد بن حمد الحمود ، وكتاب العرش ، لأبي عبيد الهروي ، ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية ٢٩ / ١ ص ٢٠ ، رمضان ١٤٠٥ ، والرسالة العرشية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ضمن مجموع فتاوى ٦/ ٥٤٥ – ٥٨٤ ، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ، و شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/٣٨٧ – ٤٠٢ .

٥ – الآية (١٣) من سورة الزخرف .

٦ – الآية (٤٤) من سورة هود .

٧ – غاية الأماني ١/٤٥٢ ، والتمهيد لابن عبد البر ٧/١٣١ ، ١٣٧ .

وبهذا المعنى الموجز الذي ذكره الألوسي – رحمه ا لله – للاستواء ، يفهم أنه يثبت صفة الاستواء لله تبارك وتعالى ، على ما يليق بجلاله وعظمته ، بما تقرر في الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، وهي من الصفات التي تدل على عظمة ا لله تعالى وعلوه المطلق على خلقه .

المطلب الثاني :

في ذكر بعض ما نقله الأ لوسي . عن ابن القيم من أقوال الأئمة الأربعة وأصحابهم (١). تتمة الرد على النبهاني في نفيه هذه الصفة .

سوف أقتصر في هذا المطلب على بعض أقوال الأ ئمة الأربعة – رحمهم ا لله – مع الالتزام بما يناسب المقام ، فأ قول وبا لله التوفيق :

أولا : قول الإمام الأعظم ، أبي حنيفة – رحمه ا لله – فيمن قال : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض ؟ فقل: فقد كفر ... (وقد تقدم قوله هذا بتمامه) (٢) .

ثانيا : قول إمام دار الهجرة ، مالك بن أنس – رحمه ا لله – ما ذكره ابن عبد البر في التمهيد بسنده ، قال : قال مالك بن أنس : (ا لله في السماء وعلمه في كل مكان ، لا يخلو منه مكان) قال : قيل لمالك : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (٣) كيف استوى ؟ فقال –رحمه ا لله تعالى –: (استواؤه معقول ،وكيفيته مجهولة ، وسؤالك عن هذا بدعة ، وأراك رجل سوء) (٤).

---

١ – نقل الإ مام الأ لوسي عن ابن ا لقيم – رحمهما ا لله – جل كتابه : *إ جتماع الجيوش الإسلامية* ... الذي سرد فيه ما يتعلق بالاستواء من أ قوال الأئمة الأربعة وأصحابهم ، وا لمحدثين والمفسرين ، وأهل ا للغة ، وا لشعراء وغيرهم .

٢ – تقدم في ص ٤٧٣-٤٧٤ .

٣ – الآية (٥) من سورة طه .

٤ – غاية الأ ماني ١/٤٥٠ ، واجتماع الجيوش الإسلامية ص ٧٥ ، والتمهيد ١٣٨/٧ .

ثالثا : قول الإمام الشافعي – رحمه الله – ما ذكره أبو شعيب (١) وأبو ثور (٢) عنه ، أنه قال : (القول في السنة التي أنا عليها ، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم – مثل سفيان ومالك – الاقرار بشهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمدا رسول الله ، وأن الله على عرشه في سمائه ، يقرب من خلقه كيف شاء ، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء) (٣).

رابعا : قول الإمام أحمد بن حنبل –عليه الرحمة –: ما ذكره الخلال (٤) في كتاب السنة .

عن عبد الله (٥) بن أحمد بن حنبل قال : قيل لأبي : ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه ، بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال: نعم لا يخلو شيء

---

١ – هو أبو شعيب المصري ، شيخ من أصحاب الحديث ، ومن أصحاب الإمام الشافعي ، ومن تلامذته المصريين. انظر ترجمته : مناقب الشافعي للبيهقي ١/٤٥٥ ، وابن أبي حاتم ص ١٩٤ .

٢ – أبو ثور الفقيه : هو الإمام الحافظ الحجة المجتهد إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي ، ولد سنة (١٧٠هـ) كان أحد الثقات المأمونين ، ومن الأئمة الأعلام في الدين ، من مصنفاته في الأحكام ، جمع فيها بين الحديث والفقه ، توفي (٢٤٠هـ) ببغداد . انظر : تاريخ بغداد ٦/٦٥-٦٩ ، وسير الأعلام ١٢/٧٢-٧٦ ، وطبقات الشافعية ٢/٧٤-٨٠ ، وخلاصة تذهيب الكمال ص١٧ ، والفهرست لابن النديم ص ٢٦٥ .

٣ – غاية الأماني ١/٤٦٤ ، واجتماع جيوش ص ٩٤ .

٤ – الخلال : هو أحمد بن محمد بن هارون ، أبو بكر المعروف بالخلال ، ممن صرف عنايته الكاملة إلى جمع علوم الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله – فألف وصنف منها : " الجامع" و " العلل " و " السنة " ، وغير ذلك من المصنفات ، توفي –رحمه الله – يوم الجمعة من شهر ربيع الآخر سنة (٣١١هـ) . انظر : طبقات الحنابلة ٢/١٢/ ١٥ ، ومناقب الإمام أحمد بن حنبل ص٥١٢ .

٥ – عبد الله بن أحمد بن حنبل أبو عبد الرحمن ، ولد سنة (٢١٣هـ) وكان أكثر من روى عن أبيه ، لأنه سمع المسند وغيره من مصنفات الإمام ، توفي رحمه الله تعالى ، في شهر جمادى الآخرة سنة (٢٩٠هـ) عن سنة (٧٧). انظر ترجمته : طبقات الحنابلة ١/١٨٠ ١٨٨ ، ومناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٠٦ .

من علمه ، قال الخلال : وأخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني (١) قال: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، عمن قال : إن الله تعالى ليس على العرش ؟ فقال : (كلامهم كله يدور على الكفر) .(٢)

وروى الخلال بسنده عن الإمام أحمد - رحمه الله - أنه قال : (نحن نؤمن أن الله تعالى على العرش ، استوى كيف شاء وكما شاء بلا حدولا صفة يبلغها واصفون ، أو يحدها أحد ، وصفات الله له ومنه ، وهو كما وصف نفسه ، لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية ، وهو يدرك الأبصار ، وهو عالم الغيب والشهادة ، وعلاّم الغيوب) (٣).

ثم أوضح الألوسي - رحمه الله - مقصده من نقل هذه الأقوال ،- وهو في معرض رده على ما هذى به النبهاني وأضرابه - قال : (والمقصود) : أن ما ذكره النبهاني وأضرابه من الجهلة ، وما هذى به الشيخ شهاب الدين الحلبي أحمد بن يحي بن إسماعيل الكلابي (٤) مخالف للكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة والتابعين ، وتابعي التابعين ، والمجتهدين ، وأئمة المسلمين ، ومشاهير أتباعهم ، والعقلاء ، وأتباع من سبق من الأنبياء ، والشعراء ، وأئمة اللغة ، والفلاسفة الأولى ، وجاهلية العرب ، ويكفي ذلك بطلانا لقولهم وإفكهم ، وخزيا لهم بين أهل العقول) (٥) .

١- هو الإمام الحافظ ، الفقيه ، أبو الحسن ، عبد الملك بن عبد الحميد بن شيخ الجزيرة ميمون بن مهران ، الميمونيّ الرقيّ ، تلميذ الإمام أحمد بن حنبل ، ومن كبار الأئمة توفي سنة (٢٧٤هـ) . انظر ترجمته : سير الأعلام ٨٩/١٣ -٩٠ ، وتذكرة الحفاظ ٦٠٣/٢ -٦٠٤ ، وطبقات الحنابلة ١ / ٢٠٢- ٢٠٦ ، والجرح والتعديل ٣٥٨/٥ ، وطبقات الحفاظ ٢٦٣ .

٢ - اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٢٣ ، وغاية الأماني ٤٦٦/١ ، و اكتفى الألوسي -رحمه الله - بالإشارة فقط إلى قول الإمام أحمد ، ولإتمام الفائدة ، نقلت قول الإمام من المكان المشار إليه آنفا .

٣ - اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٣١ .

٤ -هو أحمد بن يحي بن اسماعيل الحلبي الكلابي المتوفى سنة (٧٣٣هـ) ومما هذى به :(... مذهب الحشوية في إثبات الجهة ، مذهب واه ساقط ، يظهر فساده من مجرد تصوره ...) انظر : طبقات الشافعية الكبرى ٣٦/٩ . ونظرا لكون هذه الرسالة - المشارة إلى جزء منها - في الرد على شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في إثباته صفة العلو ، فقد ذكرها السبكي برمتها في ترجمة الكلابي . انظر ترجمته في الطبقات ٣٤/٩- ٩١ .

٥ - غاية الأماني ٤٧٨/١ ، وبقية الأقوال يراجع : اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ، وغاية الأماني ، تركت نقلها خشية التطويل .

المبحث الثامن :

الكلام على صفة النزول .

كلام الألوسي - رحمه الله - في صفة النزول :

أثبت الألوسي - رحمه الله تعالى - صفة النزول للباري تبارك وتعالى ، كما تقرر في الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، ويفهم ذلك من قوله : (وإثبات صفة الكمال هو أصل التوحيد) (١).

كلامه في إثبات هذه الصفة الفعلية الاختيارية ، قال : (ومن رحمته وتودده إلى عباده أنه ينزل كل ليلة ، إلى سماء الدنيا فينادي : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأستجيب له ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ الحديث معروف ومشهور) . (٢)

قال الإمام الدارمي - رحمه الله - في كتابه : *"الرد على الجهمية"* ردّا على من زعم عدم صحة حديث النزول : (فمما يعتبر به من كتاب الله عز وجل في النزول ، ويحتج به على من أنكره ، قوله تعالى : ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في الظلل من الغمام والملائكة** ﴾ (٣)وقوله ﴿ **وجاء ربك والملك صفا صفا** ﴾ (٤) وهذا يوم القيامة ، إذا نزل الله ليحكم بين العباد ، وهو قوله : ﴿ **ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا** ﴾ (٥)، فالذي يقدر

---

١ - فتح المنان ، تتمة منهاج التأسيس والتقديس ص ٤٦١ .

٢ - هذا معنى الحديث الذي رواه الشيخان في صحيحيهما ، ونصه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبيﷺ قال : ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ ومن يسألني فأعطيه ؟ ومن يستغفرني فأغفر له) واللفظ للبخاري ، كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، البخاري مع الفتح ٢٩/٣ ، ومسلم في صحيحه ح (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ، ٥٢١/١ .

قال ابن عبد البر: (هذا الحديث ثابت من جهة النقل ، صحيح الإسناد ، لا يختلف أهل الحديث في صحته ، ... وهو حديث منقول من طرق متواترة ، ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي ﷺ . التمهيد ١٢٨/٧.

وقال الإمام اللالكائي : (رواه عن النبي ﷺ عشرون نفسا) شرح أصول الإعتقاد ٤٣٤/٣ ؛ وانظر غاية الأماني ٢٩٥/٢ .

٣ - الآية (٢١٠) من سورة البقرة .

٤ الآية (٢٢) من سورة الفجر .

٥ - الآيتان (٢٥،٢٦) من سورة الفرقان .

على النزول يوم القيامة من السموات كلها ، للفصل بين عباده ، قادر على أن ينزل كل ليلة من سماء إلى سماء ، فإن ردّوا قول رسول الله ﷺ - والعياذ بالله - في النزول ، مع ثبوته سندا ومتنا ، فماذا يصنعون بقول الله عز وجل ، تبارك وتعالى ؟) (١) .

وحديث النزول الذي ذكره الألوسي - رحمه الله - بالمعنى ، هو نص صريح في إثبات صفة النزول لله تبارك وتعالى ، وهذا الذي عليه السلف الصالح مع اعتقادهم الجازم عدم مشابهة نزوله تعالى ، لنزول الخلق . (٢)

وفي بيان ذ لك يقول ابن خزيمة - رحمه الله - : (نشهد شهادة مقرّ بلسانه، مصدق بقلبه ، مستيقن لما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية ، لأن نبينا المصطفى ، لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا ، إلى سماء الدنيا ، وأعلمنا أنه ينزل ، و الله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه الصلاة والسلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه ، من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون ، بما في هذه الأخبار من ذكر النزول ، غير متكلفين القول بصفته ، أو بصفة الكيفية ، إذ النبي ﷺ، لم يصف لنا كيفية النزول) . (٣)

---

١ - الرد على الجهمية للدارمي ص ٣٨ . تحقيق : زهير شاويش ، تخريج الألباني .

٢ - لم يخالف في إثبات هذه الصفة ، إلا المشبهة ، الذين جعلوا نزول الرب تبارك وتعالى ، عين نزول العبد . وما يلازمه -حاشاه تعالى - مبالغة في الإثبات ، وكذلك الذين نفوا صفة النزول بدعوى تنزيه الله تعالى . وهم الخوارج والجهمية والمعتزلة ، ومن وافقهم ، وهذا انحراف في التنزيه . وقد وسّع بعضهم نطاق البحث . وحملوا أنفسهم من التفكير فيها ما لا يطيقون ،من كيفية النزول ، وحالة العرش عند النزول ، إلى غير ذلك من الأمور التي لا مجال للعقل فيها . ولم يرد فيها نص قاطع .

فأسلم المذاهب للإتباع : مذهب أهل السنة والجماعة ، وهو الأحكم ، بل والأعلم والأسلم .

ولمزيد معرفة المذاهب والآراء في المسألة ، راجع : كتاب شرح حديث النزول ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/ ٢٤٢- ٢٥٠ ، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث ، لأبي عثمان الصابوني ١/١١١- ١١٨ ، ضمن الرسائل المنيرية ، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني ٣/ ٢٩- ٣١، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٣/٤٢٤-٤٥٣ ، تحقيق شيخنا الفاضل : أحمد سعد حمدان الغامدي ، والرد على الجهمية للإمام الدارمي ص ٣٨- ٤٤ ، وغيرها .

٣ - كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/٢٨٩- ٢٩٠ ، تحقيق عبد العزيز ابراهيم الشهوان .

وقال العلاّمة السعدي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾ (١): هذه الآية ،وما أشبهها ، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة المثبتين للصفات الاختيارية ، كالاستواء والنزول والمجيئ ، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه ، وأخبر بها عنه ﷺ ، فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته ، من غير تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل) (٢) .

فهذا هو المنهج القويم الذي اتخذه جماهير السلف الصالح ، الذين يمرّون الصفات ، كما وردت من دون تحريف ولا تأويل ولا تفسير، فقد روى الآجري (٣) ، بسنده عن الوليد ابن مسلم (٤) قال : (سألت الأوزاعي والثورى ومالك بن أنس والليث بن سعد ، عن الأحاديث التي فيها الصفات ، فكلهم قال : أمروها كما جاءت بلا تفسير) (٥) .

ويؤكد العلاّمة الألوسي ، تمسكه وتمسك أهل نجد بهذا المنهج ، في معرض رده على من زعم أن أهل نجد ليسوا على مذهب السلف الصالح ، فقال - رحمه الله- : (والحاصل ، أن مذهبهم في أصول الدين ، مذهب أهل السنة والجماعة ، وأن طريقتهم ، طريقة السلف ، التي هي الأسلم ، بل الأحكم ، وهي أنّهم يقرّون آيات الصفات

---

١ - الآية (٢١٠) من سورة البقرة .

٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢٥٦/١ .

٣ - هو الإمام المحدث ،أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي صاحب كتاب الشريعة ، كان عالما عاملا صاحب سنة ، ودينا ،ثقة ، توفي سنة (٣٦٠) انظر : تذكرة الحفاظ ٩٣٦/٣ ، والعبر ١٠٧/٢ ، مرآة الجنان ٣٧٣/٢ ، و النجوم الزاهرة ٦٠/٤ ، طبقات الحفاظ ص ٣٧٨ والعقد الثمين ٣/٢ .

٤ - هو الإمام الحافظ ، عالم أهل الشام ، أبو العباس الدمشقي ، مولى بني أمية ، ولد سنة (١١٩هـ٦) ، صنف التصانيف والتواريخ ، وعني بهذا الشأن أتم العناية وتصدّى للإمامة ، واشتهر اسمه ، توفي -رحمه الله - في طريق عودته من الحج ، وكان في محرم سنة (١٩٥هـ) . انظر : سير أعلام النبلاء ٩/ ٢١١-٢١٣ ، وتذكرة الحفاظ٣٠٢/١- ٣٠٤ ، وتهذيب التهذيب ١٥١/١١ ، وطبقات الحفاظ ص ١٢٦ ، وخلاصة تذهيب الكمال ص ٤١٧ ، والتاريخ الكبير ١٥٣/٨ ، والصغير ٢٧٦/٢ .

٥ - الشريعة للآجري ص ٣١٤ .

والأحاديث على ظاهرها ، ويكلون معناها (١) إلى الله تعالى ، كما قـال الإمـام مـالك في الاستواء) (٢) .

وجواب الإمام مالك - رحمه الله - الذي هو : (الكيـف غـيرمعقول ،والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة) (٣)، شاف كاف ، وصالح لكل سؤال يوجّه ، وهو يبحث عن كيفية صفة من صفات البـاري ،جـل وعـلا ، مثل النزول والعلو والفوقية والمجيء واليد وغيرها (٤) من الصفات الـتي أثبتهـا الله تعـالى لنفسـه ، أو أثبتها له من هو أعلم بالله تعالى ، بعده سبحانه وتعالى ، عليه الصـلاة والسـلام ، فهنيئـا بما تمسك به السواد الأعظم ، الذين لا يضرهم من خالفهم .

وهكذا يتجلّى بكل وضوح ، تمسك هذا الإمام الجليل الفاضل، بمنهج السلف الصالح ، وذبه عن هذا الباب العظيم ، باب توحيد الأسماء والصفات .

---

١ - انظر ص ٤٤٠ هامش ٥ .

٢ - تاريخ نجد للألوسي ص ٤٥ .

٣ - تقدم قول مالك هذا في ص ٤٨٠ .

٤ - انظر : نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣ .

الفصل الثا لث :

جهوده في بيان بعض مسائل الإيمان .

وفيه ثلا ثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الإيمان لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : بيان الأ لوسي- رحمه الله -زيادة الإيمان ونقصانه .

المبحث الثالث : في بعض مسائل القضاء والقدر .

المبحث الأول

تعريف الإيما ن لغة واصطلاحا :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الإيمان لغة .

المطلب ا لثاني : تعريف الإيمان اصطلاحا .

المطلب الأول : تعريف الإيمان لغة :

الإيمان : مصدر من آمن ، يؤمن ، إيمانا ، فهو مؤمن . مشتق من الأمن .

والإيمان : هو التصديق ، والله تعالى المؤمن ، لأنه أمّن عباده من أن يظلمهم .

وأصل آمن : أأمن ، بهمزتين ... والأمن ضدّ الخوف) (١).

قال الألوسي – رحمه الله تعالى : (... فسّر الإيمان بالتصديق ...) (٢).

وقال ابن منظور : (الإيمان ضد الكفر ، والإيمان بمعنى التصديق ضدّه التكذيب . يقال : آمن به قومه : وكذّبه قومه) (٣).

وقال الراغب الأصفهاني : (آمن إنّما يقال على وجهين :

أحدهما :متعديا بنفسه ، يقال: آمنته ، أي جعلت له الأمن ، ومنه قيل : الله مؤمن .

الثاني : غير متعدّ ، ومعناه : صار ذا أمن . وقوله تعالى : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين ﴾ (٤)، قيل معناه : بمصدق لنا ، إلاّ أن الإيمان هو : التصديق الذي معه أمن) (٥).

وبهذا ندرك أن ما ذكره الألوسي – رحمه الله – لمعنى الإيمان ، هو الثابت عن أهل اللغة ، إلاّ أن التصديق المقصود هنا ، هو الذي معه أمن ، وليس مجرد التصديق .

ويؤكّد شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– ذلك بقوله: (فإنّ الإيمان مشتق من الأمن فإنّه يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر ، كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المخبر ... فاللفظ متضمن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة ، كما يدل عليه الاشتقاق والاستعمال . ولهذا قالوا : ﴿ ما أنت بمؤمن لنا ﴾ أي لا تقر بخبرنا ، ولا تثق به . ولا تطمئن إليه ، ولو كنا صادقين . لأنّهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك . فلو صدقوا لم يأمن لهم) (٦).

---

١ - الصحاح للجوهري ٢٠٧١/٥ ، مادة " أمن " ، ومختار الصحاح للرازي ص١١ .

٢ - كنز السعادة في شرح الشهادة ، للألوسي ص ٢٥ .

٣ اللسان ١٣/ ٢١ ، مادة " أمن " .

٤ - الآية (١٧) من سورة يوسف

٥ - المفردات للأصفهاني ص ٩١ .

٦ - مجموع فتاوى ٢٩١/٧ ، ٢٩٢ .

المطلب الثاني : تعريف الإيمان إصطلاحا .

عرف فيما سبق ، أن معنى الإيمان في اللغة : هو التصديق الذي يكون معه الأمن ، لا مجرد التصديق . ويليه تعريفه الاصطلاحي .

يقول العلاّمة الألوسي في تفسيره للإيمان : (... وفسّر الإيمان بالتصديق بما علم من الدين ضرورة ، كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء . فما لوحظ إجمالا كالملا ئكة والكتب والرسل ، كفى الإيمان به في الوجه الإجمالي ، وما لوحظ تفصيلا كجبريل والإنجيل ، اشترط الإيمان به في الوجه التفصيلي ، وهذا هو الصحيح الذي عليه السلف) (١) .

وما ذكره شيخنا -رحمه الله - من الإيمان الإجمالي، فيما أجمل ، والتفصيلي فيما فصّل ، ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني ، في شرح حديث جبريل عليه السلام ، فقال :(دل الإجمال في الملائكة والكتب والرسل ، على الاكتفاء بذلك في الإيمان بهم من غيرتفصيل ، إلاّ من تثبت تسميته ، فيجب الإيمان به على التعيين) . (٢) (٣)

وعرفه أيضاً بمتعلقاته ، أي متقيداً بجواب النبي ﷺ لجبريل عليه السلام ، حين سأله عن الإيمان ، قال -رحمه الله- (وفي حديث جبريل الذي رواه الشيخان : فأجابه(٤) عن الإيمان بمتعلقاته : من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره) (٥). (٦)

---

١ - كنز السعادة في شرح الشهادة ص ٢٥ -٢٦ .

٢ - فتح الباري ١/١١٨ .

٣ - قال تعالى في تعيين بعضهم : ﴿ **من كان عدوّا لله وملائكته ورسله وجبريلَ وميكال فإنّ الله عدوٌّ للكافرين** ﴾ الآية (٩٨) من سورة البقرة .

وقال تعالى في تعيين بعض الكتب : ﴿ **نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إنّ الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذوانتقام** ﴾ ، الآيتان (٣-٤) من سورة آل عمران .

٤ - أي : أجاب النبي ﷺ ، جبريل عليه السلام .

٥ - كنز السعادة في شرح الشهادة للألوسي ص ٢٩ .

٦ - والحديث المشار إليه : أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ ، عن الإيمان والإسلام ، والإحسان ،... ح (٥٠) الصحيح مع الفتح ١/١١٤ . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... ح (٨) صحيح مسلم مع شرح النووى ١/٢٥٩ -٢٧٤ .

إلاّ أنّي لم أقف على تعريف الإيمان للشيخ -رحمه الله - بالألفاظ التي عرفه بها السلف ، غير أن ترجيح الألوسي -رحمه الله - لقول السلف في تعريف الإيمان - كما تقدم - (١) ، لأقوى دليل على موافقته لهم .

وقد عرّف السلف الإيمان بقولهم : (الإيمان قول باللسان ، وتصديق بالقلب ، وعمل بالأركان . والأعمال كلّها داخلة في مسمى الإيمان (٢)) . وعلى هذا إجماعهم . وقد نقله عنهم :

١ - أبو عمر ابن عبد البر ،قال :(أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل . ولا عمل إلاّ بنية ، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، والطاعة كلها عندهم إيمان ...) (٣) .

٢- والآجرّي - رحمه الله - قال : (اعلموا - رحمنا الله تعالى وإياكم - أن الذي عليه علماء المسلمين ، أن الإيمان واجب على جميع الخلق ، وهو تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح . ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق . إلاّ أن يكون معه الإيمان باللسان نطقا ، ولا تجزئ معرفة القلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح ، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمنا) (٤).

والذي ذكره الألوسي في تفسيره لمعنى الإيمان ، موافق لما جاء في حديث جبريل الطويل المتقدم، حيث فسر فيه النبي ﷺ الإيمان بأنه : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) (٥) .

---

١ - تقدم ذلك في ص ٤٩١ .

٢ - انظر : كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، لابن بطة العكبري ص ١٧٦ -١٧٩ ، وشرح السنة ، للإمام البغوي ٣٨/١ - ٣٩، والتمهيد لابن عبد البر ٢٣٨/٩ .

٣ - التمهيد ٢٣٨/٩ .

٤ - الشريعة للآجري ص١١٩ .

٥ - تقدم تخريجه في ص ٤٩١ - ٤٩٢ .

والظاهر من هذا ، أنه فسر الإيمان بمتعلقاته ، ولم يقصد ذكر تعريف عام للإيمان كما ذكره السلف ، وعبارة التصديق التي ذكرها ، وإن كانت لا تشمل القول والعمل ، إلاّ أن حقيقتها تستلزمهما ، فيكون من هذا الوجه ، موافقا لتفسير الإيمان عند السلف .

ومما يدعم ذلك من الكتاب العزيز :

قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ (١)، ووجه الاستدلال بها ، تسمية الباري عز وجل الصلاة إيمانا ، لاجتماعها على نية وقول وعمل (٢)، ومما يدل عليه : ما ورد في سبب نزولها ، فقد أخرج البخاري -رحمه الله- في صحيحه ، أن هذه الآية نزلت في الذين ماتوا من الصحابة ، قبل تحويل القبلة ، وهم على الصلاة إلى بيت المقدس ، فسئل الرسول ﷺ عنهم ، فنزلت هذه الآية .(٣)

ومن السنة :

١- حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ ، قال لوفد عبد القيس : ((آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : آمركم بالإيمان بالله ، ثم فسّرها لهم فقال : شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم)) (٤). ووجه الاستدلال بالحديث ، أن النبي ﷺ ،فسّر الإيمان بهذه الأعمال لأن الوفد سألوا عن الأعمال التي يدخلون بها الجنة ، وأجيبوا بأشياء منها :أداء الخمس ، والأعمال التي تدخل الجنة ، هي أعمال الإيمان ، فيكون أداء الخمس من الإيمان) (٥).

---

١ - الآية (١٤٣) من سورة البقرة .

٢ - انظر : فتح القدير للشوكاني ١٥٤/١ . وكتاب الإيمان لابن تيمية ص ٢٧١ .

٣ - انظر : فتح الباري ١/ ٩٥ -٩٨ .

٤ - أخرجه البخاري ، في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب اداء الخمس من الإيمان ، ح(٥٣) ، الصحيح مع الفتح ١٢٩/١ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ ... ح (١٧) صحيح مسلم مع شرح النووي ١/ ٢٩٤-٢٩٩ .

٥ - انظر : فتح الباري ١٣٣/١ .

٢- حديث أبي هريرة – رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلاّ الله ، وأدناها إماطة الأذى من الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان) (١) .

ووجه الاستدلال به : أن النبي ﷺ جعل إماطة الأذى ، أي تنحيته وإبعاده عن الطريق من الإيمان ، ولا يؤدي ذلك إلاّ الجوارح ، وكذلك عدّه ﷺ الحياء من الإيمان مع كونه غريزة ، لأنه يكون باعثا على فعل الطاعة ، وحاجزا عن فعل المعصية .(٢)

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان ، ح (٩) صحيح البخاري مع الفتح ٥١/١. ومسلم في صحيحه ، باب الإيمان ، باب عدد شعب الإيمان ، ح (٣٥) واللفظ له ، صحيح مسلم مع شرح النووي ٣٦٣/٢ .

٢ - انظر : فتح الباري ٥٢/١ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ٣٣٦٥/١ .

المبحث الثاني :

بيان الألوسي – رحمه الله – زيادة الإيمان ونقصانه .

بيان الآلوسي – رحمه الله – زيادة الإيمان ونقصانه :

تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة ، على إثبات هذا الأصل ، وأنه يزيد بالطاعات والعبادات ، من ذكر الله ، والتفكر في الكون العلوي والسفلي وما فيهما من عجائب المخلوقات ، وأنه ينقص بارتكاب المعاصي ، وترك المأمورات من الوجبات والنوافل .

ويقول شيخنا الآلوسي في إثبات ذلك ، وترجيح قول أهل السنة والجماعة ، على قول من خالفهم ، وخالف ما نطق به الكتاب والسنة من أهل البدع والأهواء :

(وهل يزيد وينقص (١) ،أم لا ؟ فيه خلاف (٢) ، والأصح الأول ، وهو ما ذهب إليه السلف ومن تبعهم ، وهو مبسوط في المطولات) (٣) (٤) .

وهذا الذي أشار إليه الشيخ الآلوسي ، وأن الراجح هو ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة ، وهو القول الحق الذي يعضده الكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة والتابعين .

---

١ – أي الإيمان .

٢ – لعل الشيخ الآلوسي – رحمه الله – يشير إلى الخلاف الذي أثاره المرجئة ، ومن نهج سبيلهم ، رأوا أن الإيمان كلٌّ لا يتجزأ ، وأن كله يذهب بذهاب بعضه . وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – إلى هذا الأصل عنهم ، فقال : (وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان ، فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله ، ولم يبق منه شيئ ، ثم قالت " الخوارج والمعتزلة " : هو مجموع ما أمر الله به ورسوله . وهو الإيمان المطلق ، كما قاله أهل الحديث ، قالوا : فإذا ذهب شيئ منه ، لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيئ ، فيخلد في النار ، وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم : لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئا من الإيمان ، إذ لو ذهب منه شيئ لم يبق منه شيئ ، فيكون شيئا واحدا يستوي فيه البر والفاجر .

ونصوص الرسول ﷺ وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه ، كقوله ﷺ : ((يخرج من النار كل من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان)) مجموع فتاوى ٧/٢٢٣ .

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه ، ح (٤٤) صحيح البخاري مع الفتح ١/١٠٣ .

وبطلان ما ذهبوا إليه مما لا ينازع فيه أحد ، فهم كلام السلف ، ولأنه مخالف لما ثبت في الكتاب والسنة ، وما عليه الصحابة والتابعون . انظر أدلة زيادة الإيمان ونقصانه في المتن .

٣ – كنز السعادة في شرح الشهادة ، للآلوسي ص ٢٦ – ٢٧ .

٤ – وترجيح الآلوسي –رحمه الله – قول السلف في زيادة الإيمان ونقصانه ، لأقوى دليل على موافقته لهم في تعريفهم للإيمان ، بإدخال القول والعمل . إذ من لايقر بذلك ، لا يرى زيادة الإيمان ونقصانه . والله أعلم .

فمن الكتاب :

١- قوله عز وجل : ((الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (١).

٢- وقوله عز من قائل : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ١٢٤ وأما الذين في قلوبهم مرضٌ فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ١٢٥ ﴾ (٢).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : (وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء ، بل حكى غير واحد الإجماع (٣) على ذلك) (٤).

٣- قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربّهم يتوكّلون ﴾ (٥).

قال الحافظ ابن كثير -عليه الرحمة - : (وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب ، كما هو مذهب جمهور الأمة ، بل حكى الإجماع عليه غير واحد من الأمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد...) (٦) .

ومن السنة المطهرة :

١- حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : ((يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، فيقول الله عز وجل : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من

---

١ - الآية (١٧٣) من سورة آل عمران .

٢ - الآيتان (١٢٤ ، ١٢٥) من سورة التوبة .

٣ - سيأتي نقل ابن عبد البر إجماعهم على ذلك .

٤ - تفسير ابن كثير ٤١٧/٢ .

٥ - الآية (٢) من سورة الأنفال .

٦ - تفسير ابن كثير ٢٩٨/٢ .

خردل من إيمان ، فيخرجون منها ، وقد اسودوا ، فيلقون في نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، ألم تر أنها تخرج صفراء مقلوبة ؟)) (١)

٢- حديث حنظلة الأسيدي - رضي الله عنه- قال: لقيني أبو بكر - رضي الله عنه- فقال : كيف يا حنظلة ؟ قال : قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ما تقول ؟ قال : قلت : نكون عند رسول الله ﷺ ، يذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافسنا الأزواج والأولاد الصغار فنسينا كثيرا ، قال أبو بكر -رضي الله عنه - فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، قلت : نافق حنظلة يارسول الله . فقال رسول الله ﷺ ، وما ذاك ؟ قلت : يا رسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ،

فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد ، والضيعات ، نسينا كثيرا ، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، لو تدومون على ما تكونون عندي ، وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم . ولكن يا حنظلة ، ساعة وساعة " ثلاث مرات ")) (٢).

ومما ثبت عن الصحابة – رضي الله عنهم :

١.قول عمر -رضي الله عنه : (هلمّوا نزداد إيمانا) .

٢.قول معاذ بن جبل - رضي الله عنه : (اجلس بنا نؤمن ساعة) . (٣)

وما ثبت عن التابعين وتابعيهم ، فهو أكثر من أن يحصى . فلينظر عن أقوالهم .(٤)

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ، ح (٢٤) صحيح البخاري مع الفتح ٧٢/١ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة ، وإخراج الموحدين من النار ح (١٨٤) صحيح مسلم مع شرح النووي ٣/ ٣٧ .

٢ - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة ، المراقبة ... ح (٢٧٥٠) صحيح مسلم مع شرح النووي ٧١/١٧ - ٧٢ .

٣ - انظر عن الأثرين : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٩٤١/٥ ، ٩٤٢ ، والسنة للآجري ص ١١٢ عن أثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٤ - شرح أصول الإعتقاد ٨٩٣/٥ ، وما بعدها .

وبهذه النصوص والآثار تمسك أهل السنة والجماعة ، في أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، وعلى ذلك إجماعهم . وقد نقل هذا الإجماع عنهم ، أبو عمر ابن عبد البر – رحمه الله–وقال : (... وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر ، منهم مالك بن أنس والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وداود بن على ، والطبري ، ومن سلك سبيلهم ، فقالوا : الإيمان قول وعمل ، قول باللسان وهو الإقرار ، والاعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة ، قالوا : وكل ما يطاع الله عز وجل به ، من فريضة ونافلة ، فهو من الإيمان ، والإيمان يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعاصي ، وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم ...) (١).

وإلى هذا أشار شيخنا الألوسي بقوله : (والأصح الأول ، وهو الذي ذهب إليه السلف ومن تبعهم) (٢)، وهو الحق والحري بأن يتبع .

---

١ - التمهيد ٢٤٣/٩ .

٢ - كنز السعادة في شرح الشهادة ص ٢٦ .

المبحث الثالث :

في بعض مسائل القضاء والقدر .

وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : الفرق بين القدر الكوني والشرعي .

المطلب الثاني أفعال العباد هل هي مخلوقة لهم أو لا ؟

المطلب الرابع : الأدلة على أن الله خالق الأسباب والمسبَبات .

التوطئة :

وقبل الشروع في بيان الألوسي – رحمه الله –لهذه المسائل ، يجدر بي أن أُعرِّف كلا من القضاء والقدر ، تعريفا موجزاً ، وإن كان – رحمه الله تعالى – لم يتناول جميع مسائل القضاء والقدر ، حيث لم أقف له إلاّ على بيان الفرق بين القدر والشرع ، وكون الله سبحانه وتعالى خالقا لأفعال العباد ، وبعض الأدلة على أن الله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات .

وعلى هذه النقاط تنحصر المطالب الآتية ، والله تعالى ولي التوفيق .

أولاً : تعريف القضاء والقدر لغة :

القضاء : فصل الأمر وقطعه وإيجاده وانجازه ، كقوله تعالى : ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾(١) (٢) أي فرغ من تسويتهنّ (٣).

والقدر : هو التقدير والتحديد ، أي : تبيين كمية الشيء (٤).

---

١ – الآية (١٢) من سورة فصلت .

٢ – المفردات ، للراغب الأصفهاني ص ٦٧٤ – ٦٧٥ . وذكر العلماء للقدر معا ني أخرى للقضاء ، راجع المصدر نفسه ، وفرائد الآلي من رسائل الغزالي ص ١٥٦ ، والقضاء والقدر ، لعبد الكريم الخطيب ص ١٧٦ .

٣ – تفسير ابن كثير ٤/١٠١ .

٤ – مفردات الراغب ص ٦٥٨ .

ويكون بمعنى القضاء والحكم .(١)

وقال الإمام أحمد بن حنبل : القدر : قدرة الله (٢) .

ثانيا: ومن مجموع المعنيين (أي القضاء والقدر) يمكن معرفة المراد بالقضاء والقدر ، في الاصطلاح ، وهو ايجاد الله سبحانه وتعالى ، الكائنات وإحداثه لها ، حسبما سبق به علمه ، واقتضته حكمته .(٣)والإيمان بقضاء الله وقدره ، هو أحد أركان الإيمان الستة ، كما جاء في الحديث : ((...وتؤمن بالقدر خيره وشره)) (٤) وللقضاء والقدر أربع مراتب ، لا بد من الإيمان بها جميعا ، وهي :

الأولى : الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيئ من الموجودات والمعدومات .

---

١ – المحكم لابن سيدة ١٨٣/٦ ، وتاج العروس للزبيدي ٣٧٠/١٢ . مادة " قدر " .

٢ – شفاء العليل ص ٥٩ .

٣ – انظر : مفردات الراغب ص ٦٥٨ ، فتح الباري ١١٨/١ ،ورسائل في العقيدة لابن عثيمين ص ٣٧ ، والقضاء والقدر في الإسلام ، لفاروق ٣٢٨/١ .

٤ – تقدم تخريجه ٤٩٢ .

الثانية : مرتبة الكتابة ، وهي أن الله كتب في اللوح المحفوظ ، مقادير الخلق ، فما يحدث شيء في الكون ، إلاّ وقد علمه الله وكتبه قبل حدوثه .

الثالثة : هي مشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة ، ومعنى الإيمان بهذه المرتبة ، اعتقاد أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

الرابعة : وهي مرتبة الخلق والإيجاد ، فكل ما سوى الله ، فهو مخلوق ، وكل الأفعالخيرها وشرها ،صادرة عن خلقه وإحداثه .(١)

المطلب الأول : الفرق بين القدر الكوني والشرعي :

وبعد تلك التوطئة الموجزة ، في تعريف القضاء والقدر ، علينا أن نتذكر ما تقدم في مبحث التوسل ، حيث نقل الشيخ الألوسي – رحمه الله – رد شيخ الإسلام ابن تيمية على الحكايات التي احتج بها الذين أجازوا التوسل بأصحاب القبور ، بالجوابين ، المجمل والمفصل وقد تقدم نقله للجواب المجمل (٢) .

وهنا يبين الشيخ الألوسي الفرق بين القدر الكوني والشرعي (٣) ، من خلال الجواب المفصل . فقد ذكر ذلك عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، فقال: (... وقد يكون الدعاء المحرم في نفسه ، دعاء لغير الله ، أن يدعو الله كما قال النصارى : يا والدة الإله ، اشفعي لنا إلى الإله . وقد يكون دعاء لله ، لكنه توسل إليه بما لا يحب أن يتوسل به ، كالمشركين الذين يتوسلون إلى الله بأوثانهم . وقد يكون دعاء لله بكلمات لا تصلح أن يناجى بها الله ، ويدعى بها ، لما في ذلك من الاعتداء (٤) .

---

١ – شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح بن فوزان ص ١٦٥ – ١٦٨ .

٢ – تقدم ذلك في ص ٣٥٣ حيث كان يرد على ابن جرجيس ، الذي لم يفرق بين القدر الكوني والشرعي .

٣ – يلاحظ أن الشيخ قد بدأ بضرب أمثلة توضيحية ، ثم أعقبها با لتفريق بين نوعي القدر .

٤ – كما هو عمل عباد القبور ، الذين يزعمون دعاء الله والتوسل إليه ، بالمشاهد وأصحابها ، وكذلك أهل الطرق من المتصوفة الذين يزعمون دعاء الله وذكره بالطبول والغناء والرقص والمكاء والتصفيق وغير ذلك من أمور لا يصح أن يتقرب بها إلى الله .

فهذه الأدعية (١) ونحوها ، وإن كان قد يحصل لصاحبها أحيانا غرضه ، لكنها محرمة لما فيها من الفساد الذي يربو على منفعتها ، ولهذا كانت هذه فتنة ، في حق من لم يهده الله ، وينور قلبه ، ويفرق بين أمر التكوين ، وأمر التشريع ... ويعلم أن الأقسام ثلاثة :

القسم الأول : أمور قدّرها الله وهو لا يحبها ولا يرضاها ، فإنّ الأسباب المحصلة لهذه تكون محرمة ، موجبة لعقابه (٢) .

القسم الثاني : أمور شرعها وهو يحبها من العبد ويرضاها ، لكن لم يعنه على حصولها ، فهذه محمودة عنده مرضية ، وإن لم توجد . (٣)

القسم الثالث : أن يعين الله العبد ، على ما يحبه منه .

فالأول ، إعانة الله ، والثاني ، عبادة الله ، والثالث ، جمع له بين العبادة والإعانة ، كما قال تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (٤)، فما كان من الدعاء غير المباح ، إذا أثر فهو من باب الإعانة ، لا العبادة ، كدعاء سائر الكفار والمنافقين والفساق ...) (٥).

والشيخ الألوسي - رحمه الله - إذ يحذر هؤلاء المجيزين للاستغاثة بغير الله ، والتوسل إليه بما لم يشرع ، بأن لا يغتروا بحصول المطلوب النادر الوقوع ، فإن ذلك لا يكون مسوغا لهم ، إذ حصول مطلوبهم هنا ، إنما يكون تبعا لأمره تعالى الكوني القدري، الذي لا خروج لأحد عنه ، كما بينه الإمام ابن القيم . وأيضا فإن ذلك يكون منه تعالى

---

١ - فهذه الأدعية المحرمة ، لا تكون تبعا لأمره تعالى الديني الشرعي ، إذ لا يكون في هذا الأمر ، إلا ما يحبه الباري ويرضاه ، كما قال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه ﴾ الآية (٢٣) من سورة الإسراء . قال ابن القيم - رحمه الله - : (... فهو الذي خلق وشرع وأمر ، وأحكامه جارية على خلقه قدرا وشرعا . ولاخروج لأحد عن حكمه الكوني القدري . وأما حكمه الديني الشرعي ، فيعصيه الفجار والفسق ...) شفاء العليل ص ٥٥٩ .

٢ - كما تقدم في الأمثلة التي شرع بها أبو المعالي تفريقه بين القدر الكوني والشرعي . في ص ٥٠٣ .

٣ - ولمزيد بيان ، يقول ابن القيم - رحمه الله - (... والأمران غير متلازمين ، فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا يشرعه ، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ، ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده وإيمانهم ، وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر ، وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي فيما أمر به وشرعه ، ولم يفعله المأمور . وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي) . شفاء العليل ص ٥٥٩ .

٤ - الآية (٥) من سورة الفاتحة .

٥ - غاية الأماني ٢/٢٧٦ ، واقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

فتنة وبلاء ، كما يقول سبحانه وتعالى : ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ (١) . وأما أن تكون الاستغاثة بغير الله ودعاء غيره ، والتوسل إليه بأصحاب القبور وبالأوثان ، مأمورا بها شرعا ودينا ، فلا . والله جل جلاله لا يعبد إلاّ بما شرع ، مع المتابعة التامة لنبيه ﷺ .

المطلب الثاني :

أفعال العباد ، هل هي مخلوقة لهم أولا ؟

يقول الشيخ أبو المعالي الألوسي- رحمه الله- مبينا لمذهب أهل نجد وعقيدتهم في ذلك ، وعلى رأسهم إمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- قال :(والحاصل أن مذهبهم في أصل الدين ، مذهب أهل السنة والجماعة ، وأن طريقتهم ، طريقة السلف ، التي هي الأسلم بل الأحكم ، وهي أنهم ... يعتقدون أن الخير والشر كله بمشيئة الله ، ولا يكون في ملكه إلاّ ما أراد ، وأن العبد لا يقدر على خلق أفعاله ، بل له كسب (٢) يترتب عليه الجزاء ، وأن الثواب فضل والعقاب عدل...) (٣) .

وقال أيضا في رده على الإمامية : الذين قالوا بأن الله تعالى لا دخل له في أفعال العباد ، وأن العبد هو الذي يخلق أفعاله ، وبذلك أثبتوا خالقين كأ سلافهم المجوس ، قال: (...كل ما يصدر من الإنسان والجنة والشياطين أو غيرهم من المخلوقات ، من خير أو شر ، وكفر وإيمان وطاعة ومعصية وحسن وقبح ،كلها من خلق الله تعالى بإيجاده ، وليس للعبد قدرة على خلقه ، نعم ، له كسبه والعمل به ، وبهذا الكسب والعمل سيجزى ، إن شرا فشرٌ ، وإن خيرا فخيرٌ ، هذا هو مذهب أهل السنة .(٤)

---

١ - الآية (٣٥) من سورة الأنبياء .

٢ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، في بيان المراد بالكسب الذي يترتب عليه الجزاء والعقاب ، قال : (إن الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع أو ضر ،كما قال تعالى :﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ الآية (٢٨٦) من سورة البقرة . وبين سبحانه وتعالى ، أن كسب النفس لها أو عليها ، والناس يقولون : فلان كسب مالا أو حمدا أو شرفا ...) مجموع فتاوى ٣٨٧/٨ .

٣ - تاريخ نجد ص٤٥ . وانظر : فتح المنان ص ٤٥٥ .

٤ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - : (ومما ينبغي أن يعلم أن مذهب سلف الأمة - مع قولهم أن الله خالق كل شيئ وربه ومليكه ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه على كل شيئ قدير ، وأنه هو الذي خلق العبد هلوعا إذا مسّه الشرّ جزوعا ، وإذا مسّه الخير منوعا ، ونحو ذلك - أن العبد فاعل حقيقة ، وله مشيئة وقدرة ، قال تعالى : ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله رب العالمين﴾ الآيتان (٢٨ ، ٢٩) من سورة التكوير ...) . مجموع فتاوى ١١٧/٨-١١٨ ، و ١٢٤ ، ١٢٥ .

وقال الإمامية : إن العبد يخلق أفعاله ، ولا دخل لله تعالى في أقوالهم وأفعالهم الإرادية ، بل في جميع أفعال الطيور والبهائم و الوحوش وسائر الحيوانات التي تفعل بالإرادة .

وعقيدتهم هذه مخالفة للكتاب والعترة (١)، أما الكتاب : فقوله تعالى :﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ (٢) و قوله تعالى : ﴿ **خالق كل شيء لا إله إلا هو** ﴾ (٣) و قوله : ﴿ **ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله** ﴾ (٤)و قوله ﴿ **أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن** ﴾ (٥) .

وأما العترة ، فقد روت الإمامية بأجمعهم ، عن الأئمة ، أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ...ومع هذا يعتقدون أن هذه المسألة كذلك ، بزعمهم ، مخالفين للأئمة صريحا ، ولا تمسك لهم في ذلك إلا بعدة شبهات اتخذوها ملجأ باتباع المعتزلة ، قالوا لو كان الله تعالى خالقا لأفعال عباده ، يلزم بطلان أمر الثواب والعقاب والجزاء كلها ، لأنهم لا يكون لهم دخل ، وتعذيب من لا دخل له في فعله ظلم صريح (٦).

---

١ - عترة الرجل : نسله ورهطه الأدنون . مختار الصحاح ص ١٧٣ .ومراده عند الإمامية : أئمتهم من آل البيت . و قد فسّرت بالسنة ، وهو المراد بها هنا .

٢ - الآية (٩٦) من سورة الصافات .

٣ - الآية (٦٢) من سورة غافر .

٤ - الآية (٧٩) من سورة النحل .

٥ - الآية (١٩) من سورة الملك .

٦ - انظر عن هذه الشبهة : المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ٨٣/٨ وما بعدها . وقد صرح بذلك محمد المهدي ، الشهير بالقزويني قال : أفعال العباد مخلوقة لهم ، مستندة إليهم ، وإن ملكوها بقدرته ومشيئته وأقداره وإيجاد الأسباب والآلات واقعة منهم بالاختيار ، لا بالتفويض ولا إجبار بل الأمر بين الأمرين وإلا بطل الثواب والعقاب) انظر : قلائد الفرائد في أصول الاعتقاد ص٦٠ ، تحقيق جودت كاظم .

أجاب أهل السنة بمنع الملازمة ، وذلك أنهم قالوا : إنا نثبت أمر الثواب والعقاب والجزاء على أصول الشيعة ، وعلى وفق رواياتهم عن الأئمة (١) مع كونه تعالى خالقا لأفعال عباده بطريقين :

الأول : أن جزاء أفعال كل واحد ، مطابق لعلمه وتقديره تعالى في حق كل واحد ، مثلا: ثبت في علم الله أنّ أفعالهم وأعمالهم ،لو أحالها وفوض عملها إليهم يطيع فلان ويعصي فلان ، يعني ، يخلق في المطيع طاعته ،والعاصي معصيته ، والكافر كفره ، والمؤمن إيمانه .

وقد قام شاهد هذا التقرير والعلم في العباد أيضا ، وذلك في ميلهم وهوى أنفسهم ، فميل المؤمنين إلى الإيمان ، وميل الكافرين إلى الكفر، وميل أهل الطاعة إليها ، وميل أهل الفسق إليه ،كلٌ يرجح في قلبه ما له ميل إليه ، ويخلقه الله تعالى على يده ، فجزاء الخير والشر بناء على علمه تعالى في إيجادهم لو فوض إليهم ، فهم وإن لم يكونوا خالقين لأفعالهم حقيقة ، ولكن لا شبهة في خلقهم تقديرا ، فلوجعل الكافر قادرا على خلق أفعاله ، لخلق الكفر ، وكذا لو كان المؤمن يعطى القدرة على هذا الأمر لخلق الإيمان ، وعلى هذا القياس في جميع الأفعال والأقوال .

(ثم دعّم الشيخ -رحمه الله-رده هذا بما رووه في كتبهم المعتمدة ، وعن أئمتهم) فقال : روى الكليني ، وابن بابويه وآخرون منهم ، عن الأئمة : (أن الله خلق بعض عباده سعيدا وبعض عباده شقيّا لعلمه بما كانوا يعملون) .(٢) ليتأمل في لفظ " كانوا " فإنه يفيد صريحا معنى الفرض والتقدير .

وروى الكليني وغيره من الإمامية عن أبي بصير أنه قال: كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام جالسا ، فسأله سائل فقال : جعلت فداك يابن رسول الله ﷺ : من أين لحق الشقاء ،

---

١ - وموافقة أهل السنة والجماعة لهم في هذه الأمور ، بناء على ما كان عليه ، أئمتهم وأوائلهم ، لا على ما آل إليه أمر متأخريهم ، الذين انتحلوا أقوال المعتزلة في أفعال العباد ، فإن جميع ما يذكره هؤلاء الإمامية المتأخرون ، في مسائل التوحيد والعدل ، إنما هو مأخوذ من كتب المعتزلة ، بل كثير منه منقول نقل المسطرة . انظر :[منهاج السنة النبوية ٣/٥-٦] ، روى ابن بابويه ، عن محمد بن عجلان ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : فوض الله الأمر إلى العباد ؟ فقال : الله أكرم من أن يفوض إليهم ، قلت : فأجبر الله العباد على أفعالهم ؟ فقال : الله أعدل من أن يجبر عبدا على فعل ثم يعذبه عليه) التوحيد ، كتاب التوحيد ، باب نفي الجبر والتفويض ص ٣٦١ .

٢ - هذه الرواية لم أقف عليها في الأصول من الكافي للكليني .

بأهل المعصية ، حتى حكم لهم بالعذاب ، على عملهم في علمه ؟ وقال أبو عبد الله : أيها السائل ، علم الله عز وجل ، لا يقوم له أحد من خلقه بحقه ، فلما حكم بذلك وهب لأهل المحبة القوة على طاعته ، ووضع عنهم ثقل العمل ، بحقيقة ما هم أهله ، ووهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم ، لسبق علمه فيهم ، ومنعهم إطاقة القبول منه، فوافقوا ما سبق لهم من علمه تعالى ، ولم يقدروا أن يأتوا حالا تنجيهم من عذابه ، لأن علمه أولى بحقيقة التصديق ، وهو معنى شاء ما شاء ، وهو سره) (١)

وروى الكليني أيضا عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال :(إن الله خلق السعادة والشقاوة ، قبل أن يخلق خلقه ، فمن خلقه سعيدا لم يبغضه أبدا ، وإن عمل سوءًا أبغض عمله ،وإن خلقه شقيا ، لم يحبه أبدا ،وإن عمل صالحا أحب عمله).(٢)
ولو كان الجزاء على خلق عمله من عنده الواقع ، موافقا لهوى العبد ظلما ، يلزم أن يكون خلق نفسه وقواه مع تسليط الشيطان عليه ، ومنع الإلطاف ، وإطاقة القبول في حقه ظلما أيضا .

الطريق الثاني :

أن الجزاء ليس على العمل ، حتى يكون دخل العبد فيه ضرورة ، بل على ميل قلبه وهوى نفسه ، الذي يقارن كل عمل من الخير والشر ، وهذا رفع عن العباد السهو والنسيان والخطأ (٣)و الإلزام (٤) مع أن صدور سوء الفعل يكون من العبد في هذه الحالات أيضا ، ولكن لما لم يكن ميل قلبه وهوى نفسه بذلك الفعل ، يعفى عنه ذلك

---

١ - ذكرها الكليني في الأصول من الكافي ، كتاب التوحيد ، باب السعادة والشقاء ١/١٥٣ .

٢ - المصدر السابق ١/١٥٢- ١٥٣ .

٣ - كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ الآية (٢٨٦) من سورة البقرة .
وفي الحديث : ((إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)) أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب الطلاق ، باب طلاق المكره والناسي ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ح(١٦٦٢) ١/٣٤٧ .

٤ - يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ الآية (١٠٦) من سورة النحل .

الصدور، ولهذا يجزي على نية الخير والشر ، وإن لم يعمل ، وفي الكافي للكليني ، عن السكون عن أبي عبد الله ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ : " نية المؤمن خير من عمله ، ونية الكافر شر من عمله " (١) ووجه كونها خيرا وشرا ، إنما هو مدار الجزاء عليها ، وفيه أيضا : عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ ، قال : " إن العبد المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى أفعل كذا وكذا من البر ، ووجوه الخير، فإذا علم الله عز وجل ذلك منه ، بصدق نيته ، كتب الله له من الأجر ، مثل ما يكتب لو عمله ". (٢) وإذا كان مدار الجزاء على النية وميل النفس واستحسان القلب ، فإن خلق الله أفعالا على وفق إرادة العبد وميله وهوى نفسه وجاز العبد على ذ لك ، لم يكن ظلما . نعم ، يتصور الظلم لو كان خلق أفعال العبد ابتداءً من دون تخلل إرادته وميله ، كأفعال الجمادات من إحراق النار وقتل السم ، وقطع السيف ، وكسر الحجر ، وإذا كانت أفعال العباد تابعة لإرادتهم وأهواء أنفسهم ، كان لهم دخل في تلك الأعمال ، فوجدوا منها حظا فذاقوا جزاءها بحسب ذلك ...) (٣)

وبهذا تنكشف حقيقة ما عليه المعتزلة والإمامية في هذه المسألة .

المطلب الثالث :

الأدلة على أن الله تعالى خالق الأسباب والمسبّبات :

توطئة :

وقبل الشروع في سرد الأدلة نتعرف على معنى الأسباب والمسببات :

قال ابن منظور : السبب : كل شيء يتوصل به إلى غيره . وقال أيضا : كل شيء يتوسل به إلى شيء غيره ، وقد تسبب إليه ، والجمع أسباب ، وكل شيئ يتوصل به إلى الشيء فهو سبب . والله عز وجل مسبِّب الأسباب . (٤) بكسر الباء الأول .

والمسبَّب : بفتح الباء الأول ، هو المطلوب ، المدعو به .

---

١ - ذكره الكليني في الكافي كتاب الإيمان والكفر باب النية ، ٨٤/٢ . والحديث ذكر الشوكاني الجزء الأول منه في الفوائد المجموعة ص ٢٥٠ ، وقال : قال ابن دحية لا يصح ، وقال البيهقي : اسناده ضعيف .

٢ - الكافي للكليني ٨٥/٢ .

٣ - انظر : مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ .

٤ - اللسان ٤٥٨/١ ، مادة " سبب" . وانظر نحوه : مفردات الراغب ص ٣٩١ .

فالأسباب والمسببات مما أثبتها السلف الصالح ، وأن كلها خلق لله تعالى ، وأنه سبحانه قد تعبّد عباده بالدعاء والاستغاثة والاستعاذة به ، والتوسل إليه بالأعمال الصالحات ، وغير ذلك من أنواع الأسباب المشروعة ، المحبوبة المرضية للرحمن ، واتخاذ هذه الأسباب ، مما قدرها الله تعالى وشرعها ، للوصول إلى المسببات ، لأن الله جعل الدعاء والسؤال من الأسباب ، بها مغفرته ورحمته ، وهداه ونصره ورزقه ، وإذا قدر لعبد خيرا يناله بالدعاء، لم يحصل بدون الدعاء ، وما قدره الله وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم ، فإنما قدره الله بأسباب يسوق المقادير إلى المواقيت ، فليس في الدنيا والآخرة شيئ إلاّ بسبب ، والله خالق الأسباب والمسببات . (١)

وإلى ما تقدم ، يشير شيخنا الألوسي بقوله : (والدعاء من جملة الأسباب التي قدرها الله سبحانه وتعالى ...(ومع ذلك) ... فإن الالتفات إلى الأسباب وحدها شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا ، نقص في العقل ، والاعراض عن الأسباب بالكلية ، قدح في الشرع (٢)، (ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب(٣)) (٤) .

---

١ - انظر : مجموع فتاوى ٦٩/٨- ٧٠ .

٢ - فتح المنان ص ٥٠٧ ، وأصل الكلام لابن تيمية ، انظر : مجموع فتاوى ٧٠/٨ .

٣ - هذه الجملة تتمة كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاوى ٧٠/٨ ، ١٣٨- ١٣٩ .

٤ - وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في شرح هذه العبارة : (وبيان ذلك : أن الإلتفات إلى السبب ، هو اعتماد القلب عليه ، ورجاؤه ، والاستناد إليه ، وليس في المخلوقات من يستحق هذا ، لأنه ليس مستقلا ولا بد له من شركاء وأضداد ، ومع هذا كله فإن لم يسخره مسبّب الأسباب ، لم يسخر ، وهذا مما يبين أن الله رب كل شيئ ومليكه

وأما قولهم : محو الأسباب أن تكون أسبابا ، نقص في العقل ، فهو كذلك ، وهو طعن في الشرع أيضا، فإن كثيرا من أهل الكلام ، أنكروا الأسباب بالكلية ، وجعلوا وجودها كعدمها ، كما أن أولئك الطبيعيين جعلوها عللا مقتضية ، وكما أن المعتزلة فرقوا بين أفعال الحيوان وغيرها ، والأقوال الثلاثة باطلة ، فإن الله يقول : ﴿هو الذى يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته حتى إذا أقلّت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات﴾ الآية (٥٧) من سورة الأعراف وقال تعالى : ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ الآية (١٦٤) من سورة البقرة .وقال تعالى : ﴿يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾ الآية (١٦) من سورة المائدة . وقال تعالى : ﴿يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا﴾ الآية (٢٦) من سورة البقرة . وأمثال ذلك ، فمنقال : يفعل عندها لا بها ، فقد خالف لفظ القرآن ، مع أن الحس والعقل يشهد أنها أسباب ، ويعلم الفرق بين الجبهة وبين العين ، في اختصاص أحدهما بقوة ليست في آخر ، وبين الخبز والحصى ، في أن أحدهما يحصل به الغذاء دون الآخر ، وأما قولهم : الإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع ، بل هو أيضا قدح في العقل ، فإن أفعال العباد ، من أقوى الأسباب لما نيط بها ، فمن جعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض،أو يجعل المتقين كالفجار ، فهومن أعظم الناس جهلا وأشدهم ، بل ما أمر الله به من العبادات والدعوات والعلوم والأعمال من أعظم الأسباب فيما نيط بها ، من العبادات، وكذلك ما نهي عنه من الكفر والفسق والعصيان ، هي من أعظم الأسباب لما علق بها من الشقاوات) . مجموع فتاوى ١٦٩/٨ ، ١٧٥ ، ١٧٦ .

وعن الأدلة ، يقول الألوسي - رحمه الله -:(١)

(ومع علم المؤمن أن الله رب كل شيئ ومليكه، فإنه لا ينكر ما خلقه الله تعالى من الأسباب ، كما جعل المطر سببا للنبات ، قال تعالى :﴿ **وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة** ﴾(٢). (٣)

وقال الشيخ السعدي في تفسير الآية : ﴿ **وما أنزل الله من السماء من ماء** ﴾ الآية وهو المطر النازل من السحاب . ﴿ **فأحيا به الأرض بعد موتها** ﴾ فأظهرت من أنواع الأقوات وأصناف النباتات ماهو من ضروريات الخلائق التي لا يعيشون بدونها ، أليس ذلك دليلا على قدرة من أنزله ، وأخرج به ما أخرج ، ورحمته ولطفه بعباده ، وقيامه بمصالحهم ، وشدة افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه ؟) (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ **وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيئ** ﴾ (٥)

قال الإمام الطبري - رحمه الله - : (يقول تعالى ذكره : والله الذي له العبادة خالصة لا شركة فيها لشيئ سواه ، وهو الإله الذي أنزل من السماء ماء ﴿ **فأخرجنا به نبات كل شيئ** ﴾ فأخرجنا بالماء الذي أنزلناه من السماء ، غذاء الأنعام والبهائم والطير والوحش وأرزاق بني آدم وأقواتهم ما يتغذون به ويأكلونه ، فينبتون عليه وينمون)(٦) .

وقال الألوسي أيضا : (ومثل صلاة المسلمين على جنازة الميت ، فإنّ ذلك من الأسباب التي يرحمه الله بها ، ويثيب المصلين عليها) (٧) .

ويشهد لهذا من السنة المطهرة :

الحديث الذي رواه أبو هريرة -رضي الله تعالى عنه- (أن امرأة سوداء كانت تقُمُّ (٨) المسجد (أو شابا) ففقدها رسول الله ﷺ ، فسأل عنها (أو عنه) فقالوا : مات، قال:

---

١ - مع أن الشيخ الألوسي لم يعقد في مصنفاته بابا لسرد هذه الأدلة .

٢ - الآية (١٦٤) من سورة البقرة .

٣ - فتح المنان للألوسي ص ٥١٠ .

٤ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١٩١ - ١٩٢ .

٥ - الآية (٩٩) من سورة الأنعام .

٦ - جامع البيان للطبري ٧/٢٩٢ .

٧ - فتح المنان للألوسي ص ٥١٠ .

((أفلا كنتم آذنتموني)) قال: فكأنّهم صغروا أمرها (أو أمره) فقال:((دلّوني على قبرها)) فدلّوه فصلّى عليها ثم قال : ((إنّ هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم)) (١).

وبهذه النصوص من الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، يدرك أن ما في الوجود من الأسباب والمسبّبات ، الله خالقها وربها ومليكها . وهو الغني عن كل ما سواه . وكل ما سواه مفتقر إليه .

---

٨ – قمَّ البيت والمسجد : أي كنسه ، و(تقم المسجد : أي تكنسه ، والقمامة : أي الكناسة ، والمقمة : المكنسة) . انظر : القاموس المحيط ٤/١٦٩ .

١ – أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب الصلاة على القبور ، ح (٩٥٦) واللفظ له . صحيح مسلم مع شرح النووي ٧/ ٣٠ . والإمام أحمد في مسنده ٢/٣٨٨ ، و ٣/١٥٠ .

الفصل الرابع :

ما يتعلق بأخبار اليوم الآخر عند الألوسي - رحمه الله - .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : في الشفاعة .

المبحث الثاني : في الحوض وكون الجنة والنار مخلوقتين .

المبحث الأول :

في الشفاعة :

وتحته ثلا ثة مطالب :

المطلب الأول : في بيان معنى الشفاعة وحقيقتها .

المطلب الثاني : تقسيمه للشفاعة .

المطلب الثالث : إثباته الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة ، وبيان أنواعها .

المطلب الأول :

في بيان معنى الشفاعة وحقيقتها :

التوطئة :

الإمام الألوسي - رحمه الله - من متأخري أهل السنة والجماعة ، الذين لم يخوضوا كثيرا في أخبار يوم القيامة ، لأن أغلب الشبه التي واجهها وتصدى لها ، والتي كانت سائدة على عهده ،كانت منصبة على توحيد العبادة ، لذا صرف جل جهوده في الذبّ عنه ، ورد الشبه المثارة حوله ، اللهم إلاّ لشفاعة التي تشبث بها مجوزوا طلبها منه ﷺ في الدنيا ، فبين -رحمه الله - في معرض رده عليهم ، أنواعها وحقيقتها ، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

أولا : بيان معنى الشفاعة في اللغة :

قال الراغب الأصفهاني : (الشفاعة : الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه ، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى ...) (١) .

وقال ابن الأثير في النهاية :(هي سؤال في لتجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم، يقال : شفع يشفع شفاعة ، فهو شافع وشفيع . والمشفّع : الذي يقبل الشفاعة ، والمشفَّع : الذي تقبل شفاعته) (٢) .

ثانيا : بيان معناها في الاصطلاح :

هو طلب وسؤال الخير لغير .(٣)

ثالثا : بيان حقيقة الشفاعة :

قال الألوسي -رحمه الله - في حقيقتها : (وحقيقة الشفاعة المأذون فيها : أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص والتوحيد ، فيغفر لهم بواسطة دعاء

---

١ - مفردات الراغب ص ٤٥٨ ، مادة : " شفع " .

٢ - النهاية في غريب الحديث ٤٨٥/٢ . لوامع الأنوار البهية ٢٠٤/٢ .

٣ - انظر : لوامع الأنوار البهية ٢٠٤/٢ . وفتح القدير ٨٢/١ .

الشافعين ، الذين أذن لهم فيه ، ليكرمهم على حسب مراتبهم ، وينال نبينا ﷺ المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون) .(١)

المطلب الثاني :

تقسيمه - رحمه الله - للشفاعة :

قسّم - رحمه الله - الشفاعة إلى قسمين : مثبتة ، ومنفية .

الأول : الشفاعة المنفية :

قال : (... كان جل أحوال المشركين مع آلهتهم ، التوكل عليهم ، والالتجاء إليهم بشفاعتهم ، ظنا منهم أنها نافعة عند الله تعالى ، فردّ الله سبحانه عليهم ، وأبان معتقدهم في المسؤل لديهم ، فأخبرنا الله تعالى في كتابه ، أن الشفاعة كلّها بجميع أنواعها له ، وأنها لا تكون إلاّ من بعد إذنه ، ورضاه عن المشفوع له ، ... فالشفاعة التي نفاها القرآن مطلقا ، هي ما كان فيها شرك ، وتلك منفية مطلقا ... نفاها بقوله : ﴿ ولاتنفع الشفاعة عنده إلاّ لمن أذن له ﴾(٢) فإن هذا يفيد إبطال الشفاعة التي ظنها المشرك ، ودعا غير الله لأجلها ، وقد دل القرآن على نفيها في مواضع .) (٣) (٤).

الثاني : الشفاعة المثبة وبيان قيودها :

---

١ - فتح المنان ، تتمة منهاج التأسيس والتقديس للآلوسي ص ٤٦٥ . ونحوه في فتح المجيد ص ١٦٢ ، وتيسير العزيز الحميد ص ٢٩٥ .

٢ الآية (٢٣) من سورة سبأ .

٣ - منها : قوله تعالى : ﴿يوميذ لا تنفع الشفاعة إلاّ من أذن له الرحمن ورضى له قولا ﴾ الآية (١٠٩) من سورة طه . وقوله تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ الآية (٢٨) من سورة الأنبياء . وقوله : ﴿ لا يملكون الشفاعة إلاّ من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ الآية (٨٧) من سورة مريم .
فهذه الآيات ظاهرة الدلالة على نفي الشفاعة التي أثبتها المشركون لآلهتهم ، ولمن يتقربون إليهم بدعوى طلب شفاعتهم عند الله تعالى ، فرد عليهم سبحانه ،مبينا لهم أن الشفاعة لا تنفع إلا لمن أذن له ، ورضي له قولا. وأما هؤلاء ، فأقوا لهم كلها شرك وكفر ، ولا يرضى الله لعباده الكفر .

٤ - انظر فتح المنان ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٨٥ .

أ- الشفاعة المثبتة : قال - رحمه الله - :(والشفاعة المثبتة ، ما تكون بعد الإذن يوم القيامة ، ولا تكون إلاّ لمن ارتضى الله من أهل التوحيد والاخلاص ، فهذه الشفاعة من التوحيد ، ومستحقوها أهل التوحيد ، فمن كان موحدا مخلصا ، قد قطع كل رجائه من غير الله ، ولم يجعل ولم يتخذ في أي أمر له وليا ولا شفيعا من دون الله) .(١) فهؤلاء هم أسعد الناس بها يوم القيامة ، كما أشار - رحمه الله - إلى ذلك بقوله : (... وهم المشار إليهم في الحديث الذي رواه البخاري أن أبا هريرة -رضي الله تعالى عنه - قال للنبي ﷺ : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال:((من قال لا إله إلاّ الله خالصا من قلبه)).(٢)

فهؤلاء المخلصون هم الذين أخلصوا الدين كله لله ، فجعلوا الشفاعة والتوكل والرجاء والالتجاء وغير ذلك من خواص الألوهية لله تعالى ، ولم يعطوها لأحد غيره . فوحدوه بها وأخلصوا الدعوة له ، فهم المؤمنون الموحدون ...) (٣).

ب - قيود الشفاعة المثبتة (أي شروطها) :

أشار -رحمه الله - إلى تلك القيود بقوله : (وقيّدت الشفاعة المثبتة ، بقيود ، منها : إذنه تعالى للشافع . ونكتة هذا القيد وسرّه صرف الوجوه إلى الله تعالى ، وإسلامها له . وعدم التعلق على غيره لأجل الشفاعة ... وهذا الموضع لم يفهمه كثير من الناس (٤)ظنوا أن الاستثناء يفيد إثبات الشفاعة مطلقا ، وطلبها من غير الله ، فعادوا إلى ما ظنه المشركون ، وقصدوه ، قال تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم**

---

١ - انظر المصدر السابق ص ٤٦٥ .

٢ - صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث ، ح(٩٩) الصحيح مع الفتح ١٩٣/١ .

٣ - فتح المنان ص ٤٦٤ .

٤ - كالنبهاني وابن جرجيس وأضرابهما ممن تمسكوا بالآيات التي تثبت الشفاعة لمن يأذن الله لهم بها ، في جواز طلبها منه ﷺ في الدنيا ، فيقال لهم : إن الشفاعة ثابتة له ﷺ ، لكنها مشروطة بيوم القيامة ، وكونها بعد إذنه تعالى ورضاه عن المشفوع له ، فلا تطلب منه الآن ، إذ لو كانت تطلب منه الآن ، لجاز لنا أن نطلبها ممن ورد ثبوت الشفاعة لهم يوم القيامة (كالقرآن والملائكة والصالحين) ولجاز لنا أن ندعوهم ونلتجئ إليهم ونرجوهم لهذه الشفاعة ، إذ لا فرق بين الجميع في الثبوت والإذن . انظر : فتح المنان ص ٤٦٦ .

ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلاّ لمن أذن له** ﴾ (٢) وقال : ﴿ **ما من شفيع إلاّ من بعد إذنه** ﴾ (٣) وقال أيضا ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلاّ بإذنه** ﴾ (٤) (٥)ففي الآية الأ خيرة الاستفهام فيه من الإنكار على من يزعم أن أحدا من عباده يقدر على أن ينفع أحدا بشفاعة أو غيرها ، والتقريع والتوبيخ له مالا مزيد عليه ، وفيه من الدفع في صدور عباد القبور في وجوههم ، وألفت في أعضادهم ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه . (٦)

قال : ومنها (أي القيد الثاني) :

أنه لا يشفع أحد إلاّ فيمن رضـي ا لله قوله وعمله،قال تعالى :﴿ **وكم من ملك في السَّمَٰوات لا تغنى شفا عتهم شيئـا إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾ (٧) وقال تعالى : ﴿ **ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى** ﴾ (٨) .(٩)

---

١ - الآية (١٨) من سورة يونس .

٢ - الآية (٢٣) من سورة سبأ .

٣ - الأية (٣) من سورة يونس .

٤ - الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

٥ - فتح المنان ص ٤٨٥ .

٦ - فتح القدير للشوكاني ١/ ٢٧٢ .

٧ - الآ ية (٢٦) من سورة النجم .

٨ - الآية (٢٨) من سورة الأنبياء .

٩ - فتح المنان ص ٤٨٥ .

المطلب الثالث :

إثباته الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة ، وبيا ن أنواعها .

أولا : إثباته الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة :

قال -رحمه الله - : (... وكما كان النبي ﷺ يشفع لأمته في حياته بدعائه ، واستسقائه ، واستغفاره ، مما هو شفاعة منه لهم ، فكذ لك في عرصات القيامة ، يفتح الله عليه بدعاء مناسب فيشفّعه ...) (١) ويشهد هذا حديث الشفاعة الطويل ، الذي جاء فيه: ((... فأستأذن فيؤذن لي . ويلهمني محامد أحمده بها ، لا يحضرني الآن . فأحمده بتلك المحامد ، فأخر له ساجدا ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفّع ، فأقول : يا رب أمتي أمتي ! فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود فأحمد ه بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدا ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفّع ، فأقول : يا رب أمتي ، فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان ،فأنطلق فأفعل ، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدا ، فيقال يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفّع ، فأقول : يا رب أمتي أمتي فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان ، فأخرجه من النار من النار من النار، فأنطلق فأفعل .)) (٢)

وحديث عمران بن حصين - رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال : ((يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ ، فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين)) (٣) .

---

١ - فتح المنان ص ٤٦٥ .

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب كلام الر ب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم . ح (٧٥١٠) ، صحيح البخاري مع الفتح ٤٧٣/١٣-٤٧٤ . وفي كتاب الرقاق ، با ب صفة الجنة ح (٦٥٦٥) الصحيح مع الفتح ٤١٧/١١ -٤١٨ .

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة ح (٦٥٦٦) الصحيح مع الفتح ٤١٨/١١.

ثانيا : **بيان أنواع شفاعته ﷺ :**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في بيان أنواع هذه الشفاعة الثابتة لسيد ولد آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم : (وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ ، وأول من يدخلها من الأمم أمته ، وله ﷺ ثلا ث شفاعات :

أما الشفاعة الأولى :

فيشفع في أهل الموقف حتى يقضي بينهم ، بعد أن يتراجع عنها الأنبياء، آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم عن شفاعته ، حتى ينتهى إليه .(١)

أما الشفاعة الثانية :

فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوها . وهاتان شفاعتان خاصتان له ﷺ .

أما الشفاعة الثالثة :

فيشفع فيمن استحق النار ، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم ، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها .(٢)

---

١ – وهذه الشفاعة هي العظمى والمقام المحمود ، قال تعالى : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** ﴾ الآية (٧٩) من سورة الإسراء .

معارج القبول ٢/٣٠٥ .

٢ – العقيدة الواسطية بشرح الشيخ صالح بن فوزان ص ١٥٦ ، وقد فصل –حفظه الله – القول في تقسيم الشفاعة ، حيث قال : (هكذا ذكر الشيخ – رحمه الله – أنواع الشفاعة هنا مختصرة ، وهي – على سبيل الاستقصاء – ثمانية أنواع ، منها ما هو خاص بالنبي ﷺ ، ومنها ما هو مشترك بينه وبين غيره :

الشفاعة الأولى : (وهي المقام المحمود) وهي أن يشفع النبي ﷺ أن يقضي الله سبحانه بين عباده بعد طول الموقف .

الشفاعة الثانية : شفاعته في دخول أهل الجنة بعد الفراغ من الحساب .

الشفا عة الثالثة : شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب ، أ ن يخفف عنه العذاب ... وهذه الأنواع الثلاثة من الشفاعة ، خاصة بنبينا محمد ﷺ .

الشفاعة الرابعة : شفاعته فيمن استحق النار من عصاة الموحدين أن لا يدخلوها .

الشفاعة الخامسة : شفاعته ﷺ فيمن دخل النار من عصاة الموحدين أن يخرجوا منها .

الشفاعة السادسة : شفاعته في رفع درجات بعض أهل الجنة .

الشفاعة السابعة : شفاعته ﷺ فيمن استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلو ا الجنة .

ونقل الألوسي - رحمه الله - عن ابن تيمية -رحمه الله - إطباق أهل السنة والجماعة على ثبوت هذه الشفاعة له ﷺ ، وأنه يشفع في أهل الكبائر من أمته والموحدين المؤمنين ، فقال : (... ثم اتفق أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر ، وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد ، وأما الخوارج (١) والمعتزلة ، فأنكروا شفاعته لأهل الكبائر ، ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين ، وهؤلاء مبتدعة ضلال ... (٢). قالوا : من يدخل النار لايخرج منها ، لا بشفاعة ولا غيرها ، وعندهم ، ما ثم إلاّ من يدخل الجنة ، فلا يدخل النار، ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة ، ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب .

وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأئمة ، كالأربعة وغيرهم ، فيقرون بما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ ، أن الله يخرج من النار قوما ، بعد أن يعذبهم الله ما شاء أن يعذبهم ، ويخرجهم بشفاعة محمد ﷺ ، ويخرج آخرين بشفاعة غيره ، ويخرج قوما بلا شفاعة) (٣) .

الشفاعة الثامنة : شفاعته ﷺ في دخول بعض المؤمنين الجنة بلا حساب ولا عذاب ، كشفاعته ﷺ في عكاشة بن محصن ... انظر : شرح العقيدة الواسطية ص ١٥٧ -١٥٨ .وفتح الباري ١١/٤٢٨-٤٢٩ .

١ - قال الشهرستاني في تعريف الخوارج : (كل من خرج على إمام الحق ، الذي اتفقت الجماعة عليه ، يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم ، على التابعين لهم بإحسان ، والأئمة في كل زمان .) الملل والنحل ١/١١٤ . تقدم التعريف بهم ص ٢٤٤ .
وخصهم بعض العلماء في الطائفة الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه ، كالأشعري .انظر : المقالات ١/٢٠٧ ، والسفاريني في لوامع الأنوار البهية ١/٧٦ .

٢ - غاية الأماني ٢/٢٨٥ ، ومجموع فتاوى ١/١٠٨ .

٣ - مجموع فتاوى ١/١٤٨- ١٤٩ ، و ٤/٣٠٩ ، ونحوه في شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٦٠ .

المبحث الثاني :

في الحوض ، وكون الجنة والنار مخلوقتين .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : في حوض نبينا محمد ﷺ .

المطلب الثاني : كون الجنة والنار مخلوقتين .

المطلب الأول : في حوض (١) النبي ﷺ :

قال الألوسي – رحمه الله تعالى : وهو في صدد بيان كون أهل نجد وأئمتهم يؤمنون بكل ما يؤمن به سلف الأمة من أمور الغيب : (... ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ ، وأنها لأهل الكبائر من أمته ... وأن الحوض حق ...) (٢).

فالحوض الذي أشار إليه الألوسي –رحمه الله– هو ثابت بالكتاب والسنة ، وعلى وجوب الإيمان به أطبقت الأمة .

أولا : ثبوته بالكتاب العزيز :

قال تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر ﴾ .(٣)

ثانيا : ثبوت الحوض بالسنة : فمنها :

١– حديث عبد الله بن زيد– رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: ((أنا أفرطكم على الحوض ، وليرفعنّ رجال منكم ثم لتختلجنّ (٤) دوني ، فأقول : يا رب أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)) . (٥)

٢- حديث عمرو بن العاص - رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : ((حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الورق ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده)) . (٦)

---

١ – الحوض هو مجتمع الماء . لسان العرب ٧/ ١٤١، مادة "حوض". والمراد به هنا ما أكرم الله به نبيه محمد ﷺ في عرصات يوم القيامة .

٢ – نقله الألوسي عن الشيخ عبد اللطيف ، نقلا عن أبي الحسن الأشعري . انظر تاريخ نجد ص ٨٥ –٨٧ ، ومنهاج التأسيس والتقديس ص ٦٦ - ٦٧ ، والمقالات ١/ ٣٤٧ - ٣٤٩ .

٣ – سورة الكوثر . وقد استدل بها على ثبوت الحوض من الكتاب تغليبا لاسم الكوثر على اسم الحوض ، ولتفسير النبي ﷺ حيث قال لأصحابه : ((أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا الله ورسوله أعلم . قال : فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل ، عليه خيرٌ كثيرٌ ، وهو حوض ...)) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/٣٥٥–٣٥٦ . قال النووي : (فيه إثبات الحوض ، والإيمان به واجب) . شرح صحيح مسلم ٤/٣٥٦ .

٤ – من الخلج ،وهو الجذب والانتزاع . أي ينزعون أو يجذبون مني. انظر: القاموس المحيط ١/ ١٩٣، مادة "خلج" . وفتح الباري ١١/ ٤٦٩ .

٥ – أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، وقوله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ح (٦٥٧٦) ، صحيح البخاري مع الفتح ١١/ ٤٦٣ .

٦ – المصدر السابق نفس الصفحة . ح (٦٥٧٩) .

٣- حديث أبي ذر الغفاري-رضي الله عنه- قال :قلت : يا رسول الله ،ما آنية الحوض؟ قال: ((والذي نفس محمد بيده ، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء ، وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية ، آنية الجنة ، من شرب منها ، لم يظمأ آخر ما عليه ، يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ ، عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى إيلة ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل)) (١)

ثالثا : بيان إطباق الأمة على ثبوت الحوض ووجوب الإيمان به :

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني ، في بيان ذلك ، عن الإمام القرطبي - رحمهما الله - :(... مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به ، أن الله سبحانه وتعالى ، قد خص نبيه ﷺ بالحوض ، المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي ، إذ روى ذلك عن النبي ﷺ ، من الصحابة ، نيف على الثلاثين ، منهم في الصحيحين ، ما ينيف على العشرين ، وفي غيرهما بقية ذلك ، مما صح نقله ، واشتهرت رواته ، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم ، وهلم جرا . وأجمع على إثباته السلف ، وأهل السنة من الخلف ، وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة ، وأحالوه عن ظاهره ، وغلوا في تأويله ، من غير استحالة عقلية ولا عادية ، تلزم من حمله على ظاهره وحقيقته ، ولا حاجة تدعوا إلى تأويله ، فخرق من حرفه إجماع السلف ، وفارق مذهب أئمة الخلف) (٢).

وقال ابن حزم : (وأما الحوض فقد صحت الآثار فيه ، كرامة للنبي ﷺ ، ولمن ورد عليه من أمته ، ولا ندري لمن أنكره متعلقا ، ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي ﷺ في هذا أو غيره) (٣).

وبعد ما عرف أن أهل السنة والجماعة ، قد أطبقوا على إثبات الحوض المورود للنبي ﷺ ، وعلى وجوب الإيمان به ، كما أشار إليه الألوسي ، في معرض ذكره ما عليه أهل نجد ، يقال لمخالفي أهل السنة والجماعة ، كما قال الآجري - رحمه الله - بعد ذكر أثر أنس بن مالك - رضي الله عنه - وهو بإسناده ، قال : (دخلت على ابن زياد ،

---

١ - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ح (٢٣٠٠) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٧/١٥ .

٢ - انظر : فتح الباري ٤٦٧/١١ . نقلا عن القرطبي في كتابه : المفهم ، غير أني لم أقف عليه .

٣ - الفصل في الملل والأهواء والنحل ٦٦/٤ .

وهم يتذاكرون الحوض ، فلما رأوني طلعت عليهم ، قالوا : قد جاءكم أنس ، فقالوا يا أنس ، ما تقول في الحوض ؟ فقلت : والله ما شعرت أني أعيش حتى أرى أمثالكم تشكون في الحوض ، لقد تركت عجائز بالمدينة ما تصلي واحدة منهن صلاة ، إلاّ سألت ربها أن يوردها حوض محمد ﷺ ، فقال الآجري : ألا ترون إلى أنس بن مالك -رضي الله عنه - يتعجب ممن يشك في الحوض ، إذ كان عنده أن الحوض يؤمن به الخاصة والعامة ، حتى إن العجائز يسألن الله أن يسقيهن من حوضه ﷺ ؟ فنعوذ بالله ممن لا يؤمن بالحوض ، و يكذب به) . (١)

المطلب الثاني :

في كون الجنة والنار مخلوقتين :

قال الألوسي -رحمه الله - مبينا لما يعتقده أهل نجد من أمور الغيب :

(... ويؤمنون ... بالجنة والنار وجميع ما أنزل الله على رسوله ﷺ مجملا وتفصيلا (٢)، ... ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان .(٣)..

أولا : إن الجنة التي أشار إليها الألوسي ، هي دار كرامة الله تعالى لأوليائه المؤمنين ، ومثوى عباده الطائعين ، وقد أعدّ فيها من أنواع النعيم واللذات ، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .(٤) وقد أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : ((قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب

---

١ - الشريعة للآجري ص ٣٥٧ .

٢ - تاريخ نجد ص٤٤ .

٣ - المصدر السابق ص ٨٧ ، نقلا عن عبد اللصيف في منهج التأسيس ص٦٦- ٦٧ . والمقالات ١/٣٤٧- ٣٤٩ .

٤ - انظر : الغنية لعبد القادر الجيلاني ١ / ٨٢ ، ولوامع الأنوار البهية ٢ / ٢٢٥ ، والتنبيهات السنية ص٢٥٨

بشر)). قال أبو هريرة ، اقرأوا إن شئتم : ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾ (١)(٢)

وقد أكثر سبحانه وتعالى من ذكر نعيم الجنة في كتابه ، فمن ذلك ، قوله تعالى :

﴿ على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف علهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون﴾ (٣) إلى غير ذلك من الآيات .

ثانيا : وأما النار – نعوذ با لله منها – فهي دار أعدها ا لله سبحانه وتعالى لأعدائه ولمن عصاه وخالف أمره من الكفرة والمعرضين ، وهي دار العقوبة في الآخرة ، ودار الذل والهوان والعذاب .(٤)

ومما ثبت فيها من الكتاب العزيز : قوله تعالى : ﴿ واتقوا النار التى أعدت للكافرين﴾ (٥)، وقوله تعالى : ﴿ وكفى بجهنم سعيرا إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما ﴾ (٦).

---

١ - الآية (١٧) من سورة السجدة .

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، با ب ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ ح (٤٧٧٩) الصحيح مع الفتح ٨/٥١٥ ، ومسلم في صحيحه ، كتب الجنة وصفة نعيم أهلها ح (٢٨٢٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ١٧١ .

٣ - الآيات (١٥ -٢٤) من سورة الواقعة .

٤ - انظر : الغنية ١/٨٢ ، التنبيهات السنية ص٢٥٨ .

٥ - الآية (١٣١) من سورة آل عمران .

٦ - الآيتان (٥٥- ٥٦) من سورة النساء .

ومن السنة المطهرة :

حديث أبي هريرة -رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال في وصف النار: ((ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم ، قيل يارسول الله إن كانت لكافية ، قال : فضلت عليهن بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها)) (١) ، وغيرها من النصوص .

ثالثًا : عن كونهما مخلوقتين :

تقدم أن أشار الألوسي - رحمه الله - أن أهل السنة والجماعة يقرون بأن الجنة والنار مخلوقتان (٢) ، وهو القول الحق الذي يعضده الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع السلف .

فمن الكتاب عن كون الجنة مخلوقة :

١- قوله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ (٣).

٢- قوله تعالى ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ (٤).

وعن النار من الكتاب :

١- قوله تعالى : ﴿ واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴾ (٥) .

٢- قوله تعالى : ﴿ إنّ جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا ﴾ (٦).

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدئ الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة ح (٣٢٦٥) صحيح البخاري مع الفتح ٦/٣٣٠ .

٢ - تقدمت إشارته إلى ذلك في ص ٥٢٥ .

٣ - الآية (١٣٣) من سورة آل عمران .

٤ - الآية (٢١) من سورة الحديد .

٥ - الآية (١٣١) من سورة آل عمران .

٦ - الآية (٢١- ٢٢) من سورة النبأ .

ومما ثبت عنهما عن النبي ﷺ :

١- ما رواه عمران عن النبي ﷺ قال: ((اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار ، فرأيت أكثر أهلها النساء)) (١)

٢- ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال : ((لما خلق الله الجنة ، قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال : أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلاّ دخلها ، ثم حفها بالمكاره ، ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال : أي يا رب ،وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، قال: فلما خلق الله النار ، قال ياجبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ،ثم جاء فقال : أي رب وعزتك ، لا يسمعها أحد فيدخلها ، فحفها بالشهوات ، ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فقال: أي رب ، وعزتك ، لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها)) (٢) .

واستنادا إلى هذه الأدلة من الكتاب والسنة ، يعتقد أهل السنة والجماعة ، أن الجنة والنار مخلوقتان ، وموجودتان الآن .

قال عبد القادر الجيلاني : (يعتقد أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار مخلوقتان ...وهما منذ خلقهما الله ، باقيتان لا تفنيان أبدا) (٣).

وقال شارح العقيدة الطحاوية : (اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية ، فأنكرت ذلك ، وقالت بل ينشئهما الله يوم القيامة ! ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله ، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ،ولا ينبغي له أن يفعل كذا !! ، وقاسوه على خلقه في أفعالهم ، وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث ، لأنها تصير

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ح (٦٥٤٦) صحيح البخاري مع الفتح

٢ - أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي ١٧/١٧١، ح (٢٨٢٢) كتاب الجنة ، باب الجنة وصفة نعيمها ، بلفظ ((حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات)) . وأبو داود في سننه ٥/١٠٨ ، كتاب السنة ، باب في خلق الجنة والنار . ح (٤٧٤٤) . بهذا اللفظ .

٣ - الغنية ١/٨٢ .

معطلة ، مددا متطاولة ، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى ، وحرفوا النصوص عن مواضعها وضلّلو وبدّعوا من خالف شريعتهم .)(١)

وقد كفتنا تلك النصوص المتقدمة –والتي خالفوها – مؤنة الردّ عليهم .

وبهذا ننهي بيان ما ورد عن العلاّمة الألوسي ، في نوعي التوحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وما يتعلق ببعض مسائل الإيمان ، وأخبار يوم القيامة . والحمد لله رب العالمين ، وبنعمته تتم الصالحات،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم

---

١ – شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٦ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، أحمد ربي عز وجل حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، وأشكره سبحانه وتعالى شكر المعترف بنعمة المنعم عليه ، على توفيقه إياي لإتمام هذا البحث ، وتيسيره لي ، وعلى كل ما أسبغه عليّ من نعم ظاهرة وباطنة ، وأُثني عليه الخير كله ، لا أحصي ثناء عليه كما أثنى على نفسه .

وصلوات الله وسلامه وبركاته على أشرف المخلوقات ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين .

وبعد : فقد تم هذا البحث المتواضع ، بتوفيق الله ومنته . وهنا أجمل بعض أهم ما توصلت إليه ، في هذه الدراسة ، لجهود العلاّمة الألوسي – عليه رحمة الله تعالى .

أولاً :

لقد أبرزت في بداية البحث شخصية العلاّمة الألوسي – رحمه الله – والتي دلت دلالة واضحة على حرصه الشديد وجهوده الشاملة ، لنصرة هذه العقيدة ، وتصفيتها من كل شوائب الشرك .

ثانيا :

إنّ هذه الدراسة ، كشفت لنا شمولية جهود الألوسي وعنايته بجميع جوانب العقيدة ، إذ تناول كثيرا من المسائل العقدية بجزئياتها المتنوعة ، فيما يتعلق بربوبية الله سبحانه وتعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته ، غيرأنّ جهوده في هذا الأخير كان ضئيلا .

ثالثا :

إنّ جهود الألوسي –رحمه الله – لم تقتصر على عرض مسائل العقيدة وتوضيحها ، وإنما تصدّى –رحمه الله– للرد على كل من خالف هذه العقيدة الصحيحة ، من أمثال الروافض والصوفية والقبوريين كابن جرجيس ، والنبهاني ، وأمثالهم .

رابعا :

لم يتوان – رحمه الله – في الدفاع والذب عن السلف الصالح ، وأئمة الدعوة السلفية كشيخ الإسلام ابن تيمية ، ومحمد بن عبد عبد الوهاب – رحمة الله عليهما– وغيرهما ، مما كان له أثر بارز في انتهاجه لنهج السلف في أسلوبه الدعوي . فقد اعتمد الكتاب والسنة في ذلك ، ونأى بنفسه بعيدا عن العقليات وتكلفات الفلاسفة والمؤولة ونحوهم . فهو في جميع تقريراته وردوده ، يقتفي آثار السلف من أهل السنة والجماعة ، ويترسم خطاهم ، وقد استفاد ذلك من خلال عنايته الشديد بكتب المتقدمين ومصنفاتهم ، التي قام بشرح بعضها ، واختصار البعض الآخر ، مما جعله يتأثر بها تأثرا أوليا ، قاده ذلك إلى الانتظام في سلكهم – عليهم رحمة الله تعالى .

خامسا :

إنّ مؤلفات الألوسي -رحمه الله - تتميز بسهولة العبارة ، ووضوح الفكرة ، وقرب المـأخذ ، والبعد عن التكلف ، وهي جديرة بالعناية من قبل طلبة العلم ، فإن معظم هذه المصنفات لا زالـت في حاجة إلى خدمة ، لاستخراج الكنوز المكنونة فيها .

وهذه أهم وأبرز ما توصلت إليها من خلال هذه الدراسة ، والتي أرجو أن أ كون قد أعطيتهـا أقصى ما أملك من جهد وعناية . أسأل الله الكريم أن يوفقني إلى ما يمكنني إكمال ما نقـص منهـا ، مما أتطلع إليه من مزيد إرشادات و توجيهات .

وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد ، وعلى آله الطيبين ،

وأصحابه ذوي الفضـــل المبين

وآخر دعوانا أن الحمد لله

رب العالمين .

الفهارس

أ - فهرست الآيات القرآنية .

ب - فهرست الأحاديث النبوية ، والآثار .

ج - فهرست مرويات الشيعة .

د - فهرست الأعلام .

هـ - فهرست الأشعار .

و - فهرست المصادر والمراجع .

ز - فهرست الموضوعات .

أ- فهرست الآيات القرآنية :

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هـــود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طــه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

سورة الممتحنة

سورة الصف

سورة التحريم

سورة الملك

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة المعارج

سورة نوح

سورة الجن

سورة المزمل

سورة المدثر

ب- فهرست الأحاديث الشريفة والآثار

أ

ج ـ فهرست المرويات الشيعية

د- فهرست الأعلام

أ

هـ - فهرست الأبيات الشعرية

صدر البيت	القافية	القائل	العدد	الصفحة
ر				
رضيعي لبان ثدي	لا تتفرق	الأعشى	١	١٣٩
س				
السيد المحمود	الأفضال	عبد الباقي	٥	١٠
ش				
شهدت بأن	الكافرين	عبد الله بن رواح	٣	٤٧٢
شهدت بإذن	من عل	حسان بن ثابت	١	٤٧٣
ص				
صفاته لم تزده	ذكرناها	المتنبي	١	٣٨
ض				
ضعاف النهى	الوزرا	النبهاني	٢	١٧١
ف				
فاقرأ تصانيف	الرباني	ابن القيم	٨	١٥٥
فسبحان من لا	موحد	=====	٣	٤٦٩
فلا تجز عن سيرة	يسيرها	=====	١	٩٧
ك				
كتموا نفاقا	لاستظهروا	الأخرس	٥	٢٥١
كفى حزنا أني	آبيا	عز الدين علم الدين	٨	٩٢
الكلب والشاعر	أم شاعرا	أبوسعيد النيسابوري	٢	٣٩٢
ل				
لتصف الشريعة	نعمانها	=====	٢	٣٥
م				
ما أنكروا منك	القدر	ابن فضل الله	٢	١٣٦
ما مر في هذه	طرف	لم أقف عليه	١	٦٣
معاتبتي لوأعتب	العمر	أحمد عبد الحميد بك	١٣	٦٧
مقام النبوة	الولي	ابن عربي الصوفي	١	١٦١

و- فهرست المراجع

- أ -

١ . الآية الكبرى على ضلال النبهاني من رائيته الصغرى :

مخطوط لأبي المعالي محمود بن شكري الألوسي مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم ميكروفيلم ١٤٠٠/م .

٢ . أحاديث القصاص :

لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق محمد الصباغ المكتب الإسلامي ط/١ ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م .

٣ . أحكام القرآن :

لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ٥٤٣هـ بتحقيق علي البجاوي دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان .

٤ . آداب الشافعي ومناقبه :

لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي تحقيق عبد الغني عبد الخالق مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م .

٥ . أدب البحث والمناظرة :

للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي دار ابن تيمية للطباعة والنشر القاهرة .

٦ . الأدب المفرد :

للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ترتيب وتقديم كمال يوسف حوت ، عالم الكتب بيروت لبنان ط/١ سنة ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م .

٧ . أساس البلاغة :

لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري مطبعة دار الكتب جمهورية مصر العربية ط/٢ سنة ١٩٧٣م .

٨ . أسد الغابة في معرفة الصحابة :

لعز الدين بن الأثير علي بن محمد الجزري المتوفى سنة ٦٣٠هـ تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد .

٩ . أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب :

لمحمد بن السيد درويش الحوت مطابع الدوحة الحديثة .

١٠ . أصول في البدع والسنن :

لمحمد بن أحمد العدوي مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط/٢ ، ١٣٥٣هـ ١٩٣٤م .

١١ . أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد :

للدكتور ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ط/١ سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

١٢. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن :**

لعلامة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الحكني الشنقيطي عالم الكتب بيروت لبنان بدون تاريخ .

١٣. **أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع :**

خليل مردم بك لجنة التراث العربي بيروت لبنان ط/١ سنة ١٩٧١م .

١٤. **الأمر باتباع والنهي عن الابتداع :**

للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ تحقيق مشهور وسليمان حسن دار ابن القيم ط/١ سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م

١٥. **أمية بن أبي الصلت حياته وشعره :**

لبهجة عبد الغفور الحديثي ت ١٩٧٥م ، مطبعة العاني ببغداد .

١٦. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) :**

لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٩١هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ط/٢ ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م

١٧. **أهم الفرق الإسلامية :**

محمد طاهر النيفر . نشرة الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٤م.

١٨. **أول واجب على المكلف عبادة الله تعالى وضوح ذلك من كتاب الله ودعوات الرسل :**

للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان مكتبة لينة ط/١ ، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م .

١٩. **الإبانة عن أصول الديانة :**

للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ) تحقيق الشيخ حماد بن محمد الأنصاري طبعة مركز شئون الدعوة ط/٥ ، ١٤٠٩هـ .

٢٠. **الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة :**

لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ) . تحقيق رضا بن نعسان معطي دار الراية للنشر والتوزيع بالرياض ط/١ ، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م

٢١. **الإبداع في مضار الابتداع :**

لعلي محفوظ دار الاعتصام ط/٥ ، ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م .

٢٢. **اتجاهات التفسير في العصر الراهن :**

للدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب دار البيارق من منشورات مكتبة النهضة الإسلامية ط/٣ سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

٢٣. **إتحاف الأمجاد في ما يصح به الاستشهاد :**

للسيد محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ) تحقيق عدنان عبد الرحمن وزارة الأوقاف العراقية سنة ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

٢٤. **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين :**

لمحمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى دار الفكر

٢٥. **إثبات صفة العلو :**

للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ) تحقيق د/أحمد بن عطية بن علي الغامدي مؤسسة علوم القرآن دمشق ط/١ سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .

٢٦. ***اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية :***

لابن قيم الجوزية الدمشقي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط/١، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م .

٢٧. ***الاجماع :***

للإمام ابن المنذر (ت٣١٨هـ) ، ط/١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

٢٨. ***الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان :***

للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ) تقديم كمال يوسف حوت دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط/١ ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٢٩. ***الاحكام في أصول الأحكام :***

لأبي الحسن علي بن محمد الآمدي دار الكتب العلمية بيروت،نشرمكتبة المعارف بالرياض .

٣٠. ***الأذكار النووية :***

للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي تحقيق سبيع حمزة دارالقبلة للثقافة الاسلامية بجدة ط/١ سنة ١٤١٢هـ ١٩٩١م .

٣١. ***ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل :***

للشيخ محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت لبنان ط/٢ ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٣٢. ***الاستيعاب في معرفة الأصحاب :***

للحافظ أبي عمر بن عبد البر (ت ٤٦٣) هـ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ط/ ١ سنة ١٣٨٩هـ١٩٦٩م .

٣٣. ***الاسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى :***

لنور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بملا علي القاري ت سنة ١٠١٤هـ تحقيق محمد الصباغ دار الأمانة ومؤسسة الرسالة سنة ١٣٩١هـ ١٩٧١م .

٣٤. ***الاشباه والنظائر في القرآن الكريم :***

لمقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة ١٥٠هـ ، تحقيق عبد الله محمود شحاته المكتبة العربية القاهرة ، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م .

٣٥. ***الاشتقاق :***

لأبي بكر محمد بن الحسن بن دردير (ت ٣٢١هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م .

٣٦. ***الاصابة في تمييز الصحابة :***

للحافظ ابن حجر العسقلاني تحقيق طه محمد الزيني مكتبة الكليات الأزهرية الأزهر القاهرة بدون تاريخ .

٣٧. ***الاصول من الكافي :***

لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني دار الكتاب الإسلامي طهران إيران ط/٣ ، ١٣٨٨ هـ .

٣٨.الاعتصام :

لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي ضبطه وصححه أحمد بن عبد الشافي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط/١ ، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م

٣٩.الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة :

للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي ٤٥٨هـ صححه أحمد محمد مرسي (ت١٣٨٠هـ) ١٩٦١م .

٤٠.اعتقاد فرق المسلمين والمشركين :

لفخر الدين محمد بن عمر بن الخطيب الرازي (ت ٦٠٦هـ) مكتبة الكليات الأزهرية -الأزهر - القاهرة ، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

٤١.الاعلام العلية في مناقب ابن تيمية :

للحافظ عمر بن البزاري (ت ٧٤٩هـ) ، تحقيق زهير الشاويش المكتب الإسلامي بيروت لبنان ط/٢ سنة ١٣٩٦هـ

٤٢.الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين :

لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين بيروت ط/ ٨ ١٩٨٩م .

٤٣.الافصاح في فقه اللغة :

لحسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي مطبعة المدني بالقاهرة ط/٢ سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

٤٤.اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم :

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ در الحديث بالأزهر والمحقق منه تحقيق د/ناصر بن عبد الكريم العقل مكتبة الرشيد الرياض ط/٣ ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .

٤٥.الامامة والرد على الرافضة :

للحافظ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠) هـ ، تحقيق وتعليق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ط/ ١ مكتبة العلوم . والحكم ١٤٠٧هـ .

٤٦.انباء الرواة على أنباء النحاة :

للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ٦٤٦هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ط/١ ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م.

٤٧.الانساب :

للإمام أبي سعيد عبد الكريم السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ تقديم البارودي مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان ط/١ سنة ١٤٠٨هـ .

- ب -

٤٨.الباعث على إنكار البدع والحوادث :

لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي معروف بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ) تحقيق بشير محمد عيون مكتبة المؤيد بالطائف ط/١ . ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٤٩.بدائع الفوائد :

لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق معروف مصطفى زريق ورفاقه دار الخير بيروت لبنان ط/١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

٥٠. *بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ :*

للعلامة العز عبد العزيز بن عبد السلام السلمي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي ط/٤ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦هـ .

٥١. *بداية المجتهد ونهاية المقتصد :*

للإمام محمد بن رشد القرطبي دار المعرفة بيروت لبنان ط/ ٧ ١٩٨٥م ١٤٠٥هـ البداية والنهاية للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ دار الفكر العربي بيروت لبنان ط/١ ، ١٣٥١هـ ١٩٣٣م

٥٢. *البدع والنهي عنها :*

لمحمد بن وضاح القرطبي تحقيق محمد أحمد دهمان دار البصائر دمشق ط/٢ ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٥٣. *البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها :*

للدكتور عزت علي عيد عطية دار الكتب الحديثة القاهرة .

٥٤. *بذل الماعون في فضل الطاعون :*

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب ، ١٤١١هـ ، دار العاصمة الرياض ، السعودية .

٥٥. *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز :*

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) تحقيق محمد علي النجار القاهرة ١٣٨٥هـ .

٥٦. *بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس :*

لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت٥٩٩هـ) ، دار الكاتب العربي ١٩٦٧م .

٥٧. *بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب :*

للسيد محمود شكري الآلوسي البغدادي ت ١٣٤٢هـ تحقيق محمد بهجة الأثري منشورات أمين دمج بيروت لبنان .

٥٨. *بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار :*

للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م .

- ت -

٥٩. *تاج التراجم في طبقات الحنفية :*

للشيخ أبي العدل ، زين الدين ، قاسم بن قطلو بغا (ت٨٧٩هـ) ، مطبعة العاني ببغداد ، ١٩٦٢ م .

٦٠. *تاج العروس من جواهر القاموس :*

للسيد محمد مصطفى الحسيني الزبيدي ، تحقيق عبد العزيز مطر ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٣٩٠هـ ، ١٩٧٠ م .

٦١. *تاريخ الدولة العلية العثمانية :*

محمد فريد بك المحامي ، دار الجيل ، بيروت . ب ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م

٦٢. ***تاريخ بغداد أو مدينة السلام :***

للحافظ أبوبكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي . (ت ٤٦٣هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان .

٦٣. ***تاريخ جامع الإمام الأعظم ومساجد الأعظمية :***

للشيخ هاشم الأعظمي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٨٣هـ ، ١٩٦٤م .

٦٤. ***تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري :***

محمد مطيع الحافظ ، ونزار أباظة ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

٦٥. ***تاريخ نجد :***

للسيد محمود شكري الألوسي ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، المطبعة السلفية بمصر القاهرة ، ت ١٣٤٣هـ .

٦٦. ***تاريخ نجد الحديث و ملحقاته :***

لأمين الريحاني ، طبعة دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ط٢ ، ١٩٥٤م .

٦٧. ***تجريد التوحيد المفيد :***

للإمام تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥) مطبعة المنيرية ، بالأزهر ط١، ١٣٧٣م .

٦٨. ***التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية :***

للأستاذ فالح بن مهدي آل مهدي مركز شئون الدعوة بالجامعة الإسلامية ط/٢ ، ١٤٠٦هـ

٦٩. ***ترتيب القاموس المحيط :***

للطاهر أحمد الزاوي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ٢ .

٧٠. ***ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك :***

للقاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت٥٤٤هـ)تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.

٧١. ***الترغيب والترهيب من الحديث الشريف :***

للإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان . ط٣ ، ١٣٨٨ ، ١٩٦٨م .

٧٢. ***تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية :***

للدكتور محمد بن سعد الشويعر ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ط ٢(١٤١٣هـ) ١٩٩٣م .

٧٣. ***التصوف الإسلامي :***

للدكتور / إبراهيم هلال ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط:١ ، ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥م

٧٤. ***تطهير الإعتقاد عن أدران الإلحاد :***

محمد بن إسماعيل الصنعاني ، ضمن الجامع الفريد ، دار الأصبهاني للطباعة بجدة .

٧٥. ***التعرف لمذهب أهل التصوف*** : للكلاباذي ، مكتبة الأزهرية ، ط ١ ، بدون تاريخ .

٧٦. ***التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام :***

للحافظ عبد الرحمن السهيلي ، مطبعة وورشة تجليد الأنوار ، ط١ ، ١٣٥٦ هـ ، ١٩٣٨م .

٧٧. ***تفسير أسماء الله الحسنى :***

لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت١١هـ) تحقيق أحمد بن يوسف الدقاق دار الثقافة العربية دمشق ط/٥، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

٧٨. *تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل :*

للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٦هـ)تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار دار المعرفة بيروت لبنان ط/٢ ، ٠٧هـ ١٩٨٧م .

٧٩. *تفسير القاسمي ، المسمى : محاسن التأويل :*

محمد جمال الدين القاسمي ، (١٣٣٢هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٣٧٦ هـ، ١٩٥٧ م .

٨٠. *تفسير القرآن العظيم :*

لحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار المعرفة بيروت لبنان ، ط١ ، ١٤٠٧ ، ١٩٨٧م

٨١. *التفسير الكبير:*

للفخر الرازي أبي عبد الله محمد بن عمر بن حسين دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط/٣ بدون تاريخ .

٨٢. *تفسير غريب القرآن :*

لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) تحقيق أحمد صقر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه مصر، ١٣٧٨ هـ، ١٩٥٨ م .

٨٣. *تقريب التهذيب :*

للحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف دار المعرفة ، توزيع مكتبة المعارف ، الرياض .

٨٤. *تقريظ الحافظ ابن حجر العسقلاني على الرد الوافر لابن ناصر(ت٨٤٢) :*(من كتاب القول الجلي)

تحقيق وتعليق محمد بن ابراهيم الشيباني ، مكتبة ابن تيمية ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م .

٨٥. *التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح :*

للحافظ العراقي (ت٨٠٦) دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ط٢ ، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م .

٨٦. *تلبيس ابليس :*

لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، (ت٥٩٧هـ) ،دار القلم بيروت لبنان ١٤٠٣هـ

٨٧. *تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير :*

لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، المطبعة النموذجية، بدون تاريخ.

٨٨. *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد :*

لابن عبد البر تحقيق جماعة

٨٩. *التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية :*

لعبد العزيز بن ناصر الرشيد ، مطبعة الإمام بمصر .

٩٠. *تهذيب الأسماء واللغات :*

للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦) ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، بدون تاريخ .

٩١. *تهذيب التهذيب :*

لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الهند ١٣٦٢هـ .

٩٢.تهذيب اللغة :

لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠) ، تحقيق محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٩٣.التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع :

محمد نسيب الرفاعي ، ط ١، ١٣٩٤ ، ١٩٧٤م ، بيروت لبنان .

٩٤.توضيح المقاصد . وتصحيح القواعد :

في شرح قصيدة الإمام ابن قيم الجوزية ، الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، لأحمد بن ابراهيم بن عيسى ، تحقيق زهير شاويش ، المكتب الإسلامي بيروت لبنان ، ط /٣ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

٩٥.التوضيح عن توحيد الخلاق :

لسليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب دار طيبة بالرياض ط/١ ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٩٦.تيسير العزيز الحميد . في شرح كتاب التوحيد :

للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، (ت ١٢٣٣هـ) الدار البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ١٤١٢ هـ، ١٩٩١م .

٩٧.تيسير الكريم الرحمن من تفسير كلام المنان :

للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) ط/الرئاسة العامة للدعوة والافتاء بالرياض .

- ج -

٩٨.الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي :

لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي . (ت ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط ٢ . ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م .

٩٩.الجامع الفريد :

(يحتوي على كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية : شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب والصنعاني والشوكاني وعبد العزيز بن باز دار الأصفهاني للطباعة جدة .

١٠٠.الجامع لأحكام القرآن :

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط/١ ، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

١٠١.الجامع لشعب الإيمان :

للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي . (ت ٤٥٨)هـ ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد. الدار السلفية ، بومباي ، الهند ، ط/١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

١٠٢.جامع مسانيد :

الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي لقاضي القضاة محمد محمود بن محمد الخوارزمي (ت ٦٦٥هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند ، ١٣٣٢هـ .

١٠٣.جلاء العينين في محاكمة الأحمدين :

للسيد نعمان بن خير الدين الشهير بابن الألوسي البغدادي مطبعة المدني ، ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

١٠٤.جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف :

لمحمود أبي المفيض المنوفي الحسيني مطبعة المدني ط/١ ، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م .

١٠٥. ***الجواب الباهر في زوار المقابر :***

لشيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ تحقيق وتقديم د. محمود مطرجي دار القلم ط/١ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م بيروت لبنان .

١٠٦. ***الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح :***

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر القاهرة .

١٠٧. ***الجواهر المضية في طبقات الحنفية :***

لأبي محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي الحنفي (ت ٧٧٥هـ) تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

١٠٨. ***الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف المكرم :***

لأحمد بن حجر الهيتمي الشافعي بدون تاريخ .

- ح -

١٠٩. ***حاشية التفتزاني :***

لسعد الدين التفتزاني ، (ت ٧١٩) تصحيح شعبان محمد اسماعيل ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣ م .

١١٠. ***الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون :***

لجلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، (ت٩١١) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة بمصر،ط٣ ، ١٣٧٨هـ،١٩٥٩م .

١١١. ***حجة الله البالغة :***

للشيخ أحمد ، المعروف بشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي ، بتقديم الشيخ : محمد شريف سكر ، دار إحياء العلوم ، بيروت لبنان ، ط١ ، ١٤١٠،١٩٩٠م.

١١٢. ***حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة :***

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، (ت ٩١١) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط١، ١٣٨٧ ، ١٩٦٧ م .

١١٣. ***الحق الواضح المبين ، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية :***

للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي ، مكتبة المعارف بالرياض ، طبعة جديدة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦ م .

١١٤. ***حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :***

للحافظ أبو بكر بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠) ،مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م .

- خ -

١١٥. ***خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام :***

لأحمد بن زين دحلان ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ،ت ١٣٩٧/ ١٩٧٧م.

١١٦. ***خلاصة تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال :***

لصفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري (ت٩٢٣) مكتبة المطبوعات الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م .

١١٧.**الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة :**

شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي ، ت (٩٧٣) . تحقيق خليل الميس ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .

— د —

١١٨.**الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر :**

لعلي علاء الدين الألوسي ، تحقيق جمال الدين الألوسي ، وعبد الله الجبوري ، وزارة الثقافة والإرشاد ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٣٨٧ ، ١٩٦٧م .

١١٩.**درء تعارض العقل والنقل :**

أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية . تحقيق : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، بالرياض ، ط٢ ، ١٤٠١ /١٩٨١م .

١٢٠.**الدرر السنية في الرد على الوهابية :**

لأحمد بن زيني دحلان ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط د . ١٤٠٥/ ١٩٨٥ م .

١٢١.**الدرر السنية في الأجوبة النجدية :**

لعبد الرحمن بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي ، مؤسسة النور للصناعة ، الرياض ، ط ١ .

١٢٢.**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة :**

لشيخ الإسلام شهاب الدين ، أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

١٢٣.**الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة :**

للحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الاعتصام القاهرة

١٢٤.**دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . عرض ونقد :** و(نقد)

عبد العزيز محمد بن علي العبد اللطيف ، دار الوطن للنشر ، ط١ ، ١٤١٢ هـ .

١٢٥.**دعوة التوحيد . أصولها . الأدوار التي مرت بها . مشاهير دعاتها :**

محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٦ / ١٩٨٦م .

١٢٦.**الدلائل العقليّة على ختم الرسالة المحمدية : (مخطوط) :**

لأبي المعالي محمود شكري الألوسي . مكتبة جامعة الملك سعود ، بالرياض ، (مخطوط) تحت رقم ميكروفيلم ١٣٩٨/ف / ٢٤٥٩/ م خ .

١٢٧.**ديوان أمية بن أبي الصلت . جمع وتحقيق ودراسة :**

لعبد الحفيظ السطلي ، المطبعة التعاونية بدمشق ، ط ٢ ، ١٩٧٧م .

١٢٨.**ديوان الأعشى :**

دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ١٩٦٦م .

١٢٩ .ديوان حسان بن ثابت :

تحقيق سيد حنفي حسنين ، مراجعة حسن كامل الصيرفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ت ١٣٩٤ / ١٩٧٤ م .

١٣٠ .ديوان زهير بن أبي سلمى :

دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٤هـ /١٩٦٤م .

١٣١ .ديوان عبد الله بن رواحة ، ودراسة في سيرته وشعره :

للدكتور وليد قصاب ، دار البيضاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

- ر -

١٣٢ .رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد :

تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٣٥٨ هـ .

١٣٣ .الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام ، كافر :

لابن ناصر الدين الدمشقي ، محمد بن أبي بكر ، الشافعي (ت ٨٤٢) ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط ٣ ، ١٤١١/ ١٩٩١م

١٣٤.الرد على الجهمية والزنادقة مع مقدمة في علم الكلام والمذاهب الهدامة :

للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق وتعليق : د/عبد الرحمن عميرة . ط/٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار اللواء ، الرياض السعودية .

١٣٥ .رسائل في العقيدة :

للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، مكتبة المعارف بالرياض ، ط ٢، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م

١٣٦.رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب :

لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤) تحقيق : عبد الله شاكر ، محمد الجنيدي ، ط المجلس العلمي ، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤١٣هـ .

١٣٧ .رسالة السجزي إلى أهل زبيد ، في الرد على من أنكر الحرف والصوت :

لأبي نصر عبيد الله السجزي (ت ٤٤٤) ، تحقيق د. محمد باكريم با عبد الله ، طبعة المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط١ ، ١٤١٣هـ .

١٣٨ .الرسالة المستطرفة لبيان مشهور السنة المشرفة :

للسيد الشريف محمد بن جعفر الكتابي ، (ت ١٣٤٥) ، مطبعة دارالفكر ، بدمشق ط ٣ ، ت ١٣٨٣ / ١٩٦٤ م .

١٣٩.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :

لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي ، (ت١٢٧٠) ، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨ / ١٩٨٧ م .

- ز -

١٤٠.زاد المسير في علم التفسير :

لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .

١٤١. ***زعماء الإصلاح في العصر الحديث :***

لأحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ت ١٩٧٩م .

- س -

١٤٢. ***سلسلة الأحاديث الصحيحة . وشيء من فقهها وفوائدها :***

محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف بالرياض ، ط: ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م .

١٤٣. ***سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة . وأثرها السيء في الأمة :***

محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف بالرياض ، ط١ ، الجديدة ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

١٤٤. ***سنن أبي داود :***

للإمام الحافظ أبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، الأزدي (ت ٢٧٥هـ) دار الحديث للطباعة والنشروالتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٣٨٨هـ ١٩٦٩ م .

١٤٥. ***سنن ابن ماجة :***

لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، (ت ٢٧٥) ، تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، بدون تاريخ .

١٤٦. ***سنن الدارقطني :***

للإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني ، (ت ٣٨٥) ، تحقيق عبد الله هاشم ، يماني المدني ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، ت ١٣٨٦ / ١٩٦٦م .

١٤٧. ***سنن الدارمي :***

للإمام الحافظ ، أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي ، (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط١ ، ت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م .

١٤٨. *السنن الكبرى :*

للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، (ت ٤٥٨) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

١٤٩. ***سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، مع حاشية الإمام السندي :***

دار الحديث ، القاهرة ، ت ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧ .

١٥٠. ***سير أعلام النبلاء :***

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، (ت ٧٤٨هـ) ، مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان ، ط١ ، ت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .

- ش -

١٥١. ***شأن الدعاء :***

لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت٣٨٨) ، تحقيق : أحمد بن يوسف الدقاق ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٤/ ١٩٨٤م .

١٥٢.*شجرة النور الزكية في طبقات المالكية :*

لمحمد بن محمد المخلوف ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

١٥٣.*شذرات الذهب في أخبار من ذهب :* لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ،(ت١٠٧٩)،مكتبة القدس،القاهرة١٣٥١هـ

١٥٤.*شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة ، من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم :*

لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ، (ت ٤١٨) ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان الغامدي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، بدون تاريخ .

١٥٥.*شرح الأصول الخمسة :*

لعبد الجبار أحمد، تحقيق:عبد الكريم عثمان،مكتبة وهبة ،ط/١، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م

١٥٦.*شرح السنة :*

لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، (ت ٣٢٩)، تحقيق : د. محمد بن سعيد القحطاني ، دار بن القيم ، ط١ ، ت ١٤٠٨ .

١٥٧.*شرح السنة :*

لأبي محمد الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي ، (ت ٥١٦) ، تحقيق وتخريج : شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ت ١٣٩٩ / ١٩٧٩ م.

١٥٨.*شرح العقيدة الأصفهانية :*

لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمة (ت ٧٢٨) ، تقديم حسنين محمد مخلوف ، دار الكتب الحديثة .

١٥٩.*شرح العقيدة الطحاوية :*

لابن أبي العز الحنفي ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط ٥، ١٣٩٩ هـ.

١٦٠.*شرح العقيدة الواسطية ، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية :*

لشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، طبع الرئاسة العامة ، بالرياض ، ١٤١١ هـ .

١٦١.*شرح حديث النزول :*

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط٦، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .

١٦٢.*شرح صحيح مسلم :*

للإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي الشافعي، (ت ٦٧٦) ، بمراجعة الشيخ / خليل الميسي ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

١٦٣.*شرح قصيدة أحمد بن عبد الحميد الشاوي بك البغدادي :*

لمحمود شكري الألوسي ،(مخطوط) بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ، رقم ميكروفيلم (ف/ ١٤٠٠ / ب) .

١٦٤.*شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري :*

للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان ، مكتبة المدني بجدة ، توزيع مكتبة الدار ، بالمدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .

١٦٥. ***الشريعة*** :

لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، (ت ٣٠٦) . تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٠٣ / ١٩٨٣م .

١٦٦. ***شفاء السقام في زيارة خير الأنام*** :

لعلي بن عبد الكافي ، تقي الدين السبكي الشافعي ، (ت٧٥٦) ط٢ ، ١٩٧٨م.

١٦٧. ***شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*** : لأبي عبد الله ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، (ت٧٥١) ، مكتبة دار التراث ،القاهرة .

١٦٨. ***الشفاء بتعريف حقوق المصطفى*** :

لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، (ت ٥٤٤) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

١٦٩. ***شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق*** :

ليوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني (ت١٣٥٠) ، مطبعة شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، بمصر ، ١٣٥١/ ١٩٣٣م .

١٧٠. ***الشيعة و أهل البيت*** :

لإحسان إلهي ظهير ،إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، ط/٧ ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م

١٧١. ***الشيعة والتشيع فرق وتاريخ*** :

لإحسان إلهي ظهير،إدارة ترجمان السنة،لاهور ، باكستان،ط/٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

– ص –

١٧٢. ***الصارم المسلول على شاتم الرسول*** :

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ، (ت٧٢٨)هـ تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، للطباعة والنشر ، صيدا ، لبنان ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

١٧٣. ***الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية*** :

لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد بن عبد الغفور عطار ،دار العلم ، للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

١٧٤. ***صحيح الأدب المفرد للبخاري*** :

محمد ناصر الدين الألباني ، دار الصديق ، الجبيل ، السعودية ، ط٢ ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م .

١٧٥. ***صحيح البخاري*** :

للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل إبراهيم البخاري الجعفي (ت ٢٥٦) هـ . طبعة الأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة ، باستنبول ، دار الفكر ، بدون تاريخ .

١٧٦. ***صحيح الجامع الصغير للسيوطي*** :

تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، مكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

١٧٧. ***صحيح سنن أبي داود*** : محمد بن ناصر الدين الألباني ،مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط١ ، الرياض ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

١٧٨. *صحيح سنن ابن ماجة :*

لمحمد بن ناصر الدين الألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ط٣، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .

١٧٩. *صحيح مسلم :*

للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، (ت ٢٦١)هـ ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي بمصر ، ط١ ، ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥م.

١٨٠. *الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه :*

محمد أمان علي الجامي ، طبعة المجلس العلمي ، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

١٨١. *صفة الصفوة :*

لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي (ت ٥٩٧) هـ ، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلة جي ، دار الوعي ،حلب ،ط١ ، ١٣٩٠هـ .

١٨٢. *صلح الإخوان من أهل الإيمان، وبيان الدين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم:*

لداود بن سليمان بن جرجيس ، العراقي ، مطبعة نخبة الأخيار ، بمبي ، الهند ، ١٣٠٦ هـ .

١٨٣. *صون المنطق والكلام عن فنّ المنطق والكلام :*

لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١) هـ ، تعليق علي سامي ، دار الكتب العلية بيروت ، بدون تاريخ .

– ض –

١٨٤. *ضوابط المعرفة ، وأصول استدلال والمناظرة :*

لعبد الرحمن حسن حبنكه ، الميداني ، ط١ ، ت : ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

–ط–

١٨٥. *طائفة النصيرية ، تاريخها وعقائدها :*

للدكتور سليمان الحلبي ، المطبعة السلفية ،بالقاهرة .

١٨٦. *طبقات الأولياء :*

لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن أحمد بن الملقن ، (ت ٨٠٤)هـ ، تحقيق : نور الدين شريبة ، مطبعة دار التأليف ، ط١ ، ت١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٨٧. *طبقات الحفاظ :*

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١) هـ ، تحقيق: علي محمد عمر ،مطبعة الإستقلال الكبرى ، بالقاهرة ، ط١، ت١٣٩٣ هـ /١٩٧٣م.

١٨٨. *طبقات الحنابلة :*

للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان . بدون تاريخ .

١٨٩. *طبقات الشافعية الكبرى :*

لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١) هـ ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، مكتبة ابن تيمية ، ط١ ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .

١٩٠. *الطبقات الكبرى لابن سعد :* دار صادر ، بيروت ، لبنان .

١٩١. *طبقات المفسرين :*

للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت ٩٤٥) هـ ، تحقيق علي محمد عمر ، مطبعة الإستقلال الكبرى ، نشر مكتبة وهبة ، ط ١، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م .

– ع –

١٩٢. *العبر في خبر من غبر :*

مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي ، (ت ٧٤٨)هـ ، تحقيق : أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م .

١٩٣. *العبودية :*

للإمام تقي الدين ابن تيمية ، (ت ٧٢٨) هـ ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ط ١،طبع دار الكتب العلمية بيروت، ت ١٤٠١هـ ١٩٩١م .

١٩٤. *العقد الثمين في بيان مسائل الدين :*

لعلي بن محمد بن عبد الله السويدي ،طبع بالمطبعة البهية ، بمصر ، سنة ١٣٢٥ هـ .

١٩٥. *العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين :*

لتقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المكي ، (ت ٨٣٢) هـ ، تحقيق :فؤاد سيد ، مطبعة السنة ، بدون تاريخ .

١٩٦. *عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، وأثرها في العالم الإسلامي :*

للدكتور صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود ،مطبعة المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية ، بالمدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .

١٩٧. *عقيدة المسلمين ، والرد على الملحدين والمبتدعين :*

للشيخ صالح بن إبراهيم البليهي ، المطابع الأهلية للأوفيست بالرياض ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ .

١٩٨. *العلو للعلي الغفار ، في صحيح الأخبار وسقيمها :*

للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨) هـ ، تصحيح : عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية ، بالمدينة المنورة ، ط ٢ ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

١٩٩. *عمل اليوم والليلة :*

للحافظ أبي بكر أحمد بن محمد الدينوري ، المعروف بابن السني (ت ٣٦٤) هـ تحقيق وتعليق : محمد بشير عيون ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧ م .

٢٠٠. *عمل اليوم والليلة :*

للإمام أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : الدكتور فاروق حمادة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

٢٠١. *عنوان المجد في تاريخ نجد :*

للعلامة المحقق عثمان بن بشر النجدي الحنبلي ، (ت ١٢٨٨) هـ مكتبة الرياض الحديثة ، بدون تاريخ .

٢٠٢. *عوارف المعارف :*

للسهروردي ، ملحق بالإحياء ، الجزء الخامس ، دار القلم ، بيروت لبنان .

– غ –

٢٠٣. *غاية الأماني في الرد على النبهاني :*

لأبي المعالي محمود شكري الألوسي،(ت١٣٤٢)هـ،توزيع مكتبة ابن تيمية،القاهرة.

– ف –

٢٠٤. *الفائق في غريب الحديث :*

للإمام جار الله الزمخشري الخوارزمي ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، بحيدر آبادي ، الهند ، ط١ ، بدون تاريخ .

٢٠٥. *الفتاوى السعدية :*

للشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي ، مكتبة المعارف بالرياض ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

٢٠٦. *الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان :*

للإمام الهمام ، المكتبة السلفية بالقاهرة ، نشر : قصي محب الدين الخطيب .

٢٠٧. *فتح المبين لشرح الأ ربعين :*

لأحمد بن حجر الهيتمي المكي ، دار إحياء الكتب العربية ، الحلبي ، بمصر .

٢٠٨. *فتح الباري بشرح صحيح البخاري :*

للحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني ، ت (٨٥٢) هـ ، دار المعرفة ، أشرف على طبعه : محب الدين الخطيب .

٢٠٩. *فتح العزيز بشرح الوجيز :*

للرافعي – عبد الكريم بن محمد ، (مخطوط) بمكتبة الجامعة الإسلامية ، قسم المخطوطات .

٢١٠. *فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير :*

لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠) هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان .

٢١١. *فتح المجيد شرح كتاب التوحيد :*

لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، طبعة الرئاسة العامة ، لإدارة البحوث العلمية ، ٢ ، ١٤١١ هـ .

٢١٢. *فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي :*

للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢)هـ ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية ، بالمدينة المنورة ، ط٢ ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .

٢١٣. *الفتوى الحموية الكبرى :*

لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ،(ت٧٢٨)هـ ، طبع : دار المطبعة السلفية، بالقاهرة ، ط٤ ، ت ١٤٠١ هـ ، نشرقصي محب الدين الخطيب .

٢١٤. *فرائد اللآلي من رسائل الغزالي :*

لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، (ت ٥٠٥) هـ ، مطبعة السعادة بمصرط١، ١٣٤٣ هـ /١٩٢٤م .

٢١٥. ***الفرق بين الفرق :***

للبغدادي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٢١٦. ***فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها :***

للدكتور غالب بن علي عواجي ، مكتبة لينة للطبع والنشر ، ط١ ، ت ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

٢١٧. ***الفروق :***

لشهاب الدين أبي العباس الصنهاجي ، المشهور بالقرافي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، دون تاريخ .

٢١٨. ***الفصل في الملل والأهواء والنحل :***

لأبي محمد علي بن محمد بن أحمد المعروف بابن حزم ، تحقيق : محمد إبراهيم نصر ، وعبد الرحمن عميرة ، شركة مكتبات عكاظ ، للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤١٢هـ ١٩٩٣م .

٢١٩. ***الفقه الأكبر :***

للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٢٢٠. ***الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة :***

لعبد الرحمن عبد الخالق ، مكتبة ابن تيمية ، الكويت ، ط٣ ، بدون تاريخ .

٢٢١. ***الفوائد البهية في تراجم الحنفية :***

لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ، دار المعرفة ، بيروت .

٢٢٢. ***الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة :***

للإمام محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ت ١٣٩٢هـ .

٢٢٣. ***فيض القدير بشرح الجامع الصغير :***

محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، ط١ ، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م .

– ق –

٢٢٤. ***قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة :***

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم تيمية ، تحقيق الشيخ الربيع بن هادي المدخلي مكتبة لينة ، للطبع والنشر ، ط١ ، ت ١٤١٢هـ .

٢٢٥. ***القضاء والقدر :***

لفاروق أحمد الدسوقي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ .

٢٢٦. ***القضاء والقدر بين الفلسفة والدين :***

لعبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م

٢٢٧. ***القلائد الفرائد في أصول العقائد :***

لمحمد المهدي الحسيني ، تحقيق : حودت كاظم القزويني ، مطبعة الإرشاد بغداد ، ١٩٧٢م .

٢٢٨. ***القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية :***

للعلامة العلّامة السيد صفي الدين الحنفي البخاري ، مكتبة ابية ، للنشر والتوزيع .

- ك -

٢٢٩. *الكامل في التاريخ :*

للإمام العلاّمة عمدة المؤرخين أبي الحسين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير ، (ت ٦٣٠) ، تعليق نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، ط٦ ، ت ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦م .

٢٣٠. *الكامل في ضعفاء الرجال :*

لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥) هـ ، دار الفكر بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ /١٩٨٤ م.

٢٣١. *الكتاب (كتاب سيبويه) :*

لأبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨ م.

٢٣٢. *كتاب الآمالي :*

للإمام المرشد بالله يحي بن الحسين السجزي ، الشهير (بالأمالي الخمسية) ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ومكتبة المتنى بالقاهرة .

٢٣٣. *كتاب الأسماء والصفات :*

لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨) هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ .

٢٣٤. *كتاب الأغاني :*

لأبي الفرج الأصفهاني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، بالقاهرة ، ط١ ، ١٣٥٠ هـ ١٩٣١ م .

٢٣٥. *كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد :*

لإمام الحرمين الجويني ،(ت ٤٧٨) هـ ،تحقيق : محمد بن يوسف موسى ، وعلي عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة المثنى ببغداد . ١٣٦٩هـ /١٩٥٠ م .

٢٣٦. *كتاب الإعلام بقواطع الإسلام ، ضمن الزواجر (الجزء الثاني) :*

لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، (ت٩٧٤) هـ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، وأولاده ، بمصر، ط٢ ، ١٣٩٠هـ١٩٧٩م.

٢٣٧. *كتاب الإقتصاد في الإعتقاد :*

لأبي حامد الغزالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ،١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م .

٢٣٨. *كتاب التاريخ الكبير :*

لأبي عبد الله اسماعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

٢٣٩. *كتاب التعريفات :*

لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، (ت ٨١٦) هـ، تحقيق : ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط٢، ١٤١٣ هـ /١٩٩٢ م.

٢٤٠. *كتاب التوحيد :*

لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١) هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان

٢٤١. ***كتاب التوحيد :***

لأبي منصور الماتريدي ، تحقيق : فتح الله خليف ، دار المشرق ، بيروت ، بدون تاريخ .

٢٤٢. ***كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل :***

للإمام أبي محمد بن اسحاق بن خزيمة ،(ت ٣١١)هـ ، تحقيق : عبد العزيز الشهوان دار الرشيد للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ،١٩٨٨م .

٢٤٣. ***كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الإتفاق والتفرد :***

لأبي عبد الله محمد بن اسحاق بن مندة . (ت ٣٩٥) هـ ، تحقيق وتعليق : د.علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، طبع مركز شؤون الدعوة ، بالجامعة الإسلامية ،ط١ ، ١٤٠٩هـ .

٢٤٤. ***كتاب الثقات :***

للإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد بن حاتم التميمي ، البستي (ت٣٥٤) هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آبادي الهند ، ط١ ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

٢٤٥. ***كتاب الجرح والتعديل :***

لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ، محمد بن ادريس المنذري التميمي الرازي ، (ت ٣٢٧) هـ ،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آبادي ، الهند ، ط١، هـ ،١٩٥٢ م . دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

٢٤٦. ***كتاب الحوادث والبدع :***

للإمام أبي بكر محمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي ، المعروف بابن رندقة (ت٥٢٠) هـ ، تحقيق محمد بشير عيون ، ١٤١٢ هـ /١٩٩١ م .

٢٤٧. ***كتاب الرد على الجهمية :***

للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق : زهير الشاويش. وتخريج محمد بن ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٤، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

٢٤٨. ***كتاب السنة :***

لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٩٠) هـ ، تحقيق محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط١ ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

٢٤٩. ***كتاب السنة :***

للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم ، الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧)هـ ومعه : ظلال الجنة في تخريج السنة ، لمحمد بن ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٣ ، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م .

٢٥٠. ***كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، ومجانبة المخالفين ، ومباينة أهل الأهواء المارقين :***

للإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي ، (ت٣٨٧) هـ تحقيق : رضا بن نعسان معطي ، المكتبة الفيصلية ، بمكة المكرمة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م .

٢٥١. ***كتاب الصلة في تاريخ أئمة أندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم :***

لأبي القاسم خلف بن عبد الملك ، المعروف بابن بشكوال (٥٧٨)هـ ،نشر السيد عزت الحسيني ، ١٣٧٤ هـ /١٩٥٥ م .

٢٥٢.*كتاب الضعفاء الكبير :*

لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، بدون تاريخ .

٢٥٣.*كتاب الغنية لطالب طريق الحق عز وجل في معرفة الآداب الشرعية ، ومعرفة الصانع عز وجل :*

لعبد القادر الجيلاني ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر .

٢٥٤.*كتاب الفتاوى :*

للإمام العز بن عبد السلام (عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام) السلمي الشافعي (ت ٦٦٠) هـ ، تخريج وتعليق : عبد الرحمن بن عبد الفتاح ، توزيع مكتبة المعارف بالرياض ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦ م. دار المعرفة بيروت لبنان .

٢٥٥.*كتاب الفهرست :*

لابن النديم أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق ، المعروف بالوراق ،تحقيق : رضا .

٢٥٦.*كتاب الكفاية في علم الرواية :*

للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت ، المعروف بالخطيب البغدادي ، إدارة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آبادي ، الهند .١٣٥٧ هـ .

٢٥٧.*كتاب الكنى والأسماء :*

لأبي بشير محمد بن أحمد بن حماد ،الدولابي (ت ٣١٠ هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، بحيدر آبادي ، الهند .

٢٥٨.*كتاب الكواكب الدرية في مناقب الإمام المجتهد شيخ الإسلام ابن تيمية :*

للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي،مطبعة كردستان العلمية ،مصر ،١٣٢٩هـ.

٢٥٩.*كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين :*

لمحمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي ، (ت٣٥٤)هـ ، تحقيق محمود ابراهيم زايد ، دار الوعي ، بحلب ، سوريا ، ط٢ ، ١٤٠٢ هـ .

٢٦٠.*الكتاب المقدس (كتب العهد القديم و العهد الجديد) :*

دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، ت ١٩٨٨ م .

٢٦١.*كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف (بالخطط المقريزية) :*

لتقي الدين أبي العباس ، أحمد بن علي المقريزي ، (ت٨٤٥) هـ ،دارصادر بيروت .

٢٦٢.*كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :*

لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١) هـ ، دار المعرفة ن بيروت ، لبنان .

٢٦٣.*كتاب تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث :*

للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمرالشيباني،دارالكتاب العربي بيروت.

٢٦٤.*كتاب جمهرة اللغة :*

لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ،(ت٣٢١) هـ، دارصادر، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

٢٦٥. *كتاب دلائل الرسوخ في الرد على المنفوخ :*

للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، ط٢ ، ١٣٨٢ هـ /١٩٦٢ م .

٢٦٦. *كتاب كشف الشبهات في التوحيد :*

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، تخريج : محمد مطرجي ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦ م .

٢٦٧. *كشاف اصطلاحات الفنون :*

لمحمد عبد الفاروقي التهانوي ، تحقيق : د. لطفي عبد البديع ، ورفاقه ، المؤسسة المصرية العامة ، للتأليف والترجمة ، والطباعة والنشر ، ١٣٨٣ هـ /١٩٦٣م.

٢٦٨. *كشاف القناع عن متن الإقناع :*

للشيخ منصور يونس البهوتي ، مراجعة هلال مصيلحي هلال ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢ م .

٢٦٩. *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التأويل :*

لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨) هـ ، ويليه الكافي الشافي ، لابن حجر العسقلاني ، (ت٨٥٢) هـ ، دار المعرفة ،بيروت.

٢٧٠. *كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس :*

للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني ، (ت ١١٦٢هـ) هـ ، تصحيح وتعليق: أحمد القلاش ، مكتبة التراث الإسلامي ، حلب سوريا .

٢٧١. *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون :*

لمصطفى بن عبد الله ، الشهير حاجي خليفة ، من منشورات مكتبة المثنى ،بغداد.

٢٧٢. *كنز السعادة في شرح الشهادة :*

لمحمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢)هـ ، تحقيق : علي فريد دحروج ، نشر دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٤١١هـ /١٩٩١ م .

٢٧٣. *الكواشف الجلية عن معاني الواسطية :*

للشيخ عبد العزيز محمد بن السلمان ، ط١٨ ، ت ١٤١٣ هـ .

- ل -

٢٧٤. *لسان العرب :*

لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منصور ، الإفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت .

٢٧٥. *لسان الميزان :*

لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢) هـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان ، ط٢ ، ١٣٩٧ هـ /١٩٧٧ م .

٢٧٦.*لوامع الأنوار البهية ، وسواطع الأسرار الأثرية ، شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية* :
لمحمد بن أحمد السفاريني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١١هـ ١٩٩١م .

- م -

٢٧٧.*مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب* :

٢٧٨.*المبدع في شرح المقنع* :
لأبي اسحاق برهان الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح الحنبلي (ت ٨٨٤) هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت، لبنان ،ط١، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤م.

٢٧٩.*مجمع الزوائد ومنبع الفوائد* :
للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧) هـ ، مكتبة القدس القاهرة ، سنة ١٣٥٢ هـ .

٢٨٠.*المجموع شرح المهذب* :
للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦) هـ ، دار الفكر ، للطباعة والنشر .

٢٨١. *مجموع مهمات المتون* :
دار الفكر ، ط٤ ، ت :١٣٦٩هـ /١٩٤٩ م .

٢٨٢.*مجموعة الرسائل الكبرى* :
لأبي العباس أحمد بن تيمية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ

٢٨٣.*مجموعة الرسائل المنيرية* :
لبعض أئمة الدعوة ، مكتبة طيبة ، الرياض .

٢٨٤.*مجموعة الرسائل والمسائل النجدية* :
لبعض علماء نجد ، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ .

٢٨٥.*المحكم والمحيط الأعظم* :
لعلي بن اسماعيل بن سيدة (ت ٤٥٨) هـ ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط١ ، ١٣٧٧ هـ /١٩٥٨م.

٢٨٦.*محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه* :
للأستاذ مسعود الندوي ، مطبعة زمزم ط١ ، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م .

٢٨٧.*محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية* :
لمحمد بهجة الأثري، المطبعة الكاملية ، بمصر ، ١٩٥٨ م .

٢٨٨. *مختصر التحفة الاثني عشرية* :
لأبي المعالي محمود شكري الألوسي ، (ت ١٣٤٢)هـ ، تحقيق محب الدين الخطيب ، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ....الرياض ١٤٠٤ هـ.

٢٨٩.*مختصر قيام الليل ، وقيام رمضان ، وكتاب الوتر* :
لشيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن نصر المروزي ، (٢٩٤) هـ ، اختصره العلاّمة أحمد بن علي المقريزي (٨٤٥) هـ ، عالم الكتب ، ط٢، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.

مختصر منهاج السنة النبوية لأبي العباس أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨) هـ :

اختصره الشيخ عبد الله الغنيمان ، ١٤١٠ هـ .

٢٩٠. *المخصص :*

لأبي الحسن علي بن اسماعيل ، المعروف بابن سيدة ،(ت٤٥٨) هـ ،المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، مصر ، المحمية ، ط١ ، ١٣٢٠ هـ .

٢٩١. *مدارج السالكين بين منازل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ :*

لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١) هـ ، مراجعة جمع من العلماء ، بإشراف الناشر ، دار الحديث القاهرة ، بدون تاريخ.

٢٩٢. *المدخل :*

لابن الحاج ،(ت ٧٣٧هـ) هـ ، المطبعة المصرية بالأزهر،ط١ ،١٣٤٨هـ ١٩٢٩م.

٢٩٣. *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان :*

لأبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي ،(ت٧٦٨)هـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط٢ ، ١٩٧٠ م .

٢٩٤. *مروج الذهب ومعادن الجوهر :*

لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦)هـ ،تقديم : معيد محمد قميحة ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ،١٤٠٦ هـ /١٩٨٦م .

٢٩٥. *مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة :*

للدكتور ناصر بن عبدالله بن علي القفاري ، دار طيبة ،الرياض ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

٢٩٦. *مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية :*

للسيد محمود شكري الألوسي ، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،١٣٩٦هـ.

٢٩٧. *المستدرك على الصحيحين :*

للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥) هـ ، دار الفكر ،بيروت ، ١٣٩٨هـ /١٩٧٨ م .

٢٩٨. *المستدرك على معجم المؤلفين . وتراجم مصنفي الكتب العربية :*

لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،لبنان ،ط١،١٤٠٦ هـ/١٩٨٥م .

٢٩٩. *المستشرقون :*

لنجيب العقيقي ، دار المعارف بمصر ، ط٣ ، ١٩٦٤ م .

٣٠٠. *المستصفى من علم الأصول :*

لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، مطبعة مصطفى محمد ، ط١ ، ١٣٥٦هـ /١٩٣٧ م .

٣٠١. *المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر :*

لأبي المعالي محمود شكري الألوسي ، تحقيق عبد الله الجبوري ، دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢م .

٣٠٢. *مسند أبي داود الطيالسي :*

للحافظ سليمان بن داود بن الجارود الفارسي ، البصري ، الشهير بأبي داود الطيالسي (ت٢٠٤) هـ ، دار المعرفة ، توزيع :دار الباز بمكة المكرمة .

٣٠٣.*مسند أبي يعلى الموصلي :*

الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧)هـ، تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ /١٩٨٤ م .

٣٠٤.*مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني :*

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢ ،١٣٩٨ هـ /١٩٧٨م .

٣٠٥.*مشارق الأنوار على صحاح الآثار :*

للإمام الشهير الحافظ القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض (٥٤٤)هـ طبع ونشر المكتبة العتيقة ،تونس ، ودار التراث القاهرة .

٣٠٦. *مشاهير علماء الأمصار :*

لمحمد بن حبان البستي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩م.

٣٠٧. *مشاهير علماء نجد وغيرهم :*

للعلاّمة عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .

٣٠٨.*المشتهر من الحديث الموضوع والضعيف ، والبديل الصحيح :*

لعبد المتعالى محمد الجبري مكتبة وهبة القاهرة ، ط١، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.

٣٠٩. *مشكاة المصابيح :*

للشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي ، تحقيق : محمد بن ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١، هـ /١٩٦١ م .

٣١٠.*مشكل الآثار :*

لأبي جعفر الطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي المصري الحنفي ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند، ط١ ، ١٣٣٣ هـ .

٣١١.*مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة :*

تحقيق محمد المنتقى الكشناوي ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط١، ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢ م .

٣١٢.*المصنف :*

للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١) هـ ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م .

٣١٣.*المصنف في الأحاديث والآثار :*

للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥)هـ .

٣١٤.*معارج الألباب في مناهج الحق والصواب :*

لحسن بن مهدي اليمني النعمي (ت ١١٨٧) هـ تحقيق : محمد حامد الفقي ، تخريج علي حسن عبد الحميد ، مكتبة المعارف ، بالرياض ، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٣١٥. *المعارف :*

لابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦) هـ ،تحقيق: د. ثروت عكاشة دار المعارف ، بمصر ، القاهرة ، ط٢ ، بدون تاريخ .

٣١٦. *المعاصرون :*

لمحمد كرد ، تعليق محمد المصري ، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، هـ /١٩٨٠ م .

٣١٧. *معاني القرآن :*

للإمام أبي جعفر النحاس (ت٣٣٨) هـ ،تحقيق : محمد علي الصابوني . جامعة أم القرى ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، بمكة المكرمة .

٣١٨. *معاني القرآن :*

لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء (ت ٢٠٧) هـ،تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٧٤ هـ /١٩٥٥م.

٣١٩. *معاني القرآن واعرابه :*

لأبي اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١)هـ ، تحقيق : عبد الجليل عبده الشبلي ، عالم الكتب ، ط١، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م . بيروت ، لبنان .

٣٢٠. *المعتزلة :*

لزهدي حسن جار الله ، مطبعة مصر ، شركة مساهمة مصرية ، ت١٣٦٦هـ- ١٩٤٧ م .

٣٢١. *معجم الأدباء :*

لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦) هـ ، مكتبة عيسى البابي وشركاه ، الطبعة الأخيرة ، بدون تاريخ .

٣٢٢. *معجم الأعلام ، معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين :*

لبسام عبد الوهاب الجابي ، الحفن الجابي للطباعة والنشر ، قبرص ، ط١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧ م .

٣٢٣. *المعجم الكبير :*

للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠) هـ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، الدار العربية للطباعة بغداد ، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٣٢٤. *معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية :*

لعمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٣٢٥. *معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين :*

لكوركيس عواد ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٩ م.

٣٢٦. *معجم قبائل العرب القديمة والحديثة :*

لعمر رضا كحالة ، دار العلم للملايين ، بيروت ،لبنان ، طبعة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م.

٣٢٧. *معجم مقاييس اللغة :*

لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، شركة مكتبةومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

٣٢٨.*المغني في أبواب العدل والتوحيد :*

للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، تحقيق : د .توفيق الطويل ورفاقه ، المؤسسة المصرية العامة ، للتأليف والطباعة والنشر .

٣٢٩.*مفتاح العلوم :*

لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٣٦) هـ ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، مطبعة دار الرسالة ، بغداد، ط١ ، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢ م .

٣٣٠.*مفردات ألفاظ القرآن :*

للعلامة الراغب الأصفهاني ، تحقيق:صفوان عدنان داوودي ، دار القلم دمشق ، والدار الشافعية بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ /١٩٩٢ م .

٣٣١.*مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين :*

لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق :محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٩ هـ /١٩٦٩ م .

٣٣٢.*المقالات والفرق :*

لسعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي (ت ٣٠١) هـ ، تصحيح وتعليق محمد جواد مشكور، مطبعة الحيدري ، طهران ، ١٩٦٣ م .

٣٣٣.*الملل والنحل :*

لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، (ت ٥٤٨) هـ ، تحقيق : أحمد سيد كيلاني ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى القاهرة ، ١٣٩٦هـ /١٩٧٦م .

٣٣٤.*مناقب الإمام أحمد بن حنبل :*

لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧)هـ مكتبة الخانجي ، ط٢ .

٣٣٥.*المنتظم في تاريخ الأمم والملوك :*

لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت٥٩٧) تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ /١٩٩٢م .

٣٣٦.*المنتقى من منهاج الإعتدال في نقض كلام أهل الرفض والإعتزال ، مختصر منهاج السنة لابن تيمية :*

اختصره الإمام الذهبي ، تحقيق : محب الدين الخطيب ،طبعة الرئاسة العامة للإفتاء ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ .

٣٣٧.*منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس :*

للعلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (١٣٩٢) هـ ، نشر دار الهداية ، للطباعة والنشر والترجمة ، الرياض ،ط٢ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣٣٨.*منهاج السنة النبوية :*

لأبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، ط١، ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦ م .

٣٣٩.*المنهاج في شعب الإيمان :*

للحافظ أبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي (ت ٤٠٣) هـ ،تحقيق : حلمي محمود فودة ، دار الفكر ، ط١ ، ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م .

٣٤٠.**منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات :**

للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي.

٣٤١.**الموافقات في أصول الشريعة :**

لإبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي (ت٧٩٠) هـ ، مطبعة مصطفى محمد ، صاحب المكتبة التجارية الكبرى ، بمصر .

٣٤٢.**المواقف في علم الكلام :**

للقاضي عبد الرحمن أحمد الإيجي (ت٧٥٦)هـ ،عالم الكتب بيروت لبنان .

٣٤٣.**الموسوعة العربية الميسرة :**

دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت، لبنان ، ت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٣٤٤.**موسوعة المستشرقين :**

عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط٢، ١٩٨٩م.

٣٤٥.**الموطأ :**

لإمام دار الهجرة مالك بن أنس (ت١٧٩) هـ ،تحقيق وتعليق :د. بشار عواد و معروف ومحمود محمد خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤١٢ هـ /١٩٩٢م .

٣٤٦.**ميزان الاعتدال في نقد الرجال :**

لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ،لبنان ، ط١ ، ١٣٨٢هـ /١٩٦٣م .

— ن —

٣٤٧.**نتائج الفكر في النحو :**

لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ،منشورات جامعة قاريونس ، ت ١٣٩٨ هـ /١٩٧٨ م .

٣٤٨.**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة :**

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن يغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤) هـ ، نشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب بمصر ، بدون تاريخ .

٣٤٩.**نزهة الأعين النواظر ، في علم الوجوه والنظائر :**

جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق : عبد الكريم كاظم الرضي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ت ١٤٠٤ هـ /١٩٨٤ م.

٣٥٠.**نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر :**

للعلاّمة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،بحيدر آبادي الهند، ط١ ، ت ١٣٧٨ هـ /١٩٥٩م .

٣٥١.**نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر :**

لابن حجر العسقلاني ، مؤسسة المكتبة العلمية ، بالمدينة المنورة ، النمنكاني .

٣٥٢.*نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب :*

للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ت ١٣٨٨هـ /١٩٦٨ م .

٣٥٣.*نقض المنطق :*

لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨) هـ ، تحقيق : محمد بن عبد الرزاق حمزة ، صححه محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية القاهرة .

٣٥٤.*النكت على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر :*

لابن حجر العسقلاني ، تحقيق : علي بن حسن الحلبي ، دار ابن الجوزي ، للنشر والتوزيع ، الدمام ، ط١ ، ت ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م .

٣٥٥.*النهاية في غريب الحديث والأثر :*

للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، ابن الأثير ، تحقيق : محمود محمد الطناحي ، نشر المكتبة الإسلامية ، ط١ ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٣٥٦.*نهج البلاغة :*

وهو مجموع ما اختار الشريف أبو الحسن محمد الرضا بن الحسن ، من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . تحقيق : د. صبحي الصالح ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠ م .

- هـ -

٣٥٧.*هداية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين :*

لإسماعيل باشا البغدادي ، المكتبة الإسلامية ، بطهران ، ط ٣ ، ١٣٨٧هـ .

٣٥٨.*الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية :*

للشيخ سليمان بن سحمان النجدي ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م.

٣٥٩.*الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية :*

لمحمد تقي الدين الهلالي ، ط١ ، ١٣٩٣ هـ /١٩٧٣م .

٣٦٠.*هذه هي الصوفية :*

لعبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٨٤م .

- و -

٣٦١. *الوافي بالوفيات :*

لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن ، ١٣٩٣هـ /١٩٧٣م .

٣٦٢.*وفيات الأعيان وأنباء الزمان :*

لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، (ت ٦٨١) هـ ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ،بيروت ، لبنان ، ت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

الرسائل الجامعية :

٣٦٣.*ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف* (رسالة دكتوراه) : للشيخ عبد الله بن سليمان الغفيلي ، بإشراف فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري . من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عـــام هـ .

٣٦٤.*الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية* . (رسالة ماجستير) : لجيلان بن خضر العروس ، بإشراف الدكتور: صالح بن عبد الله العبود ،عام ١٤٠٩هـ ١٩٨٨ - ١٩٨٩ م .

٣٦٥. *صب العذاب على من سبّ الأصحاب* : (رسالة ماجستير) :

للشيخ عبد الله البخاري ، بإشراف فضيلة الدكتور / أحمد سعد حمدان الغامدي ، عام ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م

٣٦٦.*مظاهر الإنحراف في توحيد العبادة لدى بعض مسلمي أوغندا . وسبل معالجتها على ضوء الإسلام :* (رسالة ماجستير) : للشيخ حسين محمد بو ، بإشراف :فضيلة الدكتور أحمد سعد بن حمدان الغامدي عام : ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

(المجلات)

٣٦٧.*مجلة الزهراء* سنة ١٣٤٥ هـ رجب .

٣٦٨.*مجلة معهد المخطوطات العربية* ، سنة ١٤٠٥ هـ ، رمضان .

٣٦٩.*مجلة المنار* ، للسيد محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار بمصر ، ط/٢ ، ١٣٢٧هـ.

ز- فهرست الموضوعات العامة

فهرست الفهارس

المطلب الثالث : ردّ بعض الشبه فيها :

توطئة :

إ نّ الشبه التي أحدثتها المبتدعة في هذه العبادة ، كثيرة جدا ، يصعب حصرها – إلاّ أ نّ أئمة السلف – رحمهم ا لله – قد فنّدوها وبدّدوها ببيان الحق من الباطل ، بالأدلة الساطعة ، والبراهين القاطعة .

والألوسي – رحمه ا لله – من الذين تصدوا لتفنيد هذه الشبه ، لهذا سأقتصر على بعض استدلالاتهم السخيفة ، بالأدلة المقلوبة ، والتأويلات الكاذبة ، و الاعتماد على الأحاديث الباطلة ، الموضوعة ، والآثار الواهية المصنوعة ، وا لله تعالى المستعان .

الشبهة الأولى :

وهي ما نقله دحلان في كتابه " *الدرر السنّية* " (١) عن ابن حجر الهيتمي عن السبكي ، وكذا النبهاني والعراقي – داود بن جرجيس – عنهما ، وبذلك أكّدوا أنّ مشربهم واحد ،حيث توارثوا نقل مثل هذه الشبه كابرا عن كابر ، جاء فيه :

(... وقد يتوسل بذي الجاه ، إلى من هو أعلى جاها منه ، والاستغاثة طلب الغوث ، والمستغيث يطلب من المستغاث به أ ن يحصل له الغوث من غيره ، وإن كان ذ لك الغير أعلى ...(إلى أن قال) ... والمستغاث به في الحقيقة ، هو ا لله تعالى ، والنبي ﷺ ، واسطة بينه وبين المستغيث ...) (٢).

---

١ – قال محمد رشيد رضا عن هذا الكتاب في مقدمة كتاب : " *صيانة الإنسان عن وساوس الشيخ دحلان* " : (... وكان أشهر هؤلاء الطاعنين ، الشيخ أحمد بن زيني دحلان ، المتوفى سنة (١٣٠٤) ، أ لّف رسالة في ذ لك (أي في الطعن على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، ودعوته السلفية) تدور جميع مسائلها على قطبين اثنين : قطب الكذب والإفتراء على الشيخ ، وقطب الجهل بتخطئته فيما هو مصيب فيه) ص ١٢ .

٢ – انظر : غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/٢٦٢ ، والدرر السنيّة في الرد على الوهابية ، لأحمد دحلان ص ١٧، والجوهر المنظم لابن حجر المكي ص ٧٧ . وشفاء السقام للسبكي ص ١٧٣ .

الرد على هذه الشبهة :

قال الألوسي – رحمه الله – فيما نقله (١) عن العلاّمة عبد اللطيف في كتابه : " *منهاج التأسيس ...*" بعد أن نقل (أي الشيخ عبد اللطيف) عن العراقي نحو هذه الشبهة – والتي نقلها الألوسي عن النبهاني – : (**الجواب** عن هذه الشبهة من وجوه (وسأقتصر على بعض الأوجه فقط) ، منها :

الأول : أنّ الله سبحانه إنّما خلق خلقه لعبادته ، الجامعة لمعرفته ومحبته والخضوع له وتعظيمه ، وخوفه ورجائه ، والتوكل عليه والإنابة إليه ، والتضرع بين يديه ، وهذه زبدة الرسالة الإلهية ، وحاصل الدعوة النبوية ، وهو الحق الذي خلقت له السموات والأرض، وأنزل به الكتاب ، وهو الغاية المطلوبة ، والحكمة المقصودة من إيجاد المخلوقات ، وخلق سائر البريات ، قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون** ﴾(٢) ودعا سبحانه عباده إلى هذا المقصود ، وافترض عليهم القيام به حسب ما أمر ، والبراءة من الشرك والتنديد المنافي لهذا الأصل ، الذي هو المراد من خلق سائر العبيد ، قال تعالى : ﴿ **إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ **إنّه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾ (٤) وقال : ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق** ﴾(٥).

فالقول بجواز الاستغاثة بغيره ودعاء الأنبياء والصالحين ، وجعلهم وسائط بين العبد وبين الله ، والتقرب إليهم بالنذر والنحر ، والتعظيم بالحلف وما أشبهه ،

---

١ – وذلك مع بعض الزيادات والإستدلالات .

٢ – الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

٣ – الآية (١١٦)من سورة النساء .

٤ – الآية (٧٢) من سورة المائدة .

٥ – الآية (٣١) من سورة الحج .